

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثالث

دار المحجة البيضاء



مسارات

في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثالث

حسن بن موسى الصفار

مسارات
في ثقافة التنمية والإصلاح

الجزء الثالث

الطبعة الأولى: 1437هـ-2016م





أطياف للنشر والتوزيع

هاتف / فاكس : ٨٥٤٩٥٤٥ (١٣) ٩٦٦ +
القطيف - شارع القدس
ص.ب ٦١٢١٥ القطيف ٣١٩١١
المملكة العربية السعودية
E-mail : atyaf-pd@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمـدُ للّهِ ربِّ العَالمِين اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتمِ النَبِيين وتَمَام عِدّة المُرْسَلِين وعَلَـى آلـهِ الطَيِّبِيـن الطَاهِريـن وَصَحْبِـه المُنْتَجَبِين.

أول المسار

إن الأفظع مما يجري في ساحة الأمة من احتراب جنوني في أكثر من بلد إسلامي، هو ما قد يترتب على هذه الحالة المأساوية البشعة، من نتائج وتداعيات ثقافية واجتماعية، قد تؤسّس لانقسام الأوطان وتجزئتها، وإقامة كيانات قومية وطائفية، أو لتكريس أنظمة محاصصة تلتف على المواطنة وتفرغ الديمقراطية من محتواها، وتعزز الانتماءات والهويّات الفرعية على حساب الهوية الوطنية الجامعة.

كما أن التوظيف السياسي الصارخ لمفاعيل الصراع المذهبي في بعض ساحات الاحتراب الفظيعة القائمة، يهدد بنسف كل جهود التقارب والتآلف ومشاريع الوحدة والحوار التي قام بها المصلحون الواعون من رجالات الأمة خلال قرن من الزمن، ويدفع ساحة الأمة نحو مزيد من التشنج والتوتر والعداء المذهبي البغيض.

وهنا يأتي دور الواعين المصلحين ليستنفروا كل جهودهم وطاقاتهم، وليعلنوا حالة الطوارئ القصوى، في مواجهة هذه التداعيات الثقافية والاجتماعية.

لا يصح أبداً أن نصاب باليأس والإحباط، فالحياة مسرح لصراع الإرادات، فإذا كانت قوى الشر والفتنة والتخريب تمعن في الأرض فساداً ودماراً، فإن على القوى الخيِّرة أن تبذل ما في وسعها لمحاصرة الحرائق وإطفائها، وللوقاية من اتساع رقعتها ولهيبها.

ولنا عبرة بما تقوم به قوى الإغاثة الطبية والدفاع المدني، فإنهم يمارسون دورهم

الإنساني حتى في ظل أبشع الأوضاع والظروف، وقد يدفع بعضهم حياته ثمناً لأداء واجبه الإنساني، كما يتحملون مواجهة المشاهد الفظيعة، والتعامل مع الحالات العصيبة.

١. إن علينا أن نصدع بما نؤمن به من مبادئ دينية تدعو إلى السلم والسلام، وتستنكر الحروب العبثية في كل الساحات، وتفضح الأدوار الشيطانية المؤججة للفتن، طبقاً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٠٨].

إن اختلاف الآراء والانتماءات ووجود المشاكل وتضارب المصالح أمر طبيعي في المجتمعات البشرية، لكن الحرب والعنف هو الخيار الأسوأ للمعالجة، وما يدعو إليه العقل والشرع هو الحوار والتفاهم وصولاً إلى الصلح والاتفاق، وهذا هو نهج الأمم المتقدمة التي تدير خلافاتها بالطرق السلمية الحضارية، انطلاقاً من صيغة دستورية يتوافقون عليها، ونظام ديمقراطي يتداولون السلطة من خلاله، عبر الانتخابات وصناديق الاقتراع.

٢. وعلينا أن نؤكد على وحدة الأمة والأخوة بين أبنائها، وأن شهادة «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، هي الإطار الجامع، وهي تمنح الحصانة والحرمة لدم المسلم وعرضه وماله، مهما اختلفت المذاهب، وتعددت الفرق والمدارس، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٩٢]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[سورة الحجرات، الآية: ١٠]، وعنه ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك الجماعة»[١]. وعنه ﷺ: «إن لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عزّ وجلّ، من قالها

(١) محمد بن إسماعيل البخاري. صحيح البخاري، كتاب الديّات، ص١٣٠١، حديث ٦٨٧٨، طبعة ١٤٢٠هـ، (بيروت ـ دار الكتب العلمية).

مخلصًا استوجب الجنة، ومن قالها كاذبًا عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار»[١].

أما التكفير لمعلن الإسلام والإيمان، واتهام الناس في أديانهم جزافاً، فهو مخالفة صريحة واضحة لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[سورة النساء، الآية: ٩٤]، ولقوله ﷺ: «إذا قالَ الرَّجلُ لأخيهِ يا كافِرُ، فقد باءَ بِه أحدُهُما»[٢]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: «ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقاتله»[٣].

٣. وعلينا ألا نألوا جهداً في نشر ثقافة التسامح، وقبول التعددية واحترام الرأي الآخر، والدفاع عن حقوق الإنسان وأن نحذّر الأمة من دعوات التعصب، وتيارات التحريض على الكراهية، وإثارات الفتنة الطائفية، والتعبئة المذهبية.

صحيح أن مثل هذا الخطاب وهذه الطروحات تبدو وكأنها سباحة عكس التيار، حيث إن النفوس مشحونة، والأجواء متوترة، والتجاذبات السياسية والمذهبية على أشدّها، والأطراف المتحاربة يواكب نشاطها العسكري خطاب وإعلام تعبوي تحريضي، يلهب مشاعر الجمهور الموالي لكل طرف، ويستثير فيه غريزة الانتقام وطلب الثأر، وتحقيق الغلبة على الطرف الآخر.

لكن علينا أن نتحمل المسؤولية تجاه ديننا وأمتنا وأوطاننا، وألا نخوض مع الخائضين في أوحال الفتنة، بل نقول كلمة الحق، وندعو إلى سبيل الهدى والرشاد، وإن كانت الاستجابة ضعيفة، والتفاعل محدود، فعمّا قريب إن شاء الله ينجلي هذا الظلام الحالك، وتنحسر هذه الموجة العاصفة، وتتجاوز الأمة هذه المرحلة الانتقالية من هيمنة الاستبداد إلى قيام أنظمة الحكم الديمقراطي الرشيد.

---

(١) بحار الأنوار. ج٣، ص٥.

(٢) صحيح البخاري، حديث ٦١٠٣.

(٣) وسائل الشيعة. ج١٦، ص٢٨٠.

وبعد:

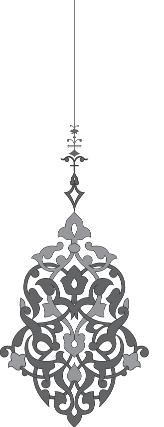
فبين يدي القارئ، وخاصة إخواني الدعاة والمبلغين، الملف التوثيقي السنوي للنشاط الثقافي الذي وفقني الله تعالى للقيام به خلال عام ١٤٣٢هـ، والذي يشمل على خطب الجمعة، والمشاركات الخطابية الأخرى، واللقاءات الإعلامية والبيانات والتصريحات المرتبطة ببعض الأحداث الجارية، وهو يمثل المجلد الثالث من موسوعة (مسارات في ثقافة التنمية والإصلاح)، أسأل الله أن يتقبل مني هذا اليسير من العمل في سبيله، والجهد المتواضع من الدعوة إلى دينه.

وأسأله تعالى أن يغفر لي كل خطأ وتقصير، وأن يوفقني للثبات على دينه، والسعي لخدمة عباده، إنه ولي التوفيق، والحمد لله ربّ العالمين.

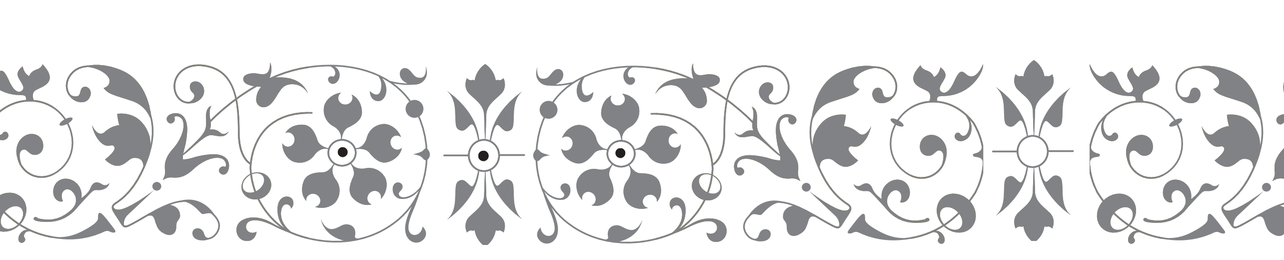
حسن الصفار

9 ذو الحجة 1436هـ

23 سبتمبر 2015م



خُطَبُ الجُمُعَة



الخطبة الأولى

7

عيسى بن مريم الوجيه في الدنيا والآخرة

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾

[سورة آل عمران، الآيات: ٤٥-٤٧].

الاحتفاء بالأنبياء والانشداد إلى سيرهم منهج قرآني، فالقرآن الكريم تحدث عن سير الأنبياء وحياتهم، ودعا البشرية للاقتداء بهم والانشداد إليهم، وفي سوره شواهد كثيرة.

في هذه الأيام يحتفي المسيحيون ـ وهم يشكّلون ثلث سكان المعمورة تقريبًا ـ بذكرى ولادة نبي الله عيسى بن مريم ﷺ. نحن نختلف مع المسيحيين دينيًا، لأننا نعتقد بلزوم الإيمان بنبوة خاتم الأنبياء محمد ﷺ، وأن رسالته هي آخر الرسالات، وأنه جاء مصدقًا للأنبياء والرسل السابقين، ونختلف معهم فيما حصل من تحريفات طالت الكتب المقدسة التي نؤمن بها في الأساس. لكن هذا الاختلاف لا يشرّع لنا أن ننظر إلى احتفائهم بذكرى ولادة السيد المسيح ﷺ نظرة سلبية، بل نرى أنه احتفاء يجب أن يوظّف في قراءة السيرة الصحيحة لنبي الله عيسى ﷺ، وفي الارتباط بالقيم

المقدسة التي حملها وحملها جميع الأنبياء، وفي كتابنا المقدس القرآن الكريم نجد حديثًا كثيرًا عن نبي الله عيسى ﷺ وعن ولادته، ومنها هذه الآيات: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّـهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

لماذا أطلق على المسيح عيسى بن مريم أنه كلمة؟

لأن وجوده ارتبط بكلمة من الله تعالى، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ وجوده لم يكن نتاج حالة طبيعية، بلقاء ذكر بأنثى، وإنما كان خارج هذا السياق المألوف بأمر من الله تعالى لذا أطلق عليه ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾. ويحتمل أن يكون معنى (كلمة) هو المخلوق والموجود، كما في الآية الكريمة: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِي﴾ يعني لمخلوقات ربي وموجوداته.

ولماذا أطلق عليه المسيح؟

إما لأن الله تعالى قد مسح عنه الإثم والرجس والدنس فهو معصوم، أو إشارة إلى معجزاته بأنه كان يمسح على المرضى مثل الأعمى والأكمه والأبرص فيطيبون بإذن الله تعالى.

ثم يصفه تعالى بأنه ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ ينسبه إلى أمه، لأنه ليس له أب، وتبشّر الملائكة مريم بأن ابنها عيسى ﷺ ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ وبهذه المناسبة لنا كلمتان:

التربية على احترام الآخرين:

الأولى: أن ديننا يربينا على احترام الآخرين، فمهما اختلف أتباع الديانات الأخرى معنا في الدين، إلا أن ديننا يأمرنا باحترامهم ما لم يعتدوا علينا، يقول تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآية:٨] نختلف معهم ونرى أن ديننا الحق، ولكننا ندعو إلى ديننا بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا نجبر عليه أحدًا، لأن الله تعالى

يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ هم أحرار ومحاسبون أمام الخالق كما سنحاسب نحن، وفي هذه الحياة يجب أن يكون هناك احترام متبادل، وبحث في المشتركات، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[سورة آل عمران، الآية:٦٤]، لقد عاش المسيحيون في ظل الحضارة الإسلامية، في حرية ورفاه واحترام في المجمل، رسول الله ﷺ كان يعامل الآخرين بكل احترام، يحترمهم كبشر، يحترم حقوقهم الإنسانية، يدعوهم إلى الدين فإن لم يستجيبوا يتركهم واختيارهم، كما أمره الله تعالى. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كذلك في حياته مشاهد ومواقف كثيرة تدل على احترام أتباع الديانات الأخرى، وتبيين حقوقهم الإنسانية المشروعة.

الآن في عالمنا الإسلامي يوجد مواطنون من المنتمين للمسيحية في السودان، ومصر، ولبنان، والعراق، وإيران، ودول إسلامية أخرى. هؤلاء المسيحيون يجب أن يتمتعوا بحقوقهم الكاملة، حقوق المواطنة والإنسانية، ولا يجوز الاعتداء عليهم، ولا الإساءة لهم، ما داموا ملتزمين بحقوق الآخرين ولم يعتدوا.

رأينا في الفترة الأخيرة كيف أن مواقف متشددة استهدفت المسيحين في العراق، وهو أمر مدان ومرفوض، لكن هذه المواقف المتطرفة لم توفّر أحدًا بل استهدفت الجميع، واعتدت على الجميع، والمسلمون الواعون يرفضون مثل هذه المواقف، ويرون أن المسيحيين في أي بلد عربي أو إسلامي هم جزء من أوطانهم، لهم ما لبقية المواطنين من الحقوق، وعليهم ما عليهم من الواجبات.

ونحن في المملكة العربية السعودية وإن لم يكن بيننا مواطنون مسيحيون، فهناك وافدون وعمّال موجودون في بلادنا من أتباع الديانات الأخرى، ويجب التعامل معهم باحترام، ولا يصح الإساءة إلى أحد منهم، هؤلاء أمانة عندنا، نحن نقرأ في الفقه الإسلامي مصطلح (أهل الذمة) فهم في ذمتنا، وسوف يحاسبنا الله تعالى على طريقة التعامل معهم، لذلك ينبغي للإنسان أن يؤدي إليهم حقوقهم، وخاصة إذا كانوا في

مقام متواضع كالخدم والسائقين، فهؤلاء يكونون تحت سلطة الإنسان وإدارته، فعلى الإنسان أن يتقي الله في التعامل معهم. إن ما نسمعه وتنشره الصحف من إساءات لبعض الخدم من مسلمين وغير مسلمين لهو أمر مشين معيب، لا ينبغي أن يحصل في مجتمع مسلم؛ لأنه يخالف قيم الإسلام، ويخالف الحقوق الإنسانية.

وحينما تمر هذه المناسبة علينا أن نبادل أتباع هذه الديانة المشاعر الإيجابية، كما أننا نفرح حينما يتفاعل الآخرون مع مناسباتنا، علينا أن نتفاعل مع مناسباتهم. الأشخاص الذين يتحفظون في تهنئة المسيحيين بعيد الميلاد، لا نرى مبررًا لتشددهم وتحفظهم، فليس هناك مانع أن نتفاعل مع الآخرين في مناسباتهم، وخاصة في مناسبة إيجابية هي ذكرى ولادة نبي من أنبياء الله العظام ومن أولي العزم، والاختلاف في تاريخ ولادته ليس أمرًا مهمًا، فعند المسلمين اختلاف في تاريخ ولادة النبي محمد ﷺ ووفاته، وكذلك تواريخ سائر الأئمة والقيادات الإسلامية.

الوجاهة في الدنيا:

الكلمة الثانية حول الصفة الأخرى التي ذكرها الله تعالى لنبيه عيسى ﵇: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، الله تعالى منحه الوجاهة في الدنيا كما منحه الوجاهة في الآخرة، وذكر هذه الصفة (الوجاهة في الدنيا) لنبي الله عيسى ﵇ تدل على أهمية هذه الصفة، من المهم أن يكون الإنسان وجيهًا في الدنيا، كما يطمح أن يكون وجيهًا في الآخرة، ولكن لماذا ينبغي ذلك؟

الوجاهة أصلها امتلاك الجاه، بأن تكون للإنسان سمعة ومكانة عند الآخرين. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الجاه أحد الرّفدين، والآخر المال»[(١)].

والسؤال هنا: هل من المعيب أن يسعى الإنسان لكي يكون وجيهًا في مجتمعه؟

---

(١) محمد باقر المجلسي. بحار الأنوار، ج٧٤، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ، (بيروت ـ دار إحياء التراث العربي)، ص١٦٥.

كلا، إنما يكون عيبًا وسيئًا إذا كان يستخدم الجاه في الطريق الخطأ، أما أصل امتلاك الجاه فهو أمر ينبغي أن يطمح إليه الإنسان المؤمن؛ لأن حياته تكون أصلح بذلك، ويستطيع أن يخدم رسالته بوجاهته، تمامًا كما يستطيع أن يخدم بماله، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نعم العون على تقوى الله الغنى»[1] المتدين الغني الذي يبذل ماله في نصرة الدين مكسب كبير، وكذلك المتدين الوجيه حينما يوظف وجاهته في خدمة دينه ومجتمعه فهو مكسب كبير أيضًا.

المجتمع الذي يكون فيه عدد أكبر من الوجهاء والبارزين يكون مجتمعًا أقوى وأكثر احترامًا في محيطه، بشرط أن يُوظّف هذا الجاه في خدمة المجتمع، ورد عن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى ليسأل العبد في جاهه، كما يسأل في ماله، فيقول: يا عبدي، رزقتك جاهًا، فهل أعنت به مظلومًا، أو أغثت به ملهوفًا؟»[2].

فالجاه مصدر قوة في حياة الإنسان وحياة المجتمع، وعلى كل إنسان يستطيع أن يجعل من نفسه شخصية بارزة ألا يزهد في ذلك، والوسائل الآن متاحة، بالعلم، بالثروة، بالملكات والقدرات، بالسعي والعمل، وحسن العلاقة مع الآخرين، وعلى الإنسان أن يسلك الطرق المناسبة لكي يكون شخصية بارزة في مجتمعه.

لماذا تقبل أن تكون نكرة؟ فكر في أن تكون لك شخصية، لتكن مؤلفًا، فنانًا، ثريًا، عالمًا. امتلاك الجاه أمر مفيد، ولا ينبغي الزهد فيه، وعلى المجتمع أن يشجع هذه الحالة لأن هذا ضمن رصيد المجتمع ومصلحة المجتمع.

حالة سلبية ومرضية تلك التي يكسر فيها المجتمع رموزه وشخصياته البارزة، أو يحبط من يسعى بهذا الاتجاه، الصحيح هو التشجيع على أن يسلك الأفراد هذا الطريق

---

(١) محمد بن الحسن الحر العاملي. وسائل الشيعة، ج ١٧، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، (بيروت ـ دارالكتب العلمية)، ص٢٩.

(٢) ميرزا حسين النوري الطبرسي. مستدرك الوسائل، ج١٢، الطبعة الثالثة ١٩٩١م، (بيروت ـ مؤسسة آل البيت لإحياء التراث)، ص٤٢٩.

بالوسائل المشروعة، وأن توظّف المكانة والجاه لمصلحة المجتمع، هذا ما نستنتجه من وصف الله تعالى لنبيه عيسى عليه السلام. بأنه وجيه في الدنيا والآخرة، وبالفعل فهو كذلك لأن وجاهته في الدنيا واضحة، فالمنتسبون إليه هم الأكثر، والديانة المنسوبة إليه هي الأولى من حيث عدد الأتباع، كما أنه وجيه في الآخرة؛ لأن له شفاعة ومكانة عند الله.

نسأل الله أن يشملنا بشفاعة أنبيائه وأوليائه.

شمس الحسين تزداد إشراقًا

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[سورة هود، الآية: ٤٩].

الإنسان العاقل لا يقدم على عمل إلا ويتوخى منه نتيجة، وكلما كان العمل مستلزمًا لجهد أكبر تكون النتيجة المتوخاة أكبر وأعظم. لكن النتائج تختلف في نظر الناس، فهناك من يتوخى نتائج عاجلة، وهناك من له بعد نظر فيرى النتائج الآجلة وليس العاجلة فقط. عادة ما تكون الأعمال الصغيرة نتائجها عاجلة، أما الأعمال الضخمة عادة ما تكون نتائجها آجلة، وبعبارة أخرى، فإن النتائج والاستهدافات كلما كانت أكبر وأعظم احتاجت إلى جهد أكبر ومدى زمني أكبر.

القرآن الكريم دائمًا يركز على مسألة العاقبة، أي النتيجة والمآل، أكثر من ثلاثين آية تتحدث بهذا اللفظ ﴿الْعَاقِبَةَ﴾ كقوله تعالى: ﴿الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾، ﴿أُولَـٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

قد يقوم الإنسان بعمل ولا تكون له نتائج سريعة، أو تكون نتائجه السريعة سيئة أو جيدة، لكن هذا ليس هو المقياس. المقياس هو المستقبل؟ ماذا ستكون نتائج هذا العمل في المستقبل؟ الأعمال الشهوانية تكون لها لذة عاجلة ولكن ماذا بعد؟ أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول عن مثل هذه الأعمال: «تزول اللذة وتبقى التبعة».

حركة التغيير نَفَس طويل:

الأنبياء والأئمة كانت لهم استهدفات عظيمة هي تغيير المجتمعات البشرية حتى تسير في الخط المستقيم، حركة التغيير في المجتمعات البشرية عادة لا تظهر نتائجها سريعًا بل تأخذ مدى طويلًا، من هنا فإن الأنبياء والأولياء كانوا يتحركون ببعد نظر، وما كانوا يستعجلون النتائج، ولا يتوخون النتائج العاجلة؛ لأن الوحي كان يؤكد عليهم دائمًا بالصبر، كما في الآية الكريمة: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ لا تستعجل النتائج، المهم أنك تسير في الطريق الصحيح، أنك تحمل رسالة وتؤدي دورك وواجبك، متى ستكون النتائج وكيف؟ هذا ليس من مهمتك، هو أمر موكول إلى الله، ولهذا كان الأنبياء يتحركون ويواجهون البلاء بعزيمة، يبدون في لحظة من اللحظات وكأنهم انهزموا وانكسروا وكأن الباطل قد ساد وهيمن، ولكن في أعماق نفوسهم يعلمون أن النصر سيكون لهم، وأن النتيجة ستكون لصالحهم، لأنهم ينظرون بعين الله وبنظرة مستقبلية، وهذا ما نرى أنموذجه واضحًا في ثورة الإمام الحسين.

من كان معاصرًا للإمام الحسين عليه السلام، وأمام المقاييس الظاهرية يرى بأن الحسين عليه السلام مهزوم لا محالة، ولذا نصحوه بألا يخرج، كيف يمكن مواجهة جيش مدجج بالسلاح وقوة عاتية، بنفر قليل من الأصحاب؟ المعادلة المادية كانت واضحة، والإمام الحسين عليه السلام كان مدركًا لهذا الأمر، لذلك لم يكن يتحدث عن نصر مادي، وما كان يطلب الأنصار حتى يشاركوه غنائم النصر، وإنما كان يطلب منهم أن يشاركوه شرف الشهادة، ففي خطبته بمكة المكرمة قبل خروجه قال:

«ألا ومن كان باذلًا فينا مهجته، موطنًا على لقاء الله نفسه فليرحل معنا»، وفي رسالته التي كتبها إلى بني هاشم: «من لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق لم يدرك الفتح» يعتبر شهادته فتحًا؛ لأنه كان ينظر نظرة مستقبلية، كان ينظر إلى القرون المقبلة، وهذه هي التربية الإلهية، كان ينظر إلى النتائج في الآخرة، ومن أدعيته عليه السلام في اليوم العاشر من المحرم وبعد أن قتل معظم أصحابه وأهل بيته قال: «اللهم إن كنت حبست

عنا النصر في الدنيا فاجعلها لنا ذخرًا في الآخرة».

النتائج لا تقتصر على الدنيا، بل ما في الآخرة هو الأهم. العقيلة زينب عليها السلام حينما سألها ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك والعتاة المردة من أهل بيتك؟ قالت: «والله ما رأيت إلا جميلًا هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذٍ ثكلتك أمك يا ابن مرجانة».

عاشوراء تجدد وانتشار:

الرساليون تفكيرهم مستقبلي. ونحن الآن نرى كيف أن نتائج ثورة الحسين عليه السلام تتجلى وتتضح زمنًا بعد آخر، وقرنا بعد آخر، في كل عام نرى أن هذه الذكرى تفرض نفسها أكثر على المجتمع البشري، رأينا التفاعل ضمن دائرة المجتمع الشيعي الذي عانى في كثير من الأزمنة والبلدان من الضغوط والحصار، ومن محاولات صرفه عن مبادئه بمختلف الوسائل والأساليب، لكننا نرى أن التفاعل داخل هذا المجتمع مع ذكرى الحسين عليه السلام في تقدم.

التفاعل الداخلي:

كم يُسّر الإنسان ويفرح أن يرى هذه المواكب والحشود من الشباب، قد يكون من الطبيعي أن تجد كبار السن يلتزمون بهذه المناسبة، لكن هؤلاء الشباب تراهم في بلادنا وسائر البلدان يأتون بحشود ضخمة وهم يحتفون بذكرى الحسين عليه السلام، إذًا كل المحاولات والجهود التي صرفت في إضعاف هذا المبدأ ومحاصرة هذا التوجه، والضغط على أتباع أهل البيت عليهم السلام ذهبت هباءً منثورًا. هاهم الناس وهم يعلنون ولاءهم لأهل البيت والحسين، وما هذا التفاعل إلا دلالة كبيرة على أهم آثار ثورة الحسين عليه السلام إنها ربط الناس بالدين والتزامهم بالولاء لأهل البيت عليهم السلام. في مختلف البلدان نرى هذا

التفاعل يزداد عامًا بعد عام، كثرة المجالس والشعائر والإطعام والاهتمام، كل سنة أوسع من السنة التي سبقتها والحمد لله.

التفاعل ضمن الدائرة الإسلامية:

لأن الحسين إمام للأمة وابن بنت رسول الله ﷺ فينبغي أن يكون موضع اهتمام المسلمين. في الماضي حاولت بعض الجهات أن تجعل هذه المناسبة وكأنها تشكل حاجزًا بين المسلمين، حالة انغلاق عند الشيعة عن بقية المسلمين، لكننا أصبحنا نرى أن عاشوراء أصبحت مناسبة للانفتاح وللتواصل، لكي يتجلى أمام جميع المسلمين قيمة هذه الثورة المباركة ودور أهل البيت. ينبغي أن نهتم بهذا الجانب، وأن نحتفي بما حصل من إيجابيات في هذه المناسبة، نشيد بما قام به رئيس الوزراء التركي «رجب طيب اردوغان» حيث أتى مشاركًا في مناسبة عاشوراء مع أن الشيعة لا يتجاوز عددهم ثلاثة إلى أربعة ملايين في تركيا، لكنه قدّر مشاعر مواطنيه، وأبدى اهتمامه بمناسبتهم باعتبارها مناسبة إسلامية وألقى كلمة في مهرجان عاشوراء.

الرئيس الأفغاني شارك في مجلس عزاء، وشخصيات إسلامية من مختلف البلدان تبدي اهتمامها بهذه المناسبة، من يتابع الفضائيات لا شك أنه سمع كثيرًا من العلماء من أهل السنة والدعاة والكتاب يتحدثون بإيجاب عن هذه المناسبة العظيمة. بدأت المناسبة تأخذ الوجه الإسلامي الصحيح، وهذه هي حقيقة الأمر، فهي ليست مناسبة شيعية تخص الشيعة، وإنما هي قضية ينبغي أن يهتم بها المسلمون جميعًا.

هناك مؤشرات إيجابية على هذا الصعيد لا بدّ لنا أن نقدرها، في بلادنا بعض أصحاب الشركات العاملة في المنطقة مراعاة منهم لمشاعر أبناء المنطقة، وأيضًا اهتمامًا منهم بهذه المناسبة أعطوا للعمال والموظفين إجازة في يوم عاشوراء، وبعض مؤسسات أخواننا أهل السنة في المنطقة في اليوم العاشر أغلقت أبوابها وعلقت لافتة تعزي أهل المنطقة وهذا شيء ايجابي.

بعض أخواننا أهل السنة من مناطق مختلفة من الرياض وجدة والقصيم وغيرها، يأتون ليعيشوا معنا هذه المناسبة عبر (لجنة التواصل الوطني) التي تأسست منذ سنوات، وفي كل عام تدعو بعض الشخصيات ومن لهم مكانة كمثقفين ونشطاء وأدباء ودعاة، وبعضهم حينما يعود يكتب انطباعاته الإيجابية وينشر ذلك في الصحف والإنترنت.

هذه مواقف إيجابية ينبغي أن نحتفي بها وأن نحمد الله على تحققها، وأن ننظر بإيجابية إلى الأمور. في كثير من الأحيان الناس تستقطبهم الأشياء السلبية، فيضجون إذا كتب مقال ضد عاشوراء، أو ضد الشيعة، وهذا حقهم، لكن في المقابل ينبغي أن نشكر من يكتب بإيجابية، حتى لا تصور الأمور في أذهاننا أنها سوداء قاتمة، علينا أن نرسم الصورة كما هي وأن نبرز الجانب الإيجابي أكثر.

التفاعل العالمي:

وأخيرًا نحن نرى تفاعلًا على المستوى العالمي، وكالات الأنباء ووسائل الإعلام، والفضائيات لا تكاد تجد واحدة منها لم تشر إلى مناسبة عاشوراء، بعض بلادنا العربية والإسلامية ضمن قاعدة (عمك اصمخ) كأنه ليس هناك حدث مهم، ومناسبة عظيمة يتحرك فيها الملايين من الناس وهم يغضون الطرف عنها، كيف لوسائل إعلام تحترم نفسها أن تتجاهل مناسبة عظيمة كهذه؟

بالتأكيد ذلك بسبب سياسات معينة تفرض عليها، وإلا فإن أي وسيلة إعلامية تترك وحرفيتها الإعلامية لا يمكن أن تتجاهل هذه المناسبة، لكن السياسات الطائفية والتجاهلية للآخرين هي التي تجعل بعض وسائل الإعلام في بعض بلادنا العربية والإسلامية تتجاهل هذه المناسبة العظيمة، نحن لا نريد منهم أن يتحدثوا لنا عن هذه المناسبة، إنما من أجلهم، واحترامًا لأنفسهم وحرفيتهم المهنية.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاهتمام بهذه المناسبة والمناسبات الدينية والسير على نهج أهل البيت.

الخطبة الأولى

الابتلاء في حياة الأنبياء والأئمة

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٢٤].

لا شك أن الأنبياء والأئمة والأولياء هم أقرب الناس إلى الله تعالى، وأحبهم إليه، لكننا نرى ظاهرة الابتلاء واسعة في حياتهم، فقلَّ أن تجد نبيًا أو إمامًا أو وليًا إلا ومرّ بعدد كبير من الابتلاءات، وواجه الكثير من المصائب، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: إذا كان هؤلاء هم الأقرب إلى الله والأحب إليه فلماذا لم يدفع عنهم البلاء؟ ولماذا لم يحمهم منه؟ لماذا أتاح الفرصة لتتسلط عليهم ألوان المصائب والابتلاءات؟

من ناحية أخرى، إن الله تعالى يريد من هؤلاء الأنبياء والأئمة أن يكونوا مطاعين ومحترمين في الناس، مسموعي القول، إذًا فلماذا لم يجعلهم في موقع القوة والقدرة حتى يلتف الناس حولهم ويسمعوا لهم؟ لماذا كان أكثر الأنبياء في موقع الضعف المادي بحيث لا يستطيعون أن يُعملوا ويمارسوا نفوذهم في المجتمع؟

هذه الأسئلة تواجه الإنسان حينما يقرأ سيرة وحياة الأنبياء والأئمة.

في الآية الكريمة إشارة إلى هذا الجانب من خلال أبي الأنبياء نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام، هذا النبي العظيم واجه في حياته أنواع الابتلاءات، والله عزّ وجل يقول إن هذه الابتلاءات التي واجهها إبراهيم الخليل عليه السلام كانت طريقه ليكون في موقع القيادة والإمامة ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ المقصود من ﴿كلمات﴾ إما أنها

تعني أوامر الوحي ونواهيه، أو بمعنى مواقف، ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي اجتاز الامتحان ونجح، عندها استحق من الله مقام الإمامة والقيادة ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾.

لماذا يُبتلى الأولياء؟

من هنا يمكننا الإجابة عن التساؤلات التي طرحناها سابقًا بما يلي:

أولًا: تصحيح مقياس علاقة العبد بربه في أذهان الناس. فقد يتصور البعض أن مقياس القرب من الله ومحبته للعبد هي أن يحميه من المصائب، ويقيه كل بلاء، كما هو الحال في قاموس حياتنا البشرية، فالإنسان إذا أحب شخصًا شمله برعايته بحيث لا يسمح لأي أحد أن يؤذيه. من له وجاهة عند حاكم يتوقع أن لا يقع في مشكلة يستطيع ذلك الحاكم أن يحميه منها، وإذا وقع إنسان في مشكلة ولديه علاقة مع جهة نافذة فإنه يتوجه إليها على الفور لتميط الأذى عنه.

من هنا أصبح عند الناس مقياس للعلاقات البينية وهو مقدار دفع المحب الضرر عن المحبوب، ولكن هل هذا المقياس ينطبق مع الله تعالى؟ إذا كان هذا المقياس هو الجاري فلماذا لم يدفع الله البلاء والمصائب عن أنبيائه؟

على الإنسان أن يعيد النظر، إذا أراد أن يعرف مقدار محبة الله له فلا يحسب أن مقياس ذلك الراحة والدعة، فيفرح إذا كان في رخاء ويقول إن الله يحبني، فماذا إذا أصابته محنة شديدة، هل يستنتج بأن الله لا يحبه؟ القرآن يبين هذا الجانب بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ هذا المقياس خطأ، المشاكل أو الرخاء ليست هي المقياس.

قد تكون الابتلاءات هي مظهر حب الله لك، وقد يكون الرخاء فخ امتحان من الله لك، قد تنجح وقد لا تنجح فيه، ولذا يقول الله عزّ وجل: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن

يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّـهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾. وهناك نصوص أخرى كالحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، ونفس تنازعه، وشيطان يظله»[1].

الإنسان المؤمن قد يبتلى أكثر بكثير من غير المؤمن، جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الذين يلونهم، ثم الأمثل فالأمثل»[2] وعنه عليه السلام: «وهل كتب البلاء إلا على المؤمن؟»[3] وقال أيضًا عليه السلام: «المصائب منح من الله»[4] قد يرى الإنسان أن المصيبة أزمة ومشكلة، فيتعقد ويتأزم منها، ولكن المؤمن الواعي يعتبرها منحة من الله ليبرز صدق إيمانه ووعيه وقدرته على تجاوز المحنة.

ويُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كرامات الله في الحقيقة نهايات بداياتها البلاء»[5] أي إن كرامات الله نتيجة لمقدمة هي البلاء. من هنا كانت حياة الأنبياء والأئمة مليئة بالمشاكل من أجل تصحيح هذا المقياس في ذهن الإنسان.

ثانيًا: الالتفاف حول الأنبياء والأئمة ينبغي أن يكون عن قناعة وإيمان، وليس طمعًا في قوة ومكسب. إذا كان الأنبياء في موقع القوة فمن الطبيعي أن يخضع الناس لهم رغبة أو رهبة، ويتملقوا لهم، وهذا لا يكون امتحانًا حقيقيًا. وإذا كان بعض الأنبياء والأولياء وصلوا إلى مواقع قوة فإن ذلك كان بعد مسيرة جهاد وعناء.

ثالثًا: أن يكون الأنبياء قدوة للناس في تحمل البلاء ومواجهة التحديات؛ لأن طبيعة

---

(١) علاء الدين علي المتقي الهندي. كنز العمال، ج١، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت ت مؤسسة الرسالة)، ص١٦١، حديث٨٠٩.

(٢) محمد بن يعقوب الكليني. الكافي، ج٢، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ، (بيروت ـ دار الأضواء)، ص٢٥٢.

(٣) الكافي. ج٢، ص٢٥٨.

(٤) الكافي. ج٢، ص٢٦٠.

(٥) بحار الأنوار، ج٦٤، ص٢٣١.

الحياة البشرية فيها ابتلاءات ومشاكل، ومطلوب من الإنسان أن يصبر عليها مهما كان نوع المشكلة وحجمها.

الإمام زين العابدين عليه السلام ومشاهد البلاء:

نحتفي اليوم بذكرى شهادة الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، هذا الرجل القديس الذي أجمعت الأمة الإسلامية على احترامه والإشادة بفضله ومكارم أخلاقه. لقد عانى هذا الإمام ألوان الألم في حياته.

نحن بعد ألف وأربعمائة سنة من معركة كربلاء حينما نسمع مشهدًا من مشاهدها، نبكي ونتألم، كل إنسان سوي يسمع بعض مصاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام فإنه لا يملك السيطرة على مشاعره ودموعه، مهما كان دينه ومذهبه، فكيف بالإمام زين العابدين وهو الذي كان حاضرًا في كربلاء، وشاهد كل ذلك رأي عين؟ عاش تلك الواقعة يومًا بيوم ولحظة بلحظة. تتقطع نياط قلوبنا حين يذكر لنا التاريخ أن الحسين عليه السلام وقف بعد مصارع أصحابه وهو يلتفت يمنة ويسرة ينادي: أما من معين يعيننا؟ أما من ذاب يذب عنا؟ الإمام زين العابدين كان مريضًا مسجى في الخيمة، لكنه يسمع صوت استغاثة أبيه الحسين، فكيف لا يتألم؟، نادى بعمته زينب عليها السلام: ناوليني السيف والعصا. قالت ما تصنع بهما: قال أما العصا فأتوكأ عليها، وأما السيف فأذب به عن والدي، أما تسمعين الحسين ينادي أما من مغيث يغيثنا؟

وقد شاهد عليه السلام مقتل أبيه الحسين، وشاهد فرار عمّاته وأخواته من الخيام حينما نادى المنادي: احرقوا بيوت الظالمين. فسألته السيدة زينب عليها السلام ما نصنع يا ابن أخي؟ قال مُري النساء أن يتفاررن من الخيام. فكان هذا المشهد يأخذ منه مأخذه طول حياته، فقد روي عنه قوله: والله ما رأيت أحدًا من عماتي أو أخواتي إلا ذكرت فرارهن من خيمة إلى خيمة وخنقتني العبرة. لا شك أنها لم تكن لحظة هينة على قلب الإمام.

وحين أخذوا أسارى ومروا بهم على أرض المعركة ونظر الإمام زين العابدين عليه السلام

إلى جسد أبيه الحسين ﷺ وبقية أنصاره وأهل بيته، فكان في حال المحتضر الذي يجود بنفسه عند الوفاة، ولذا قالت له عمته زينب تصبّره: ما لي أراك تجود بنفسك؟

كما لاقى ألوان الذل والهوان في الكوفة والشام، حتى إذا أدخلوا على يزيد مقيدين كالعبيد صاح في وجه يزيد: يا يزيد، ما ظنك بجدنا رسول الله ﷺ لو رآنا ونحن على هذه الحالة؟ فبكى يزيد وبكى كل من كان في المجلس. ﴿إِنَّا للّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ﴾.

نسأل الله أن يوفقنا للسير في طريق الأئمة والأنبياء والاقتداء بهم.

منهج التعليم الديني وتعدد المذاهب

7

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾
[سورة طه، الآية: ١٣٣]

من أوائل مسؤوليات الإنسان تجاه أبنائه وعائلته أن يعلمهم الدين، وأحكام الدين، وخاصة الصلاة وهي العبادة التي يجب أن يؤديها المسلم خمس مرات كل يوم، وأن يصطبر على أدائها بنفسه، وكذلك الصبر على أمر أهله بالصلاة أيضًا، بحيث يتحمل المشاق والمشاكل في الأمر بذلك.

ومن أولى الأمور التي أوصى بها لقمان الحكيم ابنه هي الصلاة: «يا بني أقم الصلاة».

والأحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد ذلك، فقد ورد عنه ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا أبناء ست سنين، واضربوهم إذا كانوا أبناء سبع سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[١].

وهناك روايات حول تفقيه الأبناء في الدين كما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عن رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن»[٢].

---

(١) آقا حسين البروجردي. جامع أحاديث الشيعة. ج٤، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، قم المقدسة، ص٤٣.
(٢) كنز العمال، ج١٦، ص٤٥٦، حديث ٤٥٤٠٩.

إذًا تعليم الأبناء الدين والصلاة مسؤولية العائلة أولًا، وحينما يختلف فهم الدين بسبب اختلاف المدارس والتوجهات فإن من الطبيعي أن يعلم الأب أبناءه الدين بالطريقة التي يؤمن بها، لأنه الدين الذي يُدين الله به.

ومن الواضح للجميع تنوع المدارس الفقهية والعقدية عند المسلمين، فأهل السنة لهم مذاهب، وعند الشيعة الاثني عشرية مدارس، وهناك الأباضية والزيدية والإسماعيلية. ولا شك أن كل مسلم يرى نفسه معنيًا بتعليم أبنائه المذهب الذي يقتنع به، كما أن كل القوانين تكفل هذا الحق الشرعي الطبيعي. من حق كل أب وكل مجتمع أن يربي أبناءه على ديانته التي يعتقد بها. وإذا كان هناك من يعيش في البلاد الإسلامية من أهل الديانات الأخرى فلهم الحق أن يعلموا أبناءهم دينهم الذي يؤمنون به. وهذا ما كان في عهد المسلمين الأوائل.

مناهج التعليم الديني:

في الماضي كان التعليم أهليًا ـ في البيت ـ وكانت هناك كتاتيب ـ معلمون أهليون ـ يعلمون الأبناء القراءة والكتابة والدين، لكن التعليم أصبح اليوم مؤسسة رسمية في كل الدول، ومن شأن المدارس في البلاد الإسلامية أن تضع منهجًا للعلوم الدينية بخلاف المدارس الغربية التي تجعل مسؤولية التعليم الديني ضمن مسؤوليات العائلة فقط.

في بلادنا كل المواطنين مسلمون، لكنهم يتنوعون في مذاهبهم ومدارسهم، فكيف يتم تعليم القضايا الدينية؟

قد تضم منطقة عددًا قليلًا من أتباع مذهب ما، وهنا من الصعوبة بمكان أن يحسب لهم حساب تعاليم مذهبهم، ولكن ماذا عن المناطق ذات الأغلبية المذهبية الشيعية أو الصوفية مثلًا؟ هنا يجب أن يراعى انتماؤهم المذهبي وذلك لسببين:

أولًا: تعليم الطلاب دينهم حسب مذهبهم يمنع الازدواجية حيث يتعلمون في

البيت مثلًا طريقة للصلاة وفي المدرسة طريقة أخرى. هؤلاء أطفال صغار فلماذا يعيشون هذه الحساسية وهذا الخلاف؟

ثانيًا: احترامًا لتنوع الانتماءات، فهم كمواطنين من حقهم أن يتمتعوا بكرامتهم وحقوقهم الوطنية، فينبغي أن يفسح المجال من أجل أن يكون التعليم في المناطق التي فيها أغلبية ما على غير المذهب الرسمي بتدريس منهج يوافق مذهبهم، حتى يتعلموا أحكام مذهبهم الخاص بهم، ولا ينبغي أن يكون منهج التعليم فيه إساءة للمذاهب الأخرى، وهذا هو الوضع الأسوأ الذي كنا نعاني منه ولا تزال آثاره موجودة. مناهج التعليم صيغت على أساس مدرسة معينة ومذهب رسمي، ولم يراع فيه مشاعر أتباع المذاهب الأخرى، وبالخصوص الصوفية في الحجاز، والشيعة في الشرقية، والإسماعيلية في نجران، هذه النسبة الكبيرة من المواطنين كيف يصح أن يدرس أبناؤهم مناهج تسبهم وتشتمهم؟ وتعتبر دينهم وأعمالهم بدعًا وكفرًا؟ هذا أمر يمكن مناقشته في مواقع أخرى، لكن لا ينبغي أن يكون على حساب بناء نفسيات هؤلاء الأطفال الذين يجب أن يتربوا على أساس الاحترام المتبادل. قسم من تلك الإساءات أمكن تداركها، لكن لا تزل بقية الآثار موجودة.

من ناحية أخرى لماذا لا تتاح لهم الفرصة أن يتعلموا أحكام الدين من خلال مدرسين من أبناء مذهبهم؟ إذا كان لا بُدّ من هذا المنهج فلتكن الفرصة لأبناء المذهب أن يدرسوا ويبينوا للطلاب الاختلاف بين مذهبهم والمذهب الرسمي، فما المانع والمشكل من هذا؟ إنه حق، وهذا ما نطمح أن يتحقق، لكن مع الأسف الشديد لا تزال الجهات المتشددة التي تريد فرض رأي معين، وهيمنة مذهب واحد، ولا تحترم بقية الآراء مستمرة في فرض رأيها، بل لا تقبل أن يطرح الرأي الأخر، وتتعامل مع ذلك وكأنه جرم لا يغتفر!

مدارسنا وإثارة الطائفية:

رأينا قبل مدة أن جماعة من الشيعة في إحدى المدارس أقاموا صلاة الجماعة وصارت ضجة، واستدعي المعلم الذي أمّ المصلين للصلاة للتحقيق، ونقل لمدرسة أخرى؟ لماذا إذا تقدم مدرس سني وأمّ الصلاة فالمجال مفتوح، أمّا إذا كان أغلب الطلاب والمدرسين من الشيعة ويريدون الصلاة جماعة يمنعون؟ بأي وجه حق؟ هذا لا شك مخالف للقانون والنظام وحقوق الإنسان.

عندنا مشكلة نحن الشيعة وهي التشدد في صلاة الجماعة، حيث يطلب المأمومون غالبًا عالم دين ليؤم بهم الصلاة، وهذا غير لازم، أي شخص تثق بعدالته وصحة صلاته فليؤم الصلاة، وبناءً على ذلك المطلوب من كل أبنائنا ومدرسينا أن يقيموا الصلاة جماعة في المدارس وقت الصلاة، ولا يصح منعهم، هذا حق لهم، وعليهم أن يمارسوه فعليًا، ونحن في بلد مذهبه الرسمي يرى أن صلاة الجماعة فرض عين، فكيف يمنعون؟ أما أن يفرض عليهم إمامًا للصلاة من أهل السنة فهذا خلاف الدين، لأن من أمّ قومًا وهم له كارهون فهو مأثوم عند السنة والشيعة.

وفي الحادثة الأخيرة رأينا أن معلمًا اتهم بتعليم الصلاة وفق الطريقة الشيعية بين بعض الطلاب، فصدر قرار بفصله[1]، هل هذا جرم؟ حتى لو كان صحيحًا هل هي جريمة؟ هذه تصرفات مدانة ومرفوضة ينبغي أن تعيد وزارة التربية والتعليم النظر في هذا القرار التعسفي، حتى لا تحصل مشاكل، وحتى لا تسبب جرحًا في نفوس

---

(١) أصدرت وزارة التربية والتعليم السعودية قرارًا بفصل معلم شيعي من عمله بذريعة تدريسه الطلاب الشيعة الصلاة وفق الطريقة الشيعية وإهدائه كتيبًا دينيًا لجميع الطلبة. المعلم «فوزي شنر» من بلدة أم الحمام في محافظة القطيف تسلم قرارًا رسميًا بفصله من عمله على خلفية القضية بعد ١٧ عامًا قضاها في حقل التعليم معلمًا ومشرفًا تربويًا. كما تضمن قرار الوزارة منع المعلم شنر من العمل ضمن أي قطاع حكومي آخر. لكن الوزارة تراجعت عن قرار الفصل بعد تحرك أهلي استجابت له الحكومة وأعيد إلى عمله.

المواطنين الشيعة، وانتقاصًا لمفهوم المواطنة ولتطبيق حقوق الإنسان، وهذا يحتاج إلى اهتمام وسعي لتأخذ الأمور وضعها الطبيعي، وهو ما ينبغي أن نسعى إليه جميعًا إن شاء الله.

ترجمة الحوار الوطني

كم نحن فرحون باستمرار مؤتمرات الحوار الوطني، وقد شارك في المؤتمر الأخير بجدة بعض مثقفي وعلماء الشيعة، وكانت أجواء المؤتمر إيجابية، فالأغلب يؤكدون على احترام التنوع المذهبي والفكري، وأنهم ضد التعصب والتشدد، ولكن المطلوب أن تنزل هذه التوصيات على أرض الواقع لا أن تبقى مجرد حبر على ورق، وفي إطار المؤتمرات المغلقة يجب أن تتحول إلى أنظمة وقوانين تحفظ حقوق الناس، وتشعرهم بتساويهم في وطنيتهم، هذا ما نأمل أن يتحقق إن شاء الله.

الخطبة الأولى

حسن الظن بالله

﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَابِرَةُ السَّوْءِ﴾[سورة الفتح، الآية:٦]

لسوء الظن بالآخرين مظاهر من أبرزها:

الأول: التشكيك في القول. بمعنى أنك تحتمل عدم الصدق فيمن ينقل لك خبرًا ما، أو تحتمل عدم موافقة ذلك للواقع.

الثاني: عدم الاعتماد. حينما تريد تكليف موظف عندك أو ابن لك بمهمة، فهناك من تستطيع الاعتماد عليه لأدائها، وهناك من لا تثق فيه بأن يؤدي لك المهمة بالشكل المطلوب.

الثالث: أخذ الحيطة والحذر. حيث يحذر الإنسان ممن يسيء الظن فيه، خوفًا من قصده الاضرار به.

منشأ سوء الظن:

متى يكون الإنسان سيئ الظن بأحد آخر؟

ذلك يكون في حالات منها:

١. التجربة الشخصية، كأن يسمع كلامًا من شخص ثم يتبين له العكس، أو يكلف شخصًا بمهمة فلا ينجزها له، أو قد يكون رأى منه ضررًا ما. فيكون سوء ظنه

من واقع تجربة.

٢. تجارب الآخرين، حينما تريد أن تتعامل مع شخص ما، فتسأل الآخرين عنه، فتطمئن إذا مدحوه، أما إذا لم يزكّه أحد أو اشتكوا من سوء عمله، فإنه يصيبك سوء ظن به، فتحجم عن التعامل معه.

٣. الجهل بالطرف الآخر. حيث إن عدم التعرف إلى الآخر قد يوقع في سوء الظن به.

سوء الظن بالله:

لو أردنا أن نتحدث عن علاقتنا بالله تعالى هل نجد ما يبرر للإنسان أن يسيء الظن في الله سبحانه وتعالى؟ وماذا يعني سوء الظن بالله ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾؟

المظاهر والحالات التي ذكرناها قد يتخذها الإنسان في التعامل مع الله عزّ وجل، يعني أنه يشكك في قول الله تعالى حين يأمره وينهاه بما هو لمصلحته، لكنه من داخل نفسه لا يطمئن بأن ما أمره الله تعالى به لمصلحته فعلًا.

الله سبحانه يقول: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٧٢]، وفي آية أخرى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[سورة البقرة، الآية:٢٤٥] يعد الله تعالى من يعطي بالعوض والزيادة، لكن الإنسان بالرغم من أنه يسمع هذا النداء يقف حائرًا حين يريد دفع الصدقة أو الزكاة أو الخمس، حيث يظن أن ماله سوف ينقص، وهذا لا شك سوء ظن بالله تعالى. من يثق في شخص يعتقد بكل ما يقوله له، ويبادر إلى تطبيق ما يسمعه منه، فكيف نتجاهل قول الله تعالى أو نشك فيه؟ حتى إذا لم نفصح عن ذلك لكننا عملًا لا نأخذ كلام الله تعالى على محمل الجد.

ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام هذا البيت الجميل:

من ظنّ بالله خيرًا جاد مبتدئًا   والبخل من سوء ظن المرء بالله

وكذلك من مظاهر سوء الظن بالله عدم الاعتماد عليه، قد تطلب من شخص أداء مهمة ما، وتشك في أنه سيؤديها لك، ولكن هل يخيب من يعتمد على الله؟ من توكل على الله كفاه ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ وفي آية أخرى: ﴿وَكَفى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.

والمظهر الآخر لسوء الظن بالله تعالى عدم الرضا بقضائه وقدره، حينما يقع الإنسان في مصيبة يظن بأن الله يريد به سوءًا، ويتساءل: لماذا يصنع الله بي هذا؟

قد تكره شيئًا ولكن الله يرى فيه الخير لك، والعكس صحيح، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:٢١٦] ما دمت لا تعلم الأصلح لك فثق بالله تعالى، وارضَ بما يختاره لك. قد تطلب شيئًا من الله ويبطئ عليك في الإجابة فتنزعج، لكن المؤمن الواثق بالله تعالى يقول: «ولعلّ الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور».

يجب على الإنسان أن يحسّن ظنه بربه عز وجلّ، فإن سوء الظن طريق الردى والهلاك، يقول تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة فصلت،الآية:٢٣] وعن رسول الله ﷺ: «أكبر الكبائر سوء الظن بالله»[(١)]، وعنه ﷺ: «ليس من عبد يظن بالله خيرًا إلا كان عند ظنه به»[(٢)]. وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أوحى الله إلى نبيه داوود: ذكر عبادي من آلائي ونعمائي، فإنهم لم يروا مني إلا الحسن الجميل، لئلا يظنوا في الباقي إلا مثل الذي سلف مني إليهم، وحسن الظن يدعو إلى حسن العبادة، والمغرور يتمادى في المعصية ويتمنى المغفرة»[(٣)].

يمدح الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ رضوا بما كتب الله تعالى لهم وعليهم، وبما أعطاهم من نعمه وفضله. وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

---

(١) كنزالعمال. ج٣، ص١٣٥، حديث ٥٨٤٩.

(٢) بحار الأنوار. ج٦٧، ص٣٨٤.

(٣) مستدرك الوسائل. ج١١، ص٢٥١.

«إن أهنأ الناس عيشًا من كان بما كتبه الله له راضيًا»[١]، وعن الإمام الحسن بن علي ﵉: «من اتكل على حسن الاختيار من الله، لم يتمنَّ غير الحال التي اختارها الله له»[٢]، وعن الصادق ﵇: «إن أعلم الناس بالله أرضاهم بقضاء الله عزّ وجلّ»[٣]، وعنه أيضًا: «من لم يرضَ بما قسم الله عز وجل اتهم الله تعالى في قضائه»[٤].

(١) عبد الواحد الآمدي التميمي. غرر الحكم ودرر الكلم. حديث ٣٨٤٥.
(٢) ابن شعبة الحراني. تحف العقول، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ، ص٢٣٤.
(٣) الكافي. ج٢، ص٦٠.
(٤) بحار الأنوار. ج٧٥، ص٢٠٢.

معدلات البطالة ناقوس خطر

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:
«لا تلم إنسانًا يطلب قوته، فمن عدم قوته كثرت خطاياه»[1].

لكل إنسان في هذه الحياة حاجات ومستلزمات يسيّر بها أموره، وكلما سهل عليه تلبية هذه الحاجات كان أقرب إلى الاستقامة، وإذا صعب عليه تلبية حاجاته الضرورية فإنه يكون أقرب للانحراف؛ لأن حاجاته قد تدفعه لسلوك سيئ لتوفير متطلبات حياته.

الفقر وعدم الاستقرار:

إن مختلف الأنظمة والتشريعات تحاول أن تكفل للإنسان سبل الوصول إلى حاجاته في هذه الحياة، انطلاقًا من أن غير ذلك قد يحدو بالإنسان إلى السير في طرق الفساد، والإسلام بتشريعاته وخصوصًا في المجال الاقتصادي يريد أن يؤمّن لكل إنسان حاجاته، أو على الأقل الحد الأدنى من حاجاته. ويحذِّر الإسلام كما يحذِّر العقلاء والمفكرون من أن وجود الفقراء والمعوزين الذين لا تتوفر لهم احتياجات حياتهم يفقد المجتمع أمنه واستقراره.

نصوص كثيرة تشير إلى أن وجود الفقراء يؤدي إلى عدم الاستقرار، يقول علي عليه السلام: «لا تلم إنسانًا يطلب قوته»، فمن لا يقدر على ذلك يكون مرشحًا لأن تصدر منه

(١) بحار الأنوار. ج٦٩، ص٤٧.

الأخطاء والجرائم «فمن عدم قوته كثرت خطاياه»، والإمام هنا يعطي وصفًا للحالة والنتائج المتوقعة، ولا يعني ذلك القبول والتشريع. وفي كلمة أخرى له ﷺ: «ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر»[١] الفقر هو أسوأ شيء يصيب الإنسان، بحيث لا يجد قوتًا وسكنًا له ولعياله.

وعن أمير المؤمنين ﷺ: «الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ وَ الْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ»[٢].

وجاء عنه أيضًا ﷺ: «ليس في الغربة عار إنما العار في الوطن الافتقار»[٣] ليس من العيب أن يغترب الإنسان عن وطنه بحثًا عن عمل يوفر له حاجاته الأساسية لحياته، العيب ألا يجد الإنسان عملًا في وطنه وما يوفر له العيش الكريم. إنه يكشف عن خلل في الواقع الاجتماعي.

الفقر طريق الإجرام:

قبل أيام منّ الله تعالى على أحد الشباب بالهداية، فأتى أحد العلماء كي يعطي الحق الشرعي لكنه قال للعالم: لقد كنت في الماضي عاطلًا عن العمل، وكنت أعيش الفقر والحاجة، فانخرطت في سلك الإجرام والسرقة، وفي ذمتي أموال للآخرين، بعضها لعمالة وافدة لا يمكنني التعرف عليهم والوصول لهم، وبعضها لمحلات تجارية أعرفها، ولكن كيف أعيد لهم المال؟ هل أقول له هذا ما سرقته منكم؟

طبعًا في هذه الحالة يتم استرضاء الجهات المعروفة، أما غير المعروفة فتعتبر أموالها مجهولة المالك ويتم التصدّق عنها مع نية إرجاع المبلغ متى ما تم التعرف عليها. الشاهد في القصة أن الفقر سبّب انخراطه في السرقة. يروى عن الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري أنه قال: «عجبت لمن لا يجد قوت يومه، كيف لا يخرج على

---

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج ٢٠، ص٣٠١.

(٢) نهج البلاغة. حكمة ٥٦.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

الناس شاهرًا سيفه؟»[١].

من هنا فإن على المجتمعات أن تفكر في أن الإجرام له جذور من أهمها البطالة والفقر، قد تكون الحاجة والفقر في بلد فقير، وهنا يكون الصبر والتحمل أكثر إمكانية عند الناس، ولكن إذا كان البلد ثريًا، وهم يرون هدر الأموال والثروات، ويرى الفقير نفسه بلا مسكن وبلا عمل، وكل شيء يصعب الحصول عليه، عندها تصبح أبواب الإجرام مفتوحة على مصراعيها.

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «الفقر الموت الأكبر»[٢]، وعنه عليه السلام: «القبر خير من الفقر»[٣].

قبل أيام كتبت الصحف أن رجلًا أمريكيًا طلبت منه عائلته أن يشتري لهم هدايا أعياد الميلاد، فخرج لكنه لم يكن باستطاعته أن يلبي احتياجاتهم لقلة المال عنده، فخجل من نفسه أن يعود لهم خالي الوفاض، فجلس في البرد القارص حتى رأوه ميتًا. ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الفقر أشد من القتل»[٤].

وسمعنا أيضًا ما حصل من انتفاضة في تونس قبل أيام من قبل العاطلين عن العمل، والجمهور المتعاطف معهم، وكانت الشرارة أن شابًا جامعيًا في منطقة (سيدي بوزيد) صار يبيع الخضار بسبب عدم توفر الوظيفة المناسبة، وجاءه ذات يوم أحد موظفي البلدية يمنعه من بيع بضاعته، ثم قام بنثر البضاعة وصفع الشاب على وجهه. عاد الشاب إلى بيته محبطًا وقرر أن ينتحر وجاء أمام المحافظة وأشعل النار في جسمه أمام الناس.

الانتحار ليس مشروعًا، ولكن سبب انتحاره هو فقره. وبعد أيام انتحر شاب آخر

---

(١) باقر شريف القرشي. النظام السياسي في الإسلام، ص ٢٤٧.
(٢) نهج البلاغة. حكمة ١٦٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٤) بحار الأنوار. ج٦٩، ص٤٧.

في تونس أيضًا وقد صرخ بأعلى صوته وهو يمسك سلكًا كهربائيًا: كفاية بطالة كفاية فقر.

البطالة في البلاد العربية:

المشكلة لا تخص تونس وحدها، ففي الجزائر مظاهرات واحتجاجات مشابهة، وكل البلاد العربية تعيش على بركان ثائر، وتقارير منظمة العمل العربية تشير إلى أن أزمة البطالة منتشرة في الوطن العربي، وأن نسبتها تصل إلى ١٤٪ ويعني ذلك وجود ١٧ ملايين عاطل عن العمل. أوليس هذا مجال لتكون خلايا الإرهاب والإجرام؟ المنطقة تسجل أعلى نسبة بطالة بين المتعلمين.

إذا كان الإنسان في بلد فقير فقد يتحمل ذلك لأن أغلب الناس مثله، ولكن ما حال من يعيش في بلد غني، في المملكة العربية السعودية يوجد ثمانية ملايين ونصف من العمالة الأجنبية يعملون في البلد، بينما نجد أبناء البلد عاطلين عن العمل؟ لسنا ضد العمالة الأجنبية، ولا يصح التعبئة ضدهم، فهم أتوا بحثًا عن قوتهم، وهذا حق مشروع، ولكن نتساءل: كيف لا يتوفر العمل للمواطن؟ ومن المسؤول؟

فقد نشرت الصحف السعودية تقارير تفيد بأن المساجين في السجون السعودية ٩٠٪ منهم عاطلون، والأدهى أن ٧٠٪ منهم جامعيون!!

قبل سنوات أراد أحد العلماء أن يستقرّ في أمريكا، وأن يستخرج له تأشيرة ليكون إمامًا في أحد المراكز الإسلامية، فكانت إجراءات إخراج تأشيرة إقامة له تقضي الإعلان أولًا عن حاجة المركز إلى إمام بالمواصفات المطلوبة، فإذا لم يتقدم أحد من المواطنين أو المقيمين لملء هذه الوظيفة الشاغرة، يحق حينئذٍ للسلطات إعطاء التأشيرة لشخص من الخارج. وفي بلادنا تباع التأشيرات بالألوف ونعاني من العمالة السائبة! فكيف لا تحصل البطالة؟

من هنا فإن السياسات الاقتصادية هي المسؤول الأول عن هذه البطالة.

من جهة أخرى، فإن القطاع الخاص تشتد فيه الأنانية وعدم التقدير، يريد من ابن البلد أن يقبل براتب الأجنبي مع فارق الظروف المعيشية؟ هذا الراتب الذي يتسلّمه الأجنبي يصنع له الكثير في بلده، أما ابن البلد فحال المعيشة معروف، والراتب المحدود لا يغطي كثيرًا من التكاليف. كما أن ما يتسلّمه المواطن يعزز اقتصاد البلد، بينما الأجنبي يعزز اقتصاد بلده، في العام المنصرم صدّرت العمالة الأجنبية إلى بلادها ٩٠ مليار ريال!

الأمر الآخر هو دور الأهل في تأهيل أبنائهم لسوق العمل. إذا كنا نتألم لوقوع الجرائم فعلينا أن نسعى لحل المشكلة من جذورها. حينما نتحدث مع بعض الجهات عن الجرائم تتعذر بقلة الموظفين في الأجهزة الأمنية، لماذا قلة والعاطلون عن العمل كثيرون؟ أعلن قبل مدة عن ٧٠٠ فرصة عمل برتبة جندي تقدم لها مئة وثلاثة عشر ألف شاب!

الجرائم متفشية، وما عاد الإنسان يأمن على نفسه وماله، بل حتى في أتفه الأمور. قبل أيام في طريقنا إلى الرياض دخلنا محطة لنسبغ الوضوء، تفاجأنا أن الابريق الذي يستخدم في الحمام مربوط بسلسلة من حديد حتى لا يسرق! مغتسل للأموات يتعرض للسرقة! ما هذه الحالة التي نعيشها؟ الإنسان يشعر بالقلق وعدم الأمن. ولا أريد أن ألغي دور بقية العوامل كالتربية وما شابه، ولكن أريد أن أركز على هذا الأمر، على حكوماتنا والقطاع الخاص أن يتداركا الأمر، كما أننا نتحمل جزءًا من المسؤولية.

نسأل الله تعالى الأمن في بلادنا وفي كل بلاد العالم.

الخطبة الأولى

الأخطاء الطبية مسؤولية من؟

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):
«من تطبّب فليتّق الله ولينصح وليجتهد»[1].

الإخلاص والإتقان مطلوب من الإنسان في كل عمل، لكنه في مجال الطب أكثر ضرورة وإلحاحًا؛ لأن عمل الطبيب يرتبط بأرواح الناس وسلامتهم، وأي خطأ يرتكبه يكون ثمنه باهظًا على حياة الآخرين وراحتهم. وقد أصبحت مسألة الأخطاء التي تقع من قبل الكادر الطبي والإداري في المستشفيات قضية تناقش عالميًا، ويعقد لها مؤتمرات خاصة. وهناك دراسات ورصد تؤكد أن أرقى المستشفيات لا تستطيع أن تتجاوز حدوث الأخطاء، بل إن النسبة قد تصل إلى واحد من كل عشرة مرضى. وفي بريطانيا يصل عدد الذين يخسرون حياتهم بسبب الأخطاء الطبية ثلاثين ألف شخص سنويًا، وفي أمريكا مئة ألف شخص سنويًا هم ضحايا الأخطاء الطبية، مع العلم أن الحالة هناك من حيث العناية والتنظيم أفضل من البلاد الأخرى، ولكن مع ذلك تحصل مثل هذه النتائج.

أما في المملكة العربية السعودية فقد بلغت ضحايا الأخطاء الطبية حسب مصادر مطلعة ٢٥٠٠ مريض سنويًا، ٤٥٪ يموتون بسبب الأخطاء، و٣٣٪ يحصل لهم مضاعفات، و١٣٪ أثناء جراحات الولادة، ٤٪ أثناء التدخل الجراحي. وخلال الخمس سنوات الأخيرة كان هناك ٢٥ ألف خطأ طبي بمعدل ١٤ خطأ يوميًا.

---

(١) بحار الأنوار. ج٥٩، ص٧٤.

أسباب الأخطاء الطبية:

إن وقوع الخطأ في المجال الطبي له مستويات وأسباب، من أهمها:

عدم الإخلاص:

مطلوب من الطبيب أن يتقي الله في أداء مهمته، فعدم إخلاصه في أدائها يعرضه للخطأ، كما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: «من تطبب فليتق الله ولينصح» يأخذ الحيطة والحذر قبل الشروع في إعطاء الدواء، وقبل تقرير نوعية العلاج، ويتوجب عليه أن ينصح المريض. هذه مسؤولية إنسانية، والمريض لا يجد إنسانًا يستطيع مساعدته على المرض وإنقاذه منه بعد الله عز وجل إلا الطبيب، لذلك من الناحية النفسية تجد أن المريض يشعر باطمئنان فور وصوله للطبيب؛ لأنه يعلم بأن صحته وتجاوزه للمرض يكون عبر هذا الطريق. على الطبيب أن يراعي شعور المريض، ويتناقش معه حول مرضه، ويقدم له النصيحة، النصح في العلاج من قبل الطبيب مسؤولية شرعية واجتماعية.

الطب التجاري:

ابتلينا في هذا العصر بالذات بالحالة التجارية مع قضايا المرض والعلاج أكثر من أي عصر سابق، والتي تهدف إلى كسب المال على حساب صحة الناس. في بعض الأحيان لا تجد هناك مبررًا لإجراء العملية، ولكن كيف تربح المستشفيات إذًا؟ فتجد الطبيب يقرر إجراء العملية في حين أن المريض ليس بحاجة حقيقية لها! كثير من النساء يتعرضن لعمليات قيصرية أثناء الولادة علمًا بأن حالاتهن لا تستدعي ذلك، وما ذلك إلا لاستدرار المال والربح للمستشفى.

شركات إنتاج الأدوية من جهة أخرى تتخذ من بعض الأطباء مسوقين لمنتجاتها، وتعطيهم رشاوى مالية أو بعض الامتيازات، فقد لا يحتاج المريض لهذا الدواء لكن الطبيب يصفه له حتى يزيد من مبيعات هذه الشركة، وقد يكون هناك منتج أفضل منه

وفعاليته أكبر، ومع ذلك يصف الطبيب المنتج الأقل فعالية؛ لأنه متعاقد مع تلك الشركة. وفي كل ما ذكرنا غش للمريض، وخيانة لأمانة المهنة.

الإهمال:

قد يقع الخطأ الطبي نتيجة إهمال وتسيب من الكادر الطبي أو الإداري في المستشفى. وعلى الجميع أن يتقن عمله سيما الأطباء. يحتاج الطبيب أن يعطي المريض وقتًا كافيًا لشرح المرض، ومناقشة بعض الاحتمالات، فذلك يفيد المريض نفسيًا، وكذلك يمكّن الطبيب من التشخيص الصحيح للمرض. في المجتمعات الغربية نجد اهتمامًا بهذا الجانب، ويتعلمون أخلاقيات التعامل مع المريض، كيف يصغي له؟ وكيف يتفهم وضعه؟ ويتحمل حالاته، ويشرح له مرضه؟

في أستراليا مثلًا كما يخبرني بعض الأبناء المبتعثين أن الأطباء يستخدمون الكتب العلمية أحيانًا لعرض نوع المرض بالصور على المريض، وفي بعض الأحيان يقوم بطباعة نسخة ورقية للمريض فيها شرح مختصر للمرض، ومن هنا يزداد الوعي الطبي عند الناس. أما في بلادنا فعادة لا يعطي الطبيب فرصة للمريض يشرح فيها مرضه ومعاناته، وسرعان ما يصف العلاج ويطلب مريضًا آخر، إما لعدم وجود وقت كافٍ عنده، أو لأنه لا يتقبل النقاش من المريض.

وهنا تأتي مسألة الرقابة والتدقيق لتلافي وقوع أي خطأ في تقديم العلاجات، وخاصة عند اجراء العمليات الجراحية، التي تكتنفها الأخطاء عند ضعف التدقيق والمتابعة.

ضعف الثقافة الطبية عند الناس:

يفترض أن يكون للمريض ثقافة صحية، تساعده على الوقاية من المرض، وتعينه على التصرف المناسب في المستشفى، وتحميه من بعض حالات الإهمال والخطأ، إن بعض المرضى لا يكلفون نفسهم حتى قراءة التعليمات المرفقة بالدواء، ولا يتأكدون من

الخطوات والإجراءات التي تتخذ معهم للعلاج.

جزاء الإهمال:

من الناحية الشرعية، إذا تساهل الطبيب ووقع الخطأ فإن الطبيب يتحمّل المسؤولية، ويكون مأثومًا أمام الله تعالى، ويستحق أن يطبق عليه الجزاء القضائي من دية وغرامة أو عقوبة. أما إذا بذل الطبيب كل جهده لكنه اخطأ في التشخيص، أو وقع خطأ خارج إرادته، فإنه لا يتحمل إثمًا أمام الله تعالى، أما من ناحية الدية المقررة شرعًا فإن ذلك يعتمد على أخذه البراءة من المريض أو وليه، وإذا لم يأخذ هذه البراءة ووقع الخطأ الطبي فيتحمل الدية شرعًا.

رعاية المرضى أمر إنساني:

نصوص كثيرة في الشريعة الإسلامية على أهمية الاهتمام بالمرضى ورعايتهم. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قام على مريض يومًا وليلة بعثه الله تعالى مع إبراهيم خليل الرحمن»[١] وعنه ﷺ: «من سعى لمريض في حاجة قضاها أو لم يقضها خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٢]. وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «ثلاثة دعوتهم مستجابة: الحاج، فانظروا كيف تخلفونه. والغازي في سبيل الله، فانظروا كيف تخلفونه. والمريض فلا تغيظوه ولا تضجروه»[٣].

على الطبيب والعاملين في التمريض أن يتحملوا المريض حيث يكون في حالة نفسية غير طبيعية فيتأفف، ويرفع صوته، وقد تصدر منه تصرفات غير مقبولة، وفي تحملهم لذلك أجر وثواب كبير من الله سبحانه وتعالى، وحتى يتمكنوا من أداء واجبهم الإنساني. وفي الواجب الإنساني لا ينبغي التصنيف فالطبيب مسؤول أن يقوم بواجبه مهما كان المريض الذي أمامه.

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٨، ص ٢٢٥.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٦، ص ٣٤٤.

(٣) الكافي. ج٢، ص٥٠٩.

إشعال الفتن ومصلحة الأعداء

﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٢٠].

في معادلات الصراع من الطبيعي أن يسعى كل طرف لإضعاف الطرف الآخر، بمنعه من تحصيل مقومات القوة، وذلك ليكسب المعركة بخسائر أقل. هذه معادلة واضحة، فإذا كانت الأمة تواجه عدوًا يسعى لإضعافها والسيطرة على منافذ قوتها، فإن على الأمة أن تكون حذرة واعية في تعاملها مع توجهات ذلك العدو.

القرآن الكريم يحذر الأمة من الانخداع بالعدو أو الغفلة عن مكائده، يقول تعالى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ الأعداء لا يريدون أن تتوفروا على قوة أو مكسب، ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ لأن المشاكل والفتن والأزمات هو ما يمكّن العدو من السيطرة، ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ من الطبيعي أنهم يكيدون ويتربصون بكم، ولكن إذا صبرتم واتقيتم ـ أخذتم حذركم ـ لا يضرونكم أبدًا، وبعد ذلك فإن الله تعالى كفيل بنصركم.

أمتنا الإسلامية اليوم تواجه العدوان الصهيوني، شرذمة من اليهود جاؤوا واحتلوا أرضنا، وانتهكوا مقدساتنا، والمسألة ليست في حدود الأرض التي احتلوها فحسب، بل في إرادة الهيمنة والسيطرة على المنطقة. إسرائيل تريد أن تكون هي المهيمنة على

المنطقة، وهذا أمر واضح، لا تتنصل منه أو تخفيه، تتحدث عن تفوقها على العرب، وأنها تمتلك سلاحًا لا يقهر، وترفض وتمانع أن يمتلك طرف آخر في المنطقة سلاحًا يخل بتفوقها، وتترصد أي توجه لامتلاك قدرة نووية، حيث قامت بقصف المفاعل النووي في العراق، وما ادعت أنه برنامج نووي لسوريا، وتضع كامل جهدها لمنع إيران والتحريض عليها حتى لا تنجح في برنامجها النووي.

انحياز أمريكا لإسرائيل:

إسرائيل عدو واضح، وهناك من يقف خلف هذا العدو وهي الإدارة الأمريكية. أمريكا لا تخفي ولا تتستر على تأييدها وحمايتها لإسرائيل، بل وتعلن التزامها حماية إسرائيل وضمان تفوقها، وتقف بالمرصاد لمن يقف ضد إسرائيل في المؤسسات الدولية مهما عملت، ولا تقبل أن تصدر إدانة لإسرائيل، ودائمًا تستخدم الفيتو في مجلس الأمن إزاء أي إدانة أو قرار ضد إسرائيل. أمريكا لا تريد أن تفرض إرادتها على إسرائيل، فبالرغم من إعلانها لرفض الاستيطان لكنها لا تتمكن من ردع إسرائيل تجاه هذا الأمر، وبدلًا من ذلك أخذت تقنع العرب أن ينزلوا عند رغبة إسرائيل ويسلموا لها!

انحياز أمريكا لإسرائيل واضح سافر، كما أن هذه الإرادة الدولية تريد أن تبقي شعوبنا وأوطاننا في حالة التخلف، وألّا تسلك طريق التنمية حتى تبقى محتاجة لها ومنقادة إليها، ويسعون جاهدين لإشغالنا بالنزاعات الداخلية، لا يريدون لهذا العالم العربي والإسلامي أن يبقى موحدًا، ليس على مستوى الشعوب فقط بل حتى على مستوى الأوطان، كما تابعنا سعيهم الدؤوب لفصل جنوب السودان عن شماله، حتى تمكنوا من ذلك مؤخرًا. والآن يتوجهون لزعزعة أمن واستقرار لبنان، فيسعون جاهدين لإضعاف المقاومة المتمثلة في حزب الله، جهودهم في حرب تموز ذهبت سدى، حيث وقفت بوجههم المقاومة وكشفت ضعفهم وأبانت للعالم أجمع أن إسرائيل

قوة تقهر. لكنهم يصرون على مخططاتهم لإنهاء إو إضعاف المقاومة، لأنها تشكل خطرًا حقيقيًا على إسرائيل، والآن يريدون أن يشعلوا نار الفتنة في لبنان عبر المحكمة الدولية، حتى يوجهوا أصابع الاتهام للمقاومة لتشويه صورتها، وإشعال صراع داخلي طائفي لا يبقى في حدود لبنان بل قد يشمل المنطقة كلّها.

ولذلك على الشعوب العربية والإسلامية أن تكون واعية لما يحاك ويدبّر ضدها، حتى لا تقع في الفخ فيفرح بذلك عدوهم ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾، علينا أن نتحلى بالصبر والتقوى؛ لأن الله يَعِدُ من يتحلى بهذه الصفات بالنصر والغلبة ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

وأبرز أهداف المحكمة الدولية للتحقيق في مقتل الرئيس الحريري هو اتهام المقاومة في لبنان، الذي يعتبر وجودها تحدّيًا خطيرًا لإسرائيل، يحاولون بشتى الوسائل أن ينسفوا هذه المقاومة الباسلة التي تزداد صمودًا يومًا بعد يوم.

نسأل الله الصمود لأبناء هذه الأمة لكي يقفوا أمام مخططات الأعداء ويفشلوها، ونسأله تعالى أن يحقق لأشقائنا في تونس الأمن والاستقرار وينالوا حقوقهم وكرامتهم وحرياتهم. فالأنظار تتجه لانتفاضتهم الشعبية المجيدة.

الخطبة الأولى

تسلل الشيطان إلى عمل الخير

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝٩٨ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٩٩ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[سورة النحل، الآيات: ٩٨-١٠٠].

القرآن كتاب الله المجيد، وقراءته عبادة عظيمة، حيث يُندب للمسلم تلاوته كل يوم، وكما في بعض الروايات خمسين آية كل يوم على الأقل.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده وأن يقرأ منه في كل يوم خمسين آية»[١].

ولأن قراءته عمل عبادي فعلى الإنسان أن يتحصّن أثناء قراءته بالله عز وجل، لذا جاء استحباب أن يتعوذ الإنسان من الشيطان الرجيم، كما ورد عن أبي سعيد الخدري: «كان رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ أعوذُ باللهِ السميعِ العليمِ من الشيطانِ الرجيمِ»[٢]. والآية الكريمة ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أمر بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن.

---

(١) الكافي. ج٢، ص٦٠٩.

(٢) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ج١، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، (بيروت ـ دار الكتب العلمية)، ص ١٨٥، حديث٢٤٢.

اليقظة في عمل الخير:

من هذه المقدمة نمضي إلى فكرة أوسع، وهي أن يأخذ الإنسان حذره حينما يقدم على فعل الخير؛ لأن هناك أخطارًا تحيط به بمجرد أن ينوي فعل الخير، لصرفه عنه، أو لإفساد عمل الخير وإخراجه عن مساره الصحيح.

لذا على الإنسان أن يستحضر ما يوجب الخلل في أي عمل يقوم به، وأن يتنبه أن هناك شيطانًا يتربص به الدوائر، ولا يريد له الخير أبدًا. قد يتصور البعض أنه طالما كان يعمل الخير فهو في مأمن من الخطر، بينما الواقع على العكس من ذلك، وكثير من النصوص القرآنية وأحاديث النبي وأهل بيته عليهم السلام تدل على أن الإنسان يحتاج إلى حصانة أكبر حينما ينخرط في عمل الخير، لأنه مستهدف من قبل الشيطان الرجيم، وما دام في أجواء الخير والتقرب إلى الله تعالى فهو عدوه اللدود ولن يتركه وشأنه.

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن الشياطين أكثر على المؤمنين من الزنابير على اللحم»[١]، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا مات المؤمن خلى على جيرانه من الشياطين عدد ربيعة ومضر كانوا مشتغلين به»[٢]. وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «لقد نصب إبليس حبائله في دار الغرور فما يقصد فيها إلا أولياءنا»[٣]. ونقرأ في مناجاة الإمام زين العابدين عليه السلام: «إلهي أشكو إليك عدوًا يضلني وشيطانًا يغويني قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزين لي حب الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى».

مكائد الشيطان:

تتجلى مكائد الشيطان للمؤمن في عمل الخير في عدة أمور، من أهمها:

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٨، ص ٢١١.
(٢) الكافي. ج ٢، ص ٢٥١.
(٣) تحف العقول. ص٣٠١.

الأول: تشويه الإخلاص في العمل. حيث يتوجه الإنسان لفعل الخير قاصدًا وجه الله تعالى والتقرب إليه، ولكن الشيطان لا يعجبه هذا، فيسعى كي يوجه هذه النية الصالحة إلى أغراض أخرى، وهذا ما يطلق عليه الرياء. الرياء آفة كل عمل صالح، جاء عن رسول الله ﷺ: «إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجًا به، فإذا صعد بحسناته يقول الله عزّ وجلّ اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أراد به»[١].

ينقل أن شخصًا ظريفًا مرّ على قوم يبنون مسجدًا فسألهم: ماذا تعملون؟ قالوا: نبني مسجدًا. قال: لمن؟ قالوا: لله تعالى. قال لهم: فاحرصوا أن يكون لله وحده.

ثم جاء بعد فترة ورأى البناء قد اكتمل فكتب عليه عبارة تشير إلى أنه من بنى المسجد، وحين رأى القوم ذلك أنكروا فعله، ووبخوه: كيف تجرؤ على أن تكتب اسمك عليه ولم تعمل فيه شيئًا؟ قال: سبحان الله! إن كنتم بنيتموه خالصًا لوجه الله تعالى فما يضركم أكتب اسمكم أو اسمي؟ فالله يعلم أنكم من بنيتموه وأجركم محروز عنده. وأما إذا كنتم قد بنيتموه للناس ليمدحوكم فذاك شأن آخر وأنا أعتذر إليكم.

ولا نريد من خلال هذه القصة أن نشرّع لأي أحد أن يسرق أعمال الآخرين، لكنها مجرد طريقة للتذكير والاعتبار.

والسؤال هنا: إذا عمل الإنسان خيرًا يقصد به وجه الله تعالى، ومدحه الناس عليه فهل يكون قد أفسد عمله بالرياء؟

زرارة وجّه مثل هذا السؤال إلى الإمام الباقر عليه السلام عن الرجل يعمل الشيء من الخير، فيراه إنسان فيسره ذلك. فقال الإمام عليه السلام: «لا بأس، ما من أحد إلا ويحب أن يظهر له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»[٢]. يجب الحذر حتى لا يكون مدح الناس هو الدافع لعمل الخير، وانما الدافع هو ابتغاء وجه الله تعالى. جاء عن

(١) الكافي. ج٢، ص٢٩٥.

(٢) الكافي. ج٢، ص٢٩٧.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «للمرائي أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص منه إذا لم يثن عليه»[1]. فالرياء مؤشر من مكائد الشيطان للإنسان، وعلى الإنسان أن يكون حذرًا منه.

الثاني: عدم استثمار العبادة وعمل الخير في تعزيز التقوى والقرب من الله تعالى، وإصلاح سلوك الإنسان العام، فتكون العبادة وعمل الخير مجرد عمل روتيني طقوسي، دون توجه لأهداف العبادة والطاعة.

الثالث: الغلو في العمل الديني. حينما شرّع الله تعالى العبادات، وضع لها ضوابط وحدودًا فلا تقبل الزيادة ولا النقص. صلاة الصبح ركعتان ومن رأى أنه في نشاط ورام أن يصليها أربع لم تقبل منه. وغسل الوجه واليدين في الوضوء يجب مرة واحدة، ويستحب ثانية، ويبطل إذا غسل مرة ثالثة. الطواف الواجب سبعة أشوط، ومن جعله أقل أو أكثر لم يقبل منه. مطلوب من الإنسان أن يتعبد الله تعالى بما شرع الله سبحانه وتعالى، وليس كما يريد هو، فهذا من مكائد الشيطان. إن الله تعالى ينهى عن الغلو في الدين ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾.

الرابع: الإساءة إلى الآخرين في عمل الخير والعبادات. هناك أمور واجبة وهناك مستحبات، وكلها يحب الله تعالى من عبده أن يتقرب له بها، ولكن ليس على حساب الآخرين، وليعلم من يقع في ذلك أنه قد وقع في شِراك الشيطان وحبائله.

فعلى سبيل المثال يستحب للرجل أن يجنح يديه في السجود، ولكنه إذا صلى جماعة وكان في ذلك مزاحمة لمن بجانبه سقط الاستحباب.

ويستحب للصائم أن يؤخر إفطاره بعد الصلاة، ولكن إذا كان هناك من ينتظره للإفطار سقط الاستحباب.

من يأتي لصلاة الجماعة أو لمجلس العزاء، ويوقف سيارته في طريق الغير، بحيث

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٩، ص٢٠٦.

يعطل حركتهم، فليعلم أنه وقع في فخ الشيطان.

ومن يقيم مجلسًا دينيًا فيرفع صوت المكبرات المزعجة للجيران، فهو ينحرف بعمل الخير عن مساره الصحيح، ويناله الإثم بدل الثواب. ومن يريد أن يعمل الخير لمجتمعه ويرى غيره أيضًا يسعى لخدمة المجتمع فيزعجه ذلك لأنه يريد أن يكون الأوحد والأبرز في المجتمع فيسعى لإفساد أعمالهم، فهو أيضًا قد وقع في فخ الشيطان.

على الإنسان المؤمن أن يكون يقظًا؛ لأن الشيطان يريد أن يصرفه عن عمل الخير، وأن يفرغ العمل الخيري من محتواه. الآية الكريمة تتحدث عن الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءة القرآن، وفيها توجيه للإنسان بأن يستعيذ من الشيطان الرجيم في كل عمل خير يقوم به، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّـهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ لا تفسر القرآن حسب هواك، ولا تقرأه من أجل أن يمدحك الناس، ولا تأخذك الميول والتعصب في تفسير القرآن الكريم، وهكذا في كل أعمال الخير ينبغي أن يكون الإنسان يقظًا حذرًا.

رسالتان من الثورة التونسية

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ۝٥٢﴾[سورة النمل، الآيتان٥١-٥٢].

كم في التاريخ البشري ماضيه وحاضره من عبر! ولكن ما أقلّ من يعتبر! يحدثنا التاريخ أن أولئك الظالمين المستبدين الذين قهروا شعوبهم وصادروا حريات الناس وتلاعبوا بثروات العباد، كان مآلهم السقوط، فهل هناك من يعتبر من هذا؟

في هذه الأيام يشيع الأمل في النفوس، وتتوجه الأنظار إلى ثورة وانتفاضة شعب تونس، هذا الشعب الذي فاجأ العالم بثورته، فما كان الناس يتوقعون أن تنطلق هذه الثورة المجيدة في تونس، وأن يتمكن الناس من إسقاط ذلك الطاغوت الذي كان جاثمًا على صدورهم فترة طويلة من الزمن.

لم تسلط الأضواء سابقًا على ما كان يجري في تونس من جرائم هذا الطاغوت، كما يتم الحديث عنها حاليًا، وكما يقال في المثل الشعبي «إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه» ما ينقل عن جرائمه في الأخبار الآن ليس جديدًا على التونسيين، بل كانوا يئنون من جمره ولظاه، ولكن لم يكن أحد ينقل مدى معاناتهم للعالم! هذا الطاغوت تلاعب بثرواتهم، وتلاعب بالدين الإسلامي، فقد فرض قوانين تخالف الشريعة الإسلامية. والدول الغربية التي تدّعي احترام حقوق الإنسان، كانت ترى في حكم

(ابن علي) أنموذجًا يسوّقونه على أنه حكم تقدمي، ولم يكونوا يتحدثون عن جرائمه واستبداده، والحكّام يعاضد بعضهم بعضًا. حتى الحراك الشعبي داخل تونس لم تكن أخباره وحركته واضحة للناس. لذلك كله ما كان الناس يتوقعون أمام هذه الصور المعتمة أن تنطلق الثورة من تونس، وأن تسقط دكتاتورًا حكمها ربع قرن من الزمن.

الرسالة الأولى للحكام:

على الحكام المستبدين أن ينتبهوا ويتأملوا في واقعهم، كفى استبدادًا، وكفى تلاعبًا بثروات الشعوب. هل يظنون أنهم في مأمن وهم يلاحظون ما حصل في بلاد كثيرة، أفلا يرون كيف سقط عرش الطاغوت جراء استبداده وبطشه بشعبه؟ عروش الظالمين لن تبقى، وهذا ما وعده الله ورسوله. تحدث القرآن الكريم كثيرًا عن مآل الظالمين والمستبدين كفرعون وقارون وغيرهما، كذلك حذّر رسول الله ﷺ وأولياء الله من هذا الأمر، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني ثم يأخذه أخذة رابية»[١]. يتصور أنه بمنجى من العقوبة كلما رأى نفسه يتمادى ولا ينزل عليه عذاب، ولكن الله يمهل ولا يهمل، وإنه يأخذ أخذ عزيز مقتدر. وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «قال جبرئيل قلت: يا رب، تدع فرعون وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ فقال: إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت»[٢].

على الحكام المستبدين أن يعتبروا مما حصل لحاكم تونس، حيث أصبح يبحث عن ملجأ يأوي إليه ولا يجد من يرحب به، لم تنفعه قصوره ولا أمواله، ولا جيشه ورجاله، حتى الدول التي كان ينفذ أوامرها ويبدي لها الطاعة خذلته، وكثير من الدول المجاورة والدول الغربية التي اتصل بها. ثرواته أصبحت مجمدة في مجملها، كما قامت بذلك سويسرا، ويفكر في ذات الأمر الاتحاد الأوروبي. أصهاره وعائلته ما عاد

(١) بحار الأنوار. ج ٧٢، ص ٣٢١.

(٢) الفضل بن الحسن الطبرسي. مجمع البيان، ج ١٠، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ، (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات)، ص ٢٥٧.

لهم ملجأ ولا أحد يقبل بهم، وكذلك حزبه الذي كان يحكم به العباد والبلاد.

هذه عبرة يجب أن يعتبر بها الحكام، فماذا يريدون من الناس؟ إنهم لا يكتفون بالتسلط بل ينافسون الناس حتى في لقمة عيشهم، ويذيقونهم الفقر والجوع، ماذا يصنع الحكام بهذه الثروات الطائلة؟ وإلى من يورثونها؟ فلا عجب أن تتضاعف نقمة الناس وسخطهم عليهم، وأن يكون المآل مثل مآل رئيس تونس المخلوع. ولكن التجارب تشير إلى أن حب الدنيا يعمي ويصم، فلا يلتفت العتاة إلى هذه الدروس والعبر، وربما اكتفوا ببعض الحركات الالتفافية بإعطاء بعض التسهيلات وبعض المكافآت المالية، لكن هذا لا يفيد، فالناس يطالبون بالعيش كسائر البشر في ظل حكم عادل وشفافية وقوانين تحمي المال العام ولا تجعله مجالًا للتلاعب.

الرسالة الثانية للشعوب:

على الشعوب أن تراهن على إرادتها، فإذا اتحدت فهي قوة لا تقهر. قبل نصف قرن جرب الناس الانقلابات العسكرية وقد كانت النتيجة أنها أشد عليهم مما كانوا عليه في السابق، كما يقول الشاعر:

المستجير بعمْرٍ عند مشكله كالمستجير من الرمضاء بالنار

والبعض قد راهن على التدخل الخارجي، وجربوا ذلك، ورأينا كيف أن التدخل الخارجي له أجندته ومصالحه كما في أفغانستان والعراق. وهناك من راهن على الحركات النخبوية، المتمثلة في الأحزاب والتنظيمات، لكن هذه الحركات النخبوية تقع في حالات نزاع، وهي معرضة لأن تخدع وتستدرج، ولربما وقعت فيما وقع فيه النظام السابق، وهي في غالب الأحيان مكبلة ودورها محدود.

فالخيار الأفضل والأمثل هو التحرك الجماهيري السلمي، وهذا ما حصل في تونس وفي إيران من قبل. الثورة في إيران كانت سلمية، ولا تزال تونس في سياق ثورتها السلمية، ونأمل أن تستمر كذلك، فاستخدام العنف يعطي فرصة للأعداء،

ويحرف الثورة عن وجهتها الصحيحة، ويدخلها في نفق من العنف والعنف المضاد. نأمل أن يستمر شعب تونس في نضالهم، وأن يحافظوا على ثورتهم، ويحققوا آمالهم، فهناك من يريد اختطاف وسرقة هذه الثورة المجيدة.

نسأل الله تعالى لكل الشعوب الخلاص من قيود الظلم والاستبداد، وأن يمّن عليهم بمن يحكمهم بالعدل والإنصاف.

الخطبة الأولى

الاحترام والإكرام خلق حضاري

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، ومجلس يكرمه، لم يزل في ظل من الله تعالى ممدود عليه بالرحمة ما كان في ذلك»[1].

كما يحتاج جسم الإنسان لبيئة صحيّة يأمن من خلالها الأمراض والأسقام، وتساعد أجهزته وأعضاءه للقيام بدورها السليم، كذلك تحتاج نفسه إلى بيئة اجتماعية سليمة، من أجل أن تكون مشاعره وأحاسيسه سوية وفي المسار الإيجابي. وكما أن للميكروبات والجراثيم أثرًا سيئًا على جسم الإنسان، فكذلك للأجواء الاجتماعية السلبية أثر سيء على نفس الإنسان، بخلاف الأجواء الإيجابية التي تنعكس عليه بالراحة والرضا وتدفعه للسلوك المستقيم.

الاحترام حاجة إنسانية:

من أهم الأمور التي يحتاجها الإنسان في بيئته الاجتماعية هو احترام الآخرين له. إذا كان الناس يتبادلون الاحترام، فإن نفوسهم تكون مرتاحة، ومشاعرهم وأحاسيسهم تكون سوية، وإذا ما فقدوا الاحترام فيما بينهم، تكون النفوس معرضة لاضطرابات تدفع إلى ردود فعل سلبية، وسلوك عدائي تجاه بعضهم بعضًا. من هنا تسعى المجتمعات الراقية إلى المحافظة على أجواء الاحترام داخل محيطها، ونجد في تعاليم الإسلام

(١) مستدرك الوسائل ج١٢، ص٤١٩، حديث ١٤٤٨٧.

ما يؤكد على هذا الجانب. فالذين تعيش معهم بشر مثلك، وكما أنك تود أن تُحترم وتُقدر، فهم أيضًا يودون ذلك. وكما تنزعج أنت من أي إساءة وإهانة، فالآخرون كذلك. بالإضافة إلى أن تعاملك الحسن مع من يعيش معك يعزز هذا السلوك في المجتمع، فتضمن أن يتعامل الناس معك ومع عائلتك تعاملًا حسنًا.

النصوص الدينية الواردة في هذا الجانب كثيرة، منها ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «أذلّ الناس من أهان الناس»[١]. من يسيء للآخرين يكشف عن نفسية غير سوية، بخلاف من يحترم الناس. الإسلام يؤدب المسلم على أن يتعامل مع الآخرين بالاحترام مهما اختلفت مواقعهم وألوانهم وتوجهاتهم. حتى الصغار فإن الإسلام أولاهم عناية فائقة، ووضع لهم حظًا وافرًا من الاحترام، فلا ينبغي الإساءة للصغير أو إهانته، كان رسول الله ﷺ يبدأ الأطفال بالسلام، ويوجه أصحابه لاحترام الأطفال، ولذلك تجد أن الطفل في بيوت الأئمة ﰂ ينادى بالكنية، فلا يكتفى بالاسم المجرد فقط (يا فلان) بل يقال له يا (أبا فلان) حتى يشعر بقيمته ومكانته. بينما تجد في بعض المجتمعات حتى اسم الطفل المجرد يشحون به عليه فيغيرونه إلى ما يشعره بالنقص.

هذه حالة متخلفة؛ لأن الطفل يعيش مرحلة التنشئة وبناء الشخصية، إذا تربى على الاحترام فسوف يحترم الآخرين. وأنت ترى كيف أن الطفل يلتقط كلماته من داخل بيته، فإذا سمع كلامًا بذيئًا فسوف يتعلمه ويتداوله، لذلك لا ينبغي للرجل إذا حصل بينه وبين زوجته خلاف أن يهينها وينهال عليها بالكلمات النابية سيما بمحضر أطفاله، لأن ذلك يوجد جرحًا كبيرًا في مشاعرهم وأحاسيسهم. وعلى الرجل أن يعلم أن إهانة المرأة خلاف الرجولة، روي عنه ﷺ أنه قال: «ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم»[٢].

---

(١) بحار الأنوار. ج٧٢، ص١٤٢.

(٢) كنز العمال ج١٦ ص٣٧١ حديث ٤٤٩٤٣.

الكلمة الطيبة:

الإسلام يربينا أن ننظر للإنسان من خلال إنسانيته، فنتعامل معه بالحسنى مهما اختلف لونه وشكله وتوجهه وموقعيته، يقول الحديث الشريف عنه ﷺ: «من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، ومجلس يكرمه، لم يزل في ظل من الله تعالى ممدود عليه بالرحمة ما كان في ذلك»، بكلمة طيبة تستطيع أن تدخل السرور على قلب أخيك، كما في الرواية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكلمة الطيبة صدقة»[١]، كما أن الابتسامة أيضًا لها دورها في نفسية الإنسان يقول ﷺ: «تبسمك في وجه أخيك صدقة»[٢]، يتعجب الإنسان كيف يبلغ بالبعض البخل حتى بالابتسامة في وجه من يلقونه من الناس! علمًا بأن البحوث العلمية تشير إلى أن الابتسامة تصنع أثرها السحري في صحة الإنسان، حيث تساعد على تخفيف ضغط الدم، وتنشيط الدورة الدموية، واتزان نبض القلب، وما إلى ذلك، ولكنك تجد من يقابل الناس باكفهار وبرود وتجاهل.

أشعِر من يقابلك باهتمامك واحترامك له، حتى يقبل عليك، ويأنس بك وتأنس به. ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «عظموا أصحابكم ووقروهم ولا يتجهم بعضكم على بعض»[٣]، ينبغي أن نرتقي في تعاملنا مع بعضنا، وأن نحترم بعضنا بعضًا، سيما المجتمعات التي تعيش حالة من التهميش والانتقاص يفترض أن تعوض ذلك في تعاملها الداخلي، فإذا كان الآخر يسيء لأبناء المجتمع فلماذا يسيء أبناء المجتمع لبعضهم بعضًا؟

إكرام الناس:

اهتم رسول الله ﷺ وأهل بيته الكرام باحترام الآخرين وإكرامهم وأكدوا عليه

(١) وسائل الشيعة ج٥ ص٢٣٤ حديث ٦٤٢١.
(٢) كنز العمال ج٦ ص٤١٠ حديث ١٦٣٠٥.
(٣) بحار الأنوار، ج٧١، ص٢٥٤.

قولًا وعملًا، وقد ورد عنه ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جليسه»[١].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «من أتاه أخوه المسلم فأكرمه، فإنما أكرم الله عز وجل»[٢].

وعنه عليه السلام: «إنه من عظّم دين الله عظّم حق أخوانه، ومن استخف بدينه استخف بإخوانه»[٣].

من مظاهر الإكرام:

إفساح المكان للآخر: إذا جلست في مكان وجاءك أحد فتنازل له عن مكانك أو افسح له إلى جانبك، فذلك يشعره بالاحترام والمكانة فيسر بذلك، كما أنه سوف ينعكس بالإيجاب عليك، من حيث الراحة النفسية، ورضا الله عز وجل. رواية جميلة تقول إن رجلًا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس وحده، فتزحزح رسول الله ﷺ عن مكانه له، فتعجب الرجل وقال: في المكان سعة يا رسول الله! فقال: «إن من حق المسلم على المسلم إذا أراد الجلوس أن يتزحزح له»[٤]. حركة بسيطة تشعر من يقدم عليك بالاهتمام. حتى في الطريق، كما في قيادة السيارة ينبغي أن نتحلى بالذوق الرفيع وأن نعطي فرصة لمرور الآخرين. وفي رواية عن رسول الله ﷺأنه قال: «من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه، غفر له»[٥].

كان رسول الله ﷺ يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه، وآثره بالوسادة التي تحته. جاء عن سلمان الفارسي، قال: دخلت على رسول الله ﷺوهو متكئ على وسادة فألقاها علي ثم قال يا سلمان: «ما من مسلم دخل على أخيه المسلم فيلقي له

---

(١) كنز العمال ج٩ ص١٥٥ حديث ٢٥٤٩٠.

(٢) الكافي ج٢ ص٢٠٦.

(٣) مستدرك الوسائل ج٩ ص٥٠ حديث ١٠١٦٩.

(٤) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٢٧ حديث ١٦١٥٦.

(٥) كنز العمال ج٩ ص١٥٦.

الوسادة إكرامًا له إلا غفر الله له»[1]، المغفرة والثواب ليست في العبادة فقط بل بما تفعل من خير مع الناس أيضًا.

كما جاء في صفة خلق رسول الله ﷺ: أنه كان أكثر الناس تبسمًا ما لم ينزل عليه قرآن ولم تجر موعظة، ما شتم أحدًا بشتمة، ولا لعن امرأة ولا خادمة بلعنة، ولا يأتيه أحد حرًا أو عبدًا أو أمة إلا قام معه في حاجته، يبدأ من لقيه بالسلام ومن رامه بحاجة بادره حتى يكون هو المنصرف، وما مدّ أحد يده فيرسل يده حتى يرسلها، وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا وخفض صلاته وأقبل عليه وقال: ألك حاجة؟

الترحيب:

الترحيب: بأن تلقي على القادم عليك تحية تشعره بسرورك بقدومه، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قال لأخيه المؤمن مرحبًا، كتب الله له مرحبًا إلى يوم القيامة»[2]. ليس من الخلق الإسلامي ألا تكترث بالقادم عليك أو أن تستقبله ببرود مشاعر، سيما الإنسان المتدين ينبغي أن يكون أكثر احترامًا للآخرين، يخبرني شخص أنه دخل على شخص متدين وله مكانة مرموقة، وكانت بيده سبحة وهو يلهج بالتسبيح، ثم يكمل الرجل متعجبًا: دخلت مع ولدي وجلسنا ولكنه لم يلتفت إلينا، بل ظل يلهج بتسبيحه!

هذا ليس من أخلاق الإسلام، إذ كان رسول الله ﷺ يخفف صلاته ليقبل على القادم إليه.

الإطعام:

ومن مظاهر الإكرام الإطعام: وهو من خلق الكرام، كما نقرأ في القرآن الكريم

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٢٣٥.

(٢) الكافي ج٢ ص٢٠٦.

عن ضيف إبراهيم الخليل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴿٢٦﴾﴾ [سورة الذاريات، الآيات: ٢٤-٢٦].

وهناك رواية جميلة تقول إن رسول الله ﷺ في إحدى الغزوات «مر به ركب وهو يصلي فوقفوا على أصحاب رسول الله ﷺ فسألوهم عن رسول الله ﷺ ودعوا وأثنوا وقالوا: لولا أنا عجال لانتظرنا رسول الله ﷺ فأقرؤوه السلام ومضوا، فانفتل رسول الله ﷺ مغضبًا ثم قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويبلغونني السلام ولا تعرضون عليهم الغداء»[1]!

نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن يتحلى بأخلاق الإسلام وأن نتعامل مع الجميع على أساس إنسانيتهم فهذا ما يطلبه منا ديننا الكريم.

(١) بحار الأنوار، ج١٦، ص٢٦٣.

الخطبة الثانية

التداول السلمي للسلطة

روي عن عبدالله بن عباس قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بذي قار وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذه النعل؟ فقلت: لا قيمة لها. فقال: والله لهي أحب إليّ من إمرتكم إلا أن أقيم حقًا أو أدفع باطلا[1]. وقال: والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما فيهن وما تحت أفلاكهن، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة لما فعلت[2].

لا شك أن السلطة هي أهم موقع يطمح إليه الإنسان في المجتمع البشري. ولذلك فإن التنافس على السلطة عادة ما يكون ساحة للحرب والنزاع، وقد شهد التاريخ حروبًا كثيرة من أجل السلطة والحكم عانت منها البشرية معاناة قاسية. كما عانت المجتمعات من المتسلطين المستبدين الذين حينما يصلون إلى مواقع الحكم يسيمون الناس خسفًا وذلًا، ويصادرون حقوقهم وكرامتهم. لكننا في هذا العصر نعيش تطورًا في واقع المجتمعات البشرية، نتيجة تراكم الخبرة والتجربة، واستخدام الإنسان لعقله وفكره، فأصبحت هناك حلول وخيارات تقي المجتمعات شرّ النزاع على الحكم والسلطة، عن طريق التداول السلمي للسلطة.

من حق كل فرد يرى في نفسه الكفاءة والقدرة على إدارة مجتمعه أن يرشح نفسه

---

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٣٣.

(٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٢٢٤.

لهذا المنصب، في العالم المتحضر الذي يعترف بنظام التداول السلمي للسلطة، من يرى في نفسه الكفاءة يعلن عن برنامجه ويخوض غمار الانتخابات، فإذا اختاره الشعب يمارس السلطة ضمن صلاحيات محددة ولمدة محددة، وبعد انتهاء المدة تجرى انتخابات جديدة. هذا هو الأسلوب العصري الراقي، ومع الأسف الشديد هذا الأسلوب استوردناه في بعض مجتمعاتنا الشرقية ولكننا شوهناه، يُدّعى أن هناك انتخابًا وترشيحًا، ولكن النتائج تكون مقررة سلفًا! وكما يقولون هناك أربع تسعات تكون في النتائج ٩٩,٩٩٪!

هذا الحل الذي وصلت إليه النظم المتقدمة من التداول السلمي للسلطة اعتمادًا على أن السلطة حق للناس، ومصدر السيادة هو الإرادة الشعبية، فالناس هم يختارون من يريدونه حاكمًا عليهم، وهناك فصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، وضمان لحق المعارضة وللحريات وحقوق الإنسان، وبهذا النهج يتوفر الاستقرار للمجتمعات وتأمن النزاعات والانقلابات والاضطرابات.

نحن في ديننا الإسلامي نجد الكثير مما يؤسس لمثل هذا النهج، صحيح أننا قد لا نجد طريقة واضحة المعالم والتفاصيل عن النظام السياسي تشبه الأنظمة الديمقراطية، لكننا نجد التوجيهات والنصوص التي يمكننا من خلالها أن نستنتج وأن نستوحي نظامًا للسلطة والحكم يضاهي هذه الأنظمة المتقدمة في المجتمعات الأخرى، لكن أكثر بلادنا الإسلامية مع الأسف الشديد تعيش وضعًا غير سوي، وخاصة البلدان التي وصل إلى الحكم فيها انقلابيون عسكريون رفعوا شعارات تدغدغ عواطف الناس وتطلعاتهم، ولكن ماذا نال الناس تحت حكمهم وسيطرتهم؟

التمسك بالسلطة:

لماذا يتشبث الحاكم بالحكم إذا كان الشعب يرفضه؟ أمير المؤمنين عليه السلام يتحدث في هذه الكلمات حديث الصادق الملتزم، حيث صدقته سيرته الطيبة، فلم يكن يتعامل

مع السلطة كمطمح شخصي، بل يراها مجرد وسيلة للعدل بين الناس وباختيار الناس، ولذلك ورد عنه ﷺ: «عهد إليَّ رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أبي طالب لك ولاء أمتي فإن ولّوك في عافية وأجمعوا عليك بالرضا فقم بأمرهم، وإن اختلفوا عليك فدعهم وما هم فيه»[١].

فلم يسع ﷺ للسلطة بدافع شخصي، ولما طرحت عليه الخلافة بعد مقتل الخليفة الثاني واشترطوا عليه المبايعة على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين قال: على كتاب الله وسنة ورسوله واجتهاد رأيي، ولم يقبل أن يلزموه سيرة غيره، وهو يعلم أن عدم قبوله بهذا الشرط سوف يزوي السلطة عنه.

الثورة العظيمة في مصر:

إننا نتألم لما يحصل في مصر، هذا البلد العريق في حضارته وتاريخه، الذي يمثل أهم دولة من الدول العربية، الشعب في هذا البلد يرفض الحاكم الذي يحكمهم منذ ثلاثين عامًا، ولكنه بدل أن يخضع لإرادة شعبه نراه متمسكًا بالسلطة! كل العالم اليوم يتابع ما يجري في ساحة مصر من إقبال الناس في الميادين العامة على رفع صوت رفضهم لحاكمهم، وهذا تحول عظيم لم يكن مسبوقًا في هذه المنطقة، وبشكل علني سلمي، ليس بقيادة حزب معين، ولا لتطبيق أيديولوجية معينة، وإنما لأن الناس يريدون أن يحققوا إرادتهم ويستعيدوا حريتهم وكرامتهم.

إن هذا التشبث بالحكم والسلطة وما قد يفضي إليه من سفك الدماء وانتهاك الحرمات هو جرم عظيم، ماذا يفيد هذا الرجل أن يتشبث بالسلطة وقد بلغ من الكبر عتيًا؟ وأخذ بحظٍ كبير من السلطة، وشعبه يدعوه للتنحي، لماذا لا يستجيب لدعوات شعبه حتى يجنب شعبه وبلده والمنطقة الأخطار والمشاكل؟ إن التشبث بالسلطة خلافًا لإرادة الناس ورغبتهم يدل على أنانية مفرطة، وبالتالي لا يوصل إلا لشقاء الدنيا والآخرة.

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ ص٧٨ حديث ١٢٤٦٤.

نسأل الله أن يكتب لإخواننا في مصر الخير والصلاح والتوفيق، وأن تتحقق تطلعاتهم، ويكفيهم ما يحاك لهم من قبل الأعداء الحاقدين، حتى تصل مصر إلى شاطئ الأمان والاستقرار، وأن تتحقق أماني المصريين في ظل دولة كريمة عادلة تحفظ حقوقهم وكرامتهم.

الخطبة الأولى

قبس من حياة الإمام العسكري وتوجيهاته

ورد عن إمامنا الحسن العسكري عليه السلام أنه قال: «أعرف الناس بحقوق الأخوان وأشدهم قضاء لها، أعظمهم عند الله شأنًا»[1].

ونحن على مشارف ذكرى وفاة الإمام الحسن بن علي العسكري نقتطف هذه الباقة من زهرات توجيهاته النافعة المفيدة.

شيء من سيرته العطرة:

عرف الإمام الحسن بن علي الهادي عليه السلام بالعسكري نسبة إلى المحلة التي أُسكن فيها في سامراء، وهي مكان تجمع الجيش والجند، ولذا يقال له عسكر.

المعلومات التي سجلها التاريخ عن الإمام العسكري معلومات شحيحة قليلة!

ولد عليه السلام سنة ٢٣٢ هـ على اختلاف بين المؤرخين واختلف كذلك على شهر ولادته، ويومها أيضًا. ولد في المدينة المنورة، لكنه لم يقم فيها إلا سنتين، ثم انتقل مع أبيه الإمام علي الهادي عليه السلام حينما أُشخص من قبل المتوكل العباسي إلى سرّ من رأى (سامراء) حيث كانت عاصمة بني العباس، وذلك عام ٢٣٤هـ.

بقي عليه السلام طوال حياته في سامراء تحت الحصار والإقامة الجبرية، ولذلك تعتبر

---

(١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي. مستدرك سفينة البحار، ج ٢، ص ٣٤٢.

حياته عليه السلام قطعة من الآلام والمعاناة، ولعلّه عليه السلام كان أكثر معاناة من آبائه الطاهرين عليهم السلام، وقد ورد عنه عليه السلام قوله: «ما مُني أحد من آبائي بمثل ما منيت به»[1]. قضى بعض الأئمة عليهم السلام من آبائه الكرام جزءًا من أعمارهم في السجون أو الإقامة الجبرية، ولكن كانت لهم فترات أخرى يعيشون مطلقي السراح، أما الإمام العسكري فكان طوال حياته تحت الإقامة الجبرية، ناهيك عن الفترات التي قضاها في السجن. استمر هذا الحال معه طوال عمره القصير الذي لم يتجاوز ٢٨ سنة.

بقي طوال حياته في سامراء تحت الحصار والإقامة الجبرية.

تلك السنوات التي عاشها تحت الرقابة والحصار، منعته من لقاء الناس، كان يجبر على الخروج ليحضر قصر الحكم مرتين في الأسبوع، وحتى ضمن هذا الطريق كانت الحالة صعبة وحساسة ولذلك كتب لشيعته: «ألا لا يسلمن علي أحد ولا يشير إليَّ بيده فإنكم لا تؤمنون على أنفسكم»[2].

هكذا كانت ظروف حياته معاناة في الحصار، ومعاناة أخرى في السجون. كان يُكلَّف به السجانون الأشرار. في زمن المهتدي العباسي سجن عند صالح بن وصيف وطلب منه التضييق على الإمام. يقول صالح بن وصيف: وكلت به رجلين شر من قدرت عليه، ولكنهما بعد أيام قليلة تحولا إلى عنصرين صالحين، والتزما العبادة والصلاة؛ لأنهما رافقا هذا الإمام العظيم، ورأيا حياته وسيرته. مرة أخرى سجن عند علي بن أوتامش وكان شديد العداوة والبغض لأهل البيت عليهم السلام، لكنه بعد فترة أصبح من أكثر الناس بصيرة، ومودة وقربًا إلى أهل البيت.

لذلك تجد المعلومات التي يسجلها التاريخ عن الإمام معلومات شحيحة قليلة، أولًا لقصر عمره الشريف، وثانيًا بسبب هذا الحصار والسجن، وبالتالي فقد حرمت

---

(١) بحار الأنوار. ج ٧٥، ص ٣٧٢.

(٢) بحار الأنوار. ج ٥٠ ص ٢٦٩.

الأمة كثيرًا من المعارف والعلوم التي كانت ستكسبها من الإمام. ومع ذلك فقد وصلت إلينا ثروة من توجيهاته ومعارفه.

حقوق الناس واجبة الأداء:

الكلمة التي تبركنا بها من توجيهات الإمام العسكري قوله عليه السلام: «أعرف الناس بحقوق الأخوان وأشدهم قضاء لها، أعظمهم عند الله شأنًا». إذا كنت تريد أن يكون شأنك عند الله عظيمًا، ومكانتك كبيرة، فعليك أن تهتم بحقوق إخوانك وأن تؤديها لهم، والأخوان هنا أبناء مجتمعك الإيماني الذي تنتمي إليه. لاحظ أن الإسلام يرتقي بحسن العلاقة مع الآخرين من كونها أمرًا كماليًا إلى مصاف الحقوق. حينما تتعامل مع أخيك تعاملًا جيدًا هذا ليس إحسانًا وتفضلًا منك، وإنما هو واجب وحق عليك يجب أن تؤديه، كما لو كان عندك عامل وأعطيته أجرته، فهذا ليس تفضلًا منك بل واجب عليك.

إذا اهتم الناس بأن ينظروا إلى بعضهم بعضًا بهذا الشكل، فسيكونون حريصين على تأدية حقوق بعضهم بعضًا. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «من عظّم دين الله عظّم حق إخوانه ومن استخفّ بدينه استخف بإخوانه»[1]. حينما تحترم أبناء محيطك الاجتماعي فإنك تحترم دينك، ومجتمعك، والانتماء الذي تشترك معهم فيه. بينما إذا تهاونت بحقوقهم فإنك تتهاون بدينك وعقيدتك، حتى الناس القريبين منك لا تتساهل في حقوقهم لقربهم منك، أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «وَ لَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا عَلَى مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ»[2]. الحقوق واجبة لكل أحد، وهي من أهم العبادات كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»[3]. وعنه عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «للمؤمن

(١) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ١٤٩.
(٢) نهج البلاغة. وصية ٣١.
(٣) جامع أحاديث الشيعة. ج ١٦، ص ١٤٩.

على المؤمن سبعة حقوق ـ في رواية أخرى سبعين حقًا ـ واجبة من الله عز وجل: الإجلال له في عينه، والود له في ماله، وأن يحرّم غيبته، وأن يعوده في مرضه، وأن يشيع جنازته، وأن لا يقول فيه بعد موته إلا خيرًا»[١]. وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه وقف أمام الكعبة ثم قال: «ما أعظم حقك يا كعبة! ووالله إن حق المؤمن لأعظم من حقك»[٢]. وقال عليه السلام: «إن من طاف بالبيت سبعة أشواط كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة، ورفع له ستة آلاف درجة، وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف وطواف حتى عد عشرًا»[٣].

هكذا يربينا الاسلام على أن نهتم ببعضنا بعضًا، وخاصة المجتمعات التي تعاني من الضغوط والتمييز، ينبغي أن ينفسوا في داخلهم عن بعضهم بعضًا، وأن يحترم بعضهم بعضًا حتى لا تتكالب على بعضهم الضغوط الخارجية والداخلية، هذه هي وصايا أئمة أهل البيت. فلماذا نحن غافلون عن مثل هذه الأمور، نتهاون في علاقاتنا مع بعضنا بعضًا، نجهل حقوق بعضنا، ونظن أن هذا أمر سهل وهين.

نسأل الله أن يجعلنا من السائرين في طريق أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٤ ص ٣٩٨.

(٢) مستدرك الوسائل. ج ٩، ص ٣٤٣.

(٣) الكافي. ج ٢ ص ١٩٤.

ثورة مصر: مصاعب ومكاسب

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾[سورة البقرة، الآية:٢١٤]

قليل من التأمل والتفكر في واقع النفس الإنسانية، يقودنا إلى الاعتراف بما تنطوي عليه هذه النفس من طاقات عظيمة كامنة، تمثل نقاط القوة عند كل إنسان، وهذا الاعتراف لا يعني التنكر لواقع النقص والضعف الذي تشعر به النفس أيضًا، والإيمان بكلا الجانبين ضروري لضبط حركة الإنسان ونشاطه ضمن دائرة المسؤولية، وبالتالي لا تستقيم حياة الإنسان في الاتجاه الصحيح إلا من خلال تعزيز نقاط القوة فيه، وتجاوز العقبات التي تولدها حالات الضعف في النفس.

والتمايز الذي نراه بين البشر في درجات الكمال يرجع بشكل مباشر إلى تفعيل هذا الطاقات والاستفادة منها، بعكس الذي لا ينشغل باستثمار هذه الإمكانات فيما يحقق له التكامل، فمجرد الإيمان بوجود هذه الطاقات الإيجابية ليس كافيًا لدفع الإنسان إلى الأمام، وإنما لا بُدّ من تفعيلها وتمرينها لكي تتحقق الاستفادة القصوى منها، والإنسان الذي يلتفت إلى هذه الطاقات ويعمل على تفعيلها هو الإنسان الذي ينشط

في مجالات الحياة المختلفة، فالإنسان يمتلك طاقة عقلية جبارة، كما له إمكانات نفسية هائلة، مضافًا إلى بنيته الجسمية المميزة التي تمكنه من أداء كثير من الأنشطة.

التحديات تفجر الطاقات:

ولكن تبقى كل هذه الإمكانات في حالة كمون وعدم نشاط ما لم يصطدم الإنسان بتحديات تحفزه لإبراز طاقاته، فالطفل يعاني حتى يستخدم أعضاء جسمه بشكل منتظم ومتناسق، ويعاني كثيرًا حتى يتمكن من المشي على قدميه، وكذلك حتى يتكلم، ولو بقى الطفل في حالة جمود وخمول فإنه لن يقدر على صنع شيء، وهكذا فحياة الإنسان كلها تحتاج إلى كدّ وجهد لكي يستثمر طاقاته ويحقق لنفسه تكاملًا في شتى الميادين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، وقال تعالى: ﴿.... إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾، فمفردتا الكبد أو الكدح كلاهما كاشفتان بدقة عن هذه السنّة، ومن هنا نتعرف على الوجه الإيجابي لهذه المصاعب التي تواجه حياة الإنسان، فلولاها لبقي الإنسان كالجماد في حالة من السكون الدائم، والإنسان الذي يتطلع إلى السمو هو الذي يتحدى هذه الصعاب، ويروّض العقبات، بخلاف من ينهزم أمامها، ومن ثم يستسلم لها، فإن مصيره الفشل في كل حقول الحياة.

كذلك عقل الإنسان محكوم بنفس السنّة والمعادلة، فاذا لم يُعمل تفكيره، ويقف خلف الأسئلة الصعبة، ويحاول كشف الأسرار الغامضة، فإن ذهنه لا ينمو ولا يتحرك، ومن هنا فإن عملية التفكير واستثمار العقل تقع ضمن مسؤوليات البشر؛ لأن الله لم يمنح الإنسان هذه الطاقة عبثًا، والتسليم بوجود حكمة تجعل الإنسان مطالبًا بتحقيقها، وكذلك الحال في الجانب النفسي فكل الصفات النفسية من صبر وعزم وشجاعة وتفاؤل وغيرها تبرز من خلال الممارسة، ولذا جعل الله هذه الحياة دار مكابدة حتى تقوى وتتعزز هذه الصفات في الإنسان.

كما يصدق هذا الأمر على مستوى الفرد يصدق أيضًا على الواقع الاجتماعي، فإن المجتمع الذي يمثل وحدة بشرية فاعلة ومترابطة ومتناسقة الأداء، مضافًا إلى وضوح

الرؤية والمسار، يختلف عن المجتمع المريض الذي يعتريه التفكك والتحلل وغياب الرؤية، والفرق بين المجتمعين، كما هو واضح، يرجع بشكل أساس إلى استثمار المجتمع الأول لكل ما يحتوي عليه من نقاط قوة، والدفع بها لتجاوز كل العقبات، بخلاف المجتمع الثاني الذي يعيش حالة من الخمول واللامبالاة، فالكسل وعدم تحمل المسؤوليات، والاسترسال مع الواقع، والتأقلم مع المشكلات وغيرها تصيب المجتمع بحالة من الخمول والتآكل، ومن ثم الفشل والانحطاط.

ومن هنا فإن تعزيز ثقافة التحدي في المجتمعات، وضرورة تحمل المسؤوليات، يجعل المجتمع يبحث عن نقاط قوته لكي يوظفها في هذا الصراع، وهكذا تدبّ فيه الحياة ويخلع ثوب الخمول والكسل، فنهوض المجتمع كاف لنفض غبار السلبيات التي علقت به.

فالله تعالى أوجد الإنسان لكي يتحمل الأمانة، فلا ينوب عنهم في أداء مسؤولياتهم، حتى الجماعة المؤمنة التي تمثل صفوة المجتمعات لم يجعل الله لها طريق النصر معبدًا، صحيح أن الله يؤيد بنصره من يشاء، ولكن عندما يعلم منهم الصدق، وبذل غاية الجهد، فالنصر ليس غاية، ولذا لم يطلب الله من المؤمنين النصر وإنما طلب منهم الجهاد سواء انتصروا أم لا؛ لأن الجهاد يبرز طاقاتهم ويربي نفوسهم، وإلا كان بالإمكان أن يجعل الله طريق النصر سهلًا أمام الجماعة المؤمنة، وأن ينزل النجاح والتقدم لأوليائه من أول وهلة بدون جهد، ولكن الله أراد لهم أن يشتد عودهم، وتتصلب قوتهم، وأن تبرز كفاءاتهم، ولذلك يأمرهم بالجهاد والكفاح ومقاومة الباطل حتى يكتشفوا أنفسهم، ويرسموا طريق المجد بجهدهم، وبذلك تحقق الجماعة المؤمنة الفوز في الدنيا والاخرة، وبالتالي يصبح الإيمان هو الخيار الموجب للتميز بين جميع أبناء البشر، قال تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهنا يؤكد الله على سنة الحياة، فكما تحمل الأوائل المصاعب والمتاعب في طريق الحق، يجب أن يتحمل كذلك الذين يمضون في طريقهم ويسعون إلى نيل درجاتهم، فبعد أن يبذل

الإنسان غاية جهده في طريق الحق يجوز له أن يتوقع المدد والنصر من الله ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ فيأتي الجواب﴿أَلا إِنَّ نَصرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

الشعب المصري يتألق بثورته:

في هذه الأيام تعيش الأمة الإسلامية ملحمة من ملاحم المقاومة والنضال، في ساحة هي من أعرق وأهم الساحات العربية وهي أرض الكنانة مصر، حيث يسطر فيها المصريون ملحمة جهادية رائعة، عندما خرجوا في ثورة شعبية عارمة تطالب بالحقوق والحريات والعدالة، وهم بذلك يرسمون منعطفًا كبيرًا وخطيرًا في تاريخ أمتنا العربية والإسلامية، لما يمتاز به الشعب المصري من موقعية مهمة بين الشعوب العربية، وما تمثله أرض مصر من موقع استراتيجي مهم في المنطقة، ولذا ننظر لهذا الحدث بتفاؤل كبير، لعله يساهم في تغير واقع أمتنا إلى الأفضل.

وما زالت الثورة مشتعلة، وكلما عاند الرئيس في عدم الاستجابة لمطالب شعبه ازداد إصرار الشعب، فمن مصلحة الشعب أن يطول وقت الثورة وليس من مصلحة النظام ذلك، فكل يوم من أيام الثورة يساوي سنينًا من تاريخه، ففيها اكتشف الشعب المصري نفسه أكثر، وتعرفوا على ما في مجتمعهم من إيجابيات، ورأى العالم وجهًا جديدًا للمصريين عكس الذي كان يظهره النظام، لقد حقق الشعب المصري مكاسب كبيرة بحركته وثورته، وما زال يحقق المزيد.

فقد تعززت أولًا وحدة الشعب المصري، وهذا الاحتشاد الكبير الذي يتابعه العالم عبر وسائل الإعلام كشف عن وحدة حقيقية بين أطياف المجتمع، وكنا نسمع عن مشاكل بين المسلمين والأقباط، وكان ذروتها التفجير الذي حدث قبل مدة قليلة في الكنيسة القبطية، والذي ظهر أن لوزارة الداخلية دورًا فيه، ولكن منذ أن حدثت الانتفاضة لم يحصل أي مشكلة بين المسلمين والمسيحيين، بل العكس انخرط الجميع في عمل موحد، وفي صف واحد، وشكلوا بذلك لوحة تعكس مدى التسامح والتكاتف بين أبناء

الوطن الواحد، وأقاموا قداس يوم الأحد في وسط ميدان التحرير كما رأيتم، واختلطت دماء شباب المسيحين بدماء شباب المسلمين، وقدم المسيحيون عددًا من الشهداء والجرحى كغيرهم من بقية المصريين، وكذلك الحال بين الإسلاميين وبقية الحركات الوطنية، بدا الشعب المصري وكأنه جسد واحد خلف هدف مشترك.

المكسب الثاني: ارتفاع مستوى الوعي عند الناس، واتضاح الرؤية لديهم، فلم ينخدعوا بالكلام المعسول، ولا بالوعود البراقة، كما أن الشعب لم يعد يثق أو يعتمد على مواقف الدول الكبرى، ففي الأيام الأولى أعلنت الإدارة الأمريكية موقفًا دغدغ مشاعر المصريين، ولكن شاء الله أن يكشف حقيقتهم، فبسبب الضغوط الصهيونية وبعض الحكومات في المنطقة بدأت تغير الإدارة الأمريكية لهجتها، والعجيب أن أمريكا لا تنظر للمنطقة كلها إلا من خلال مصلحة إسرائيل، واسرائيل تعتبر نفسها صاحبة القول الفصل في أحداث المنطقة، وهي التي تقرر النظام الصالح لمصر من دونه، والرئيس الذي يجب أن يحكم، وهذا هو الدور الذي وجدت إسرائيل لأجله، لكن خابت وتخيب آمالهم إن شاء الله، والصهاينة يعيشون في قلق عظيم، واضطراب كبير، كم عملوا أن تكون تركيا حليفًا لهم ومؤيدة لمواقفهم، ولكن صدمهم الشعب التركي بمواقفه الرافضة للكيان الصهيوني، كما عملوا في لبنان بكل جهدهم فتصدت لهم المقاومة الإسلامية وألحقت بهم الهزيمة والعار، وكم عملوا أن تكون الجبهة المصرية تعمل من أجل أمنهم، وأن تساعدهم في مواجهة الفلسطينيين، ولكن هذا الزلزال الذي بدا في مصر سوف يزلزل هذا الكيان.

المكسب الثالث: بروز الكفاءات التي تبلورت ووظفت قدراتها في هذا الحراك، سواء كان على مستوى الإعلام أو العمل السياسي أو التنظيمي.

المكسب الرابع: تبلور القيم الحضارية والأخلاقية من تكافل وتعاون، فنجد الأطباء بادروا بعمل مستشفيات ميدانية، وقام التجار بتوزيع اللوازم الضرورية، حتى الحلاقون عبروا عن تأييدهم لهذه الثورة عبر القيام بالحلاقة المجانية في ساحة التحرير،

وهكذا أصبحت كل شرائح المجتمع المصري تأخذ دورها في صورة من التلاحم غير مسبوق، لذلك نحن مطمئنون وواثقون، نعيش الأمل والتطلع الكبير مع إخواننا في مصر، ونعتقد أن نصر الله قريب، فهذه الحركة الكبيرة آثارها ومكاسبها لا تقتصر على مصر بلدًا وشعبًا، فقد أحيت روح الأمل والتطلع للتغيير عند كل شعوب العالم العربي والإسلامي، بعد أن كان الياس والإحباط يسيطر على النفوس، فما حدث في تونس ويحدث الآن في مصر أحيا الأمل من جديد في نفوس جميع الشعوب والمجتمعات.

الأنظمة العربية هل تصلح نفسها؟

ولعل ما حصل ويحصل يدفع الأنظمة أن تعيد النظر في التعامل مع شعوبها، وقد رأينا بعضها بدأ يتخذ الإجراءات الإصلاحية، ولكن عليهم ألا يتأخروا؛ لأن الوقت ليس في صالحهم، فمبادرة الأنظمة العربية للإصلاح فيها مكاسب لهم ولأوطانهم.

ومن المكاسب المهمة أن هذا التحرك في تونس ومصر وضع حدًا لاتجاهات العنف والإرهاب، فمن العوامل التي ساعدت على نشوء حركات الإرهاب مثل القاعدة وفروعها، هو حالة الإحباط واليأس الذي دفع البعض أن يسلك هذا الطريق، وهذه الثورات فتحت أبوابًا أخرى أمام الأمة، فلا داعي لليأس والإحباط، ولا داعي لكي يسلكوا طريق الإرهاب.

وأخيرًا، فإنها عامل مهم لانحسار الفتن الطائفية، ونحن نأمل أن ما حدث من ثورات يكون له دور كبير لخفض حدة التوتر الطائفي؛ لأن الأنظمة السابقة كانت تعمل على بث الطائفية حتى تصنع فتنًا داخلية، وتمنع الناس من الالتفات إلى مشاكلهم الحقيقية المتمثلة في الأنظمة الفاشلة، فبعد انتصار الثورة الإيرانية عملت الأنظمة على عزل إيران طائفيًا حتى لا تصل الثورة إلى مناطقهم، أما الآن أصبحت الثورة منتجًا عربيًا فلا حاجة لتصدير الثورة من إيران؛ لأن الثورة الآن تصدر من تونس ومصر، بدأت الشعوب تتجه نحو مصالحها الحقيقية وبالتالي لن تتوجه لمثل هذه الإثارات والنعرات.

الخطبة الأولى

نهج القيادة النبوية

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٥٩].

ونحن نستقبل ذكرى المولد النبوي الشريف، لا بُدّ لنا أن نستحضر شيئًا من سيرة رسول الله ﷺ لنتأسى بسيرته العطرة، ونستفيد من هديه ومنهجه المبارك، فقد أمرنا الله تعالى بالتأسي به: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[سورة الأحزاب، الآية:٢١].

سيرة رسول الله ﷺ حياة رحبة من الفضائل والمكارم، وعالم واسع من الدروس والعبر التي لا تستغني عنها البشرية في كل عصر وجيل، ومن تلك الأبعاد منهجيته في القيادة.

منهجان في القيادة:

لرسول الله ﷺ منهجية عظيمة في القيادة، يحتاجها كل قائد في أي موقع من مواقع القيادة. فالأب قائد في الأسرة، ورب العمل يقود الموظفين، وكذلك الزعيم في جماعة، والحاكم في شعب، كل هؤلاء وغيرهم ينبغي أن يستفيدوا من سيرة رسول الله ﷺ في القيادة. فكيف كان يمارس القيادة في أمته ومجتمعه؟

كل قائد في أي موقع يريد ممن حوله الطاعة والانسجام والتآلف معه، ولكن كيف يكون ذلك؟

هناك منهجان بارزان وهما منهج الفرض، ومنهج الإقناع والجذب.

إذا أخذنا الأب مثلًا كقائد في أسرته، فإنه يريد من أفراد أسرته أن يطيعوه، وأن يكونوا في سيرتهم كما يرغب ويراه صالحًا. ولكن كيف يحقق الأب هذا الأمر في أسرته؟

إما أن يختار منهج الفرض باعتباره في موقع القوة، فيفرض طاعته والالتزام بمنهجه، أو أن يتخذ منهج الجذب والإقناع، ويكون قادرًا على تحفيزهم وحثهم على ما يريد، وهكذا الحال في كل مجال من مجالات القيادة.

وباستقراء تاريخ رسول الله ﷺ يتضح جليًا أنه اختار النهج الآخر، وهو نهج الجذب والإقناع، نهج اللطف واللين، وذلك بتوجيه من الله تعالى، لكي يعطي الدرس لكل قائد، وخاصة من يكون في موقع قيادة الأمة، وموقع الحكم والسلطة، عليه ألّا يعتمد على القدرة والقوة في ممارسة سلطته، بمقدار ما يعتمد على الجذب والترغيب: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ كان رسول الله ﷺ ليّنًا في تعامله، فكانت له محبة عند الناس وهيمنة على نفوسهم، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ حينما يكون القائد فظًا، أي خشن الكلام، وقاسيًا في عباراته وألفاظه، أو غليظ القلب يعني شديد القسوة في تعامله، فإن ذلك ينفّر الناس منه.

كان رسول الله ﷺ يواجه أعداءً خارج دائرة الإسلام، كاليهود والمشركين، وهناك أعداء داخل دائرة الإسلام، كانوا يسيئون التعامل مع النبي، ويسعون للإضرار بمصالح الإسلام والأمة، وهم المنافقون الذين تحدث عنهم القرآن الكريم في كثير من آياته، وفيه سورة كاملة باسمهم وهي سورة (المنافقون).

المنافقون أناس يعيشون مع المسلمين، ظاهرهم الانتماء إلى الدين الإسلامي،

والولاء لرسول الله، لكن باطنهم المعاداة للإسلام وللنبي، وما كانوا قلة، كان منهم من هو سطحي في نفاقه، وهم من أهل البادية، ومنهم من تمرن وتمرس على النفاق، وهم من سكان المدينة. يقول تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ [سورة التوبة: الآية:١٠١] **فكيف تعامل مع هؤلاء وهم على باطل؟**

لقد أذِن الله تعالى لنبيه أن يتعامل مع المنافقين تعاملًا قاسيًا حتى يردعهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة، الآية:٧٣] جاءت هذه الآية مرتين بنفس النص في سورتي التوبة والتحريم، لكن الأمر في الآية لم يكن إلزاميًا، فالأمر بيد رسول الله ﷺ، فاختار أن يتعامل معهم باللين لا بالخشونة والقسوة بالرغم من كثير مما كان يعاني منهم، فلم يروِ لنا التاريخ حادثة واحدة أن رسول الله ﷺ قتل أحدهم، أو سجنه، أو عذبه، أو طرده، بل كان لهم مجال المشاركة في صلاة الجماعة مع المسلمين، وفي الحروب والغزوات، ويأخذون نصيبهم من غنائم الحرب، ولكن لماذا؟

لأن رسول الله ﷺ كان يدرك أن منهج الجذب واللين والعطف هو المنهج الصحيح، وهو المنهج الرباني الرحيم.

الحفاظ على وحدة المجتمع:

أولًا: من أجل الحفاظ على وحدة المجتمع وعلى وحدة الأمة، فحينما يستخدم القمع والقوة ضد أحد في المجتمع، فإن ذلك يوسع الشقّ بين الناس، وهناك من سيتعاطف مع هذا المقموع سواء كان على حق أو على باطل. وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هذا الجانب حينما اقترح عليه عمر بن الخطاب قتل أحد المنافقين، وذلك عندما عاد المسلمون من غزوة بني المصطلق، وبسبب خلاف بين مهاجري وأنصاري صار عبدالله بن أبي يؤلب على رسول الله ﷺ، وتحدّى أن يخرجه من المدينة: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾[سورة المنافقون، الآية:٨] **ساد الغضب المسلمين**

وجاء عمر يقول لرسول الله ﷺ: دعني أضرب عنق هذا المنافق. ولكن رسول الله ﷺ رفض، فقال عمر: إن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر أنصاريًا أن يقتله. فقال رسول الله ﷺ: «إذًا ترعد له أذن وأنف كثيرة بيثرب»[١]. هذا الرجل وإن كان على باطل لكن هناك من سيتعاطف معه، وهناك من سيدافع عنه، وقد تحدث القرآن الكريم عن وجود بعض المسلمين ممن لم يفهموا حقيقة المنافقين ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ فلو استخدم العنف مع المعارضين لحصلت انشقاقات في المجتمع الإسلامي الوليد.

سمعة الإسلام:

ثانيًا: لحفظ سمعة الإسلام والدعوة، وذلك يتبين من قول رسول الله ﷺ لبعض الصحابة حينما أشاروا عليه بقتل أحد المنافقين قال: «دعه لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه»[٢].

لو استخدم رسول الله ﷺ العنف لعمّق الخلاف بين المسلمين، وأعطى فرصة للكفار، ومن ناحية أخرى يعطي صورة مشوهة عن الإسلام. ولذا اختار طريق الاستيعاب والسماحة استجابة لله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٥٩].

إنه درس عظيم ومنهج حكيم، يحتاج إليه الأب في عائلته، والزعيم في جماعته، والحاكم في شعبه. وما نسمعه الآن على المستوى العالمي من رفض لاستخدام العنف والقوة مع الناس، إنما يؤكد سلامة وصحة هذا المنهج الذي سلكه رسول الله.

أمير المؤمنين وحرب المخالفين:

قد يستشكل إنسان، لماذا خاض أمير المؤمنين معارك ضد المخالفين، حيث

---

(١) السيرة الحلبية. ج ٢ ص ٥٩٧.

(٢) أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، ج ٤ ص ٢٥٠.

حرب الجمل، وصفين، والنهروان. والجواب أنه دخلها مكرهًا مضطرًا، وكان يسعى ألّا تكون، ولو لم يبدأوا استخدام العنف لما خاض الحرب وقاتلهم، وقد خاطبهم بنفسه: «لكم علينا أن لا نمنعكم دخول المساجد، ولا نقطع عنكم الفيء ولا نقاتلكم ما لم تثيروا فتنة»[١].

وكان أيضًا يحاورهم حتى يتراجعوا عن التوجه للقتال، كما في حرب الجمل، وكذلك في صفين، حيث بذل كل جهده في المراسلات والوعظ والإرشاد والحوار والمناظرة، وقد أعطاهم حريتهم في التعبير عن الرأي، ولكن حينما رفعوا السيف، وبدؤوا القتال حاربهم. هذا هو منهج الإسلام، وحري بالمسلمين في أوطانهم وحكوماتهم أن يتوخوا هذا المنهج، حتى لا يعطوا عن المسلمين صورة مشوهة بأنهم يتهاونون بسفك الدماء، ويقمعون من يخالفهم في الرأي، فهذه ليست الصورة التي ينبغي أن تكون عن الإسلام والمسلمين.

نسأل الله أن يوفق المسلمين أن يتمسكوا بسيرة رسول الله، وأن يسيروا على خطاه، وأن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

---

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ج ٣ ص ٢٤٠.

بث الأمل عند الشدائد

عن البراءِ بنِ عازبِ الأنصاريِّ قال: لما كان حين أمرنا رسولُ اللهِ ﷺ بحَفْرِ الخَنْدَقِ عَرَضَتْ لنا في بعضِ الخَنْدَقِ صخرةٌ لا نأخذُ فيها المَعَاوِلُ، فاشتَكَيْنا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فجاء فأخذ المِعْوَلَ فقال: بسم اللهِ، فضرب ضربةً فكسر ثُلُثَها، وقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشام، واللهِ إني لأُبْصِرُ قصورَها الحُمْرَ الساعةَ، ثم ضَرب الثانيةَ فقطع الثُلُثَ الآخَرَ فقال: اللهُ أكبرُ، أُعطِيتُ مفاتيحَ فارسٍ، واللهِ إني لأُبْصِرُ قصرَ المدائنِ أبيضَ، ثم ضرب الثالثةَ وقال: بسم اللهِ، فقطع بَقِيَّةَ الحَجَرِ فقال: اللهُ أكبرُ أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليَمَنِ، واللهِ إني لأُبْصِرُ أبوابَ صنعاءَ من مكاني هذا الساعةَ»[1].

واجه رسول الله ﷺ في مسيرته القيادية والدعوية محنًا شديدة، وظروفًا قاسية صعبة، ولم تكن الأمور في يسر وسهولة، فقد عانى في مكة من المشركين، وفي المدينة من مختلف الأطراف كاليهود والمنافقين، ومن تلك المواقف والمحن الصعبة التي مرّ بها، غزوة الخندق، التي تعرف أيضًا بغزوة الأحزاب، حيث اجتمع الكفار والمشركون أحزابًا ضد رسول الله ﷺ، فتحالف اليهود مع أكثر القبائل العربية كقريش، وغطفان،

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧هـ المكتبة السلفية، ج ٧/ ٤٥٨.

وبني مرة، وبني المصطلق، وبني فزارة، وغيرهم، فكونوا جيشًا قوامه عشرة آلاف مقاتل، مقابل ثلاثة ألاف مجاهد مع رسول الله.

وكان المسلمون في ذلك الحين يعيشون الفقر والعوز والحاجة الاقتصادية، كان يمرّ على المقاتلين اليوم واليومان وما عندهم طعام يأكلونه، حتى ربط رسول الله ﷺ حجر المجاعة على بطنه. فكان يصعب على المسلمين مواجهة ذلك الجيش الجرار، فاقترح سلمان الفارسي حفر الخندق حتى لا يستطيع جيش المشركين أن يزحف على المسلمين، وكانت هي الوسيلة الوحيدة التي يملكونها ليأمنوا عدوهم، ومع هذه الظروف القاسية الخطيرة فإن رسول الله ﷺ كان يحدث أصحابه عن انتصارات قادمة، وهي فتح الشام وفارس واليمن، حتى لا يفقد المسلمون ثقتهم بالله وبأنفسهم في مواجهة أصعب الشدائد والأزمات.

وقبل ذلك، يوم كان رسول الله ﷺ في مكة المكرمة، يعاني أشد الأذى من المشركين، لكن ثقته بالله كانت عظيمة، وكان يبث روح الأمل والثقة في نفوس من حوله. ومن أقسى الشدائد ما عاناه من حصار المشركين له ولأسرته في شعب أبي طالب الذي استمر ثلاث سنوات.

روى البلاذري عن ابن عباس قال: حُصِرنا في الشعب ثلاث سنين، وقطعوا عنا المِيرة حتى إن الرجل ليخرج بالنفقة فما يبايع حتى يرجع، حتى هلك من هلك. وقال ابن إسحاق وغيره: فأقاموا على ذلك ثلاث سنين حتى جهدوا، ولا يصل إليهم شيء إلا سرًا مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريش. حتى أكلوا ورق الشجر اليابس ليدرأوا به غوائل الجوع، وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب يتضورون من الجوع.

وقد لاقى العنف والقسوة من أهل الطائف أثناء سفره إليهم، قال ابن عقبة: وقفوا له صفين على طريقه، فلما مرّ رسول الله ﷺ بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة، حتى أدموا رجليه. وزاد سليمان التيمي: أنه كان

إذا أذلقته الحجارة يقعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديه ويقيمونه، فإذا مشى رجموه بالحجارة وهم يضحكون.

القائد وبثّ روح الأمل:

كانت ظروفًا صعبة تلك التي عاشها رسول الله ﷺ والمسلمون معه، وهنا يتجلى دور القائد الحكيم، الذي يستطيع بعث روح الأمل في أوقات الصعوبات والشدائد، فكل مجتمع يمر بالأزمات والشدائد، وقد يكون العدو أقدر وأكثر عدة، وقد يستطيع أن يوقع بهم مجزرة أو نكسة، ولكن على القائد، أن يشدّ من عزم أتباعه، ويبعث فيهم القوة.

أولًا: لأن الإنسان المؤمن إنما يعمل من أجل الله، والمسألة تتجاوز مقاييس الربح والخسارة، فهو يقصد إحدى الحسنيين، اما النصر أو الشهادة ويريد ثواب الله تعالى، فليس مهمًا لدى الإنسان المؤمن والفئة المؤمنة أن يتحقق المأمول فورًا، ولكن المهم هو أداء الواجب الذي يرضي الله تعالى.

ثانيًا: ما دام المؤمن يدافع عن الحق فإن الحق سينتصر أخيرًا؛ لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، وإذا كان للباطل دولة وصولة، فإن للحق عزة وغلبة ﴿وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. حركة التاريخ هي باتجاه القيم الصحيحة، قيم الحق والعدالة والحرية، لذلك يتجاوز المؤمن المحن مهما كانت مؤلمة، ونحن دائمًا نعيش في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين أرسوا مبدأ أن الدم ينتصر على السيف. قتل الإمام الحسين، ولكنه انتصر، بالرغم من كل ما حصل في كربلاء، ورغم كل ما وقع على أهل البيت عليهم السلام، لكنهم كانوا ينظرون بعين الله تعالى، ولذلك خاطبت العقيلة زينب يزيدَ قائلة: «فكد كيدك وناصب جهدك، واسعَ سعيك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا». والإمام الحسين كان يعلم بمقتله، إلا أنه يكتب إلى

بني هاشم حين خروجه: «من لحق بي منكم استشهد، ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح» يعتبر الشهادة فتحًا؛ لأنه باتجاه حركة التاريخ وفي اتجاه حركة القيم الإلهية.

فعلى المسلمين والمؤمنين في كل عصر أن يستلهموا هذه الروح من رسول الله ﷺ وأهل بيته، فلا تهزهم الشدائد، وأن يكونوا صامدين موقنين بدعم الله وعونه وكفى بالله حسيبًا.

الخطبة الأولى

الوسوسة وضررها على الإنسان

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ۝١ مَلِكِ النَّاسِ۝٢ إِلَـٰهِ النَّاسِ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ۝٤ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ۝٦﴾

[سورة الناس].

لحبّ الإنسان لذاته واهتمامه بحمايتها والدفاع عنها، فإنه عند الشعور بخطر يبحث عن ملجأ ينجيه منه. ومن الأخطار التي يواجهها الإنسان ـ وهذا من عجيب خلقته ـ تلك الأخطار التي من داخل نفسه، وهي حالات تحصل في نفسه تخيفه وتؤذيه، فيبحث عن مأمن وملجأ يحميه منها مع أنها في داخله. ومن تلك الحالات المخيفة التي تحدث داخل نفس الإنسان حالة الوسوسة، وهي حالة نفسية مزعجة يطلق عليه علماء النفس مصطلح: (العصاب القهري) أو (الاضطراب الوسواسي الجبري). وقد وضع فرويد أول وصف متكامل للعصاب القهري في كتابه (مقدمة عامة للتحليل النفسي) عام ١٩١٧م، بقوله: «ينشغل عقل المريض بأفكار غير سارة، ويشعر باندفاعات تبدو غريبة بالنسبة إليه، وأنه مدفوع ليؤدي أعمالًا لا تسره، وليس لديه القدرة على الامتناع عنها، وقد لا يكون للأفكار والوسواس معنى في ذاتها، لكنها مع ذلك، أفكار مثابرة ومسيطرة على عقل المريض دائمًا».

فما هو السبيل لمقاومة هذه الحالة المزعجة، وإلى من يلجأ الإنسان؟

في الآيات التي تبركنا بتلاوتها، وهي سورة الناس، يأمر الله سبحانه وتعالى نبيه المصطفى وجميع الناس، أن من أراد اللجوء إلى جهة تحميه من حالة الوسوسة فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.

العوذ يعني اللجوء والقصد، وإنما توجه الأمر لرسول الله ﷺ وهو أكمل خلق الله عز وجل، ليشعرنا بأن أي إنسان في أي مقام كان فهو في حاجة للجوء إلى الله تعالى، هذا اللجوء يستطبن أمرين:

الأول: هو الشعور بالحاجة فهو يواجه خطرًا أمامه ويحتاج من يحميه منه.

والأمر الآخر: الشعور بالثقة للجهة التي يلجأ إليها، وأنها قادرة على حمايته، ولا شك أن القدرة المطلقة بيد الله تعالى. الإنسان إنما يلجأ إلى الرب المدبر لشؤون الناس ﴿رَبِّ النَّاسِ﴾ إلى من يملك أزمة حياة الناس والكون ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ إلى الذي يجب أن يخضع لها جميع الخلق بالعبادة والطاعة ﴿إِلَـٰهِ النَّاسِ﴾. من ماذا يلجأ إلى هذه القوة الربانية؟ ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

الوسواس: كما يعبر عنه في اللغة هو الصوت الخفي، وهو يطلق على حديث النفس، كالخواطر والأفكار التي تعتمل في النفس.

الخنّاس: من الخنس، أي الاختفاء، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ أي النجوم التي تختفي بعد أن تظهر للناس في الليل. والواضح أن حالة (الوسواس) يكون ظهورها فترة في نفس الإنسان واختفاؤها عنه أوقات أخرى، فهي ليست حالة ثابتة في الغالب، ولهذا عبر عنها عز وجل ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾.

هذه الحالة المرضية التي تعني في معناها الأعمّ الأفكار المزعجة وغير السوية، تأتي من جهات غير واضحة، ومن أناس يعيشون حول الإنسان ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

حالة الوسوسة هذه التي تحدث داخل نفس الإنسان وعمقه، لا يمكن التخلص منها إلا باللجوء إلى الخالق عز وجل، فهو موجِد الإنسان والعالم بخفاياه: ﴿وَلَقَدْ

خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾. لذلك يعوذ الإنسان بالله تعالى من شرّ هذه الأفكار وهذه الهواجس التي تسيطر عليه.

والاستعاذة لا تعني التلفظ بقول أعوذ بالله فقط، وإنما هي حالة فكرية ونفسية وسلوكية، وعلى الإنسان أن يتجه بكل ذلك إلى الله تعالى، مؤتمرًا بأوامره، منتهيًا عن نواهيه، حتى يتغلب على هذه الحالة.

الوسوسة الفكرية:

في بعض الأحيان قد يواجه الإنسان وسوسة فكرية، فتكون عنده تساؤلات حول العقيدة والدين، حول الله عز وجل، وعلى الإنسان ألّا يهتم بمثل هذه الأفكار كما تشير إلى ذلك النصوص الدينية، جاء عن محمد بن حمران قال: سألت أبا عبدالله جعفر الصادق عن الوسوسة ـ والقصد هنا الوسوسة الفكرية ـ وإن كثرت؟ فقال: «لا شيء فيها، تقول لا اله إلا الله»[١].

البعض ينزعج كثيرًا من هذه الحالة، ويتساءل: لماذا تأتيني هذه الأفكار التي تشككني في ديني ومعتقدي، أفكار حول الله تعالى، حول المعاد، حول النبوة أو الإمامة؟

هذه الأفكار إذا كانت سوية فعلى الإنسان أن يبحث ويتعلم ليصل بالدليل والبرهان إلى الحق، ولكنها إذا كانت مجرد هواجس وخواطر تزعج ذهن الإنسان فعليه ألّا يكترث بها، جاء عن جميل بن دراج عن أبي عبدالله قال: قلت له: إنه يقع في قلبي أمر عظيم فقال: «قل لا اله إلا الله». قال جميل: فكلما وقع في نفسي شيء قلت: لا اله إلا الله فيذهب مني[٢].

(١) الكافي. ج ٢ ص ٤٢٤.
(٢) الكافي. ج ٢ ص ٤٢٤.

الوسوسة العبادية:

يبتلى الإنسان بعض الأحيان بالشك في الأعمال التي يتقرب بها إلى الله عز وجل، فيشك في صحة وضوئه، أو غسله، أو صلاته، وعلى الإنسان في مثل هذه الحالات أن يتحصن بالإرادة والتوكل على الله تعالى، وألّا يهتم لهذا الأمر، فإن الخضوع للوسوسة حرام كما يقول العلماء والفقهاء. ومطلوب من الإنسان الذي يكثر شكه أن يبني على الصحة، حتى لا تتكرس عنده هذه الحالة، فهي من الشيطان، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تعودوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة فتطمعوه، فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عوّد، فليمضِ أحدكم في الوهم، ولا يكثرن نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك»، قال زرارة: ثم قال: «إنما يريد الخبيث أن يطاع فإذا عصي لم يعد إلى أحدكم»[1].

أحد العلماء جاءه شخص كثير الشك في الصلاة وشكى له ذلك، فقال له: إنو أن تصلي هذه الصلاة التي تعتقد بطلانها قربة إلى الله تعالى وأكملها، فإن الله تعالى يقبلها منك ولا يقبل منك الإعادة والوسوسة.

الخضوع للوسوسة حرام، حيث يحوّل الدين إلى عقدة، والدين يسر، والصلاة مجال لراحة النفس واطمئنانها بذكر الله ﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّه تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يا بلال، أرحنا بالصلاة»[2]، ولكن الشيطان يريد أن يحوّل هذه الراحة إلى حالة مزعجة مَرَضية. في بعض الأحيان بسبب أجواء يعيشها الإنسان تصيبه هذه الحالة المَرَضية، وقد لاحظت أن بعض من يؤدون الحج تصيبهم حالة الشك بعد عودتهم من أداء مناسكه، ويبدو لي أن ذلك بسبب التشدد في طريقة التعليم حيث يعلّم الحاج هناك طريقة الصلاة والغسل والأعمال الواجبة، وإذا كان هذا التعليم غير واعٍ فقد يكون

---

(١) الكافي. ج ٣ ص ٣٥٨.

(٢) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج ٥ ص ٣٦٤.

سببًا لابتلاء المؤمن بهذه الحالة المَرَضية. وهذا لا يجوز؛ لأن الدين يسر وليس عسرًا.

الوسوسة الاجتماعية:

وهي الشك في التعامل مع الناس، حتى القريبين، وقد تحصل هذه الحالة بين الزوجين، فتنشأ حالة من التجسس والتدقيق في توافه الأمور بسبب الشك. وهذه حالة مَرَضية ينبغي الاستعاذة بالله منها، وعلى الإنسان أن يتعامل بحسن الظن مع الناس، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «سوء الظن يفسد الأمور، ويبعث على الشرور»[(١)]، ويقول: «لا إيمان مع سوء الظن»[(٢)].

الأصل في التعامل هو البناء على الصحة في أعمال الآخرين. حتى في قضايا الأكل، الحلال والحرام، فما يباع في أسواق المسلمين يبنى فيه على الصحة والحلية، إلا أن يعلم العكس، ولا يحتاج إلى البحث والسؤال، عن أبي بصير قال: سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن الرجل يأتي السوق فيشتري جبة فراء لا يدري أذكية هي أم غير ذكية (أي من جلد حيوان مذكى أم لا) أيصلي فيها؟ فقال: «نعم ليس عليكم المسألة» ويضيف الإمام: «إن أبا جعفر يعني أباه كان يقول: إن الخوارج ضيّقوا على أنفسهم بجهالتهم، إن الدين أوسع من ذلك»[(٣)].

إذًا على الإنسان أن يلجأ إلى الله تعالى بفكره ومشاعره وسلوكه، حتى يأمن من هذه الحالة التي يعاني منها في داخل نفسه.

نسأل الله تعالى أن يمن علينا وعلى الجميع بالصحة والعافية من جميع الأمراض الجسمية والنفسية.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) الشيخ الطوسي. تهذيب الأحكام، ج ٢، ص ٣٦٨، حديث١٥٢٩.

قوة الحكم برضا الشعب

جاء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في عهده لمالك الأشتر أنه قال: «وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل، وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضى الخاصة، وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة. و ليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء، وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالإلحاف، وأقل شكرا عند الإعطاء، وأبطأ عذرا عند المنع، وأضعف صبرا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة. وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء، العامة من الأمة، فليكن صغوك لهم، وميلك معهم»[1].

حينما يقرأ الإنسان الفكر السياسي لأمير المؤمنين عليه السلام يجده سابقًا لعصره وأوانه، فمن يقرأ النظريات السياسية الجديدة، والتجارب الإنسانية التي أنتجت تلك الأفكار السياسية، ويقرأ كلام أمير المؤمنين كعهده لواليه مالك الأشتر يجد أسبقية الإمام علي عليه السلام إلى هذا الطرح السياسي.

كما تتطور المجالات العلمية والاقتصادية في حياة البشر، فإن الجانب السياسي

(١) نهج البلاغة. كتاب ٥٣.

والاجتماعي أيضًا يتطور، ما يطرح الآن ويطالب به كثير من الشعوب من التداول السلمي للسلطة أسوة ببقية الدول المتقدمة، الذي يشارك فيه الناس في اتخاذ القرارات وإدارة شؤون حياتهم، وهو ما يسمى بالحكم الديمقراطي، الذي يعتبر أفضل صيغة وصلت إليها البشرية في إدارة الحكم، نجد أن أمير المؤمنين يشير إلى مضمونه في كثير من كلماته وسيرته.

حاشية الحاكم لا تحميه عند سخط شعبه

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يؤكد أن على الحاكم أن يهتم برضى عامة الناس، وأن يصغي لعامة شعبه، وألّا يولي كل اهتمامه لخاصته، فعلى طول الزمن والتاريخ هناك من يلتف حول السلطة من المنتفعين، والذين يعبر عنهم الإمام عليه السلام بالخاصة، والبعض يسميهم الحاشية أو البطانة، وعادة ما يجد الحاكم نفسه معنيًا بهذه الشريحة، فيعطيهم الامتيازات والمجالات الواسعة، ويكون ذلك على حساب بقية الشعب، فلا يصغي لصوتهم، ولا يهتم بمطالبهم وأوضاعهم، والإمام يحذر من هذا الأمر، ويلفت نظر مالك الأشتر إلى ذلك باعتباره أحد ولاته: «وأن سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة»؛ لأنه لو سخط العامة فماذا ينفع رضى الخاصة؟ في حين أن (سخط الخاصة يغتفر مع رضى العامة) ما دام الرأي العام راضيًا عنك، فإن سخط الأقلية وإن كانوا من الخاصة يذوب أمام رضى العامة.

ثم يحذر الإمام مالك الأشتر من حاشية الحاكم وبطانته وأنهم أتعب وأثقل على الحاكم ثم هم أقلّ عونًا له عند حاجته إليهم يقول عليه السلام: «وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤنة في الرخاء، وأقل مؤنة له في البلاء، وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شكرًا عند الإعطاء، وأبطأ عذرًا عند المنع، وأضعف صبرًا عند ملمات الدهر من أهل الخاصة».

ونحن نرى هذا جليًا في الأحداث الأخيرة التي وقعت في تونس ومصر وليبيا،

كيف أن الملتفين حول حكام تلك البلدان مدانون بسرقة أموال الشعوب، وأنهم مطلوبون للعدالة والمحاكمة. ونرى كيف أنهم أول من يتخلى عن الحاكم. في ليبيا نرى الآن كيف يتسلل خاصة القذافي عنه ويتبرؤون منه، والبعض منهم وقف ضده وطالب بإسقاطه! لأنه الآن أصبح في موقف ضعف، وأمام مواجهة شعب كامل، وما عادت عنده امتيازات يستطيع أن يوفرها لهم فتركوه.

يهرب الخاصة، ولكن تبقى العامة، يبقى الشعب، يناضل ويدافع، لذلك يؤكد الإمام على مالك أن يهتم بعامة الناس: «وإنما عماد الدين، وجماع المسلمين، والعدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صوغك لهم، وميلك معهم».

البشرية صراع ضد الاستبداد:

الإمام يطرح هذا التوجيه في ذلك الزمن، وكما قلنا مع تطور الفكر السياسي أصبح هذا الأمر واضحًا جليًا، تجاوزت البشرية كثيرًا من الحقب التي عانت المجتمعات البشرية فيها الاستعمار والرق والإقطاع، والآن هي في حالة مكافحة للاستبداد، الذي يعني السيطرة على الناس من دون رضاهم، وعدم مشاركة الناس في إدارة شؤونهم، وأغلب الدول العربية والإسلامية تعاني من هذا الجانب، والشعوب فيها تريد حكمًا سياسيًا ووضعًا اجتماعيًا شبيهًا بالنمط السائد في الدول المتقدمة، فالكل هناك يعطي رأيه، ويشارك في اتخاذ القرار، الناس يتطلعون إلى تحقيق مستوى أعلى من الحرية، والعيش بكرامة، ويطالبون بالعدل والمساواة. وعلى الحكام أن يعلموا أن الاستجابة إلى هذه التطلعات هي التي تضمن استقرار الوطن وأمنه، وهي ما تجعل الشعوب تلتف حولهم.

نسال الله أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين، وأن يمنّ على أوطاننا بالأمن والاستقرار.

الخطبة الأولى

العفاف سمة العبّاد والأشراف

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أفضل العبادات العفاف»[1]، وعنه أيضًا: «العفاف يصون النفس وينزهها عن الدنايا»[2].

لا تتكامل شخصية الإنسان في هذه الحياة إلا من خلال مواجهة التحديات، وإحراز النجاحات في الامتحانات التي يتعرض لها؛ لأنه بذلك يفجّر طاقاته ويزداد ثقة بنفسه، ولذلك فإن الله تعالى جعل الإنسان معرضًا للتحدي من داخل نفسه، حيث تتشكل نفس الإنسان من مجموعة غرائز عارمة مندفعة، تتطلب من الإنسان قوة وإرادة لكبحها، وهذا ما يجعله وجهًا لوجه أمام التحدي، وهنا يكون الامتحان، فهل يستطيع اجتيازه بنجاح؟

ليس المطلوب من الإنسان كبت شهواته، فهي لها وظائفها الإيجابية حينما تمارس بالطريقة الصحيحة، ولكن المطلوب هو الاقتصار في إشباعها ضمن الحدود المشروعة، وعندنا في النصوص الإسلامية مفاهيم ومفردات تشكل مفاتيح لهذا الالتزام القيمي ومن تلك المفاهيم (العفاف).

العفاف يعرف بأنه ضبط الشهوات، وذلك بأن يكون عند الإنسان ضوابط في

(١) الكافي ج٢ ص٧٩.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

ممارسة شهواته ورغباته، وقدرة للسيطرة عليها. الإنسان الذي يتاح له مجال ممارسة الشهوة لكنه يمتنع لأن تلك الممارسة خارج الاطار المشروع هذا يسمى عفيفًا، الله تعالى يخبر عن نبيه يوسف الذي كان في ريعان وعنفوان شبابه، كيف تعفف أمام إغراءات أجمل امرأة في مصر هي امرأة العزيز: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [سورة يوسف، الآية:٢٣].

ولأن من أبرز الشهوات السائدة بين بني البشر هما شهوة الجنس وشهوة المال، فقد جاء التأكيد على ضبط هاتين الشهوتين.

شهوة الجنس:

هذه الشهوة والغريزة تنطلق من أعماق نفس الإنسان، وخاصة في مرحلة عنفوان الشباب، مرحلة المراهقة، في هذه الفترة تكون الغرائز الجنسية عند الشاب مندفعة عارمة متأججة، وقد لا يكون من اليسير عليه أن يتوفر على الطريق المشروع لإشباع هذه الغريزة، أو قد يتوفر الطريق المشروع لكن طبيعة هذه الغريزة جامحة فيصعب السيطرة عليها، لذلك تجد أن بعض من يبتلون بالانحراف أشخاص محصنون، لديهم زوجات، لكن عنفوان هذه الغريزة مع عدم السيطرة وعدم توفر الإرادة تكون مدعاة لتعدي الحدود والضوابط، سيما في هذا العصر الذي تكثر فيها المغريات، ويسهل فيه الوصول إليها.

الإنسان الذي لا يتوفر له الطريق المشروع لتصريف طاقة غرائزه، عليه أن يكون ممسكًا بأزمة شهواته، يقول تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[سورة النور، الآية:٣٣] قد لا يتوفر لك الطريق المشروع دائمًا أو مؤقتًا بسبب كالغربة أو العجز المادي، فعليك أن تتحصن بمستوى عالٍ من العفة.

شهوة المال:

الأمر ذاته قائم تجاه شهوة المال، فالإنسان بطبعه يحب المال والثروة: ﴿زُيِّنَ

لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٤] حب الإنسان وطلبه للمال والثروة ليس في حدود الحاجة فقط، ورد في حديث عن رسول الله ﷺ: «منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم»(١). ترى بعض الناس عنده من الخير والثراء ما يكفي لميزانية دولة، لكنه يجور على حق عامل ضعيف، لا لحاجة، لكن نهم حب المال يدخله في هذه الحالة، لذلك يحتاج الإنسان إلى يقظة وإرادة ليفلح في الانفلات من أسر شهوة المال الطاغية، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأولئك هم المفلحون﴾[سورة الحشر، الآية: ٩].

على الإنسان أن يمتلك القدرة للسيطرة على شهواته حتى يكون عفيفًا، «فأفضل العبادات العفاف» كما يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويقول أيضًا: «العفاف يصون النفس وينزهها عن الدنايا» لأنه إذا انطلق الإنسان وراء شهواته فلن يقف عند حد، وخاصة في الجانب المالي. بعض الناس متدينون يؤدون الصلاة والصوم، ويبتعدون عن مثل الخمر والزنا، لكنهم يضعفون أمام حب المال والثروة، فيجورون على حقوق الآخرين وعلى المال العام.

وفي مجتمعاتنا وبلداننا الكثير من التلاعب بالأموال العامة، الموظف حينما يجد أمامه فرصة توفر المال بين يديه، ويعتبرها أموال الدولة، فيأخذ منها ما شاء، ما دام هناك ضعف في الرقابة، وينسى أو يتناسى أنها أموال الناس، وأموال الشعب كله، وليس له وجه حق في أي فلس يأخذه. لقد أصبح الفساد معششًا في مختلف الأرجاء والدوائر، تتاح الفرصة للموظف العادي، ويرى ضعف الرقابة، ويرى من فوقه ينهب ويسرق، فيتمادى هو كذلك، لأنه لا يستطيع الصبر أمام هذه المغريات، الإمام علي عليه السلام يقول: «الصبر عن الشهوة عفة»(٢).

---

(١) الكافي ج١ ص٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٦٣ حديث ١٢٩٤٥.

قد يرى الإنسان أن الصبر صعب، لكنه إذا جاهد نفسه وعودها سوف يسهل عليه الأمر «العفة تضعف الشهوة»(١) كما يقول علي ﷺ.

قوة الإرادة أمام الشهوات

كلما مارس الإنسان العفة تقوت إرادته، وما أحوج كل إنسان إلى قوة الإرادة، التي تتوفر عن طريق أمور وأسباب:

الأول: الارتباط بالله تعالى، فقراءة القرآن والإكثار من الدعاء، ومراقبة الله تعالى، والصلاة، كلها أمور تربط الإنسان بالله تعالى وتمنحه فرصة للتأمل والتفكر.

الثاني: الوعي، يقول الإمام علي ﷺ: «من عقل عف»(٢). العاقل يعرف بأن للحرام لذة عاجلة، ولكن ماذا بعد هذه اللذة؟ «تزول اللذة وتبقى التبعة» سوف يرى نفسه أمام مشاكل تقضّ مضجعه، ومن أهمها لوم النفس وتوبيخها: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [سورة القيامة، الآية:٢] كما يقول تعالى في كتابه الكريم.

الثالث: الأجواء الصالحة، على الإنسان ألّا يُضعف إرادته بالحضور في الأجواء الفاسدة، الشيطان لا ينقل الإنسان مرة واحدة للحرام، وإنما بالتدريج، لذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ حيث يتدرج الشيطان مع الإنسان خطوة خطوة، يُهوّن له الأمر في البداية، ثم يرغبه له، ثم يوقعه فيه، وكل خطوة يتقدمها الإنسان مع الشيطان يكون التراجع عليه أصعب، لذا على الإنسان أن يلتفت للأمر من البداية ويرفض الاستجابة من اللحظة الأولى.

---

(١) مستدرك الوسائل ج١١ ص٢٧٥ حديث ١٢٩٨٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

العلاقة التعاقدية بين السلطة والشعب

ورد عن أمير المؤمنين علي في خطبة له عليه السلام: « ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها الا ببعض. وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لالفتهم وعزاً لدينهم فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على إذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء وإذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالي برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور»[1].

هذا مقطع من كلام طويل لأمير المؤمنين علي عليه السلام، يتحدث فيه عن الحقوق المتقابلة بين أبناء البشر.

إن أية علاقة بين الناس لا بُدّ وأن تتضمن حقوقًا متقابلة بين الطرفين، ليست هناك

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٢١٦، من خطبة له عليه السلام بصفين.

علاقة يكون فيها الحق لطرف واحد، ويجرّد فيها الطرف الآخر من حقوقه. بل إن أمير المؤمنين يشير إلى مسألة مهمة، حتى في علاقة البشر بربهم سبحانه وتعالى، الذي خلق الناس، والذي أعطى نعمة الوجود وكل شيء لهم، مع ذلك رتّب بينه وبين عباده حقوقًا متقابلة. يقول: «لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ وَ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ وَ لَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَ لَا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَ لِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ وَ لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ وَ جَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ».

العلاقة بين الحاكم والشعب:

ثم يتكلم الإمام علي عليه السلام عن حق الوالي وحق الرعية، التي هي من أعقد العلاقات بين بني البشر. الحاكم بيده أمور الناس ومقدرات البلاد، وإذا لم يحصل التزام بالحقوق المتبادلة، وكان هناك جور على الحقوق فإن أوضاع المجتمع والبلاد تصبح في خطر كبير، ولهذا تتأكد أهمية إصلاح هذه العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

وتكشف لنا تجارب الزمن والحياة: أن أهم أسباب المشاكل والاضطرابات التي تحصل بين بني البشر، تكون بسبب الخلل في العلاقة بين الحاكم والمحكوم. إذا صلحت هذه العلاقة عاش الناس حالة الأمن والاستقرار، ومتى اختلت سلب الأمن وتلاشى الاستقرار، فالناس يكونون غاضبين، والحاكم يكون شاكًا في ولاء الشعب له، وفي التفافهم حوله، وهنا تنفرط الأمور، وتصبح البلد مهزوزة ومهيأة للاضطرابات والأخطار، لذلك جاءت النظريات السياسية إضافة إلى النصوص الدينية متجددة في كل زمن من الأزمان، لأن العلاقات بين بني البشر تتطور مع تطور الزمن.

العلاقة بين الأب وأبنائه في أساليبها تتغير مع تغير الزمن، لو أراد الأب أن يتعامل مع أبنائه كما عامله أبوه، وأن يعامله أبناؤه كما عامل هو أباه، فهذا أمر صعب ولا ينتظم، لتغير الزمن. نعم من حيث جوهر العلاقة القائمة من جهة الأب كعطف ورعاية،

والاحترام من جهة الأبناء هذا شأن إنساني مطلوب في كل العصور، لكن الأساليب والصيغ الخارجية تختلف من جيل لآخر.

وكذلك الحال في العلاقات الزوجية، فما عادت الزوجة تتعامل مع زوجها وفق ما كان عليه النساء في الأزمان الماضية، ولا الزوج كذلك، وذلك توافقًا مع تغير نمط الحياة الذي أوجد تغيرًا كبيرًا في نمط التعامل بين الناس، وهذا أمر واضح، كما هو الحال مثلًا بين العلاقة بين ربّ العمل وعماله، هناك الآن أنظمة وقوانين جديدة فرضها تطور الحياة الإنسانية، ولم يعد بإمكان ربّ العمل أن يتعامل مع عماله حسب رغبته ومصلحته كما كان في الماضي.

وكذلك في مجال العلاقات السياسية بين الحاكم والمحكوم، لا يمكن لحاكم في هذا الزمن أن يطلب من شعبه أن يتعاملوا معه كما كان الناس يتعاملون مع السلطات في ماضي الزمان، اختلف الوضع وارتقى مستوى وعي الناس وفكرهم، وانفتحوا على بقية الشعوب، وصار عندهم نضج سياسي، فلا بُدّ من مواكبة التطورات وتغيير نمط العلاقة.

عدم مواكبة الزمن هو الذي يوجد الشرخ والخلل في العلاقات، وما نلحظه من توترات سياسية اجتماعية في الشرق الأوسط، من مظاهرات وثورات وانتفاضات واحتجاجات، سببه الرئيس وجود خلل في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، علاقة بالية معطوبة في كثير من البلدان، وما لم تجدد هذه العلاقة وتصلح سوف لا تستقر الأمور.

نحو علاقة تعاقدية:

عاشت المجتمعات الغربية أوضاعًا مثل أوضاع المجتمعات العربية الآن، وقد عالجوا الأمر بإنشاء عقد يضبط علاقة الحاكم بالشعب، وعلاقة الناس مع بعضهم، وقد أطلق المفكرون الغربيون من القرن السابع عشر الميلادي على هذا العقد (العقد الاجتماعي). تأسيسًا على أن الشعب هو مصدر السلطة، كان هناك من يعتقد أن

السلطة مصدرها السماء، فهي التي تعين هذا الشخص حاكمًا على هذا الشعب، ونحن المسلمين نرى بأن هذا الشيء يكون في حالة المعصوم الذي يختاره الله تعالى لقيادة الناس، أما في غير هذه الحالة فإن السلطة تكون بإرادة الناس، وحتى المعصومين كالأنبياء والأئمة إنما قادوا الناس بعد أن اقتنع الناس بهم، ولم يأتوا عن طريق انقلاب عسكري، ولم يفرض أحدهم على الناس قوته، ومن ثم يحكمهم بالقهر، الناس يقتنعون فيتبعون. من الناحية الشرعية عليهم واجب الانقياد والطاعة للنبي، لكن إذا لم ينقادوا ولم يؤمنوا فهو لا يفرض عليهم سلطته ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية: الآيتان: ٢١-٢٢].

الدول الحديثة الآن قائمة على أساس هذا العقد الاجتماعي، الذي يعطي السلطة شرعية من داخل الشعب، وباقتناع ورضا. ويمكننا أن نفهم البيعة للإمام أو للحاكم في هذا السياق، فهي ليست مظهرًا شكليًا بل هي بمثابة توقيع على هذا العقد.

ويطلق على نصوص هذا العقد عنوان الدستور، يلزم الحاكم بواجباته ووظائفه، ويلزم الرعية بواجباتها ووظائفها تجاه الحاكم، كما ينظم شكل العلاقات داخل المجتمع، هذه الحالة الدستورية هي التي تجلب الاستقرار وتجعل العلاقة سوية في المجتمعات، وإذا لم يكن هناك تصحيح للعلاقة من هذا المدخل، وكانت العلاقة مختلة فإن النتائج هو ما نراه الآن من ثورات وانتفاضات في مختلف البلدان، لماذا لا يتحقق هذا التغيير والتحول في بلاد العرب والمسلمين بسهولة مع ما نراه من ثورة عارمة؟

إن التغيير الذي حصل في الدول الأخرى حتى وصلوا إلى نظام العقد الاجتماعي لم يمر هكذا بسلام، لم يبادر الحكام الأوربيون مثلًا لتغيير نظام حكمهم لنفحة هداية حلت في قلوبهم، وإنما مرت الشعوب بمخاض عسير حتى ولد هذا الواقع الجديد الذي يعيشونه. وما يجري الآن في كثير من دول العالمين العربي والإسلامي هو مخاض آخر سيولد به واقع جديد إن شاء الله.

نسأل الله تعالى أن يوفق ولاة أمور المسلمين لإصلاح أمورهم مع شعوبهم لكي يختصروا الزمن والطريق، وحتى لا نقع في كثير من الخسائر والتضحيات. نحن رأينا ما حصل في تونس ومصر، كان الحاكم في البداية يتردد ويتمنع، ولكن في الأخير لم يجد أمامه بدًا من الاستجابة، ولو استجاب من البداية لوفر الخسائر والتضحيات، ولكانت سمعته أفضل عند شعبه وفي سجلات التاريخ. ما حصل ينبغي أن يكون عبرة حتى يتحقق الأمن والاستقرار، فهو مصلحة للجميع، ليس هناك من يرغب في القلاقل والمشاكل، ولكن حين يكون هناك خلل في العلاقة فسيكون هناك سعي لإصلاح هذا الخلل.

ما يجري الآن في ليبيا مثلًا والعالم كله يتابع يوميًا ما يحصل هناك، نرى كيف أن عسكريًا (القذافي) نزا على الحكم منذ أربعة عقود من الزمن، وأصبح يتعامل مع الناس بتعالٍ وكبرياء، ويسمي نفسه (ملك ملوك أفريقيا) و(زعيم العالم الإسلامي)، ويعبر عن نفسه بأنه العز والمجد والشرف، وأن وطنه وشعبه لا قيمة له إلا به! الناس هناك يطالبون بإصلاح هذا الخلل، وأن يكون الحاكم منتخبًا من قبلهم وبإرادتهم، ويكون بينهم وبينه عقد ملزم، ولكنه يصر على ممارسة الاستبداد والديكتاتورية والتفرد، والنتيجة المزيد من الخسائر، وإعطاء فرصة سانحة للدول الغربية الطامعة في خيرات هذه البلاد لتحقيق ما تصبو إليه.

نسأل الله تعالى الأمن للجميع في كل بلاد المسلمين.

الخطبة الأولى

كيف ننزع الغلّ من الصدور؟

﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[سورة الحشر، الآية:١٠]

كل إنسان في علاقاته البينية مع الآخرين، قد يحصل له ما يثير انزعاجه، ويصيبه بالاستياء، وذلك بسبب اختلاف الرأي، أو تضارب المصالح، أو تفاوت الأمزجة، وهذا أمر طبيعي. فالإنسان كتلة من العواطف والمشاعر، ومن طبيعته التأثر بما يمر عليه من مشاهد ومواقف، فليس المطلوب من الإنسان أن يكبت مشاعره وأحاسيسه، ولكن المطلوب هو السيطرة على هذه المشاعر، والتحكم في ردة الفعل، والمدى الزمني لتفاعله مع أمر ما. كما أن عليه السعي لحل أي مشكلة تنشب بينه وبين الآخر قريبًا كان أو بعيدًا.

كيف نحل المشكلة؟

أولًا: على الإنسان ألّا يغفل عن أي مشكلة تكون بينه وبين الآخرين، فقد تؤدي إلى مضاعفات سيئة، من صالحه أن يسعى لحلها، وليس من الصحيح أن يكون راغبًا في استمرارها. في الحكم الجديد لتركيا (حكومة حزب العدالة والتنمية بقيادة رجب أردوغان)، وضعوا نصب أعينهم إستراتيجية (تصفير المشاكل) في علاقتهم مع الدول المجاورة، بحيث يصل مستوى هذه المشاكل إلى الصفر ضمانًا لاستقرار الدولة ونموها، وهذا ما حصل بالفعل حيث تحسنت علاقاتهم مع كل الدول المجاورة

وأصبحوا يتمتعون باحترام إقليمي كبير.

العقل والشرع يدفعان الإنسان لمعالجة مشاكله مع الآخرين، وأن يبادر لحلها «وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١] كما ورد في حديث رسول الله ﷺ.

رواية جميلة عن الإمام الهادي عليه السلام: «العتاب خير من الحقد»[٢] بدل أن تأخذ الظنون مأخذها من الإنسان تجاه الآخر، ويتحول الأمر العادي إلى تشاحن وبغضاء، على الإنسان أن يتكاشف وينفتح على من وقعت المشكلة معه، بالعتاب والسؤال، فلعلّ أمرًا خفيًا عليه لا يعلمه، وبوضوحه تنجلي المشكلة. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ ما دام الطرف الآخر قد بادر بفتح صفحة جديدة، فلا تتردد في قبول ذلك، ولا تضع شروطًا تعجيزية، اجنح للسلم كما جنح له، فالسلم خير من العداوة والبغضاء. ورد عن علي عليه السلام: «وَ لَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ و لِلَّهِ فِيهِ رِضًا»[٣].

ثانيًا: مطلوب من الإنسان ألّا يثقل قلبه ونفسه بمشاعر العداء طويلًا. انزعاج الإنسان من شخص ما أو جهة ما يسبب له عبئًا ثقيلًا على نفسه. نسيان موضوع المشكلة خير للإنسان نفسه، سيّما إذا مرّ عليه زمن، ومن نعم الله تعالى على الإنسان نعمة النسيان في مثل هذه الموارد، يتفاعل مع أي مشكلة تمر عليه ولكن بمرور الزمن ينساها أو تخف وطأتها على نفسه. هناك البعض من الناس يحب أن يتذكر هذه المشاكل ويشنج نفسه، ويرهقها بها، وهذا ليس في صالحه، أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «من اطّرح الحقد استراح قلبه ولبه»[٤]، لأن القلب يضطرب بالمشاكل، والفكر ينشغل بها. هناك من الناس من يسعى لنسيان المشاكل بمجرد أن يغادر المكان أو

---

(١) صحيح البخاري، ج ٧. ص ١٢٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) نهج البلاغة. خطبة ٥٣.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

يأتي عليه يوم آخر، وهناك من تمر عليه السنون وهو يتذكر المشكلة وكأنها حصلت للتو، يقول علي عليه السلام: «الحقود معذب النفس، متضاعف الهمّ»[١]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «حقد المؤمن مقامه ثم يفارق أخاه فلا يجد عليه شيئًا»[٢]، وكأن قلب المؤمن كقلب الطفل، فالأطفال يتشاجرون ويتعاركون، ولكنهم يلتقون بعد لحظات ويلعبون مجددًا وكأن شيئًا لم يكن! وفي رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام: «المؤمن يحقد ما دام في مجلسه، فإذا قام ذهب عنه الحقد»[٣].

الأحقاد أغلال القلوب:

بقاء الأحقاد في نفس الإنسان يحولها حسب تعبير القرآن الكريم إلى (غِل)، والغل بالكسر، كما يقول اللغويون، مصدر غلَّ يغِلُّ، وهو مأخوذ من مادة غلل، التي تعني تخلل شيء وثبات شيء، أي تسرب شيء ما إلى مكان ما، ومن ثم يثبت فيه. وحينما يتسرب الحقد إلى نفس الإنسان ويستقر فيها ويتعزز يسمى (غل)، وهو الضغن يبقى في نفس الإنسان، أو الحقد الكامن في الصدر. الله تعالى يقول عن المؤمنين أنهم يطلبون منه عز وجل أن يزيح عن قلوبهم الأحقاد والأضغان، ربنا ﴿لا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ لا تترك الحقد يبقى في قلوبنا، فيتحول إلى غلّ على أي فرد ينتمي إلى نفس الدائرة التي ننتمي إليها وهي الإيمان.

والمؤمنون هم من ينتمون إلى دائرة الإسلام، وآيات القرآن الكريم تتحدث أن أهل الجنة لا يدخلون الا بعد أن يُنزع الغل من صدورهم، يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ ماذا يعني نزع الغل من المؤمنين في الجنة أو قبل دخول الجنة؟ هناك معنيان:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) بحار الأنوار ج ٧٢، ص ٢١١.

(٣) تحف العقول ص٣١٠.

المعنى الأول: أن الأحقاد والمظالم التي بينهم في الدنيا تُصفّى قبل دخولهم الجنة. كما في حديث يرويه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾، قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[١].

يمر الناس على الصراط فوق جهنم وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ من هوى فإنه يقع في النار مباشرة، ومن ينجو يسير حتى يصل إلى موقع بين الجنة والنار لتصفية المشاكل وتسويتها مع الآخرين ثم يدخل الجنة. لذلك على الإنسان أن ينزع هذه الأغلال في الدنيا حتى لا تعرقل وتؤخر سيره إلى الجنة، وهناك الأمر رهيب، فالخلاص منها في الدنيا أخف وأسهل.

المعنى الثاني: أن حياة المؤمنين في الجنة ليس فيه مجال للحقد أو الحسد، مع أن في الجنة مراتب، وأن الشخص يرى من هو أرقى أو أقل منه درجة، ولكن أسباب التحاسد والتباغض التي في الدنيا غير موجودة في الجنة، والنفوس هناك غير مهيأة لتقبل هذه المشاكل، الكل يعيش الألفة والمحبة ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ﴾.

وهنا سؤال مهم، وهو: لماذا يتحدث القرآن عن هذا الجو السلمي الجميل في الجنة؟

أولًا: لتشويق المؤمنين للجنة.

وثانيًا: حتى يقتدوا بهذه الحالة المتميزة ويحاولوا أن يقتربوا من أجواء الجنة، بأن ينشروا نفحات الجنان بينهم في الدنيا.

نسأل الله أن يطهّر قلوبنا من الأحقاد والأضغان، وأن يجعلنا من أهل التسامح والعفو ومن أهل المبادرة للصلح مع الآخرين.

---

(١) صحيح البخاري، البخاري، ج ٧، ص ١٩٧.

الخطبة الثانية

بهجة قلب المصطفى

ورد عن أم المؤمنين عائشة قالت: «ما رأيتُ أحدًا أَشْبَهَ سَمْتًا ودَلًّا وهَدْيًا برسولِ اللهِ في قيامِها وقعودِها من فاطمةَ بنتِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، قالت: وكانت إذا دَخَلَتْ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم قام إليها فقَبَّلَها وأَجْلَسَها في مَجْلِسِهِ»[1]. وزاد الحاكم في رواية أخرى، وكانت إذا دخل عليها رسول الله ﷺ قامت إليه مستقبلة وقبلت يده[2].

ونحن على أعتاب ذكرى وفاة سيدة نساء العالمين الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، لا بُدّ أن نتشرف بذكر شيء من سيرتها وفضائلها العطرة. الأحاديث التي ترويها مصادر الحديث من مختلف المذاهب عن رسول الله ﷺ في حق ابنته فاطمة الزهراء أحاديث كثيرة، وحينما يقف الإنسان أمامها متأملًا فإنه يستطيع أن يستنتج منها الكثير. ومن هذه الأحاديث نذكر ما يلي:

ورد عن رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها»[3].

---

(١) سنن الترمذي. ج٤، ص٥٣٩، حديث ٣٨٧٢.

(٢) المستدرك، الحاكم النيسابوري، ج ٣، ص ١٦٠.

(٣) كنز العمال ج ١٢، ص ١٠٧.

وعنه ﷺ: «أحب أهلي إليَّ فاطمة»[١].

وعن علي أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من وراء الحجاب: يا أهل الجمع، غضوا أبصاركم عن فاطمة بنت محمد حتى تمر»[٢].

وفي حديث نقله البخاري: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»[٣].

وفي حديث آخر قال لفاطمة: « أَلَا تَرْضَينَ أن تكوني سيِّدَةَ نساءِ أهلِ الجنَّةِ »[٤].

وفي حديث عنه ﷺ: «نزل ملك من السماء فاستأذن الله أن يسلّم عليَّ فبشرني أن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»[٥].

وعنه ﷺ: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[٦].

وفي حديث عن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «فداك أبي وأمي»[٧].

وفي حديث آخر قال: «فداها أبوها»[٨].

هذه الأحاديث الكثيرة يمكننا أن نستنتج منها أمورًا:

مكانة فاطمة:

الأول: اظهار مكانة فاطمة وعظمتها؛ لأن الرسول لا ينطق عن الهوى، كلامه ليس

(١) المستدرك ج ٢، ص ٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٦٦، حديث٤٧٢٨.

(٣) صحيح البخاري. ج٢٩، ص٤٨٠، حديث ٣٧٨٧.

(٤) علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٢، طبعة ١٤٠٦هـ، (مؤسسة المعارف)، ص ٣٢١.

(٥) كنز العمال ج ١٢، ص ١١٠.

(٦) المستدرك على الصحيحين. ج٣، ص١٦٧، حديث٤٧٣٠.

(٧) المستدرك ج ٣، ص ١٧٠، حديث٤٧٤٠.

(٨) ابن شهر آشوب. مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ١٢١.

من باب العاطفة، لو لم تكن فاطمة مستحقة لهذا القول منه لما قاله، إذًا نحن نستطيع أن نفهم من هذه الأحاديث شيئًا من مقام فاطمة الزهراء ﷺ بمقدار استيعابنا لا كل قدرها ومقامها، ويكفي أنها في المباهلة كانت ممثلة لجميع نساء الأمة بنص الآية الكريمة: ﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ الرسول ﷺ كانت له تسع زوجات، ولديه عمات وصحابيات جليلات، لكنه خرج بابنته فاطمة لتمثل كل نساء الأمة.

الحق مع فاطمة:

الثاني: تزكية سيرة ومواقف الزهراء ﷺ، هذه الأحاديث تدل على أن مواقف الزهراء وكلامها صحيح وحق، فهي تزكية لكل مواقفها وسيرتها، وهذا يعني أننا حينما نقرأ في التاريخ أن أي خلاف بين فاطمة وبين أي أحد آخر لا بُدّ أن يكون الحق معها، لأن الله يرضى لرضاها ويغضب لغضبها، وأحب الناس لرسول الله ﷺ فهل يمكن أن يقع الخطأ في مواقفها؟ حينما نقرأ ما حصل بعد وفاة رسول الله ﷺ من مطالبة الزهراء بفدك علينا أن نعلم أن هذه الأحاديث تستدعي تزكية مواقف السيدة الزهراء وأن قولها يمثل الحق.

نموذج للتربية السليمة للفتيات:

الثالث: هذه الأحاديث تشير إلى منهج التربية السليم للبنات، الإسلام جاء في بيئة كان الناس ينظرون فيها للبنت نظرة دونية، فالولد هو المفضل، بينما البنت ينظر لها نظرة دونية، ويوثق القرآن الكريم هذا المشهد الجاهلي بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ﴾.

وجاء رسول الله ﷺ ليقود البشرية إلى المنهج الصحيح، ويدشن عهدًا جديدًا للتعامل مع المرأة، كانوا يعيشون حياة المعارك والحروب، فيعطون الأولوية لكل ما

يمثل قوة لهم، وهذا مصدر اهتمامهم بالولد، إضافة إلى المفاهيم والأراء السلبية التي كانت عندهم عن المرأة، حتى جاء الإسلام برسالة جديدة نسف بها النظرة الدونية للبنت، بل نرى روايات تميّز موقع المرأة حيث كان رسول الله ﷺ يبارك لمن تكون بكرها بنتًا، وهذا ما نستفيده من رواية الإمام موسى بن جعفر عن آبائه عن رسول الله ﷺ: «من يُمْنِ المرأة أن يكون بكرها جارية»[١].

ولأن البنت لديها مخزون كبير من العاطفة، تهيئة للدور الذي تقوم به باعتبارها الأم التي تنتج وتربي الأجيال، لذلك فإنها في مرحلة التربية والتنشئة بحاجة إلى الكثير من الرعاية، ولنا في رسول الله ﷺ في تعامله مع بضعته الزهراء أسوة حسنة، فأحاديثه التي تبيّن جانبًا من عظمة ومكانة الزهراء، تمثل أنموذجًا لتربية الفتيات ومراعاة مشاعرهن. يروي ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور»[٢]، لأن البنات يحتجن إلى رعاية عاطفية في تنشئتهن أكثر من الصبيان.

ونحن وإن كنا في هذا العصر المتقدم، إلا أن دول العالم الإسلامي كان يجب أن تكون سبّاقة في حسن التعامل مع المرأة، وفي إجلالها وتكريمها، لكن يبدو أن رواسب الجاهلية وتسربات تلك المفاهيم لا تزال تتوارث في مجتمعاتنا، ولذلك تعاني المرأة في مجتمعاتنا إلى الآن من النظرة الدونية، فلا يزال موضوع مشاركة المرأة في الشأن العام ومكانتها في المجتمع فيه الكثير من التهميش والإجحاف، وهذا مخالف لتعاليم الدين.

البعض من الناس يرون أن الدين يأمر بذلك، وأن الدين يريد للمرأة أن تكون في موقعية أدنى من موقعية الرجل، ولكن عند البحث السليم، والخروج من التقاليد والأعراف، لا نرى صحة لهذا الرأي والتوجه، ومن المؤسف جدًا أن شعوب العالم

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص ٣٠٤.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢١، ص ٥١٤.

غادرت تلك الحالة ولكننا لا نزال نناقش هل يصح للمرأة أن تقود السيارة أم لا؟ هل يجوز لها أن تشارك في الانتخابات البلدية أو المجالس البرلمانية أم لا؟

علينا أن نتساءل: لماذا لا تشارك؟ وما المانع في ذلك؟ أليس ما يتخذ من قرارات تنعكس على حياتها ومصيرها؟ لماذا للرجل حق المشاركة ولا يكون ذلك للمرأة؟ هذا كله بسبب ترسبات الجاهلية وبسبب الأعراف والتقاليد المتخلفة.

حتى في الجانب الاجتماعي فإن البنت تعيش حالة من الكبت خلافًا للولد، الذي ينعم بمجالات كثيرة للترفيه عن نفسه كالنوادي الرياضية، وأماكن التنزه، وقيادة السيارة، وما شابه، وكذلك الحال في المجال الوظيفي فإن فرص الولد أكثر بكثير من البنت. أفلا يكون هذا الكبت مدعاة لكثير من المشاكل التي تقع فيها الفتيات؟

ماذا تعمل البنت في هذا العصر مع انفتاحها على العالم وهي تشعر بالدونية؟ كتب عليها أن تكون مكبوتة مزوية في البيت، وهذا له أثر سلبي، إضافة إلى تعرضها في كثير من الأحيان إلى حياة القسوة والجفاء العاطفي، حيث وجود فجوة كبيرة بينها وبين والديها لضعف الرعاية والاهتمام، وهذا ما يلجئ كثيرًا من الفتيات إلى اتخاذ طرق خاطئة، والتعرض للابتزاز من قبل ذوي النفوس الضعيفة، مع وجود الوسائل المتقدمة كالإنترنت والجوال.

وتتحدث الصحف المحلية عن تكرر حالات هروب فتيات من منازلهن، فما الذي يدفع فتاة أن تهرب من بيت أسرتها؟ لولا وجود دافع لذلك، ولو لا أنها تفقد الدفء والحنان والأمن في البيت. ونسمع عن ظاهرة أخرى وهي إقدام فتيات على الانتحار!، كما تكشف عن ذلك كثير من الإحصائيات من قبل المستشفيات المحلية، من إقدام فتيات على الانتحار بين الرابعة عشرة والعشرين من العمر، حيث تصلهم في كل أسبوع من حالة إلى حالتين!

أفلا يكشف هذا عن نوع من الإهمال للبنات؟

حينما نقرأ روايات تعامل النبي مع ابنته الزهراء، فعلينا أن نهتم ببناتنا وحسن التعامل معهن، وعلى المجتمع أن يوفّر أماكن يستطيع من خلالها الاستفادة من طاقات الفتيات وإبراز قدراتهن، حتى يشاركن في بناء المجتمع.

نسأل الله أن يثبتنا على محبة الزهراء وأن يكتب لنا شفاعتها.

الخطبة الأولى

إحياء روح الأمل والرجاء

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾
[سورة الزمر، الآية:٥٣]

حين تبقى جذوة الأمل متقدة في نفس الإنسان فإنه يشعر بقيمته في هذا الحياة، ويندفع للعمل والتحرك في خدمة ذاته وتحقيق مصالحه، أما إذا خبت جذوة الأمل من نفس الإنسان، وأصابه اليأس والقنوط، فإنه يحكم على نفسه بالانتهاء والإلغاء، لأن طاقته تتجمد، وفاعليته تشل، وقد يدفعه اليأس للتوغل أكثر في الطريق الخطأ الذي سار عليه، لهذا يحتاج إلى روح الأمل في كل مجال من مجالات حياته، سواء الجانب الصحي أو الاقتصادي أو السياسي والاجتماعي، وكل ما له شأن مرتبط بحياته.

فروح الأمل عند الإنسان على الصعيد الصحي تدفعه للبحث عن علاج لما يلاقيه من أسقام، وبها يستطيع تجاوز الأمراض والتغلب على آلامها، وهذا أمر يؤكده العلماء والأطباء.

وفي المجال العلمي فإن الطالب الذي يدرس ولديه أفق مفتوح ويعيش الأمل، يجد ويثابر من أجل تحقيق آماله وتطلعاته، بخلاف الطالب الذي يشعر بنوع من اليأس والإحباط فإن الأفق أمامه يكون ضيقًا، وسرعان ما يستسلم للانهزام والفشل والتقاعس في تحقيق النجاح. لذلك تجد هناك أعلامًا كان حالهم حال بقية الطلبة يدرسون نفس

المناهج ولكن تميزوا بما عندهم من إصرار وروح أمل للمثابرة وتحقيق النجاح، فاخترعوا واكتشفوا وطوروا النظريات التي درسوها.

كتب بعض الناجين من كوارث الغرق: كنت أصارع الأمواج وكان زميلي بجانبي فكنت أشجعه على مصارعة الأمواج، والتحلي بالشجاعة، والتطلع إلى النجاة، لكنه كان يقول بأن الأمر قد انتهى ولا فرصة في النجاة. حاولت تشجيعه أكثر من مرة، لكنه كان مستسلمًا، فكان مصيره الغرق ومصيري النجاة.

شاهد آخر ما يحدث في فلسطين، عقود من الزمن والفلسطينيون يعانون الضيم والاحتلال، والعالم كله يتآمر ضدهم، لكنهم لم ييأسوا بل ظلت جذوة الأمل متقدة في نفوسهم، واستمروا في مقاومتهم وصمودهم، وبالتالي بدأ العالم يعترف لهم بتقرير المصير وقيام الدولة الفلسطينية.

في العلاقة مع الله تعالى:

في مجال علاقة الإنسان بربه عز وجل، فإنه يحتاج إلى إبقاء جذوة الرجاء وقّادة في نفسه. الإنسان كبشر قد يسير في طريق الخطأ، فيعصي ربه، وإذا ما رأى العبد أن باب التوبة موصد في وجهه، وأنه لا مجال للتراجع، فإنه سيزداد في غيه وطيشه، وسينتابه شعور بالضياع والإهمال، لكن هذا العبد ما خُلق ليشقى. إن الله عز وجل رؤوف رحيم، بل هو أرحم الراحمين، لم يخلق العباد ليأنس بشقائهم، بل خلقهم وبيّن لهم طريق الهدى، وإذا ما ساروا في طريق الخطأ فإن ذلك لا يعني النهاية، بل يمكنهم الرجوع، وطَرق باب التوبة، والأمر متاح لهم ما داموا على قيد الحياة، لذلك يخاطب الله عباده بقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ يخاطبهم بخطاب فيه رقة وشفقة ولين: ﴿يَا عِبَادِيَ﴾ ولم يصفهم بالكفر والانحراف والمعصية.

وتستمر لغة الشفقة هذه في تبيين السبب: ﴿الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ لم يحدثهم

بالذنب والجرم والمعاصي، بل خاطبهم بالإسراف على أنفسهم، وفيه دلالة على الشفقة، ولم يقل أسأتم إليَّ بل إلى أنفسكم، لماذا أسأت إلى نفسك أيها العبد؟ عصيانك هذا يعود بالضرر عليك أنت، وليس على الله عز وجل، فلو أن كل العباد عصوا فإن ملك الله تعالى لن يتأثر بمقدار ذرّة، ومع ذلك يفتح لهم باب الأمل والرجاء: ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ الله﴾ تعالوا واستغفروا عن كل ذنب ﴿إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وذلك لأنه ﴿الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

دور المبلغين في إشعال جذوة الأمل:

الآية الكريمة توجه خطابها للنبي الأكرم محمد ﷺ (قل) يا محمد لعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ألّا يقنطوا من رحمتي فإني غفار أغفر الذنوب جميعًا، لكن هذا الخطاب ليس خاصًا برسول الله ﷺ، بل يتوجه لكل الدعاة والمبلغين الذين يحملون على عاتقهم واجب هداية الناس، وتبليغ أحكام الله تعالى، فإن عليهم إيقاد جذوة الأمل في نفوس الناس، عليهم أن يتعاملوا مع الناس باللين واللطف، لا بالقسوة والشدة، عليهم أن يرغبوهم للتوبة والعمل الصالح، لا أن ينفروهم ويرهبوهم. هذا ما تؤكد عليه الآية الكريمة وغيرها من الآيات.

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ وَ لَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ»[1] الفقيه هو العارف بمفاهيم الدين والمتحمل تبليغها، وهذا عليه أن يكون متوازنًا في دعوته، فلا يبالغ في التحذير والتقريع حتى يسد أبواب الرجاء على من عصى جهلًا كان أو عمدًا. عليه أن يجعلها مفتوحة أمام الناس مهما كانت درجة السوء والخطأ في الطرف الآخر.

لذلك يؤخذ على بعض الجهات الدينية في تعاملها مع الشباب سيما في هذا العصر، الخطاب العنيف الجاف، والنظرة الشزراء، والشدة في التعامل، وهذا يعمق

(١) نهج البلاغة. حكمة ٩٠.

المشكلة ويكرسها في المجتمع؛ لأن الشباب والناس بشكل عام يحتاجون إلى حديث يستقطب مشاعرهم، ويعطيهم الأمل للفوز بجنات الآخرة، والسعادة في الدنيا.

كان من وصايا أمير المؤمنين علي ﷺ لابنه الإمام الحسن ﷺ: «أي بني، لا تؤيس مذنبًا، فكم من عاكف على ذنبه ختم له بخير، وكم من مقبل على عمله مفسد في آخر عمره، صائر إلى النار نعوذ بالله منها»[1] مهما كان هذا الإنسان مذنبًا لا تشعره باليأس وكأنه الطريق الذي لا رجعة فيه، هناك من سار على هذا الدرب وختم له بخير، كما ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ»[2].

لذلك على الإنسان أن يكون يقظًا دائمًا، وألّا يتمادى في عصيانه ما دام باب التوبة مفتوحًا أمامه، فالله تعالى يباهي ملائكته بعبده التائب، ويفرح به، كما جاء عن رسول الله ﷺ: «الله أفرح بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضّال الواجد، ومن الظمآن الوارد»[3] وذلك لأن الله يريد الخير والسعادة لعباده لا شقاءهم، وقد ورد عن الإمام الباقر ﷺ: «إن الله تعالى أشدّ فرحًا بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدّ فرحًا بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها»[4].

على المبلغين أن يفتحوا أبواب الأمل في نفوس الناس، وعلى الناس ألّا يحكموا على غيرهم، فالله تعالى، ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ ورد عن جندب الغفاري أن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلًا قال يومًا: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله عز وجل: من ذا الذي تألى عليّ أن لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عمل

---

(١) تحف العقول ص ١٠٠.

(٢) الكافي ج ٢، ص ٤٣٥.

(٣) كنز العمال، ج ٤، ص ٢٠٥.

(٤) وسائل الشيعة ج ١٦، ص ٧٣.

المتألي بقوله: لا يغفر الله لفلان»[١].

وقيل إن مجوسيًا استضاف إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: إن أسلمت أضفتك، فمر المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم، لم تطعمه إلا بتغيير دينه، ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك؟ فمرّ إبراهيم يسعى خلف المجوسي، فردّه وأضافه، فقال له المجوسي: ما السبب فيما بدا لك، فذكر له، فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني؟ ثم قال: أعرض عليَّ الإسلام فأسلم[٢].

وقد وجدنا كثيرًا من الشباب حينما تتاح لهم الفرصة بمرشد يفتح لهم قلبه يتحولون من شباب مجرمين إلى قادة للشباب المؤمن التائب.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص٣٣٦.

(٢) أبو حامد الغزالي. إحياء علوم الدين، ج٤، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، (بيروت: دار الهادي)، ص٢٢٥.

الازدواجية والكيل بمكيالين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللَّه أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّه كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[سورة النساء،الآية: ١٣٥].

حينما يريد الإنسان أن ينطلق في حكمه على شخص ما، أو جهة معينة، فعليه أن يعتمد معايير صحيحة ثابتة، وأن يطبقها في جميع مواردها دون استثناء، ولا يصح أن يعتمد الازدواجية في تطبيق المعايير. فإذا كان هناك موقفان متشابهان، فإن الحكم ينبغي أن يكون نفسه، بغض النظر عن مدى ارتباطه بهذا الموقف أو ذاك.

يفرض الله سبحانه وتعالى على الإنسان أن يكون قوّامًا بالقسط، أي العدل، ﴿كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ وأن يكون عدلًا حتى إذا كان هو طرفًا في القضية، فلا يكابر بل عليه أن يعترف بخطئه ﴿وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ﴾ لا ينبغي تغيير المعايير القيمية إذا كان الشخص طرفًا في القضية، أو والداه، أو أحد الأقربين، ولا فرق (إن يكن غنيًا أو فقيرًا) فلا يصح مناصرة الفقير تعاطفًا معه ضد الغني، ولا مناصرة الغني لجاهه ضد الفقير.

ازدواجية المعايير:

النصوص الدينية والعقل السليم، يدعوان الإنسان إلى أن يكون قيميًا، وأن يستخدم

المقاييس الصحيحة في كل مورد، لكن مشكلة بني البشر هي اتباع الهوى، وهذا ما يشير له القرآن الكريم: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى﴾ فتتغير المقاييس حسب الهوى، وهذا ما يعاني منه المجتمع البشري، حيث تحكمه ازدواجية المعايير.

على المستوى الدولي:

من يتابع ويسمع تصريحات ومواقف الدول الكبرى مما يجري في الشرق الأوسط، لا يرى أنها على نسق واحد، وعلى معيار واحد، فهي مختلفة في الحكم مع تشابه ذات القضية! يُظلم شعب ويعتدى على حقوقه ومقدساته على مسمع ومرأى من دول العالم، فيسكتون أو يبررون أو يرفضون على خجل، بينما في مكان آخر يتحركون ويصرخون بقوة ويرسلون قواتهم، بحجة الدفاع عن حقوق الإنسان، نحن مع هذا الشعار، ولكنا لسنا مع الكيل بمكيالين، لماذا يعمل هذا الشعار في بلد ولا يعمل في بلد آخر؟ لماذا هذا الموقف يكون تجاه شعب دون آخر؟ السبب واضح وهو وجود المصالح، اقرأ الواقع بعناية ستجد دور المصالح في تحديد المواقف، لو كان معيارهم بحق حماية المدنيين، ورعاية حقوق الإنسان، لتوحدت مواقفهم وردات فعلهم.

على المستوى الديني:

الأمر لا ينحصر في الجانب الدولي فقط، بل حتى على المستوى الديني. يفترض من كل عالم أن يعتمد القيم الدينية في حكمه على كل موقف، وأن يناصر المظلوم ويندد بالظلم مهما كانت جهته حتى لو كان الظالم شخصًا له علاقة به، ولكننا مع الأسف نرى بعض هؤلاء العلماء والمؤسسات تغض الطرف عن مظالم شعب هنا، وتتحدث عن مظالم شعب آخر هناك! ترفض الظلم هنا، وتقبله في مكان آخر! إذا كان الظلم مرفوضًا، ومسؤولية العالم رفض الظلم، فينبغي أن يكون هذا المعيار نافذًا في كل مكان، لماذا حينما يكون الظلم واقعًا على شعب ينتمون إلى مذهبي أناصرهم وأعتبرهم ثوارًا شرفاء، وقتلاهم شهداء، وحينما يكون الشعب المظلوم لا ينتمي إلى

مذهبي أرفض اعتبارهم ثوارًا وشهداء، وأتهمهم بالطائفية والفتنة؟

هذه مواقف وأحكام لا يصح أن تكون من عالم أو مؤسسة تدّعي الإسلام، وقد رأينا هذه المواقف في كثير من الحالات، حديثًا وقديمًا، فحينما دخلت القوات الأجنبية إلى العراق، ونحن نرفض التدخل الأجنبي، ولكن نتساءل: لماذا شنعوا حينها على العراقيين سيما الشيعة منهم لأنهم استعانوا بالغرب والكافر والمحتل، وقالوا بأن مراجعهم سكتوا، بينما نجد هذا المقياس اختلف في وضع الليبيين؟ نحن نشعر بما يعانيه الليبيون، ولكن لماذا تكون الازدواجية في المعايير؟ بعض علماء المسلمين، عابوا على شعب العراق مطالبتهم بتدخل الدول العظمى، حينما ذاقوا أشد ألوان العذاب من بطش صدام وجنوده، وهم الآن يؤيدون مواقف الدول الغربية فيما فرضته من حضر جوي على ليبيا، والثائرون الليبيون يطالبون بتدخل بري من قبل القوات الأجنبية، وذلك للخلاص من القذافي؟! نحن لسنا بصدد الحكم على صحة هذا العمل أو خطئه، ولكننا نريد أن نقول لا للازدواجية في تطبيق المعايير والقيم.

على المستوى الفردي:

وإذا نظرنا على المستوى الفردي نجد تورط كثير من الناس في هذا الأمر حتى في الأمور الاجتماعية، أتذكر أن أحد الآباء جاءني يشكو المطالب الكثيرة الباهظة التي تطلبها عائلة زوجة ابنه، وكان يتحدث بتألم، وأن هذا لا يجوز ولا يرضي الله تعالى. بعد فترة جاءتني عائلة تشكو من مطالب باهظة تطلبها منهم عائلة زوج ابنهم، وكان والد البنت هو ذات الشخص الذي جاءني من قبل شاكيًا نفس الحال. فتعجبت وحدثته معاتبًا، وقلت له بأنك كنت تعتب على من يقوم بهذا العمل، لأن فيه مشقة على الآخرين، الآن أنت تعمل نفس العمل؟ فكان تبريره أن البنت تريد أن تفرح بليلة عرسها، وهي ليلتها الوحيدة!

لماذا لم يكن هذا الحكم منطبقًا على زوجة ابنه؟ ألم تكن ليلتها الوحيدة هي

الأخرى؟

ولا ينحصر هذا الأمر في تقييم المواقف، بل حتى في تقييم الأقوال، فإذا كان القائل شخصًا أحبه آنس بحديثه وأقبله على عواهنه، وإذا كان من شخص آخر لا يعجبني أرفضه حتى لو كان صحيحًا! ذات مرة نشر شخص مقالًا ونسبه إلى شخصية مرموقة، فكانت التعليقات إيجابية للغاية، وبعد فترة وضع ذات المقال وقال أحببت أن أصحح لكم أنني أخطأت في المرة السابقة حيث نسبت المقال لفلان ولكن الصحيح أنه لفلان، فجاءت تعليقات سلبية على المقال!

العدل أساس الحكم:

هذا كيل بمكيالين، على الإنسان أن يقوّم المواقف والأقوال بعيدًا عن الأهواء، انظر إلى ما قيل لا إلى من قال. في رواية جميلة تقول إن الحارث بن حوط جاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائلًا: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة؟

فقال علي عليه السلام: «يَا حَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ»[1].

على الإنسان أن يقوّم الأشخاص بالحق، لا أن يقوم الحق بالأشخاص. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «خذوا الحق من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق، كونوا نقاد الكلام»[2]. إنسان منهجه باطل لكن قال كلمة صحيحة فخذها منه، وإنسان من أهل الحق قال كلمة خطأ، فاضرب بها عرض الحائط وقل له أخطأت يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾.

في حديث جميل عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «واقبل الحق ممن جاء به من صغير أو

(١) نهج البلاغة. حكمة ٢٦٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٩٦.

كبير وإن كان بغيضًا بعيدًا، واردد الباطل على من جاء به وإن كان حبيبًا»[١].

إرهابي يخنق كلبًا:

في إحدى الحدائق العامة في نيويورك الأمريكية، وأمام مرأى من الناس هناك، هجم كلب على أحد الأطفال، وحاول افتراسه وسط دهشة الناس وعدم تحرك أي منهم للمساعدة، عندها اندفع شاب من بين المتفرجين وأبعد الكلب عن الطفل، ودخل في مصارعة شرسة معه حتى تمكن من خنقه حتى الموت.

أعجب الناس بما حدث، وبدؤوا يصفقون للشاب الشجاع الذي أنقذ حياة الطفل من موت أكيد. بعدها اقترب من الشاب مصور صحفي، وهنأه على شجاعته، وأخبره بأن جريدته ستنشر خبر هذه الحادثة في صفحتها الأولى تحت عنوان (شاب نيويوركي ينقذ طفلًا من موت أكيد). فرد عليه الشاب بدون تردد: «ولكني لست من نيويورك»! قال الصحفي: «إذن سأجعل العنوان (بطل أمريكي ينقذ طفلًا من الموت)»، فاعترضه الشاب مرة أخرى ليقول: «ولكني لست أمريكيًا»! فسأله الصحفي بغضب عن أصله بعد أن نفذ صبره، فرد الشاب: أنا شاب مسلم من باكستان...!!

في اليوم التالي ظهرت الجريدة وهي تحمل عنوانًا رئيسًا على صفحتها الأولى «إسلامي متشدد من باكستان يخنق كلبًا حتى الموت في إحدى حدائق نيويورك..!!».

هذه ازدواجية في تقييم المواقف والأحكام، يرفضها الدين والعقل السليم.

---

(١) كنز العمال، ج ١٥، ص ٨٧٦.

الخطبة الأولى

العجب بالنفس مانع للتفوق

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[سورة النساء، الآية:٤٩]

حين يمتلك الإنسان بعض نقاط القوة، ويحقق شيئًا من النجاح والتقدم، فإن عليه أن يراقب نفسه حتى لا يصيبه مرض عادة ما يترصد بالمتفوقين الناجحين، وهو مرض العُجب. حيث يعجب الإنسان بنفسه، ويرى أنه الأفضل، ويحصل لديه تضخم ذاتي، فيرى نفسه عظيمًا لا يمكن تخطيه، ومتفوقًا لا يمكن هزيمته. هذه الحالة تشكل مصدر خطر للإنسان إذا استفحلت لديه، حيث تفقده مكاسب تفوقه وتقدمه، وهذا يحصل للإنسان كفرد، ويحصل للجماعة أو الأمة، ولهذا فإن الله تعالى يحذر المؤمنين من هذا الخطر يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: انظر بتأمل، وراقب بحذر تصرفات وممارسات الآخرين، فإذا رأيتهم قد أصيبوا بهذا الداء فعليك أن تخشى على نفسك حتى لا تصاب مثلهم ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ وليس المقصود الذين يطهرون أنفسهم، بل الذين يدعون لأنفسهم الطهارة والعلو، هؤلاء الذين يرون أنفسهم منزهين عن كل خطأ، وسيرتهم لا مجال للنقد فيها.

ونريد هنا أن نسلّط الضوء على بعض الانعكاسات السيئة لمرض العجب:

1. التوقف والتراجع:

يجب أن يعرف الإنسان أن مشواره في طريق الرقي والكمال مشوار طويل، والأفق

أمامه مفتوح، فإذا وصل إلى درجة من التقدم والتميّز، فعليه ألّا يغتر بنفسه، ويظن أنه وصل إلى الغاية، وتربّع على القمة، لأنه حينئذٍ سوف يتوقف.

حين يصعد الإنسان جبلًا وهدفه القمة، ثم يصل إلى نقطة ويظنها القمة فسوف يتوقف، أما إذا كان يعلم أنها ليست هي القمة، ولا تزال عنده الهمة، فسوف يواصل طريقه.

الإنسان الذي يتفوق ويتميز عليه أن يعلم أنه في بداية الطريق، وأن يجتهد حتى يبدع في ذات المجال، ويفكر في التفوق في مجالات أخرى، والوصول إلى درجات أرقى، ليس هناك مجال له حدّ ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ سيما المجال العلمي ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ وعلى الإنسان أن يطلب من ربه الاستزادة: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

وهذا لا ينحصر في الجانب الفردي فقط، بل حتى على مستوى الأمة والمجتمع، فأيّ مجتمع إذا أصيب بداء العجب، وظن أنه أفضل المجتمعات، وأنه حقق أفضل الإنجازات، وما عاد ينقصهم شيء، حينئذٍ لن يكون هناك تفكير في مواصلة مشوار التقدم، بل ربما حدا بهم الأمر إلى التراجع، وهذا ما يحذر منه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله: «الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ الِازْدِيَادَ»[1] وعنه عليه السلام: «ما أضرّ المحاسن كالعجب»[2] تكون عند الإنسان محاسن، ولكن العجب يحولها شيئًا فشيئًا إلى نقاط ضعف. ويقول أيضًا عليه السلام: «شرّ الأمور الرضا عن النفس»[3] ويقول عليه السلام: «من كان عند نفسه عظيمًا كان عند الله حقيرًا»[4].

وفي حديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من قال أنا عالم فهو جاهل»[5] من

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ١٦٧.

(٢) عيون الحكم و المواعظ.

(٣) عيون الحكم و المواعظ.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٥) بحار الأنوار. ج ٢، ص ١١٠.

ادّعى أنه أحاط بالعلم فهو جاهل؛ لأن العلم لا يحاط به. وعن علي عليه السلام: «من ادّعى العلم غايته، فقد أظهر من الجهل نهايته»(١) لذلك على الإنسان الحذر ومراقبة النفس، حتى لا ينقطع عن مواصلة مشواره و السير باتجاه التقدم.

2. عدم الالتفات إلى النواقص

أي إنسان مهما كانت درجة كماله فإنه معرض للخطأ والنقص. وحالة العجب تمنع من الالتفات إلى النواقص ونقاط الضعف، على الصعيدين الفردي والاجتماعي، وبالتالي تتعمق الفجوات والثغرات. ورد عن الإمام علي عليه السلام: «العجب يوجب العثار»(٢).

3. تجاهل قوة الآخرين:

على الإنسان أن يعرف أنه ليس وحده يمتلك نقاط قوة، فالآخرون حوله لهم نقاط قوة يتميزون بها. لكن الإعجاب بالنفس يمنع الإنسان من ملاحظة ما يتمتع به الآخرون من تميّز، جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: «من لا يعرف الفضل لأحد فهو المعجب برأيه»(٣) يظن نفسه الوحيد الذي يعرف ويفهم ويحوز الفضائل والمكارم، فيتعالى على الآخرين، ولا يحترم كفاءاتهم، فيعيش معهم حال العداء، بدل الاحترام المتبادل والتكامل. ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «ثمرة العجب البغضاء»(٤) فالناس لا يتحمّلون المتغطرس الذي لا يرى لغيره فضلًا.

من هنا على الإنسان أن يراقب نفسه كفرد، وكذلك على المجتمع الحذر واليقظة حتى لا تسوده أجواء النرجسية والتعالي، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام أن هذه الآية الكريمة

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) مستدرك سفينة البحار، ج ٧، ص ٨٧.

(٤) عيون الحكم و المواعظ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ﴾ نزلت في اليهود والنصارى الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾، ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾.

ومن هنا تنشأ حالة التعصب العرقي والديني بسبب تضخم الذات. لذلك وردت نصوص كثيرة تحذر من هذا المرض، ورد عن الإمام الصادق ﷣: «من أعجب بنفسه هلك ومن أعجب برأيه هلك»(١).

وورد أن المسيح عيسى بن مريم ﷣ قال: «داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه. فقيل: يا روح الله، وما الأحمق؟ قال: المعجب بنفسه ورأيه، يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه، ولا يوجب عليها حقًا، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته»(٢).

بينما يصف أمير المؤمنين ﷣ المتقين أنهم يعيشون حالة أخرى: «لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ. فَهُمْ لأنفسهم مُتَّهِمُونَ، ومن أعمالهم مشفقون، إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِن غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسي! اللَّهُمَّ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ»(٣).

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والتزام مكارم الأخلاق.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٣٢٣.

(٣) نهج البلاغة. خطبة ١٩٣.

العدل غرض الرسالات ووظيفة الدولة

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٥].

يندفع كل إنسان في هذه الحياة من أجل تحقيق رغباته وخدمة مصالحه، ولأن المصالح في الحياة مشتركة بين الناس، يحصل تضارب وتصادم، فيعتدي هذا على حق هذا، ويتجاوز هذا على حدود ذاك، كأفراد أو كجماعات.

من هنا شعر الإنسان منذ الأيام الأولى لوجوده الاجتماعي بالحاجة إلى قيادة وإدارة، ومع مرور الزمن تبلورت فكرة الدولة في المجتمع البشري، هذه الدولة مهمتها أن تنظم حياة الناس، بوضع القوانين والأنظمة، والعمل على تطبيقها. لتضمن الدولة لكل فرد فيها حياة كريمة، وأمنًا بحيث لا يعتدي أحد على حقه، وأهم وظيفة تناط بالدولة هي إقامة العدل بين الناس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالأدلة والبراهين الواضحة، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ وهو الشريعة والدين، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي المعايير والمقاييس في حياة البشر نابعة من فطرتهم وعقولهم، هذه المعايير هي التي تجعل الناس يبحثون عن العدل والحق، وتجعلهم ينفرون من الظلم والباطل. ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ والقسط هو العدل.

لم تكن مهمة الأنبياء نشر حالة عبادية روحية بين البشر فحسب، بل إن المنهج العبادي والتربية الروحية تشكل أرضية لتحقيق وإقامة العدل.

الثروات الكونية متاحة لكل بني البشر ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يصح أن تستأثر بها فئة دون الأخرى، وأن يتنعم بها أحد ويحرم منها آخر.

فلسفة وجود الدولة

لا بُدّ من وجود إدارة في المجتمع البشري، تحفظ النظام العام، وتنفذ القوانين والأنظمة التي تحمي حقوق الناس فيما بينهم. ولتقريب الصورة نأخذ مثلًا نظام المرور، كل إنسان يقود سيارته ليصل إلى وجهته، ولكن لا بُدّ من نظام مرور حتى تسير الحركة بيسر، وإذا ما انعدم هذا النظام يكون هناك تعارض وتصادم، كما نلحظ عند انطفاء إشارة المرور حيث قد تشل الحركة وتقع الحوادث.

لا بُدّ من وجود النظام في كل مجال، ومهمة الدولة في المجتمع البشري هي تحقيق العدل، ولكننا نجد في ماضي التاريخ وحاضره أن الدولة قد تتنكر لوظيفتها وتصبح أداة للظلم، وتستأثر بالثروات والخيرات على الناس. الدولة لا تملك الثروات، بل هي من ينظم استفادة الناس من هذه الثروات، وتحمي تكافؤ الفرص بين الناس، وإذا انحرفت أي دولة عن هذا المنهج فذلك يعني أنها خالفت الهدف الأساس من قيامها ووجودها، وحينئذٍ قد تكون سببًا لفقدان الاستقرار، ولذلك ينبه أمير المؤمنين علي عليه السلام أحد ولاته: «اسْتَعْمِلِ الْعَدْلَ وَ احْذَرِ الْعَسْفَ (أي الاعتداء) وَالْحَيْفَ (أي الظلم) فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَ الْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ»[1].

الحاكم العادل أو النظام العادل

في الماضي كان الفلاسفة والعلماء يتحدثون عن شخص الحاكم العادل، كما كان أفلاطون يركز على هذا الجانب، حيث يرى أن الحاكم ينبغي أن يكون فيلسوفًا

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٤٧٦.

عالمًا حتى يستطيع تحقيق العدل بين الناس، وبعض علماء المسلمين أيضًا ركزوا على عدالة شخص الحاكم. لكن المجتمعات المتقدمة تجاوزت هذه المرحلة، فالمسألة لا ترتبط بشخص الحاكم فقط، وإنما بسياسات ومؤسسات النظام، فكل النظام ينبغي أن يكون عادلًا، وليس شخص الحاكم فقط. فقد يكون شخص الحاكم عادلًا، لكن ذلك لا يفيد إذا كانت الأنظمة غير عادلة. ولا تتيح للناس تكافؤ الفرص، فإن العدل بين أبناء المجتمع لا يتحقق.

في المجتمعات الغربية أصبحت الأنظمة أقرب إلى العدالة، لم تصل بعد إلى المستوى المطلوب، وفق القيم الإسلامية، ولكنها نسبة إلى واقع الدول الأخرى في مستوى متقدم. الشعوب في الدول المتقدمة يشعرون برضًا عن تكافؤ الفرص عندهم، وبإمكانهم المشاركة في اتخاذ القرار، فالدولة لا تستأثر بذلك، بل بإمكان أي فرد أن يطمح للحصول على مقعد متقدم في الدولة، وصولًا إلى رئاستها. لو سألت شابًا أمريكيًا مثلًا: هل يمكن أن تصبح يومًا من الأيام رئيسًا لأمريكا؟ فلن يكون السؤال غريبًا بالنسبة له، وقد يجيبك بنعم. ولكنك لو سألت شابًا عربيًا نفس السؤال فسيظن أنك تهزأ به!

المجتمعات المتقدمة استطاعت أن تصل إلى نظام أقرب للعدالة مع وجود تكافؤ للفرص، والمشاركة في اتخاذ القرار، والتوزيع العادل للثروة. هناك أنظمة ارتضتها تلك المجتمعات أنها تناسب وضعها، والمجال مفتوح أمامهم للتغيير والتطوير، ولذلك حياتهم أقرب إلى الاستقرار، وإنجاز التقدم، بينما مجتمعات العالم الثالث لا تزال تتخبط في الصراعات والقلاقل، ونحن نرى الآن ما يجري في الشرق الأوسط، حيث لا تكاد تجد بلدًا إلا وفيه ثورة أو تمرد وانتفاضة، أو تململ واحتقان، لأن كثيرًا من هذه الدول لم تصل إلى النظام العادل الذي يحقق تكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع.

الدين الإسلامي يؤكد على هذا الجانب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾

أي العدل. والإمام علي بن أبي طالب يقول: «العدل جُنة الدول»[١] أي الدول التي تريد الاستقرار فلا بُدّ أن ترسخ وتنشر العدل بين الناس فهو الحصانة والدرع لكيان الدولة. ويقول أيضًا: «العدل يصلح الرعية»[٢] و: «بالعدل تتضاعف البركات»[٣] حيث تكون فرص التنمية متاحة للناس. ويقول أيضًا: «ما عمرت البلاد بمثل العدل»[٤].

هكذا يؤكد الإسلام على أهمية العدل. وورد في تراث المسلمين: «أن الملك يدوم بالعدل مع الكفر، ولا يدوم بالظلم مع الإسلام» لأن الظلم دمار ويخلق أرضية للاضطرابات.

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٢٠.

(٤) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٢٠.

الخطبة الأولى

العداوة خلل طارئ والمحبة هي الأصل

﴿عَسَى اللَّـهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّـهُ قَدِيرٌ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٧ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[سورة الممتحنة، الآيتان: ٧-٨].

الأصل في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان هي المحبة والتعاون على تسيير أمور الحياة المشتركة، علاقة قائمة على أساس الأنس والألفة، فاللغويون يقولون إن مفردة (الإنسان) مشتقة من الأنس؛ سمي بذلك لأنه خلق خلقة لا قوام له إلا بأنس بعضه ببعض. ونحن نرى مظاهر ذلك مثلًا عند الأطفال، حيث تراهم ينجذبون لبعضهم بعضًا، بغض النظر عن مختلف الفوارق التي يراها أهاليهم، ونرى تجليات الإنسانية الأصيلة في حالة الكوارث الطبيعية، حيث يكون هناك تعاطف وتناسٍ لجميع الفوارق، ونرى كذلك استيحاش الإنسان إذا عاش بمفرده مبتعدًا عن بني جنسه، فلو عاش في جزيرة مترامية الأطراف وحده، ورأى ذات يوم إنسانًا مثله فإنه سيأنس بوجوده، مهما كان يختلف عنه لغة أو لونًا أو عرقًا أو انتماء. لذلك كان من أشد وسائل التعذيب التي تستخدم في السجون هو السجن الانفرادي.

هذا كله يدل على انشداد الإنسان لأخيه الإنسان، ولكن قد تطرأ حالات تسبب سوء

تفاهم وعداوة بين الأفراد أو الجماعات. العداوة حالة طارئة خلاف الأصل، لكن هذا الأمر يغيب عن بال كثير من الناس. فيعتقد أن التاريخ سيقف عند موقف معين، وأن هذه العداوة ستستمر إلى يوم القيامة، وهذا نابع من الغفلة والجهل. الإنسان الواعي فردًا أو مجتمعًا إذا حصلت بينه وبين آخر عداوة، ينظر إلى هذه العداوة على أنها حالة طارئة، ويتصرف على هذا الأساس عبر المنهجية التالية:

أولًا: السعي لتقصير أمد الخلاف

وردت نصوص كثيرة تحث الإنسان على ألّا يستمتع بوجود حالة العداوة مع أي كان، وأن يسعى لتجاوزها، جاء عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «الاستصلاح للأعداء بحسن المقال وجميل الفعال أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال»[١]، هذا كلام أشجع الناس الذي لا يخاف المعارك، لكن هذا الشجاع لا يرى الحرب مع الآخرين بطولة إذا كان هناك مجال للهروب منها وتجاوزها، ويقول عليه السلام: «من استصلح عدوه زاد في عدده»[٢]، ويقول عليه السلام: «من استصلح الأضداد بلغ المراد»[٣].

لذا على الإنسان أن يتعامل مع أي عداوة على أنها طارئة ويعمل من أجل إزالتها، والآية الكريمة جاءت في سياق الحديث حول علاقة المسلمين مع الأعداء الكفار، ﴿عَسَى اللَّـهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ هؤلاء الكفار الذين تعادونهم، والله يطلب منكم البراءة منهم باعتبارهم أعداءً، عليكم أن تعرفوا أن العداوة التي بينكم وبينهم ليست حتمية ولا أبدية ﴿وَاللَّـهُ قَدِيرٌ وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثم يشير إلى أن عليكم أيها المؤمنون خلق الأجواء المناسبة لتقصير أمد هذه العداوة ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّـهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّـهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ تعاملك الجيد مع المخالف هو الذي يصنع الأجواء

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

لتبديل موقفه، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

لكن هذا الأمر لا يتفهمه ولا يستطيع تحمله أي إنسان، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ الذين عندهم إيمان وسعة أفق، هم الذين يستطيعون ذلك، وإلا غالبًا ما يعيش الناس على أوتار انفعالاتهم وتوتراتهم.

ثانيًا: التوازن في المحبة والعداوة

الإنسان العاقل يتخذ سبيل التوازن في محبته وعداوته، كما في الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «أحبب حبيبك هونًا ما، عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما، عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[١].

التوازن في كل شيء مطلوب، حتى في الحب والبغض، فهذا الشخص الذي تحبه وتعطيه كل أسرارك قد يبغضك يومًا فعليك أن تحاذر، وذاك الشخص الذي تبغضه وتعاديه قد يقترب إليك يومًا ما، فلا تقطع سبل العودة إليه فإن ذلك من الجهل. الإمام علي عليه السلام يقول: «لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا، أحبب حبيبك هونًا ما، وابغض بغيضك هونًا ما»[٢]، البعض من الناس يبالغ في أقل مشكلة خلاف، ويصنع منها قضية كبرى، حتى مع زوجته التي عاش معها حياته الخاصة، كما يعبر القرآن الكريم ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، يتناسى ذلك ولا يترك مجالًا للرجعة، وهكذا مع الجار أو الصديق أو أي أحد.

ثالثًا: السعي للصلح

الأمر الآخر الذي يطلب من الإنسان في حالة وجود مشكلة أو عداوة بينه وبين الآخر، سواء كان ذلك على الصعيد الفردي أو الاجتماعي، أن يسعى ويبادر للصلح

(١) كنز العمال. ج١٦، ص١١٤، حديث٤٤٠٩٩.

(٢) الشيخ الطوسي. الأمالي، ص٧٠٣، حديث ١٥٠٥.

وحل المشكلة، كما ورد عن رسول الله ﷺ حول علاقة المسلم بأخيه المسلم: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[١]. هذا ما يوجه له الدين الكريم، لكن الشيطان الرجيم يصرف الإنسان عن هذا الموقف السليم، ويحرضه بأن ذلك ضعف ومذلة. وهذا ما يجعل كثيرًا من الناس يعرضون عن المبادرة للصلح، بل الأدهى من يرفض الصلح إذا عرض عليه!

ينبغي أن نستفيد من توجيهات رسول الله ﷺ وأهل البيت، وأن نعتبر من مواقفهم ونحذو حذوها، وجميل أن نتذكر وصية أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه حينما سمع بعضهم يسبون أهل الشام، لم يرضَ بذلك ونصحهم قائلًا: «إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ وَ لَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَ ذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَ أَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ وَ قُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَ دِمَاءَهُمْ وَ أَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَ بَيْنِهِمْ وَ اهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَ يَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَ الْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ»[٢] هذا توجيه نابع من العقل والفطرة، ومؤيد من الوحي، أن الإنسان في علاقته مع أخيه الإنسان عند الاختلاف سواء كان خلافًا دينيًا أو مصلحيًا أو عائليًا أو أي نوع كان، عليه أن يعلم بأن حالة العداء طارئة، وأن يتعامل معها على هذا الأساس، ويسعى لتقصير أمدها، ويبادر للصلح.

---

(١) صحيح مسلم، مسلم النيسابوري، ج ٨، ص ٩.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٢٠٦.

الخطبة الثانية

٧

الوحدة والحوار بين المبدئية والمصلحية

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّـهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الحج، الآية:١١].

الناس في تعاملهم مع المبادئ والقيم ينقسمون إلى قسمين:

قسم يقتنعون بهذه القيم ويؤمنون بها حق الإيمان، ويتمسكون بها في كل الأحوال والأوضاع، حتى لو أصابهم الضرر والأذى بسبب ذلك. والقسم الآخر من الناس قد يرفعون هذه القيم كشعارات، ويدّعون الإيمان بها في الظروف الملائمة، وإذا ما اختلت واضطربت الأوضاع، اهتزت قناعاتهم وتراجعوا عنها.

في الآية الكريمة يتحدث الله سبحانه وتعالى عن هذا الصنف من الناس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّـهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ أي على طرف، وعلى حافة الشيء، فأقل هزة يمكن أن تطيح به. يعبد الله، ولكن ليس في قلبه إيمان راسخ بذلك، ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ إن كانت أوضاعه مرتبة أعجبه هذا الدين ورفع شعاراته، ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ أما إذا اضطربت الأوضاع وما عادت في صالحه، فوقوفه على الحافة يؤهله للسقوط الفوري.

أسباب نزول الآية

ومن الطريف ما ينقله المفسرون حول أسباب نزول هذه الآية الكريمة، ننقل بعضًا منها:

- ورد في صحيح البخاري عن ابن عباس قال: «كان الرجلُ يقدُم المدينةَ، فإن ولدتِ امرأتُه غلامًا، ونتجتْ خيلُه، قال: هذا دينٌ صالحٌ، وإن لم تلدِ امرأتُه ولم تنتجْ خيلُه، قال: هذا دينٌ سوءٌ»[١].
- وفي حديث الموطأ للإمام مالك أن إعرابيًا أسلم وبايع النبي فأصابه وعك بالمدينة، فجاء إلى النبي يستقيله بيعته[٢].
- وعن الضحاك أن الآية نزلت في المؤلفة قلوبهم من عيينة بن الأحوص، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، قالوا: ندخل في دين محمد فإن أصبنا خيرًا عرفنا أنه حق، وإن أصبنا غير ذلك عرفنا أنه باطل.

نحن نضحك على مثل هذه العينات، ولكننا نجد كثيرًا من مصاديقها في التعامل مع القيم والمبادئ، كالحرية والعدالة والوحدة الوطنية والتقارب بين أبناء الأمة، فترى البعض يؤمنون بها إيمانًا راسخًا مهما اختلفت الظروف، ومنهم من يرفعها شعارات براقة متى انتفع منها.

ونريد في هذا الحديث التركيز على مسألة الوحدة الوطنية، والتقارب بين أبناء الأمة. حيث نجد أن هناك من يؤمن بهذه القيمة كمبدأ إسلامي قرآني، أمر الله به في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وقوله سبحانه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّـهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ المؤمن الحقيقي بهذه المبادئ يلتزم بها مهما اختلفت الظروف والأوضاع، لكننا مع الأسف الشديد نجد من يتعاملون مع هذه القيمة حسب الظرف والمصلحة، كما يعبر عنهم تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّـهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

---

(١) صحيح البخاري حديث ٤٧٤٢.

(٢) كتاب الموطأ، الإمام مالك، ج ٢، ص ٨٨٦.

الأحداث السياسية والتوظيف الطائفي

الشرق الأوسط يمر الآن بمرحلة تغيّر وتحوّل، لأن الأوضاع السائدة فيه غير مؤهلة للاستمرار، لأنها ضد حركة التاريخ، وضد المبادئ والقيم الإنسانية الصحيحة. وفي هذه المرحلة لا بُدّ من وقوع مشاكل وخلافات، فكيف ينبغي على علماء الأمة ومثقفيها أن يتعاملوا مع هذه المرحلة؟

إننا نلحظ أن هناك منهجين في التعاطي مع أحداث النزاعات ذات الطابع الطائفي:

المنهج الأول: هو الاصطفاف الطائفي، بأن يحتشد السنة في خندق، ويحتشد الشيعة في خندق مضاد، على أساس الفهم الجاهلي لمقولة «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» حيث تساند كل طائفة أتباعها بغض النظر عن كونهم على حق أو باطل.

وحينها لا يكون الخلاف على المواقف من زاوية المبدأ، وإنما هو أشبه بالخلاف القبلي بين قبيلة وأخرى. وهذا ما رأينا بعض صوره في لبنان والعراق، حيث حصل تخندق طائفي سياسي.

المنهج الثاني وهو الأسوأ: يعتمد إثارة الخلاف المذهبي والشحن الطائفي، وكأنه حرب بين عقيدة وأخرى، ومذهب وآخر، وهذا ما نعاني منه في منطقتنا الخليجية غالبًا، بسبب وجود تيار متشدد يحترف الصراع المذهبي، وينتعش بالاحتراب العقدي، هذا التيار ينتظر أي إشارة سياسية لخلاف له ارتباط بسنة وشيعة في أي بقعة في العالم، ليبادر لاستخدام كل أسلحة التعبئة المذهبية الطائفية القذرة.

لقد حصل ذلك سنوات الحرب العراقية الإيرانية، حيث صدرت الفتاوى، وطبعت ملايين الكتب، وألقيت خطب التحريض الطائفي، حتى وقعت كارثة احتلال صدام للكويت، واستجدت ظروف سياسية، أخذ فيها هذا التيار المتشدد استراحة المحارب، وأودع أسلحته مخازنها مؤقتًا، لإشهارها حينما تدعو الحاجة وتحين الفرصة.

وحين تفجرت الفتنة الطائفية في العراق في ظل الاحتلال الأمريكي، استعاد هذا

التيار شيئًا من فاعليته ونشاطه التعبوي التحريضي.

ونرى الآن على ضوء ما حصل في البحرين، كيف تلبدت سماؤنا بغيوم الشحن الطائفي المذهبي مرة أخرى، وعاد الهجوم على معتقدات الشيعة، والتشكيك في تاريخهم وولائهم وانتماءاتهم، عبر الفتاوى والخطب والكتب والفضائيات.

هذه أوضاع سياسية تعالج بشكل أو بآخر، فلماذا نصبغها صبغة دينية مذهبية؟ يمكن للإنسان أن يقف في صف الجهة التي يشاء، في الإطار السياسي، ما شأن المعتقدات والمذاهب في الأمر؟ هذا انعدام في الوعي وتأثر بالتحريك السياسي. ومع الأسف الشديد صرنا نجد علماء ومثقفين يتحركون بالريموت كنترول حسب الطلب! أهذا هو الدور المأمول منهم؟ إن هذا دور شيطاني إجرامي.

الوحدة قيمة عليا

الوحدة الوطنية والتقارب بين المسلمين قيمة إسلامية عليا، ومبدأ ثابت لا يصح أن تتغير بتغير الظروف والأوضاع، وهنا نقدر عاليًا مواقف المرجعية الدينية في العراق، فمع كل ما حصل من تفجيرات استهدفت الشيعة في كل مكان، وما حصل من اعتداءات على المراقد المقدسة، لكنها لم تنطق ببنت شفة تكون سبيلًا لتعميق الهوة بين الطرفين، وتأجيج الفتنة الطائفية، ولم تمارس تعبئة عقدية مذهبية، بل على العكس من ذلك، كل بياناتها وهي منشورة مطبوعة تؤكد على الوحدة والتعايش، وحفظ الحقوق لجميع الأطراف في العراق. وهذا هو الموقف الواعي المبدئي.

إننا نؤكد أن هذه أوطاننا نعيش فيها على اختلاف مذاهبنا، فعلينا أن نرفض هذا الشحن الطائفي البغيض الذي جربناه وذقنا مرارته، وأن نتمسك بالحوار الوطني والوحدة الوطنية والتقارب بين المسلمين، مهما كانت الظروف والأوضاع، فهي ليست شعارات مصلحية تكتيكية ترفع لوقت دون آخر، وإنما هي مبادئ دينية ثابتة وقيم إنسانية حضارية.

الخطبة الأولى

بين التبرير ونقد الذات

﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ۝١٥﴾[سورة القيامة، الآيتان: ١٤-١٥]

أن يصدر الخطأ من الإنسان فذلك أمر طبيعي ومتوقع منه لبشريته، وأن يحصل الفشل من الإنسان في أمر من أموره فذلك أمر وارد في حياة الإنسان، فحياة الإنسان ليست كلها نجاحات وانتصارات، وإنما تتخللها انتكاسات، ويحصل منه الفشل في بعض المرات، هذه الحقيقة البديهية لا تعني الاسترسال مع الأخطاء وشرعنة حدوثها؛ فطالما كان للإنسان قدرة على تجاوز الخطأ، وصنع ما هو صحيح، حينها يتحتم عليه السعي الدؤوب لتحقيق ما فيه الحق والصواب.

وهنا نتفهم دور الإنسان ضمن إطار المسؤولية التي تدفع الإنسان دومًا إلى الأمام، فالإنسان المسؤول هو الذي يتحسس ما عليه الواقع من إشكالات وأزمات، في صورتها الفردية أو الاجتماعية، وبالتالي تكتسب حياة الإنسان قيمتها الحقيقية من خلال المساهمات الإيجابية اتجاه هذا الواقع، بحيث لا يمكن أن نتفهم قيمة لعمل الإنسان إلا إذا تفهمنا كون الإنسان مسؤولًا عن عمله، فهو مسؤول عن النجاح، كما هو مسؤول عن الفشل، وهذه المسؤولية هي التي تحقق الدافع الحقيقي لسعي الإنسان وكدحه في هذه الحياة.

كما أن الاعتراف بكون الإنسان يخطئ ويصيب، لا بُدّ أن يفهم ضمن الرؤية التي

تحول هذا النقص في الإنسان إلى كمال، بحيث يستشعر قيمة عمله، ويتحسس عظمة إنجازه، عندما يعمل بكل جده ونشاطه لكي يحقق النجاح والصواب دومًا، ما دام هو الذي يحقق الواقع ويصنع النجاح، أما إذا تعامل الإنسان مع الفشل بوصفه قدرًا حتميًا وأمرًا لا بُدّ منه، فحينها تتعطل قدرات الإنسان، وتضعف همته، وتبدأ مسيرته التنازلية نحو الانهيار التام، فالمعالجة الحقيقة لواقع الإنسان ضمن قانون (الخطأ والصواب) يجب أن تضع الإنسان ضمن إطار المسؤولية التي تفتح الطريق أمام إنجازات حقيقية، وضمن هذه الرؤية الثقافية نجد معنًى للحديث عنه ﷺ الذي يقول: «إذا اجتهد فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ له أجر»[1] باعتبار أن الخطأ الذي يكون نتاجًا للسعي والعمل والاجتهاد أمر متوقع، ولكن لا يكون مبررًا للجمود، وعدم ممارسة السعي والعمل؛ لأن الاجتهاد والسعي والعمل حقائق تكتسب قيمتها من طبيعتها، فإن المخطئ وإن خسر الواقع ولم يصبه، إلا أنه كسب العمل والسعي والاجتهاد، وهي حقائق ذات قيمة ذاتية، وبالتالي يتحول الخطأ إلى حافز إضافي للسعي والجهد لتحقيق الصواب، ولذلك يكون له أجران، أجر إصابة الواقع وأجر العمل والاجتهاد.

منهج التعامل مع الخطأ والفشل:

حتى نضع هذه الحقيقة ضمن الإطار العملي، يجب أن نتناول هذه المسألة بالشكل المباشر، الذي يحدد موقف الإنسان اتجاه النجاح والفشل، والخطأ والصواب، فإذا تساءلنا عن كيفية مواجهة الإنسان لهذه القضية، نجد أن هناك منهجين في التعامل مع الخطأ والفشل.

المنهج الأول: أن يرصد الإنسان الخطأ في حياته، ويعترف به حينما يقع منه، ومن ثم يسعى لتجاوزه، فرصد الخطأ يجعل الإنسان في دائرة الوعي التام بكل ما يصدر منه، والاعتراف بالخطأ يجعل الإنسان ضمن دائرة المسؤولية عن فعله، والمسؤولية

---

(١) محمد بن علي الشوكاني. الفتح الرباني، ج٦، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، (صنعاء: مكتبة الجيل الجديد)، ص ٣٠٩٠ .

تعني تحمل نتائج الخطأ، مضافًا لاستدراكه وتفاديه، فحينما يخطأ يعترف بخطئه، ويسعى ألّا يقع فيه مرة أخرى، هذه هي الطريقة الصحيحة السوية.

المنهج الثاني: أن يكابر الإنسان عند الخطأ، ويتنكر له، ويتملص منه، وقد يصل التمادي والمكابرة بالإنسان إلى مستوى يبرر فيه الخطأ، ويحاول تصويره بصورة الصواب، وذلك بالتحايل عليه، وتوجيهه غير وجهته، أو قد يبرر لنفسه فعل الخطأ بتبريرات سمجة واهية، أو يحمل الآخرين مسؤولية خطأه وفعله، وهذه حالة خطيرة ومدمرة للإنسان، فما دام أن الخطأ يمكن تبريره، فلماذا الحرص على صنع الصواب؟ وبخاصة أن الأخطاء التي يرتكبها الإنسان عادةً تشبع غرائزه وتحقق مصالحه الآنية، أما الإنسان العاقل الذي يردع هواه، ويراقب نفسه، حتمًا يعترف بخطئه ويبحث عن أسبابه، وهذه الحالة التبريرية إذا تحولت إلى ثقافة للفرد أو الأمة فإنها تكون مدمرة لكل أسس التقدم والتكامل والازدهار.

التبرير خداع للذات وتضليل للآخرين:

والتبرير أو (الاسقاط) كما يسميه علماء النفس، هي حالة من حالات خداع الذات، ففي داخل كل إنسان عوامل خير، وفطرة سليمة، تعاتب الإنسان وتؤنبه عند الذنوب والأخطاء، فيقوم الإنسان بحالة التبرير ليسكت نداء الفطرة والوجدان، وهو نوع من المخادعة والكذب على النفس، وهي حالة سيئة تعمل على تشويه الإنسان، ومسخ فطرته، وإعدام ضميره، وحتى وإن لم يكن هذا التبرير مقنعًا للنفس، إلا أن طول الوقت يؤدي إلى تعود النفس وتأقلمها مع واقع التبرير، إلى درجة يرتكب فيها الإنسان أبشع أنواع الجرائم ولا يسمع عتابًا من ضميره ووجدانه.

وقد يمارس الإنسان في بعض الأحيان التبرير أمام الآخرين، فلا يعترف بعجز إرادته أمام الأهواء والشهوات، فيحاول أن يبرر فعله، ويزيّن عمله، وهو حال أغلب الناس، عندما تصور الخطأ بصورة الصواب، وتلبس الباطل لباس الحق.

هذه الحالة التبريرية قد تحدث على مستوى الفرد، وقد تحدث على مستوى المجتمعات، فبعض المجتمعات تعمل على مواجهة أخطائها، وتسعى إلى معالجتها، ولذلك تتقدم في كل الصّعد، وترتقي في كل المجالات؛ لأنها تصحح مسيرها بشكل دائم وفعال، ومن هنا كان النقد الذي مارسته أوروبا على نفسها هو الدافع الحقيقي للتقدم الذي حدث؛ لأن نقد الذات هو الذي يتيح الطريق لكشف ثغرات المجتمع التي هي السبب الحقيقي أمام الفشل والانتكاسات، وبالتالي يتحقق الشرط المنطقي لعملية الإصلاح، وتجاوز الأخطاء.

ثقافة التبرير تكرّس التخلف:

أما المجتمعات المتخلفة فعلى عكس ذلك، تسودها ثقافة التبرير والتفتيش عن سبب آخر لتلقي عليه اللائمة، فلا تعترف بما وقعت فيه من أخطاء، مما يجعلنا نتأسف لحال مجتمعاتنا التي تعيش هذا التخلف والرجعية، ومع ذلك تروّج لثقافة التبرير والمكابرة.

وهذا هو السبب المباشر لتخلف المسلمين مع أنهم يمتلكون كل أسباب التقدم والرقي، فعدم تحمل المسؤولية أمام ما تقع فيه الأمة من أخطاء وانتكاسات والبحث عن تفسير آخر لأسباب الفشل والتخلف، بعيدًا عن واقع الحال، هو السبب المباشر لما عليه المسلمون من ضعف وعجز.

ومن هنا نجد بلادنا في آخر الركب على المستوى المدني والعمراني والتقني والحقوقي والاقتصادي والسياسي، وكل ذلك التخلف في ثقافة الأمة الإسلامية حدث بسبب مؤامرة خارجية، أما الأمة فهي بريئة من كل ذلك، هذا الشكل من التفكير وهذا النمط من الثقافة، هو المسؤول عن واقع الحال المتخلف الرجعي، وليس هناك حل سحري ولا يد غيبية يمكن أن تتدخل دون إرادة الأمة على مواجهة هذه التحديات، فالمسؤولية هي مسؤولية الإنسان المسلم، الذي يجب عليه أن ينتفض من تحت ركام هذا التخلف، وينفض عنه غبار هذه الثقافة التبريرية، ليقوم بدوره التاريخي لإنقاذ هذه الأمة ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

فثقافة التبرير هي المسؤول الأول أمام كل ما يصيب الفرد أو المجتمع من أخطاء وكوارث وانتكاسات، فالتبرير يكرس الخطأ والتخلف والفشل، طالما تجاهلنا السبب الحقيقي، فسيبقى يؤدي أثره، ولو حاولنا أن نمثل لذلك بمثال نقول: إذا كان هناك ماء يدخل إلى الغرفة، واكتشفنا المكان الذي يتسرب منه الماء سوف تتم معالجته بشكل مباشر، أما إذا تجاهلنا السبب المباشر، واتهمنا سببًا آخر، سوف يبقى الماء يتسرب، فثقافة التبرير تكرّس الخطأ وتعززه على صعيد الفرد والمجتمع، والدولة والأمة.

التبرير مرفوض دينيًا:

الدين يربي الفرد والمجتمع على رفض ثقافة التبرير، وأن الإنسان عليه أن يعترف بأخطائه، ويرصد الأسباب، ويسعى لرفعها وتجاوزها، يقول تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ والبصيرة هي الرؤية الواضحة لواقع نفسه وما تسوّل له، فيعرف كونه مبررًا للعمل السيء.

ويشجع الإسلام الإنسان على مصارحة نفسه ومواجهتها، حتى لا يكون الشيطان دليله، فيأمره بنهي النفس عن الهوى ويجعل ذلك شرطًا لنجاحه في الدنيا والآخرة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ يجب على الإنسان ألّا يعوّد نفسه ثقافة التبرير، حتى وإن كان على نحو المجاملة، فالله خالق الإنسان والعالم به ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

وهناك نصوص كثيرة تربي الإنسان الفرد كما تربي الأمة، وتحثهم على الصدق مع النفس، والاعتراف بالخطأ، وتحمل أسباب الفشل، عن عمر بن يزيد قال: إني اتعشى مع أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق إذ تلى هذه الآية ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ثم قال: يا أبا حفص، ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه، إن رسول الله ﷺ كان يقول: «من أسرّ سريرة رداه الله رداءها، فإن خير فخير

وإن شرّ فشر»[١].

يتحدث القرآن عن بعض صفات الخيرين، فيقول: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «والله ما ينجوا من الذنب إلا من أقرّ به»[٢] وعنه عليه السلام: «لا والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين: أن يقروا له بالنعم فيزيدهم وبالذنوب فيغفر لهم»[٣].

هكذا يعلمنا الإسلام وتربينا شرائعه وأحكامه على أن نكون صادقين مع أنفسنا، ويجب أن يبدأ هذا المشروع التربوي من الطفولة، فعلى العائلة أن تربي الأبناء على الصدق والصراحة، حتى يقول الطفل إنه قد أخطأ.. وهي ظاهرة ملحوظة نجدها واضحة عند الأطفال بسبب الوسائل الخاطئة في التربية، نجد الطفل يتنصل من أخطائه ويرميها على الآخرين، فيجب ملاحظة ذلك ومتابعتها بدقة، حتى ينشأ الطفل على الصدق ومواجهة الخطأ، وبذلك نتجنب ثقافة التبرير؛ لأنها ثقافة مرفوضة ليس في الدنيا فقط، وإنما في الآخرة أيضًا.

ففي يوم القيامة «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالمًا؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟. وإن قال: كنت جاهلًا. قال له: أفلا تعلّمت حتى تعمل؟»[٤] كما جاء في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، فبعض الناس يحمل الشيطان كل المسؤولية لكن الله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[سورة إبراهيم، الآية:٢٢].

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٣٦.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٤) المحقق الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي: ١ / ٨ - باب ١، حديث ١٠.

7

الصراع السياسي وإثارة النعرات القومية الطائفية

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[سورة الحجرات، الآية:١١].

من حِكم الله تعالى أن لم يجعل البشر كلهم بشكل واحد، وصورة محددة، وإنما جعلهم شعوبًا وقبائل، وجعل الحكمة من ذلك هي التعاون والتعارف والتكامل، فسر الحياة يكمن في التنوع والتعدد، ولولا ذلك لاستحال الاستمرار في الحياة، هذه الحقيقة ولشدة وضوحها جعل بعض النظريات الفلسفية تبني كل تصوراتها المعرفية على هذا التباين، بل فسرت طبيعة الحركة في الوجود على أساس الديالكتيك والصراع الطبقي، ومن هنا لا يمكننا أن نتصور شكلًا واحدًا متساويًا من البشر يمكنه العيش على هذه الأرض، ولذلك يكون التباين ضروريًا حتى في الأسرة الواحدة، إذًا كيف يمكن أن نتخيل حال الوالدين وكل أولادهم نسخة واحدة مكررة في كل شيء، فالفهم الحقيقي لواقع الإنسان يبدأ من الاعتراف بضرورة التباين والاختلاف.

فالنظرة الأولية لواقع البشر تكشف عن وجود مجتمعات غالبًا ما تتكون من أقوام وطوائف تتنوع في انتمائها الديني والعرقي والقومي، ويكون الجامع بين كل قوم

جامعًا محددًا قوميًا أو دينيًا أو غيرها، المهم أن يكونوا قومًا يجمعهم عامل محدد يستظلون بظله، هذا الوصف الأولي يكشف عن طبيعة المجتمعات البشرية.

وفي المجتمع الإسلامي وبرغم أن المسلمين كلهم في ظل الإسلام ويؤمنون بعقيدة واحدة، إلا أن هناك تنوعًا فرضته الانتماءات المناطقية والعرقية، فقد كان العرب ينتمون إلى قبائلهم قبل الإسلام، وبعد الإسلام واتساع الدائرة انضم إليهم من غير العرب، ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ كما كان هناك المهاجرون والأنصار، وهكذا حصل التنوع، وأصبح المجتمع الإسلامي يتكون من أقوام. فكيف ينبغي أن تكون العلاقة بين الأقوام المختلفة في الأمة ؟

إن الرابط الذي يمكن طرحه في ظل هذا التعدد الذي يمثله المجتمع المسلم، يجب أن يكون في إطار القيم؛ لأنها الضمانة لتحقيق الترابط وتوفير فرص التعاون والتكافل، وأن الاعتراف بهذا التنوع هو الطريق للاعتراف بحق الجميع في الحياة الكريمة، فالاعتراف بالآخر هو اعتراف بحقه في الوجود والحياة، وبحقه أن يعيش كريمًا.

الاعتراف هو البذرة الأولى في عالم القانون، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، فإذا تحقق الاعتراف بالآخرين تتحقق القوانين والقيم الأخلاقية، وتبنى العلاقة على الأدب والمحبة والاحترام، والاحترام هنا ليس نابعًا من أسباب تكتيكية تفرضها المرحلة، أو أسباب خارجية، وإنما نابع من رؤية أصيلة تفرضها ثقافتنا الدينية.

النظرة القيمية والنظرة العنصرية:

الإنسان المسلم ينظر إلى الآخرين على أساس القيم، وهذا هو الفارق بين صاحب النظرة الدينية المبدئية وبين صاحب النظرة العنصرية، فالإنسان العنصري يرى نفسه أفضل من الآخرين ليس على أساس قيمة من القيم، وإنما يعتقد أن عنصره مميز على

الآخرين.. ويستغرب الإنسان حينما يقرأ لكبار من المفكرين الغربيين وهم يشرعنون لهذه النظرة العنصرية، ولعل ذلك بسبب التأثر بظروف البيئة التي يعيشون فيها، فنجد مثلًا منتسيكو، صاحب كتاب القوانين، يبرر في هذا الكتاب النظرة العنصرية اتجاه السود يقول: «إذا كان علي أن أدافع عن حقنا المكتسب في اتخاذ الزنوج ذوي البشرة السوداء عبيدًا، فإنني أقول إن شعوب أوروبا وقد أفنت سكان أمريكا الأصليين، لم يكن أمامها إلا أن تستعبد شعوب أفريقيا، لكي تستخدمها لإصلاح أرجاء أمريكا الشاسعة، وما شعوب أفريقيا إلا جماعات سوداء من أخمص القدم إلى قمة الرأس، ذات أنوف فطساء إلى درجة يكاد من المستحيل أن ترثى لها، وحاشا لله ذي الحكمة البالغة يكون قد وضع روحًا أو على الأخص روحًا طيبًا في جسد حالك السواد»[١].

جاء الإسلام حتى يبشر بمبدأ آخر هو: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾، هذه هي نظرة الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْأِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وبرغم أن الذين آمنوا تشمل النساء، إلا أن تخصيصهم قد يكون من باب وصف قضية خارجية، وهو ابتلاء النساء في العادة بهذه الصفة ولذلك وجب تخصيصهم في الخطاب، ولعل ذلك في فترة من الفترات ﴿وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ اللمز هو ذكر المعايب ولكن لماذا قال أنفسكم؟ لأن الإنسان إذا عاب جماعة من أمته كأنما عاب نفسه ﴿وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ كانت القبائل العربية قبل الرسالة في حالات صراع وتنافس وحروب، وكان لكل قبيلة شعراء يعملون على هجو القبائل الأخرى وكانوا يتبارون في الذم والهجاء، بحيث أصبحت ثقافة لتلك المجتمعات.

---

(١) فضل الحضارة الإسلامية والعربية على العالم. زكريا هاشم ص ١١٢. شارل دي مونتسكيو: مفكر فرنسي ١٦٨٧-١٧٥٠م مؤلف (روح القوانين) الذي صدر في جينف عام ١٧٤٨م بعد جهد استمر (٢٠) عامًا، كما أصدر قبله (نظريات في أسباب عظمة الرومان وسقوطهم) عام ١٧٣٤م.

جاء الإسلام لكي يخلق ثقافة جديدة، ملؤها المحبة والأخوة، فمنع هذه الحالة ونهىٰ عن التنابز بالألقاب، وقد قال بعض المفسرين إن هذه الآية نزلت ضد الذين كانوا يعيرون الآخرين بدينهم السابق فيقول له: يا يهودي أو يا نصراني.

انبعاث ثقافة جاهلية:

مع الأسف الشديد ونحن في هذه الظروف العصيبة من تاريخ أمتنا، نرى انبعاث هذه الثقافة من جديد، فهناك بلدان إسلامية متنوعة، ومذاهب مختلفة، وقوميات وأعراق متباينة في واقعنا الإسلامي، وقد تحدث بعض المشاكل السياسية بين البلدان الإسلامية، فمن المعيب أن ننجرف مع هذه المشاكل إلى مستوى التنابز بالألقاب، والسخرية بالشعوب، ومن المعيب أن نبعث ثقافة جاهلية جديدة تتنكر لكل قيم الحق والفضيلة، ونحن في واقع الأمر أمة مسلمة تعيش في ظل رسالة واحدة.

وإن ما يثير العجب والاستغراب أن جماعة يعتبرون أنفسهم يمثلون العقيدة الصحيحة، وهم وحدهم دون سواهم من يلتزم السلف والكتاب والسنة، مع ذلك الادّعاء نجد بعضهم كيف يروج ويؤجج هذه الصراعات، مستخدمًا كل الألفاظ الجاهلية القائمة على السخرية بالشعوب، والتنابز بالألقاب التي نهى الله عنها بشكل واضح وصريح، فإذا حدثت لنا مشكلة سياسية مع العراق أو اليمن مثلًا فبدل أن يكون سعي العلماء إلى إصلاح ذات البين، نجد أن طائفة منهم تتهكم على الشعب المسلم العراقي، أو اليمني، وهكذا نجد أن الأمة قد انحدرت إلى هذا الواقع المتردي بسبب هذه الثقافات الجاهلية.

وإذا تحدثنا بشكل واضح في ظل واقع منطقة الخليج التي تعيش تجاذبًا إقليميًا ودوليًا، فايران دولة من دول المنطقة، وقد يحدث بيننا وبينهم بعض الخلافات السياسية، فيجب حصرها في بعدها السياسي، بعيدًا عن الانحدار إلى الكلام بالألقاب الجاهلية من فرس ومجوس وصفوية، هذه الألفاظ التي طفح بها إعلامنا السياسي

والديني، فبدل أن تكون عندنا مشكلة سياسية فقط، أصبحنا في أتون معركة قومية، تستخدم فيها مختلف الوسائل والأساليب القذرة، فماذا يعني أن يُعيّر الإيرانيون بأنهم فرس، والفرس قومية، فهل يصح لقومية من القوميات المسلمة أن تعيّر قومية أخرى؟

لا يحق للفارسي أن يسخر من العربي، ولا العربي أن يسخر من الفارسي، أو التركي أو الهندي، فهذا مجافٍ لأخلاق الإسلام وقيم الدين، وقد كتب أحدهم ممن يحسب على الإسلام كتابًا بعنوان (وجاء دور المجوس) والمجوسية دين قد انقرض وانتهى، وقد أصبح هؤلاء من أهل الإسلام، وتمنح لهم تأشيرات سنوية لأداء فريضة الحج والعمرة، فكيف بعد ذلك تصفونهم بأنهم مجوس؟

ومن جهات محسوبة على النظام، أو محسوبة على المؤسسة الدينية الرسمية، إنه أمر معيب ومخجل، والسكوت عليه من قبل الأجهزة الإعلامية والجهات السياسية والعلماء والمثقفين يُعدّ مشاركة في هذا الإجرام، بحمد الله هناك بعض الأقلام وإن كانت محدودة تحدثت ضد هذه الثقافة السلبية، وحاولت أن تقف في وجه هذا الطوفان، الذي نستعيذ بالله من شروره على هذه الأمة.

الخطبة الأولى

الحياء من النفس أرقى مراتب الحياء

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﴿ع﴾ أنه قال: «أحسن الحياء استحياؤك من نفسك»[1].

وقال أيضًا: «حياء الرجل من نفسه ثمرة الإيمان»[2].

الإنسان بدافع التكيف مع بيئته، والحفاظ على سمعته، فإنه غالبًا ما يتجنب الأمور المستقبحة حتى لا يعيبه الناس، كما أنه قد يتجنب المعايب خجلًا من ربه وخالقه، وهناك من يتركها حياءً وخجلًا من نفسه، وهي الدرجة العليا. من هنا يمكننا أن نقسم الحياء إلى ثلاثة أقسام:

1- الحياء من الناس

قد يتحمل الإنسان بعض ضغوط الحياة من أجل أن يبدو منسجمًا مع عادات مجتمعه وتقاليده. فعلى سبيل المثال قد يضطر للاقتراض، ويجهد نفسه من أجل أن يقوم باللازم لعمل وليمة الزواج، تماشيًا مع عادات مجتمعه، حتى لا يكون عرضة لذمهم وانتقاصهم له. وقد تجد إنسانًا فقيرًا لا يملك قوت يومه، لكنه يظهر في أفضل هيئة ممكنة حتى لا يبدي للناس ضعفه وفقره، ويعبر القرآن الكريم عن مثل هذا النوع

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، ص ٢٣١.

من الناس بقوله: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

هذا النوع من الحياء هو الأبرز والأكثر وضوحًا، وهو مطلوب في حدوده، فقد ورد عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «من لم يستحِ من الناس لم يستحِ من الله»[١] والذي لا يراعي نظرة الناس إليه، ولا يهمه إن مدحوه أو ذموه فإنه لا يبالي أن يقوم بأيّ عمل يريده كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا لم تستحِ فافعل ما شئت»[٢].

2- الحياء من الله تعالى

حينما يختلي الإنسان بنفسه، وحيث لا يراه أحد يخشى أن يؤنبه أو يوبخه، لكنه يترك القبيح لأنه يخجل من خالقه الذي يطلع عليه، ويعلم ما توسوس به نفسه، وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وفي بعض الأحيان يتركه أيضًا أمام الناس، ولكن ليس خوفًا من نقدهم وإنما طاعة لخالقه. هذا النوع هو درجة من الحياء أرقى من سابقه، فإذا كان من الجميل أن يستحي الإنسان من الناس، فمن باب أولى وأجمل أن يستحي الإنسان من خالقه عز وجل.

3- الحياء من النفس

ماذا يعني أن يستحي الإنسان من نفسه؟ هل هناك ثنائية، أي إنه شيء ونفسه شيء آخر فيستحي منها؟ نعم، حيث إن للإنسان في شخصيته بُعدين، بُعد العقل والضمير، وبُعد الشهوات والأهواء، ومن هذا البعد الأخير تأتي مشكلة الإنسان، فيتوجب عليه أن يجاهدها ببعده الأول، بعقله وضميره. في نفس السياق يأتي معنى الحياء من النفس، فشهواته وأهواؤه تدفعه للقيام بعمل ما، أو التلفظ بكلمة ما، ولكن حين يستخدم عقله، ويحكّم ضميره، هل يقبل العقل هذا الأمر؟

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣٣٦.

إذا كان الجواب لا، فكيف يمارس ما لا يرتضيه عقله؟ من هنا يتضح معنى الحياء من النفس، وهو ألّا يقوم الإنسان بعمل يستقبحه العقل، ولا يرتضيه الضمير، وأن يلتزم القيم حتى لو لم يكن هناك داعٍ اجتماعي للالتزام بها، فهو لا يتركها لأن الناس ينتقدونه أو يمدحونه، بل إنها قد تتجاوز مسألة الرضا والسخط الإلهي، فلا تبقى في حدود الحلال والحرام، بل لأن بُعده الإنساني لا يرتضي ذلك ويتسامى عليه.

هذه درجة من أرقى مراتب الحياء، وهي تتجلى كثيرًا في حالة الخلوات، حيث لا رقيب من الناس هناك. قيل لأحد الواعين ممن هم في هذه الرتبة، هل تتلفظ بكلمة بذيئة مستقبحة؟ قال: إني لأستحي من نفسي، ليس لأن هناك من يستقبحها أمامي، بل لأن نفسي أسمى من أن أتفوه بهذه الألفاظ.

وهكذا في أداء الأعمال الحسنة، فالإنسان يعمل الخير؛ لأن ضميره وحسه الإنساني يدعوه لذلك، وليس من أجل مدح الناس وكسب رضاهم، ولا من أجل أن هذا أمر مندوب إليه، ولهذا ورد عن رسول الله ﷺ: «اصنع الخير لأهله ولغير أهله، فإن لم يكن من أهله فأنت من أهله»[1] أنت تفعل الخير لأن ذلك ما يقتضيه ضميرك وفطرتك، بغض النظر عن الطرف الآخر.

ومن أبرز ثمرات هذا القسم الأخير أن الإنسان يكون أقدر على مراعاة حق الآخرين، البعيد منهم والقريب، من يستحق ومن لا يستحق. كما يكون ملتزمًا القيم والمبادئ في مختلف الظروف والاوضاع.

نماذج من التاريخ:

نقرأ أن أمير المؤمنين عليًا عليه السلام في أحد أيام معركة صفين بارزه عمرو بن العاص، وطعنه الإمام فصرعه أرضًا، ولما أراد أن يجهز عليه، رأى عمرو بن العاص نفسه أمام الموت، ففكر في النجاة، فكشف عورته، عندها انصرف أمير المؤمنين بوجهه عنه

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ١٦٨.

حياءً وتركه. وحين سئل: لماذا تركته؟ قال: كشف عن سوأته.

كان بإمكان أمير المؤمنين وهو في حالة حرب أن يقتله وليس عليه ملامة، لكن نفسه تسمو عن أن ينظر إلى سوأة غيره. أحد المؤرخين ينقل هذه الحادثة ويقول: فانصرف علي عنه وولى بوجهه دونه، وكان علي لم ينظر قط إلى عورة أحد حياءً وتكرمًا وتنزهًا عما لا يحل[١]. ورجع عمرو إلى معاوية، فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقيني على فصرعني، قال: أحمد الله، وعورتك[٢].

ويذكر التاريخ أن الإمام الحسن بن علي اجتاز على غلام أسود بين يديه رغيف يأكل منه، وكان إلى جانبه كلب، فكان يأكل لقمة ويدفع للكلب لقمة أخرى. فسأله الإمام: لماذا تشرك الكلب معك؟ فقال: إني لاستحي أن آكل ولا أطعم هذا الحيوان الجائع.

ونقرأ في ديوان الشريف الرضي قصيدته التي يمدح فيها عمر بن عبدالعزيز، الخليفة الأموي الذي رفع سب أمير المؤمنين، يقول الشريف الرضي:

يا ابنَ عبدَ العزيزِ لو بكت العينُ ... فـتـىً مـن أمـيـةٍ لبكيتُكْ
أنت نزهتنا عن السَّبِ والقذفِ ... فلو أمكن الـجـزاءُ جزيتُك
ولو اني رأيتُ قبرَكَ لاستحييتُ ... مـن أن أرى ومـا حييتك

---

(١) ابن قتيبة الدينوري. الإمامة والسياسة. ج١، (طبعة مؤسسة الحلبي وشركاه)، ص٩٥.

(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة، ج ٨، ص٦٠.

في ذكرى النكبة: ما ضاع حق خلفه مطالب

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «لَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ»[1].

حينما يعتدي ظالم على حقوق الآخرين، فإن على هؤلاء الناس التمسك بحقوقهم، وألّا يستسلموا لقوة الظالم وبطشه، وأن يستمروا في المطالبة بحقوقهم، ذلك لأن صاحب الحق إذا ترك المطالبة بحقه ضيّعه، فالظالم لم يأخذ حق الغير قرضًا أو استعارة لكي يعيده فيما بعد، بل أخذه عدوانًا وغصبًا، والحق إنما يحفظ بالمطالبة، مهما تقادم الزمن، فقد يكون الظالم قويًا في وقت من الأوقات ولكن هل تدوم القوة لأحدٍ في هذه الحياة؟ وكما قيل: «لو دامت لغيرك ما اتصلت إليك» هذه طبيعة الحياة، يقول تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

على الإنسان أن يستمر في المطالبة بحقه، ويكافح لاسترداده، وإذا كان ضعيفًا فإن تمسكه بحقه يدفعه ليجتهد في تحصيل وسائل القوة والمنعة، حتى يصل إلى مستوى انتزاع حقه.

ذكرى النكبة:

نقول هذا ونحن نُحيّي انتفاضة إخواننا الفلسطينيين، الذين انتفضوا في الذكرى الثالثة والستين لذكرى النكبة التي أصابتهم عام ١٩٤٨م. في تلك الحادثة جاءت

---

(١) نهج البلاغة. خطبة ٢٩.

عصابات الصهاينة، وبدعم من الأجانب البريطانيين والغربيين، وأغاروا على مناطق الفلسطينيين، وعاثوا في مدنهم، فدمروا أكثر من ٥٣١ قرية، وأخرجوا الناس من بيوتهم ومزارعهم، وانتزعوا ممتلكاتهم، وهجّروهم من أراضيهم وأراضي آبائهم وأجدادهم، حيث هجّر أكثر من ٧٥٠ ألف فلسطيني لكي يعيشوا لاجئين في الدول المجاورة، وجاء المحتلون الغاصبون بمستوطنين يهود أجانب من مختلف مناطق العالم، وأحلّوهم محل ذلك الشعب! طردوا معظم القبائل البدوية التي كانت تعيش في صحراء النقب، ولإخفاء الهوية الفلسطينية بدلوا أسماء المناطق والقرى والأراضي. وقد ارتكبوا في حق الفلسطينيين العزّل المجازر، وعدد المجازر الموثقة أكثر من ٣٠ مجزرة رهيبة، وهناك أكثر من ١٥ ألف فلسطيني ذبحوا من الرجال والنساء والأطفال.

هكذا جاء اليهود ودعمهم البريطانيون والغرب وأمريكا، وبنوا لهم أقوى ترسانة عسكرية في المنطقة، وبدؤوا يمارسون أسوأ أنواع القتل والبطش والتنكيل، لكي يحتلوا هذه المنطقة بالقوة، والفلسطينيون بفعل هذا التحالف ضدهم، وبفعل عدم استعدادهم، والتخلف الذي كانت تعيشه الأمة العربية والإسلامية، كانوا ضحايا هذه النكبة وهذا العدوان الغاشم، ولكن ما يحمد لهم أنهم تمسكوا بحقهم، فلم يتنازلوا عن حق العودة، لم يتنازلوا عن استرداد وطنهم المحتل، وقدموا الضحايا على مدى ٦٣ عامًا، لم تمر سنة لم يقدموا فيها المئات أو الآلاف من الضحايا داخل الأراضي المحتلة وخارجها.

التمسك بحق العودة:

كانت إسرائيل تراهن على أن ينسى الفلسطينيون قضيتهم، وشجعوا على قبولهم في مختلف البلدان، وتقديم الإغراءات بترتيب أوضاعهم في الدول المتقدمة كأمريكا وأوروبا وغيرها، لكنهم رفضوا كل ذلك، ولم يَنْسَ الفلسطينيون وطنهم يومًا، بل أورثوا أولادهم حب وطنهم، وربّوهم على النضال من أجله. وهكذا نجد أجيالًا من

المقاومة جيلًا بعد جيل، وهذا ما نراه في غزة الصمود وفي الضفة الغربية، ومختلف أرجاء الشتات الفلسطيني في العالم، من نضال ومقاومة وإصرار على حق العودة، وفي هذا تجسيد لما قاله أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ».

وعلينا أن نتذكر بأن الحق الجمعي لا يصح أن يرمى على عاتق جهة معينة، والباقون متقاعسون. نحن نرى بأن الفلسطينيين لم تكن مقاومتهم ومطالبتهم بحقوقهم ضمن رقعة مخصوصة، وفئة محدودة، بل إنهم بمختلف شرائحهم وتوجهاتهم يناضلون وبأشكال مختلفة. فإلى جانب المجاهدين المقاتلين والفدائيين الأبطال، هناك من يناضل بالفكر والقلم، وكان لهم دور في تأسيس مراكز للدراسات والأبحاث، ومراكز للإعلام والعمل السياسي.

المطالبة بالحقوق لا تنحصر في شكل من الإشكال وإنما ينبغي أن تتكامل الأبعاد حتى تشكل بمجملها قوة قادرة على انتزاع الحق وإعادته إلى أصحابه.

زحف جماهيري في ذكرى النكبة:

في هذه السنة كانت ذكرى النكبة مميزة، فلأول مرة يحصل هناك زحف جماهيري من قبل مئات وألوف من الفلسطينيين باتجاه حدود فلسطين، في لبنان والأردن، وفي هضبة الجولان بسورية، وقد تحدوا العدو الذي أطلق عليهم النار لإرهابهم، وقدموا عددًا من الشهداء، أكثر من ١٦ شهيدًا و١٧٠ جريحًا، لكنهم أصروا أن يعبروا عن حقهم في العودة.

إن الفلسطينيين اليوم أقرب لاستعادة حقهم من أي وقت مضى، فالأوضاع الدولية والعربية مؤهلة لذلك. في الماضي كان الفلسطينيون يواجهون حكومات عربية مجاورة تعرقل جهودهم ومسيرتهم، وقد رأينا كيف كان بعضهم يستخدم وسائل التضييق والحصار ضدهم، كما كان هذا بارزًا في دور الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك، عمل حواجز من الحديد والفولاذ على الحدود، حتى لا يتمكن

الفلسطينيون من حفر الأنفاق وتجاوز الحصار.

هذا الوضع تغير الآن أو هو في طريقه للتغيير، وستكون الشعوب أفضل عون للفلسطينيين على استعادة حقوقهم.

وقد بدأ أثر ذلك في التوجه للمصالحة الفلسطينية الذي سيشكل أهم قوة لدعم المقاومة والنضال الفلسطيني، ولهذا فإن إسرائيل وأمريكا منزعجون من هذه المصالحة.

إننا نأمل أن نرى فلسطين والقدس الشريف وقد تحرر من قبضة الصهاينة. وما ذلك على الله بعزيز.

نسأل الله النصر للفلسطينيين ولجميع الشعوب المستضعفة.

الخطبة الأولى

التبذير والاسراف مرفوض

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[سورة الإسراء، الآيتان: ٢٦-٢٧].

صحيح أن خيرات الكون وثرواته خلقت من أجل الإنسان، وهي مسخرة له، لكنه لا يصح للإنسان أن يتصرف فيها تصرفًا عبثيًا. هذه الخيرات والثروات الكونية هي لجميع البشر، فلا يصح لأحد أن يتصرف في شيء لا يستفيد منه، ويحرم غيره من الانتفاع به، وهذا لا يجري على الممتلكات العامة فقط، بل حتى في الممتلكات الخاصة، فلا يصح للإنسان أن يبذر إمكاناته في غير مكانها الصحيح، ولهذا ينهى الله عز وجل عن التبذير بشتى أنواعه، ويقول بأن من يفعل ذلك فإنه في عداد الشياطين ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾.

آيات القرآن الكريم والنصوص الإسلامية الواردة عن رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام تحذر بشدة من الإسراف والتبذير، ولا يكون التبذير في المال والمأكل والمشرب فقط، بل في جميع ما تحت تصرف الإنسان من إمكانات خاصة أو عامة.

الإسراف في الوقت:

كل وقت وزمن يعيش فيه الإنسان هو نعمة من الله تعالى، بل هو من أفضل النعم، لذا ينبغي أن يُستثمر ويُصرف بالشكل الصحيح، ولا يحق هدره فيما لا ينفع، وبما أننا على مقربة من العطلة الصيفية، نريد التأكيد على أهمية الاستفادة من أيامها، ولا ينبغي أن تعتبر وقتًا زائدًا عن الحاجة، ونضيّعه في غير منفعة، فهذا من الإسراف. ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ما أنقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك»(١). وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

إنـــا لنفرح بـــالأيـــام نقطعها وكل يوم مضى جزء من العمر

هدر الإمكانات:

ينبغي للإنسان أن يكون حساسًا تجاه ما عنده من إمكانات توفر له سبل العيش في هذه الدنيا، فلا يصح أن يتلاعب بها مهما كانت وفرتها. إن ما يقوم به بعض الناس عند الوضوء أو الغسل، من هدر للمياه بحجة إحراز الطهارة، أمر لا يجوز، وهو وسواس شيطاني. كما أن عاداتنا السيئة في استخدام الماء فيها نوع من الجور على هذه الثروة العظيمة، وكأننا نعتبرها سلعة رخيصة لا تنفد أبدًا.

الماء الصالح للشرب والاستخدام يُعدّ اليوم من أعظم الثروات، فهناك دول تعاني من شح المياه، وتصرف الدول مبالغ كبيرة في سبيل توفير مياه صالحة للاستخدام. لذا من الواجب علينا ترشيد استهلاك المياه، وعلينا أن نربي أبناءنا على ذلك. البعض يرى في منزله تسربًا للمياه بسبب بعض مشاكل التسليك فيتجاهلها ما دامت لا تسبب له ضررًا، ولا يدري بأن كل قطرة ماء تنزل في كل ثانية يعني أنه يصرف ثمانية آلاف لترٍ من الماء سنويًا. والتهاون في إجراء الصيانة لا يصح. لننظر كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوجّه أصحابه.

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

مرّ ذات يوم ورأى الصحابي سعد يتوضأ فقال له: «ما هذا السرف؟» فقال: أفي الوضوء إسراف؟ فقال ﷺ: «نعم وإن كنت على نهر جارٍ»[١].

الإسراف في الطعام:

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن القصد أمر يحبه الله عزّ وجلّ، وإن السرف يبغضه الله، حتى طرحك النواة فإنها تصلح لشيء وحتى صبك فاضل شرابك»[٢]. يضرب الإمام مثلًا بنواة الرطب فلا ترمها كأنها زائدة لا نفع منها، بل يمكن أن تزرعها وتنبت منها نخلة جديدة، ويمكن أن تستفيد منها في شيء آخر. وكذلك فاضل الماء الذي تشربه فيمكنك أن تسقي به نبتة صغيرة أو تسقي به حيوانًا أو طيرًا. نحن نرى أن البعض لا يبالي بهذا الجانب سيما في المحافل، فإنه يأخذ قارورة الماء ويشرب بعضها ويترك باقيها، لترمى في القمامة!

في بعض المناسبات يصنع بوفيه للطعام، وهي عادة طيبة، لكي يتم المحافظة على الطعام المتبقي، لكننا مع الأسف لم نحسن التعامل مع هذه الطريقة التي من شأنها أن تحدّ من الإسراف، فترى من يملأ صحنه بشتى الأصناف، وفوق حاجته، ثم يترك الباقي ويرمى في القمامة لاحقًا. بعض المجتمعات ينظرون بتقزز للشخص الذي يأخذ طعامًا فوق حاجته ويترك باقيه. على الإنسان المسلم أن يتذكر أن هذا إسراف وهو من عمل الشياطين، ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

عن بشر بن مروان قال دخلنا على أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام فدعى برطب، فأقبل بعضهم يرمي بالنوى، قال: وأمسك أبو عبدالله يده، فقال: «لا تفعل إن هذا من التبذير والله لا يحب الفساد»[٣]. وورد أنه عليه السلام نظر إلى فاكهة قد رميت من داره لم

(١) سنن ابن ماجه، ج ١، ص ١٤٧.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٢١، ص ٥٥١.
(٣) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٠٣.

يستقصَ أكلها، فغضب وقال: ما هذا؟ إن كنتم شبعتم فإن كثيرًا من الناس لم يشبعوا فأطعموه من يحتاج إليه[١]. ويروي ياسر الخادم أنه ذات يوم أكل الغلمان فاكهة ولم يستقصوا أكلها ورموا بها: فقال لهم أبو الحسن الرضا عليه السلام: «سبحان الله إن كنتم استغنيتم فإن أناسًا لم يستغنوا أطعموه من يحتاج إليه»[٢].

في البلدان الأخرى يشتري الإنسان بمقدار حاجته، فيأخذ التفاح أو البرتقال بالعدد وجزءًا من البطيخ بمقدار ما يحتاجه، ولكننا نشعر بالعيب إذا تعاملنا بهذه الطريقة، فلا نشتري إلا بالكميات الكبيرة، وبعد ذلك فإن قسمًا وافرًا منها يرمى، وإذا قارنت كمية النفايات في بيوتنا وبيوتات البلدان الأخرى، تجد أنهم يخصصون يومًا واحدًا في الأسبوع لجمع النفايات من المنازل، بينما نحن في كل يوم نملأ أكياسًا من النفايات!

الإسراف في البناء:

البعض يبني المنزل أكثر من حاجته، بحجة الراحة والتوسع، ولا شك أن الدار الوسيعة من سعادة المرء، لكن ذلك مرتبط بمدى استخدام الإنسان، أما أن يكلف نفسه أعباءً وديونًا في البناء ثم يتحمل أعباء الصيانة والخدمة لمساحة واسعة لا يستفيد منها. فهذا خلاف التدبير ووقوع في التبذير. ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من بنى بناء أكثر مما يحتاج إليه كان عليه وبالًا يوم القيامة»[٣]. وعنه ﷺ: «إذا أراد الله بعبد هوانًا أنفق ماله في البنيان»[٤]، والمقصود طبعًا من يبني فوق حاجته.

استهلاك الطاقة الكهربائية:

زيادة استهلاك الطاقة الكهربائية مشكلة تعاني منها كثير من البلدان، و في بعضها

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٦، ص ٢٨٧.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٢٩٧.

(٣) كنز العمال، ج ١٥، ص ٤٠٦.

(٤) كنز العمال، ج ٣، ص ٤٤٤.

تجد انقطاعًا متكررًا للتيار الكهربائي، بل إن الاستخدام المفرط للكهرباء يؤثر على البيئة وهي من العوامل التي تسبب الاحتباس الحراري، المشكلة التي أصبحت تؤخذ بعين الاعتبار وتعد لها البحوث والدراسات لتلافيها أو تقليل مخاطرها. ولذا علينا أن نراعي هذا الجانب وأن نستخدم الطاقة بقدر حاجتنا، ليس فقط لتقليل قيمة الفاتورة الشهرية، بل حفاظًا على النظام البيئي، والتزامًا لأمر الله تعالى؛ لأن عدم ترشيد الاستهلاك تبذير وإسراف.

نجد مثلًا بعض المساجد الكبيرة في فترة الصيف يتم تشغيل أجهزة التكييف كلها لساعات طويلة، مع أن المصلين يستخدمون جزءًا معينًا من المسجد، كما أنه لا ينبغي التساهل في إغلاق المكيفات سواء في الأماكن العامة أو الخاصة عند الخروج منها. كثير من الأبناء عند خروجهم للمدرسة أو العمل يتركون جهاز التكييف يعمل حتى تلتفت له الأم أو الخادمة في المنزل!

علينا أن نعود أنفسنا ونربي عوائلنا على ترشيد الاستهلاك للطاقة، في البلدان الأخرى يستخدمون وسائل وتقنيات مختلفة لتوفير الماء والطاقة وترشيد استهلاكهما.

الأمريكيون واحتواء الربيع العربي

﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٢٠].

في معادلة الصراع من الطبيعي أن كل طرف يسعى إلى إضعاف خصمه، ويسوؤه أن يحصل عدوه على موارد القوة، فكل ما يتمناه هو أن يرى خصمه في حالة ضعف، ويسعى لمنع أسباب القوة والتقدم عنه.

أمتنا الإسلامية تواجه العدو الصهيوني، ومن خلفه من الداعمين له في عدوانه واحتلاله، ومن الطبيعي أن هؤلاء لا يريدون لنا التقدم «إن تصبكم حسنة تسؤهم» ولا يفرحون أن تكون أوضاعنا مستقرة، بل يسوؤهم ذلك، بينما يفرحون بهزائمنا ومصائبنا.

حقيقة المواقف الغربية:

خلال هذا الأسبوع سمعنا كلامًا من قادة غربيين ومن الصهاينة وهم يتحدثون عن الربيع العربي، الرئيس الأمريكي أبدى ارتياحه لهذه الثورات، ووعد بدعمها، والأكثر من ذلك سمعنا رئيس الوزراء الصهيوني الحاقد (نتنياهو) يتحدث بلغة مشابهة وكأنه مرتاح لهذه الثورات وتحرك العالم العربي باتجاه الديمقراطية. وبالأمس بدأ مؤتمر

قمة الدول الثمان في فرنسا، ومن المواضيع المدرجة على جدول أعمالهم هو دعم الثورات التي تجري في العالم العربي. فكيف نفهم هذه التصريحات المناصرة للثورات العربية؟ وكيف نفسر هذه المواقف الداعمة؟

هناك من يرى أن هذه الثورات والانتفاضات مدعومة خارجيًا وخاصة من أمريكا وإسرائيل، وقد أعلن الرئيس اليمني علي عبدالله صالح أن: «هذه الثورات تدار من غرفة في تل أبيب وتدعمها أمريكا». هناك من يحاول الترويج لمثل هذه المقولة، بأن هدف الغرب هو إشغال العرب عن التنمية، وعن مواجهة إسرائيل، ونشر الفوضى والاحتراب الداخلي.

بالطبع نحن نعلم أن هذه الثورات لها مبرراتها الداخلية، فالناس يعانون أوضاعًا سيئة قاسية، ويعيشون تطلعات تدفعهم للتغيير، فاندفاعهم نابع من عوامل موضوعية، وليس صحيحًا أن الغربيين هم الذين يحركونهم، نعم الغربيون يريدون أن يستثمروا ما حصل.

من ناحية أخرى ينخدع البعض بالتصريحات المعسولة كخطاب الرئيس الأمريكي (أوباما)، والمؤتمر الصحفي المشترك بينه وبين رئيس الوزراء البريطاني (كاميرون). بعض الناس ينخدعون بهذه المواقف والتصريحات ويراهنون على دعم الغرب، ولا بُدّ أن نذكّر هؤلاء بأن الغرب دول تهمها مصالحها وأطماعها، وهي لا تعمل لسواد عيون هذه الشعوب، وإلا فهم يرون معاناة الشعب الفلسطيني، ويرون معاناة الشعوب الأخرى. ثم إن الأنظمة الدكتاتورية المستبدة من وقف معها وساندها غيرهم؟ يجب ألّا ننخدع بهذه المقولات المعسولة، ونراهن على هؤلاء أنهم ينقذوننا، ويريدون لنا أن نعيش حالة العدالة والحرية والتقدم، هذا سذاجة في التفكير، رأينا كيف عمل رئيس الوزراء الإسرائيلي (نتنياهو) بكل جد واجتهاد حتى يبقى حسني مبارك في السلطة، وحاول أن يضغط على الأمريكيين بألّا يتخلوا عنه.

احتواء ثورات الشعوب:

وللموضوعية نقول: إن لهذه الثورات جانبين:

الجانب الأول: مقاومة الاستبداد والفساد. ومما لا شك فيه أن هذا الأمر فيه مصلحة للعالم أجمع؛ لأن الاستبداد والفساد هو الذي ينتج الإرهاب والعنف، وهو الذي يسبب الركود الاقتصادي والاضطرابات في مختلف أنحاء العالم، لذلك هناك مصلحة في هذا الجانب لنا ولهم. هذا شيء نفهمه ونستوعبه.

والجانب الآخر: هو استعادة هذه الشعوب حريتها وكرامتها، وأن تتجاوز الهيمنة الغربية، والنفوذ الأجنبي، وهذه هي نقطة التناقض والتماس، إن هؤلاء الغربيين وإن رأوا أضرار الاستبداد والفساد وانعكاساتها عليها، لكنهم ليسوا صادقين ولا جادين في إعانة شعوبنا وبلداننا على استعادة استقرارها وأمانها واستقلاليتها، بعيدًا عن نفوذهم وتدخلاتهم.

الأمريكيون وقّعوا اتفاقية أمنية مع القوى السياسية في العراق، وأقرت هذه الاتفاقية، ولكنهم الآن يحاولون بمختلف الطرق والأساليب في إيجاد مخرج لتمديد بقاء قواتهم، وتعزيز تواجدهم في المنطقة، مما يؤكد أنهم ليسوا جادين في أن تستعيد هذه الشعوب سيادتها واستقلالها، ولكن ماذا يفعلون وهم يرون أن الشعوب قد انتفضت وتحركت؟ لا بُدّ أن يتظاهروا بركوب الموج، ومساندة الثائرين، ليلتفوا على هذه الثورات وليؤثروا على مسارها. يقررون مساندة مصر وتونس اقتصاديًا بعنوان تشجيع الديمقراطية، ولكن من حقنا أن نقلق من محاولاتهم للتأثير على توجهات الوضع الجديد في تونس ومصر. ولنا أن نتساءل: ما سرّ مواقفهم الازدواجية؟ لماذا يتعاطفون مع شعب ويبهت هذا التعاطف مع شعب آخر؟ يضغطون على حاكم للتخلي عن السلطة ويسكتون عن آخر؟

كل ما يقومون به يستهدف خدمة مصالحهم وتوجهاتهم، وهذا أمر طبيعي متوقع

منهم، وقد لا يلامون في ذلك بقدر ما نلام نحن. لا ينبغي أن نلوم الآخرين إذا فكروا في مصالحهم، فهم ليسوا جمعيات خيرية، إنما نلام نحن إذا انخدعنا بشعاراتهم، وإذا تركنا الثغرات لينفذوا من خلالها، نتمنى لو أن العالم العربي يقود نفسه بنفسه، وأن الإصلاحات تتحقق من الداخل، وإذا نالت الشعوب تطلعاتها المشروعة فإنها لن تمد يدها لطلب العون من الأجنبي، ولن تكون هذه الفوضى والخلافات الداخلية. الإصلاح الداخلي والانسجام بين الحكومات والشعوب، هو الذي يجنب بلاد المسلمين تدخل الأجانب، ويعزز الأمن والاستقرار.

الخطبة الأولى

قبس من توجيهات الإمام الباقر

ورد عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «إن استطعت أن لا تعامل أحدًا إلا ولك الفضل عليه فافعل»[1].

يحتفي المسلمون الشيعة بذكرى ميلاد الإمام محمد بن علي الباقر الذي يصادف يوم الجمعة غرة شهر رجب الأصب، وبهذه المناسبة العظيمة نتناول أمرين:

الأمر الأول: قبس من توجيهات الإمام الباقر

لنأخذ شيئًا من أحاديث وكلمات هذا الإمام العظيم كهدية قيمة في ذكرى مولده المبارك، فإن أفضل ما يُحتفى به في ذكرى مناسبات الأئمة الأطهار هو تذكر سيرتهم والأخذ بتعاليمهم. ونتأمل ما روي عنه عليه السلام: «إن استطعت أن لا تعامل أحدًا إلا ولك الفضل عليه فافعل».

يسعد البعض من الناس إذا نال من الآخرين شيئًا، لكن أهل الفضل يشعرون بالسعادة أكثر حينما يعطون الآخرين. ولذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «الخلْقُ كلُّهم عيالُ اللهِ فأَحَبُّ الخلْقِ إلى اللهِ أنفَعُهُمْ لِعيالِهِ»[٢]، وجاء عنه صلى الله عليه وآله أيضًا: «خير

---

(١) تحف العقول، ص ٢٩٣.

(٢) مجمع الزوائد، ص ١٩٤، حديث ١٣٣٨٠.

الناس أنفعهم للناس»[١].

إذا قابلت أحدًا من الناس ففكر كيف تنفعه، فكر أن تعطيه ولو فكرة يستفيد منها، فكر أن تستقبله بكلمة تسرّ قلبه، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الكلمة الطيبة صدقة»[٢]. وليكن تعاملك هذا مع القريب والبعيد، مع الزوجة والوالدين والأولاد والأقربين وكل من حولك، حتى من يصلي عن يمينك أو عن شمالك.

إن هذا الشعور الجميل، وهذا التعامل الحسن إذا انتشر في أوساط الناس يخلق مجتمعًا متكاملًا راقيًا، ولذلك أكدت عليه النصوص الشرعية، ومنها ما نجده في مسائل البيع ضمن المسائل الفقهية أنه يستحب للإنسان أن يأخذ ناقصًا عند الشراء وأن يعطي زائدًا عند البيع. تربية للإنسان المسلم حتى يكون في موقع العطاء والبذل للآخرين.

هكذا يربينا الإمام الباقر ويدعونا إلى أن نكون في موقع التفضل والمبادرة.

الأمر الآخر: فضيلة شهر رجب

شهر رجب شهر مبارك كما دلت النصوص والأحاديث، فعلينا ونحن نعيش بركات هذا الشهر الكريم، أن نشعر بأننا نعيش في زمن متميز، له من الفضل عند الله تعالى الكثير، فلا ينبغي أن يمر دون أن نستفيد من بركاته.

يروي الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ أنه قال: «رجب شهر الاستغفار لأمتي فأكثروا فيه الاستغفار فإنه غفور رحيم، ويسمى الرجب الأصب؛ لأن الله صبّ الرحمة على أمتي، فاستكثروا فيه من قول أستغفر الله وأسأله التوبة»[٣].

كما أن جسم الإنسان يحتاج إلى كشف دوري للتأكد من سلامته، فإن روح الإنسان

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني. سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ، (بيروت ـ المكتب الإسلامي)، ص٧١٢، حديث٤٢٦.

(٢) صحيح البخاري. حديث ٢٩٨٩.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٥١٢.

أيضًا تحتاج إلى كشف دوري للتزود بطاقة الإيمان والاتصال بالله تعالى، ولصيانة النفس. وهنا يتجلى معنى الاستغفار، فهو ليس مجرد قول، وإنما هو إقرار بمكامن الضعف وعقد العزم على مجانبة الأخطاء، والعودة إلى الطريق الصحيح، وذلك في مختلف المجالات. وقد ورد عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «رجب شهر عظيم يضاعف الله فيه الحسنات ويمحو فيه السيئات»[(١)].

مستحبات الشهر:

في هذا الشهر الكريم مستحبات كثيرة، على الإنسان أن يأخذ ما يمكنه منها. ومنها صيام الشهر كله، أو نصفه، أو ثلثه، أو عشره، أو ثلاثة أيام منه، أو على الأقل يوم منه، حتى يكتب في الرجبيين. عن علي بن سالم عن أبيه قال: دخلت على الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في رجب وقد بقيت منه أيام، فلما نظر إليَّ قال لي يا سالم: «هل صمت في هذا الشهر شيئًا؟» قلت: لا والله يا ابن رسول الله. فقال لي: «لقد فاتك من الثواب ما لا يعلم مبلغه إلا الله عز وجل، إن هذا شهر قد فضله الله وعظم حرمته وأوجب للصائم فيه كرامته»[(٢)].

ومن مستحبات هذا الشهر العمرة، وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: «أي العمرة أفضل: عمرة في رجب أو عمرة في شهر رمضان؟ فقال: لا، بل عمرة في رجب أفضل»[(٣)]. وعنه عليه السلام: «المعتمر يعتمر في أي شهور السنة شاء وأفضل العمرة عمرة رجب»[(٤)].

ومن المستحبات الأكيدة الصدقة على الفقراء والمحتاجين.

نسأل الله أن يوفقنا للإقبال على طاعته والانتفاع بخيرات وبركات هذا الشهر الكريم.

---

(١) الكافي، ج ٦، ص ٢٩٧.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٧٥.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٣٠١.
(٤) الكافي، ج ٤، ص ٥٣٦.

رعاية السجناء

ورد عن الإمام محمد الباقر ﵇ أنه قال: «إن عليًا أمير المؤمنين قال للحسن والحسين بعد إصابته: احبسوا هذا الأسير ـ عبدالرحمن بن ملجم ـ وأطعموه واسقوه وأحسنوا إساره»[1].

وفي رواية أخرى قال لما أوتي بابن ملجم أسيرًا عنده: «إنَّه أسيرٌ فأحسنوا نزله وأكرموا مثواه»[2].

السجن عقوبة قديمة في تاريخ المجتمعات البشرية، تختلف أسبابها ومواردها باختلاف المجتمعات والقوانين السائدة فيها.

وقد أقرت الشريعة الإسلامية هذه العقوبة لبعض الجرائم والانحرافات، وليس من موارد السجن في الإسلام السجن من أجل تبني رأي فكري أو سياسي، إلا إذا كان دافعًا بالفعل لعدوان أو مخالفة للنظام العام.

فبعد واقعة النهروان سمع بعض أصحاب الإمام علي شخصًا يقال له أبا العيزار الطائي، وهو يجهر برأي الخوارج، ونقلوا حديثه. فقال الإمام علي ﵇: ما أصنع به؟

قالوا: تقتله.

---

(١) مستدرك الوسائل. ج ١١، ص ٨٠.

(٢) الطبقات الكبرى. ج ٣، ص ٣٥ .

قال الإمام: أقتل من لا يخرج عليّ؟

قالوا: تحبسه.

قال: وليست له جناية أحبسه عليها. خلوا سبيل الرجل[١].

حقوق السجناء:

وإذا كان السجين قد سجن بسبب جناية قام بها، أو خطأ ارتكبه، فإن سجنه لا يجرده من حقوقه كإنسان. وما دام قد أصبح أسيرًا فأمره بيد الجهة التي سجنته، فتكون مسؤولة عن الاهتمام بشؤونه ومراعاة حقوقه. وقد اهتم الإسلام كثيرًا بأمر السجناء، ويتفق الفقهاء المسلمون سنة وشيعة: أن أول شيء ينبغي على القاضي فعله عندما يتبوأ منصبه في مجلس القضاء، أن ينظر في حال السجناء؛ لأن الحبس عذاب، فيخلصهم منه، ولأنه قد يكون منهم من تم عليه الحبس بغير حق.

إن من حق كل سجين أن تدرس حالته، ويحال للقضاء للبت في حكمه، فكم من سجين يبقى في السجن مدة طويلة لا يدري ما مصيره، وما هو جرمه و عقابه، وهذا بحد ذاته عذاب، فالانتظار أشد من القتل.

ومن حق السجين أيضًا أن يسجن في مكان يناسب كرامته الإنسانية، كان أمير المؤمنين علي يوصي خيرًا بسجينه وهو قاتله، الذي قام بأبشع جريمة وهي قتل رأس السلطة الشرعية فإن أمير المؤمنين ﵇ قال: «ألينوا فراشه وأحسنوا مطعمه ومشربه»[٢]. بل كان يرفع من طعامه وشرابه ويقول: «احملوه إلى أسيركم»[٣].

هذه ليست مجرد منقبة لعلي، بل إن في ذلك توجيهًا للأمة، وكان أمير المؤمنين كما يروي الإمام الباقر يخرج من كان في الحبس في دين أو تهمة إلى الجمعة فيشهدونها،

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١٤ ص٣٦٦.
(٢) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية، ج ٤، ص١٠٠٤.
(٣) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ٢٨٩.

ويضمنهم الأولياء حتى يردونهم.

هناك ثلاثة أبعاد ينبغي مراعاتها مع السجين:

الأول، وضعه في السجن: بأن يعامل معاملة كريمة تليق به كإنسان، وأن يراعى وضعه الصحي والنفسي، وأن يتمتع بكامل حقوقه حتى بالنسبة للأمور الترفيهية.

الثاني، وضعه العائلي: فإذا كان هو قد أجرم فما ذنب عائلته؟ ينبغي أن تكون هناك مراعاة وتفقد لأحوال عائلة السجين، سيما إذا كان السجين هو رب الأسرة أو المعيل لها، فإن حالها يسوء بدونه. فلا ينبغي أن نصيّره وبالًا على أسرة كاملة ليس لها ذنب، ونتركها في مهب الأخطار والجرائم.

الثالث، تأهيل السجين لما بعد السجن: في كثير من الأحيان عندما يطلق سراح السجين ويخرج لمجتمعه، فإن نظرات شزراء تلاحقه، وتشعره بأنه عار على المجتمع، ولا محل له فيه. وهذه نظرة غير صحيحة، كل إنسان معرض للخطأ، ولكن معاملته بهذه القسوة والجفاء يزيد من شقائه، بل يرجعه إلى طريق الفساد إذا ما كان قد فكر في التوبة. ينبغي أن نفكر كيف نعيد تأهيل السجين للاندماج مجددًا في المجتمع، وأن نساعده على إصلاح نفسه وسلوكه، ففي ذلك مصلحة له وللمجتمع.

الجمعية الوطنية لرعاية السجناء:

في عام ١٤٢٢هـ تأسست في المملكة العربية السعودية (الجمعية الوطنية لرعاية السجناء) وأطلق عليها اسم (تراحم)، ولها ١٥ فرعًا في مختلف مناطق المملكة، وهي لجنة خيرية ذات شخصية اعتبارية مستقلة مقرها الرياض، ومصرحة رسميًا يرأس مجلسها وزير الشؤون الاجتماعية، وتموّل من الدولة ورجال الأعمال ومن الصدقات والزكوات. مهمتها الاهتمام بشؤون السجناء، وتفقد أوضاعهم داخل السجن، والنظر في قضاياهم، فكمٍ من قضية سهلة يسجن صاحبها لمدة طويلة، وهي لا تحتاج أكثر من التفاتة من أهل الخير. وكذلك من مهامها الاهتمام بأوضاع عوائل السجناء، والتفكير

في تأهيل السجين وإصلاح سلوكه، وإعادته للمجتمع عنصرًا صالحًا.

ونحن بحاجة ماسة إلى فرع لهذه الجمعية في منطقتنا، وإلى أن يكون عندنا اهتمام أهلي بموضوع السجناء. فالسجناء جزء من المجتمع ولا ينبغي أن نتخلى عنهم، علينا أن نهتم بأمورهم، وأن نتواصل معهم، سيما في المناسبات العامة كالأعياد. وفي ذلك يتحقق أمن المجتمع وسلامة أفراده.

ذكرى تأسيس منظمة العفو الدولية:

يصادف هذا الأسبوع ذكرى مرور خمسين عامًا على تأسيس منظمة العفو الدولية، وإننا إذ نتحدث عنها لا لنمجد كل أدوراها، ولكن لنقول نحن كمسلمين أولى بمثل هذه المبادرات. فهذه المنظمة بحكم انطلاقها من بيئة غربية فهي تنتمي إلى قيم وثقافة تلك البيئة، وقد تتأثر بعض مواقفها بالمصالح السياسية، ولكن هذا لا يعني أن نتجاهل جوهر الفكرة في حركة هذه المنظمة.

هذه المنظمة تأسست على يد محامٍ بريطاني اسمه (بيتر بيننسون) عام ١٩٦١م، حيث سمع عن سجن طالبين شابين من البرتغال، حكم عليهما بالسجن سبع سنين لمجرد تبنيهما رأيًا سياسيًا. تألم لوضعهما، وفكر أن يضغط على السلطة البرتغالية لإطلاق سراحهما، فأخذ يمطرها بوابل من الرسائل المطالبة بالإفراج عنهما، وأقنع آخرين بفكرته، وكوّن لجنة من أجل الاهتمام بالسجناء والإفراج عنهم، ثم تحولت الفكرة إلى مؤسسة دولية عالمية. وهي تضم الآن أكثر من ثلاثة ملايين نصيرًا وعضوًا وناشطًا، في أكثر من ١٥٠ بلدًا من أنحاء العالم. مهمتها الدفاع عن سجناء الرأي بغض النظر عن انتماءاتهم ومناطقهم، وأديانهم، وما أحوجنا كمسلمين إلى هذا التفكير الإنساني، ومع الأسف حتى الأمور الإنسانية أصبحت مؤطرة لدينا بأطرٍ ضيقة دينية ومذهبية وعرقية وقبلية.

الشيعي قد يهتم بسجناء الشيعة ولا يهتم بسجناء أهل السنة، والسني قد يهتم

بالسجناء السنة ولا يعير اهتمامًا للسجناء الشيعة! بلغني أنه قام بعض المتبرعين في شهر رمضان بتقديم وجبات إفطار صائم للسجناء في أحد سجون المنطقة، لكنهم اشترطوا على إدارة السجن أن تخصص الوجبات للصائمين من أهل مذهبهم فقط.

هذا تفكير ضيق، وعلينا أن نحارب هذه الأفكار، وأن نستفيد من الجمعيات الموجودة للاهتمام بالسجناء. وأرجو أن يوفق الله الطيبين ليسعوا لتأسيس هذه اللجنة لرعاية السجناء والاهتمام بهم في المنطقة.

هذه ثغرة في العمل التطوعي الخيري في المجتمع لا تزال شاغرة، ونأمل أن يسدّها المبادرون من أهل الخير.

الخطبة الأولى

ثلاثون عامًا على اكتشاف مرض الإيدز

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[سورة الروم، الآية: ٤١].

ترتكز الحياة على منظومة من السنن والقوانين، وأي مخالفة من الإنسان لشيء من هذه السنن والقوانين فسوف يواجه ارتداد ذلك عليه. إن ما تحمله الشرائع السماوية من أحكام وضعت لتكون منسجمة مع سنن الحياة وقوانين الكون، لكن الإنسان قد لا يعرف كثيرًا من مضامين هذه السنن والقوانين فيقوم باختراقها، ولربما علم لكنه يتساهل في الالتزام، أو يغفل عن ذلك، فترتد عليه المضاعفات.

لذلك فإن معظم ما يصيب البشر من مفاسد وأضرار هو بسبب مخالفتهم لسنن الحياة، ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ما من نكبة تصيب العبد إلا بذنب»[1]، وفي الآية الكريمة يقول تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ والفساد هو الخلل، وهو مقابل الصلاح، هذا الخلل الذي أصاب مختلف مجالات الحياة، وحسب تعبير الآية: ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. إنما يحصل: ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ لأنهم خالفوا القوانين والسنن الحاكمة على الكون والحياة، جهلًا أو تساهلًا فارتدت عليهم المضاعفات. وورد عن الإمام علي الرضا عليه السلام: «كلّما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا يعملون، أحدث

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٠١.

الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»[1] أي كلما اخترق البشر قوانين وسننًا في هذه الحياة، ظهرت لهم بلاءات لم يكونوا يعرفونها، كما نشهد في كل فترة انتشار مرض من الأمراض.

مرض الإيدز:

مرّ على العالم البشري ثلاثون عامًا لظهور مرض الإيدز، حيث تم اكتشافه عام ١٩٨١م في وسط مجموعة من الرجال المثليين في لوس أنجلوس بكالفورنيا من قبل الطبيب الأمريكي مايكل غوتليب. وبهذه المناسبة عقدت الأمم المتحدة في نيويورك بتاريخ ٨ يونيو ٢٠١١م مؤتمرًا شارك فيه رؤساء ووزراء ومستشارون من ثلاثين دولة، لتقويم ودراسة وضع هذا المرض في العالم. حيث إن انتشاره يهدد المجتمع البشري، فقد نشرت منظمة الأمم المتحدة إن ٣٤ مليون شخص مصابون حاليًا بمرض نقص المناعة المكتسب (إيدز) حتى نهاية العام الماضي، في وقت كشفت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) عن وجود أكثر من ١٦ مليون طفل يتيم بسبب المرض. وجاء في تقرير الأمم المتحدة أن ستين مليونًا أصيبوا بالمرض منذ بداية انتشاره في الثمانينيات وإن ثلاثين مليونًا منهم توفوا.

ويصاب سبعة آلاف شخص في العالم كل يوم بمرض الإيدز منهم ألف طفل يوميًا.

هذا المرض الخطير الذي أقلق العالم ما حقيقته؟ وما هي أسبابه؟

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن خلق في جسم الإنسان جهاز مناعة، فقد يواجه جسم الإنسان ميكروبات ودخول أجسام غريبة كالجراثيم، وذلك يسبب له خللًا وأمراضًا، ودور هذا الجهاز الذي يتكون من كريات الدم البيضاء، ضمن مجموعة خلايا يطلق عليها الخلايا الليمفاوية، تتصدى لمكافحة ومقاومة هذه الميكروبات

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٧٥.

والأجسام الغريبة الوافدة إلى الجسم. وقد حيّر هذا الجهاز المكافح لحماية الإنسان من داخله الأطباء والعلماء، حيث إنهم يرون بأن الجنين حينما يتكون في رحم المرأة، يكون نصفه من الأب فهو جسم غريب، ولكن جهاز المناعة مسالم معه، ولا يقوم بمهاجمته! وحين يقوم الأطباء بزراعة عضو جديد كالكلية أو الكبد في جسم الإنسان، فإنهم يواجهون مشاكل مع جهاز المناعة، فإذا أضعفوا هذا الجهاز تضرر جسم الإنسان، وإذا مكّنوه فإنه يرفض الجسم الجديد. وهذا كله يدل على قدرة الله وحكمته البالغة.

لكن هذا الجهاز المقاوم للميكروبات والجراثيم الغريبة قد تدخل عليه (فيروسات) تقوم بمهاجمة كريات الدم البيضاء التي يتشكل منها نظام المناعة، وعندها يبدأ جسم الإنسان بالتضعضع، وأي جرثومة تصيبه تفتك به، حتى ينتهي به الأمر غالبًا إلى الوفاة.

الإصابة بهذا الفيروس الذي يقضي على جهاز المناعة يسمى مرض الإيدز، ويعرف علميًا بأنه اعتلال خطير ينتج عن عجز مقدرة أجهزة المناعة في الجسم على محاربة الأمراض.

أسباب انتقال المرض:

السبب الأول: عن طريق الاتصال الجنسي، سيما الاتصالات الجنسية غير المشروعة كالعلاقات الشاذة (اللواط) أو ممارسة الجنس مع المومسات.

السبب الثاني: انتقال الدم الملوث إما بداعي العلاج، أو بسبب أمور عادية مثل موس الحلاقة، وكذلك الحقن التي يستخدمها مدمنو المخدرات، ولذلك يزداد انتشار مرض الإيدز في أوساط المدمنين.

السبب الثالث: نقل الأم المصابة المرض إلى جنينها.

هذا المرض سببه الرئيس الذنوب والمعاصي التي يرتكبها البشر حينما تكون

العلاقات الجنسية خارج الإطار المشروع، وحينما لا يكون هناك مراعاة لسائر القوانين والأنظمة الصحية. كانت مجتمعاتنا الإسلامية بعيدة عن هذه المنزلقات، لكن بسبب الانفتاح على المجتمعات الأخرى، وحصول الانحرافات الجنسية، أصبحت مجتمعاتنا مهددة بانتشار هذه الأمراض. تقول إحدى المصابات لإحدى الصحف: «أنا ضحية زوجي لا سامحه الله، فقد نقل لي المرض بعد سفره إلى تايلاند، ويبدو أنه التقط المرض من إحدى المومسات ونقله لي.. وأنا الآن في انتظار الموت ولا يؤرقني إلا ترك بناتي دون أم بعد أن ضيعنا الأب».

وحسب إحصائيات رسمية، فإنه في المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٨٩ وحتى ٢٠٠٩م رصدت ١٥,٢١٣ حالة إصابة بالإيدز، وقد مثلت العلاقات الجنسية حوالي ٩٥٪ من طرق العدوى، تليها العدوى من الأم إلى الجنين ٣٪ ثم تعاطي المخدرات بالحقن ٢٪. هذا الرقم هو ما دعا إلى تكوين جمعية تعنى بالوقاية من هذا المرض، والعناية بالمصابين به، فصدر قرار وزير الشؤون الاجتماعية بتاريخ ١٤٢٩/٩/٢٢هـ بتسجيل (الجمعية السعودية الخيرية لمرضى الإيدز) بمحافظة جدة، تكون مهمتها المساعدة في علاج المصابين، والعناية بأوضاعهم الاجتماعية، حيث إن المصاب قد يعاني من تهميش وعزل اجتماعي، في حين أن اكتساب المرض ليس دائمًا بسبب الانحراف الجنسي أو الإدمان، فقد يحصل بسبب العدوى، والناس لخوفهم من العدوى فإنهم حذرون جدًا في التعامل مع المصابين به.

ويكلف علاج المريض الواحد في السنة ١٢٠ ألف ريال، وسعر أقل عبوة دواء تصل قيمتها ٥٠٠٠ ريال. ومنذ ثلاث سنوات اعتمد فحص الإيدز ضمن الفحوصات التي تجرى قبل الزواج، وتكلفة فحص الإيدز من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ ريال.

نحن بحاجة إلى التوعية بهذا المرض، وأسباب حصوله، وكيف نتعامل مع المصاب؟ فالمصاب إنسان، وقد تكون إصابته ناتجة عن عدوى وليست عن إجرام، وحتى لو كانت بسبب الانحراف فهي لا تعني أن نتجاوز حقوقه كإنسان، ونتخلى عن

العناية به.

تسعى منظمة الأمم المتحدة إلى القضاء على الإيدز بحلول عام ٢٠١٥ وتحقيق ما سمي بالأصفار الثلاثة، وهي: صفر الإصابة بالمرض، وصفر في نسبة الوفيات الناجمة عن المرض، وصفر في ممارسة التمييز ضد مرضى الإيدز.

ويتوجب علينا كمسلين أن نكون أول من يحارب هذا المرض بعلاج أسبابه، وأهمها التزام قوانين وسنن الحياة التي بينها القرآن الكريم، وأبرزها ديننا القويم. كما أن علينا التفاعل مع التوصيات والبرامج الدولية للتعامل مع هذا الداء على المستوى الرسمي والأهلي.

نسأل الله تعالى أن يحمينا جميعًا من كل شرّ، وأن يجنبنا البلاء والأسقام.

الخطبة الثانية

استدعاء الوصاية الدولية

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾[سورة النساء، الآية:١٤١].

أراد الله سبحانه وتعالى أن تبقى الأمة الإسلامية متمسكة بعزتها وكرامتها، مستقلة في قراراتها، بعيدة عن أي هيمنة أجنبية من أي طرف كان. والسبيل إلى ذلك لا يتحقق إلا إذا سلكت الأمة طريق الوحدة والتآلف، والعمل والبناء، والتضحية والعطاء. غير أن واقع الأمة اليوم بات مؤلمًا إلى درجة أضحى معها المسلمون أنفسهم يستغيثون بالقوى الأجنبية للتدخل لإنقاذهم من الويلات التي يتجرعونها من حكامهم المستبدين.

إن الآية الكريمة تحدد الوضع الأمثل الذي يجب أن تكون عليه الأمة، فالله سبحانه وتعالى لن يجعل للكافرين طريقًا يمكنهم من السيطرة على المؤمنين، ولا يريد الله لهذه الأمة أن تكون خاضعة لأية هيمنة أجنبية، ولكن السؤال: هل تحقق هذا الواقع للمؤمنين؟

لقد اختلف المفسرون في تفسيرهم للآية الكريمة ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ فمنهم من رأى أنها في معرض الحديث عن مراتب المؤمنين والكافرين في الآخرة، وأن المؤمنين لا بُدّ وأن يكونوا في مرتبة العلو والنصر على غيرهم هناك، فيما رأى فريق آخر من المفسرين أن الآية ذات مفهوم عام ينطبق على الحياة الدنيا كما الآخرة.

وقد استشهد الفريق الأول بمطلع الآية الكريمة ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ في الدلالة على أن معنى الآية مختص بيوم القيامة. وأورد السيوطي في الدر المنثور: وأخرج ابن جرير عن علي ﷺ: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾ قال: في الآخرة[1].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى القول بأنه لن يكون للكافرين حجة ومنطق أقوى من حجة ومنطق المؤمنين. فلا سبيل لهم على المؤمنين في مجال الحجة والدليل والبرهان.

فيما يرى الفريق الآخر من العلماء والمفسرين أن الآية لا تختص بالآخرة، ولا تختص بإثبات قوة الحجة والمنطق لدى المؤمنين، وإنما تشير أيضًا إلى الواقع الحياتي للمؤمنين، بأن يكون عصيًا على إرادة الأعداء. وقد أصبحت الآية قاعدة فقهية: ففي عالم التشريع لم يجعل ولن يجعل الله حكمًا يكون موجبًا لسبيل وسلطان للكافرين على المؤمنين. لذلك لم يجز الفقهاء بيع عبد مسلم على كافر، ولا يقر على ملكيته، ولا تبقى زوجة الكافر المسلمة على زوجيتها له، ولا يرث كافر مسلمًا. وتلك بعض المصاديق الجزئية لتطبيقات هذه القاعدة والمبدأ العام، وهو عدم الخضوع لهيمنة أجنبية. فلا يصح أن يتخذ في بلاد المسلمين قرار أو إجراء يتيح المجال لنفوذ الأعداء وهيمنتهم.

ولكننا هنا بإزاء إشكال قائم إذا نظرنا إلى الواقع التاريخي للمسلمين، فقد كانوا واقعين في عهود كثيرة تحت هيمنة الكافرين وسيطرتهم، وكأن الواقع يناقض الآية الكريمة!. وقد أجاب العلماء على هذا الإشكال بأن ذلك عائد إلى خلل في التزام الإيمان، فلو كان هؤلاء المسلمون يطبقون الإسلام بشكل صحيح، لما أتاحوا فرصة للأعداء للسيطرة عليهم. لأن الأمة التي تلتزم إيمانها التزامًا صحيحًا لن تترك للكافرين

---

(١) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي. الدر المنثور. ج٢، ص٢٣٥.

مجالًا للهيمنة عليها، وإذا ما اعتدي عليها فإنها ستقاوم وتمانع.

الاستعمار والنفوذ الغربي:

وقعت الشعوب العربية والإسلامية تحت وطأة الاستعمار فور سقوط دولة الخلافة الإسلامية، فتقاسم الغربيون بلاد المسلمين، وبسطوا نفوذهم فيها، الأمر الذي قابله المسلمون بمقاومة طويلة حاربت هؤلاء المستعمرين حتى أخرجتهم من أراضيها، غير أن المؤسف أن الوجود الاستعماري لم يبرح مكانه، فقد خرج ـ كما يقال ـ من الباب وعاد من النافذة!

وقد خرجت القوات العسكرية الأجنبية من البلاد الإسلامية إبان ما عرف بمرحلة التحرر من الاستعمار، غير أن المستعمرين أنفسهم ظلّوا يتحكمون بمقاليد الأمور من خلف الستار. فقد كان الحكام الذين حكموا معظم بلدان المسلمين أبعد ما يكونون عن مجتمعاتهم، ولم يكونوا يحملون أي قدر من روح العزة والكرامة. ولهذا أطبق المستعمرون سيطرتهم عبر هؤلاء الحكام الذين كانوا يستقوون بالدعم الأجنبي على شعوبهم.

لقد رفضت الشعوب الإسلامية سلوك هؤلاء الحاكمين، وينقل في هذا السياق أن الملك فيصل الأول الذي نصبه البريطانيون حاكمًا على العراق عند انسحابهم بعد ثورة العشرين، حضر حفلًا للاحتفاء بتنصيبه، فارتقى المنصة السيد صالح الحلي، وهو خطيب مرموق، وأنشد قائلًا:

عش في رفاهٍ ونُعمى ... من الحقيقة أسمى

فصفق له الحاضرون بحرارة، لكنه فاجأهم بالبيت الثاني:

فأنت للملك اسم ... والإنجليز المسمى

وقد عرف في تلك الآونة أن لكل وزير في العراق مستشارًا بريطانيًا تكون له كلمة الفصل في كل أمر، حتى قال الشيخ محمد رضا الشبيبي:

قالوا استقلت في البلاد حكومة　　فعجبت أن قالوا ولم يتأكدوا
أحكومة والاستشارة ربها　　وحكومة فيها المشاور يعبد؟
المستشار هو الذي شرب الطلا　　فعلام يا هذا الوزير تعربد؟

وما إن قال هذا البيت الأخير حتى ارتجت القاعة تصفيقًا وهتافًا، مطالبين إياه بإعادة البيت، وكان من بين الحاضرين آنذاك رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، فعدل الشيخ الشبيبي عمامته وأعاد البيت بعد أن جعله أكثر صراحة قائلًا:

المستشار هو الذي شرب الطلا　　فعلاما يا «نوري السعيد» تعربد؟

وضمن ذات السياق الرافض للنفوذ الأجنبي المتستر أنشد الشاعر العراقي معروف الرصافي أبياتًا شهيرة إبان زيارة تشارلز كراين، مبعوث لجنة تقصي الحقائق المنبثقة عن مؤتمر باريس للسلام، التي أرسلها الرئيس الأمريكي ويلسون إلى منطقة الشرق الأوسط للتأكد من رغبات شعوب المنطقة، فقال الرصافي أبياته الشهيرة:

جئت يا مستر كراين　　فانظر الشرق وعاين
فهو للغرب أسير　　أسرَ مديونٍ لدائن
قد ملكنا كل شيء　　نحن في الظاهر لكن
نحن في الباطن لا　　نملك تحريكًا لساكن
أفهذا جائز في الغرب　　يا مستر كراين؟

ذلك هو تعبير عن رفض الشعوب للنفوذ الأجنبي الذي كان يجري من خلف الستار.

عودة الجيوش الغربية للمنطقة:

غير أننا اليوم بتنا نعيش مرحلة أخطر يجري فيها العمل على إعادة الوصاية الأجنبية الفعلية على بلاد المسلمين، عبر بسط النفوذ العسكري في المنطقة مجددًا. وقد رأينا في هذا السياق ما حصل في أفغانستان والعراق وما يجري في ليبيا الآن.

إلا أن الشيء الأكثر إيلامًا من كل ذلك هو اتجاه شعوب المنطقة للاستغاثة بالقوى الأجنبية، وهي التي طالما حاربت هذه القوى المحتلة، كل ذلك نتيجة لتجرع هذه الشعوب الويلات من حكامها المستبدين. ولا شك أن القوى الأجنبية ستكون مستعدة تمامًا لفرض هيمنتها المباشرة مجددًا باستغلال هذه الفرصة السانحة.

إن المدخل الرئيس لخطر تجدد النفوذ الأجنبي المباشر في بلاد المسلمين هو الخلل القائم بين الحكومات وشعوبها. لقد رأينا بعض الحكام الذين رفضتهم شعوبهم يتشبثون بالحكم بكل ما أمكنهم حتى لو اضطروا لإبادة شعوبهم!. إن على هؤلاء الحكام أن يرحلوا ليقف نزيف الدماء التي خضبت وجه الأرض، وأن عليهم أن يعوا نتيجة أفعالهم، وأن يكتفوا بسنوات حكمهم الطويلة التي نهبوا فيها خيرات شعوبهم.

نسأل الله أن يمنّ على الأمة الإسلامية بالخلاص والأمن والاستقرار.

الخطبة الأولى

العمالة المنزلية.. إنسانية مهدورة

روى إبراهيم بن محمّد الثقفي في كتاب الغارات بإسناده إلى مختار التمّار قال: «أتى أمير المؤمنين سوق الكرابيس، فاشترى ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين. فقال: يا قنبر، خذ الذي بثلاثة، قال: أنت أولى به يا أمير المؤمنين، تصعد المنبر وتخطب الناس. فقال: يا قنبر، أنت شابّ ولك شره الشباب، وأنا أستحيي من ربّي أن أتفضّل عليك، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون»[1].

تورد الراوية الآنفة جانبًا مهمًا من هدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إزاء التعامل مع الخدم، ما أحرانا ونحن نعيش ذكرى ولادته أن نتتلمذ على سيرته المباركة، فإن أفضل إحياء لذكريات هؤلاء العظماء الطاهرين هو الاقتباس من هديهم، والاستضاءة بسيرتهم. فلنا أن نتساءل هنا؛ كيف كان يتعامل الإمام علي مع خدمه؟

وقبل الإجابة عن التساؤل آنف الذكر، نشير هنا إلى التطور الأبرز على صعيد العمالة المنزلية في العالم، الذي حدث بالتزامن مع مناسبة ذكرى مولد الإمام علي عليه السلام هذا العام، حيث أقرت منظمة العمل الدولية يوم ١٦ يونيو ٢٠١١ في جنيف أول

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤٣.

معاهدة دولية لحماية عمّال المنازل في جميع أنحاء العالم. هذه الخطوة التي وصفتها المنظمة باللحظة التاريخية جاءت بموافقة ١٨٣ دولة عضوًا فيها، وقالت إن المعاهدة ستضع ما بين ٥٠ مليون و١٠٠ مليون خادم وخادمة تحت مظلة معايير العمل الدولية.

وبالعودة إلى الرواية الشريفة أعلاه، تشير الرواية إلى أن عليًا ذهب ومعه خادمه قنبر إلى السوق، واشترى ثوبين، أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، وقد آثر الإمام خادمه على نفسه، فأخذ هو الثوب الأرخص، وأعطى الأغلى لخادمه، فاعترض قنبر قائلا: يا أمير المؤمنين، أنت أولى بهذا الثوب؛ لأنك تصعد المنبر وتخطب في الناس، فينبغي أن يكون ثوبك لائقًا مناسبًا، فأجابه الإمام بجوابين، الجواب الأول: قال أنت شاب ولك شره الشباب، ومؤدى ذلك بنظر الإمام أن كون قنبر شابًا فينبغي أن يلبس ما يناسبه بين أقرانه، وأن من حقه أن يتمتع بشبابه.

واتجه الإمام في جوابه الثاني ناحية التعليل الديني لموقفه حيث خاطب خادمه: إني أستحيي من ربي أن أتفضل عليك، فالإمام يستحي من الله تعالى أن يكون وضعه المعيشي أفضل من خادمه، حتى وهو في موقع السلطة السياسية، والسيد لهذا الخادم الشاب.

إن هذا الموقف من الإمام يظهر إلى أي مدى كان خلقه والتزامه المبدئي إزاء هذه القضية الاجتماعية. ثم ينقل عن رسول في سياق التعليل: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألبسوهم مما تلبسون، وأطعموهم مما تأكلون.

ولعل الدرس الأهم الذي أراد أن يقدمه لنا علي عليه السلام، هو ألّا نشعر الخدم الذين تحت أيدينا، ويعملون في منازلنا، بأنهم في مرتبة دونية، إذ ينبغي أن يكون مستوى معيشتهم وملبسهم ومأكلهم مناسبًا لحاجتهم الأساسية والاعتبارية، كمراعاة فئتهم العمرية، ووضعهم الاجتماعي، هذا هو الهدي الإلهي القيمي الذي أراد الإمام إيصاله لنا من خلال تعامله مع خادمه قنبر.

احترام إنسانية عمال المنازل:

لقد حاز موضوع العاملين في الخدمة المنزلية على اهتمام دولي واسع، إذ يجري اليوم نقاش عالمي لمعالجة الأوضاع البائسة التي تواجهها العمالة المنزلية، والبالغ عددها أكثر من ٥٢ مليون خادم وخادمة على مستوى العالم. فالخدم غالبًا ما تتقلص فرص إنصافهم عند مطالبتهم بحقوقهم، ما داموا واقعين تحت سلطة غيرهم من أرباب العمل، لذلك فإن نسبة كبيرة من الخدم تتعرض إلى سوء المعاملة.

إن بلدنا غير مستثنى من هذه الحالة، فقد أصدرت منظمة (هيومن رايتس واتش) في يوليو ٢٠٠٨ تقريرًا جاء في أكثر من ١٧٣ صفحة بعنوان (كأنني لست إنسانة) تحدث عن وضع العاملات في المنازل السعودية، الذين يزيد عددهم على مليون ونصف المليون عاملة. ولخصت (نيشا فاريا) الباحثة في قسم حقوق المرأة في (هيومن رايتس واتش) حالة العمالة المنزلية في المملكة بالقول «في أحسن الأحوال تتمتع النساء المهاجرات في السعودية بظروف عمل طيبة، وأصحاب عمل طيبين، وفي أسوأ الأحوال يعاملن كما العبيد.. ومعظم العاملات تتراوح معاملتهن بين هذين المستويين».

لقد جاء عنوان التقرير معبرًا (كأنني لست إنسانة)، فهذه الخادمة لا تشعر بأنها إنسانة لها حقوق، وذلك بسبب سوء معاملة أرباب العمل وأصحاب المنزل معها، ففي كثير من الأحيان لا يكون وقت العمل محددًا، فالمعروف دوليًا أن ساعات العمل هي ثمان ساعات في اليوم، فيما نجد خادمات يشتغلن في كثير من الأحيان ١٨ ساعة في اليوم، إن هذا العمل تكليف بما لا يطاق، فإذا كان لا بدّ من أن تعمل الخادمة لأكثر من ثمان ساعات فيجب أن تعطى أجرًا إضافيًا، وخلاف ذلك يصبح نوعًا من الإجحاف والظلم.

كما يواجه بعضهن تأخرًا في دفع الأجور والرواتب، وهذا زيادة في الظلم

والاجحاف، زد على ذلك عدم إتاحة فرصة التمتع بعطلة أسبوعية، فكما هو معروف دوليًا بأن كل موظف وعامل يتمتع براحة أسبوعية ليوم أو يومين. وأخيرًا ما تتعرض له العاملات في بعض الأحيان من الإساءة والإهانة والتحرش والنظرة الدونية، إن هذا النوع من المعاملة السيئة يُعدّ حرامًا وجرمًا كبيرًا بحق هؤلاء البشر.

وعلينا أن نعلم من ناحية دينية أن هذا العامل أو العاملة إن لم تسعفهما القوانين والأنظمة لأن ينتصفا لنفسيهما في الدنيا، نتيجة قصور القوانين، أو بسبب ضعفهما عن الدفاع عن حقوقهما، فعلينا أن نعرف بأن الله تعالى بصير خبير مطّلع على عباده، وأنه بالمرصاد لكل ظالم.

ولنا أن نطّلع على تراثنا الديني في هذا الصدد، فهناك كثير من النصوص التي تعلمنا كيف نتعامل مع الخدم والعاملين، ومنها ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ظلم الضعيف أفحش الظلم»[1]، وورد عنه أيضًا عليه السلام: «إياك وظلم من لا يجد عليك ناصرًا إلا الله»[2]، وقد روى الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليكسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه، فإن كلفه ما يغلبه فليعنه»[3].

التجاوز عن الأخطاء:

وهناك ـ في السياق نفسه ـ مسألة مهمة ترتبط بالتعامل مع هذه العاملة وذاك العامل، بالنظر لظروفهم الخاصة التي تصيب أي إنسان، من حالات الغفلة والنسيان والخطأ والاشتباه، إذ لا ينبغي للإنسان أن يصب جام غضبه على العامل حينما يخطئ أو يغفل. فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن رجلًا جاءه فقال يا رسول الله: «كم نعفو

---

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٠٨.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤١.

عن الخادم؟ فصمت عنه، ثم قال ﷺ: اعفُ عنه كل يوم سبعين مرة»[١]. والمقصود بذلك أن يكون لدى الواحد منا المرونة والاستعداد لتحمل أخطاء العاملين تحت يده. ويروي أبو مسعود الأنصاري يقول: كنت أضرب غلامًا فسمَّعني من خلفي صوتًا. اِعلم أبا مسعود، اِعلم أبا مسعود، إن الله أقدر عليك منك عليه، فالتفت فإذا هو النبي، فقلت يا رسول الله ﷺ: هو حرّ لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفحتك النار»[٢].

ونحن نتساءل بدورنا، كيف تسمح نفوس البعض أن يصبوا جام غضبهم على خدمهم وعمالتهم، حتى أصبحت مشكلة قائمة ومادة دسمة في التقارير الحقوقية الدولية؟ وهذا الإمام علي بن موسى الرضا يعطينا درسًا آخر: فقد روى نوح بن شعيب، عن ياسر الخادم ونادر قالا: قال لنا أبو الحسن إن قمت على رؤوسكم وأنتم تأكلون، فلا تقوموا حتى تفرغوا، ولربما دعا بعضنا فيقال هم يأكلون فيقول: دعوهم حتى يفرغوا»[٣]، في مقابل ذلك نجد كثيرًا منا لا يقيم وزنًا للعاملين لديه ولا يعير اهتمامًا للحياة والأوقات الخاصة بهم، والأسوأ من ذلك أن ينتقل تعاملنا السيئ مع الخدم إلى أولادنا، فيتعاملون هم كذلك بقسوة وسوء أدب مع الخدم، ويتربون على التعالي والغرور والتكبر عليهم.

من هنا، وفي ذكرى مولده الشريف، ينبغي أن نتعلم هذا الدرس من أمير المؤمنين علي عليه السلام في تعاملنا مع العاملين تحت أيدينا، والأهم من ذلك كله أن نعلم بأن الثواب لا ينحصر في العبادات كالحج والعمرة والزيارة وما شابه، بل أيضًا في حسن التعامل مع الناس، كما أن العقاب الأكبر هو في ظلم الآخرين.

---

(١) السنن الكبرى، البيهقي، ج ٨، ص ١١.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٤٢.

(٣) الفروع من الكافي، ج٦، ص ٢٩٨.

التجربة التركية وأولوية التنمية

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[سورة النحل، الآية: ٩٧].

الحياة الطيبة هي الوضع المعيشي الذي تطيب معه أمور الإنسان، بحيث يكون مرتاحًا عبر تحقق أغلب احتياجاته في مختلف مجالات الحياة. ولا جدال بأن حياة الإنسان لا تتسق مع تحقق جانب حاجاته المادية على حساب حقوقه المعنوية كالكرامة والحرية وحق التعبد، فلا بُدّ وأن تتحقق له حاجاته المادية والمعنوية بالطريقة الملائمة حتى تكون حياته طيبة. لا شك بأن الدين يبشر بالحياة الطيبة في الدنيا، وبخلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن المقصود بالحياة الطيبة هي الحياة في الآخرة، رأى أكثر المفسرين بأن المقصود بالحياة الطيبة هي في عالم الدنيا.

ينطوي مفهوم العمل الصالح الذي يقوم به الإنسان في الدنيا على أبعاد واسعة، ولا ينحصر بأي حال في المجال الديني فقط، وإنما يشمل ذلك إعمار الأرض، والتقدم الصناعي والزراعي، وكل ما ينفع الناس، ويسهم في تسهيل حياتهم. وعلى ذلك فالإنسان المؤمن بالمبادئ والقيم، الذي يمارس الفاعلية بما يعود عليه وعلى غيره بالخير، يبشره الله تعالى بحياة طيبة.

هنالك الكثير من النصوص الدينية الدالة على أن رسالة الإسلام لا تقتصر على

إسعاد المؤمن في الآخرة فقط، فيما تهمل وضعه الحياتي في الدنيا، بل على العكس من ذلك تمامًا، هناك دلائل كثيرة واضحة تشير دون أدنى شك إلى أن هدفية الدين هي سعادة الناس في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، والآية الكريمة ﴿وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إلى جانب الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾.

التنمية التحدي الأكبر:

وهنا يكمن التحدي الأكبر أمام الإسلاميين في هذا العصر، في تقديم برامج تنموية تؤّمن للناس حياة طيبة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، لا أن تكتفي بترغيب الناس بالآخرة وجنانها وحورها، وإغفال أوضاعهم الحياتية، حتى لو كانت خرابًا، في ظل انعدام أدنى المعايير الصحية، ونقص التطور العمراني، والتخلف الحضاري، وانعدام أبسط مقومات الحياة.

إن التدين الحقيقي هو ذلك التدين الذي يدفع باتجاه ترتيب حياة الإنسان في الدنيا. وقد ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «من كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»[١]. لا شك أنه سيكون مخطئًا إلى حدٍّ بعيد من يغفل عن السعي في ترتيب أموره الحياتية، مبررًا موقفه بأن الله سيعوضه بالآخرة خيرًا، حقيقة الأمر ليس هناك ضمانة للتعويض الأخروي في حال لم يحسن الإنسان أعماله في الدنيا، فالله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على تصرفاتهم في هذه الحياة، فالدين في نهاية المطاف ليس مجرد الممارسة العبادية الصرفة من قبيل الصلاة والصوم، بل إن البناء للدنيا هو أساس البناء للآخرة.

إن التحدي الأكبر أمام الإسلاميين هو أن ينجحوا في تقديم برامج تنموية فاعلة تسهم في إسعاد حياة الناس، وأن ينجحوا في نشر وتطبيق تلك البرامج.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ٥٩.

التجربة التركية الرائدة

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى النجاح الساحق الذي حققه حزب العدالة والتنمية ذو الجذور الإسلامية في الانتخابات التركية الأخيرة. والحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان هي أن نجاح الحزب لم يأتِ نتيجة معتقداته وشعاراته أو جذوره الإسلامية، إنما حقق هذا الحزب انتصاراته نتيجة برامجه الاقتصادية والسياسية الناجحة. ففي بلد كانت تسيطر عليه العلمانية المتشددة والمتطرفة ضد الإسلام، استطاع هذا الحزب أن يستقطب الناس، فنجح في ثلاث دورات انتخابية، بدءًا من عام ٢٠٠٢ و٢٠٠٧ وصولًا للانتخابات الأخيرة في يونيو ٢٠١١، وقد اعتبر جميع المراقبين نجاح الحزب في ثلاث استحقاقات انتخابية برلمانية متتالية إنجازا فريدًا من نوعه، وغير مسبوق في التاريخ السياسي التركي، سيما وقد تحصل الحزب في كل مرة على نسبة أصوات أعلى من سابقتها، متخطيًا في الانتخابات الأخيرة ١٥ حزبًا منافسًا.

وتشير الإحصاءات العالمية إلى أن تركيا كانت عشية وصول حزب العدالة إلى سدة الحكم عام ٢٠٠٢ تحتل المرتبة رقم ٢٧ ضمن ترتيب أكبر الاقتصادات العالمية، أما الآن وبفضل السياسات الاقتصادية الناجحة للحزب فقد تقدمت تركيا لتحتل المرتبة ما بين ١٦ و١٧ بين الاقتصادات العالمية، كما أصبح الاقتصاد التركي السادس أوروبيًا، مع تسجيله أعلى نسبة نمو في أوروبا والبالغة «٧٪» وهي نسبة لم تتوفر في أي اقتصاد أوروبي حاضر، علمًا بأن نسبة النمو في تركيا كانت «تحت الصفر» غداة تسلم حزب العدالة رئاسة الحكومة.

لقد حقق العدالة والتنمية نجاحات كبيرة في مختلف المجالات، فقد كان حجم الاقتصاد التركي لا يتجاوز ٢٥٠ مليار دولار أمريكي حينما جاء حزب العدالة والتنمية، أما الآن فقد تجاوز ٨٠٠ مليار دولار. وكذلك تضاعف دخل الفرد السنوي في تركيا، منذ تربع الحزب على سدة الحكم في ٢٠٠٢ بحيث قفز من ٣٣٠٠ دولار سنويًا إلى ١١ ألف دولار. وتبعًا لذلك استطاع هذا الحزب أن ينقل تركيا من دولة

منطوية على ذاتها إلى دولة ذات تأثير إقليمي وعالمي لافت، زد على ذلك ما قدمه الحزب في الانتخابات الأخيرة من برنامج طموح للسنوات المقبلة، كان الاقتصاد هو قوام هذا البرنامج الانتخابي الذي يقع في «١٥٦ صفحة»، يخطط من خلاله لأن تحتل تركيا المرتبة العاشرة اقتصاديًا في العالم بحلول عام ٢٠٢٣، وأن يصبح دخل الفرد التركي ٣٥ ألف دولار في السنة.

تعزيز المواطنة

واللافت في الأمر أنه إلى جانب النجاحات الاقتصادية الكبيرة التي حققها (العدالة والتنمية)، استطاع هذا الحزب ذو الجذور الإسلامية أن يسجل نجاحات سياسية واجتماعية كبيرة على صعيد الداخل التركي، وذلك من خلال تخفيف التوترات السياسية المزمنة بين مختلف فئات الشعب التركي، من السنة والشيعة والمسيحيين والعلويين، إلى جانب القومية الكردية التي ظلت تعيش أزمة مزمنة في تركيا. إن أهم ما فعله الحزب في هذا الإطار هو إشعار مختلف الفئات التركية بمختلف أديانهم وقومياتهم أنهم مواطنون، وأنهم يحظون بالاحترام من حكومتهم.

وقد كان واضحًا تأثير حضور رئيس الوزراء التركي الطيب اردوغان احتفالات المسلمين الشيعة في تركيا باليوم العاشر من المحرم سنة ١٤٣٢هـ، فقد أراحت مشاركته تلك جميع الشيعة الأتراك وغير الأتراك في كل العالم، وهكذا الحال بالنسبة للمشكلة الكردية، فقد لبى كثيرًا من مطالبهم، خصوصًا معاناتهم من مشكلة التهميش القومي الذي يستهدفهم. هذه النجاحات أكثر من أي شيء آخر هي التي جعلت الشعب التركي يلتف حول حزب العدالة والتنمية.

استهلاك الشعارات الأيديولوجية

ونحن إذ نبارك للشعب التركي هذا النجاح، ونبارك لحزب العدالة هذه الانجازات، علينا أن نؤكد على ما يعنيه هذا التقدم والنجاح المتكرر. إن ذلك يعني أن الإنسان

لا يحيا بالأيديولوجية وحدها، والشعارات الدينية والسياسية البراقة، فقد انشغل العالمان الإسلامي والعربي طويلًا بالشعارات السياسية الدينية والماركسية والشيوعية والقومية والبعثية والاشتراكية، حتى ضاعت مصالح المواطنين. فقد بات لسان حال أغلب شعوبنا اليوم، شبعنا من الشعارات، ماذا عن التنمية والتقدم الاقتصادي؟ وأين هو الرفاه الاجتماعي؟. حقيقة الأمر أن أوطاننا باتت منذ زمن تسير إلى الخلف نتيجة هذه الشعارات التي لم تطعم الناس خبزًا. فكما أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان كذلك ليس بالأيديولوجية وحدها يحيا الإنسان.

إن مجتمعاتنا الإسلامية باتت اليوم في أمس الحاجة إلى برامج تنموية حقيقية، فقد شبعنا من الشعارات والأيديولوجيات ونتطلع إلى برامج تطور من حياة الناس وتصنع قوة الوطن والأمة. إن ما حصل في تركيا بقيادة حزب العدالة والتنمية ينبغي أن يكون أنموذجًا على هذا الصعيد. ولعل الدرس التركي الأهم هنا هو أن أي حكومة تهتم بتحقيق طموحات وطنها وشعبها، فإنها ستجد نفسها متجاوزة للمشاكل البينية الداخلية، وتسير بطبيعة الحال باتجاه جمع الناس حول برنامجها التنموي الذي يغير من حياة الناس. في مقابل ذلك عندما لا يكون هناك برنامج تنموي، فإن انشغالات الناس تتجه ناحية المشاكل الدينية والمذهبية والقومية، والأسوأ من ذلك حين يتم إشغال الناس على نحو اعتباطي أو مخطط بهذا النوع من المشاكل التي تشل المجتمعات وتعيق نمو الأوطان.

إن الأوطان لا تبنى إلا بتلاحم أبنائها وتوحدهم تحت برامج تنموية، تنعكس إيجابًا على حياة الناس ومكانة البلاد. ولن يتم ذلك إلا إذا تحملت الحكومة في أي بلد المسؤولية الأولى في تحقيق الوحدة الوطنية، من خلال تعاطيها مع كل المواطنين، واحترام انتماءاتهم وهوياتهم، لتجمعهم في نهاية الأمر ضمن برنامج تنموي موحد، ينهض بالبلد في كل المجالات. هذا تحديدًا ما نجح فيه إخوتنا الأتراك في حزب العدالة والتنمية.

الخطبة الأولى

التربية وصناعة الإنسان

عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ، فأبواه يُهَوِّدانِه، أو يُنَصِّرانِه، أو يُمَجِّسانِه»[1].

الإنسان يأتي لهذه الدنيا صفحة بيضاء، يمكن أن يُكتب فيها أي شيء، وهو أرض خالية تستقبل أي بذرة تلقى فيها.

تتشكل شخصية الإنسان وتتكون صفاته النفسية وتوجهاته الذهنية بالتربية والتنشئة التي يمر بها، وبخاصة في السنوات الأولى من عمره، وهي ما يطلق عليها خبراء التربية أنها السنوات التأسيسية التي تتأسس فيها معالم شخصية الإنسان، فهي التي تحدد توجهات هذه الشخصية في مستقبل حياتها لاحقًا.

لذلك ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه».

وذلك في تعبير واضح بأن التربية التي يتلقاها الإنسان في صغره وطفولته، هي التي تكوِّن الإنسان، وهذا أمر لا يحتاج إلى برهنة واستدلال. غير أن البشرية الآن تواجه مشكلة كبيرة على هذا الصعيد، ذلك أن الأسرة ما عادت تقوم بالتنشئة والتربية كما كان ذلك في الماضي، إن مختلف الشعوب والمجتمعات تشعر الآن بخلل كبير في صياغة وبناء نفسية الأجيال المعاصرة، وحينما يبحث الخبراء والعلماء في مكمن

(١) صحيح البخاري. حديث١٣٨٥.

هذا الخلل، فإنهم يضعون يدهم على هذه النقطة الأساس، وهي العائلة التي فقدت دورها الكبير نحو أطفالها.

وهذه الحالة ولّدتها أسباب، من أبرزها:

ارتفاع مستوى الأنانية

الإنسان المعاصر أصبح أكثر أنانية، ويقدّم ذاته ومصلحته الشخصية، ويؤثرها على كل شيء آخر. في الماضي كان الإنسان يهتم بأطفاله وأبنائه على حساب رغباته وشهواته ومصالحه الشخصية، بينما في هذا العصر وبسب قوة الحالة الذاتية، وقوة التوجهات المادية، انخفضت حالة الإيثار عند العائلة والوالدين اتجاه الأبناء، لذلك نجد في بعض المجتمعات أصبح التوجه للإنجاب ضعيفًا. حيث يتساءلون هناك لماذا ننجب، ونحمل أنفسنا الأعباء؟ ويكتفون بأقل عدد ممكن من الأطفال، حتى لا يحملوا أنفسهم عناءً أكثر وجهدًا أكبر، ويتعجبون من المجتمعات الإسلامية، كيف أنهم يكثرون من الإنجاب والتناسل.

في بعض المجتمعات دقوا جرس الإنـذار، كما في اليابان وألمانيا والدول الإسكندنافية، وذلك لأن عدد الوفيات عندهم أوشكت أن تكون أكثر من عدد المواليد، والشيوخ الكبار في السن بدأ عددهم يزداد ويرتفع في مقابل انخفاض عدد الأطفال والشباب.

وإذا رأت الأم أن أمامها فرصة لتحقيق رغبة من الرغبات.. شهوة من الشهوات قد لا تفكر في أبنائها.. في الماضي كانت تحصل مثل هذه الأمور ـ كحالة شاذة ـ.

اتساع متطلبات الحياة واهتماماتها

هذه المتطلبات الكثيرة جعلت الأب والأم في حالة من اللهاث لتوفير المكاسب واحتياجات الحياة المعاصرة، فالأب والأم يعملان، ومن ثَمَّ لا يجد الأبناء الاهتمام

الكافي لانشغال الأبوين عنهما لفترات طويلة.

في تقرير تحدث عن انتشار المخدرات والإدمان في أفغانستان، وعن وجود أكثر من مليون مدمن للمخدرات في هذا البلد، ذكر بأن من أهم أسباب الإدمان على المخدرات ما تقوم به الأمهات في القرى المختلفة، حيث يعملن في حياكة السجاد، فيصرفن ساعات طويلة في الحياكة، فيجدن مشكلة في التعامل مع أبنائهن الصغار، ولم يجدْنَ من حل سوى أن يعطين أطفالهنَّ جرعه من الهيروين، ليخدرنهم حتى يناموا، فتتفرغ الأم للعمل في حياكة السجاد، لذلك نشأ جيل في أفغانستان من صغره على هذا المخدر.

هذه الحالة التي تعيشها العائلة في هذا العصر أثرت كثيرًا على اهتمامها بتربية أولادها، فتجد الخادمة في المنزل هي مَن تربي الأطفال، وهي بدائل لا تقوم بمستوى ما تقوم به الأم، لأن هذه البدائل تقوم بعمل وظيفي.

ونحن نقرأ ما تنشره بعض التقارير من أنه في كثير من الأحيان تسبب هذه البدائل المشاكل الكبيرة للعائلة، فالعاملة والخادمة لا نعلم من أي بيئة جاءت، ولا نعلم مدى إخلاصها، هذا إلى جانب أن تعامل الأسرة معها يؤثر على تعاملها مع أبناء الأسرة. فعندما يكون هناك نوع من الإساءة إليها، سينعكس هذا على تعاملها مع بقية أفراد الأسرة.

وإذا استغنت بعض الأسر عن الخادمات والعاملات، فإنها تستعين بالأجهزة الإلكترونية والبرامج الحديثة، فتوجه أطفالها ليقضوا أكبر وقت أمام التلفزيون أو الكمبيوتر، حتى تنشغل الأم بأمورها والأب بأموره، قد يكون للكمبيوتر برامج مفيدة ونافعة، لكن هناك دراسات علمية تثبتُ أن إدمان الأطفال على متابعة أفلام الكرتون له تأثير على أعصاب الأطفال وعقولهم، كما أن هذه المواد الموجودة في الألعاب ليست محايدة على المستوى الأخلاقي، فهي تبشر بأنماط سلوك معين، كما نرى موضوع العنف ـ مثلًا ـ، فأغلب المادة الموجهة للأطفال تتكون من مشاهد عنفية، وهذه تؤثر في توجهات الأطفال وسلوكياتهم.

تراجع الدور العائلي في التربية

ما نريد أن نخلص إليه في هذه النقطة هو أن البشرية تعاني من مشكلة تراجع الدور العائلي في التربية والتنشئة، وفي مقابل ذلك هناك عوامل كثيرة تستقطب الأطفال للإجرام والانحراف، مع حصانة ضعيفة، ومتغيرات كثيرة تدفع نحو الفساد، والنتيجة ما نشهده في المجتمع المعاصر، حيث تعج المجتمعات بمظاهر الفساد.

وهناك حديث عن عودة عدد من النساء الأمريكيات للمنزل من أجل تربية الأطفال، وهذا بعد الإقبال الواسع على العمل، وبعد أن كان البقاء في المنزل وكأنه حالة متخلفة، وبعد أن كان التفاخر بالعمل في صفوف النساء رائجًا، أصبح هناك ردات فعل، كما في تقرير نشرته جريدة الشرق الأوسط في تاريخ ٧ صفر ١٤٢٧ هـ، حيث يشير هذا التقرير إلى عودة أكثر من ٦ ملايين امرأة أمريكية إلى البيت، للاهتمام بتربية وتنشئة أبنائهن، وأصبح الموضوع مطروحًا ومثار جدل في الوسط الاجتماعي الأمريكي[١].

كما أن هناك دراسة أجريت على دار الرعاية الاجتماعية للفتيات في مدينة الرياض تشير إلى ضعف التربية، حيث تتحدث هذه الدراسة أن الفتيات اللاتي وقعن في الانحراف كان بسبب الحرمان العاطفي، وافتقاد الدفء والحنان الكافي الذي لا يتوفر لهنَّ في المنزل، وكان ذلك بوابة تخرج منها الفتاة للانحراف.

فالتربية هي ما تعول عليه البشرية من أجل تلافي هذا الاندفاع والانزلاق من قبل الأجيال الناشئة، التربية هي التي تصنع الإنسان، ولذلك ما يحتاج إلى الاهتمام هو كيف تقوم العائلة بالدور السليم والصحيح في تربية أطفالها، فمن آخر التوجهات الاجتماعية في مدينة نيويورك الأمريكية، هو الإقبال الواسع من قبل الأسر الثرية على التسجيل في دورات تهتم بتدريب الأسرة على تنشئة الأبناء، وتربيتهم تربية جيدة، وهذا توجّه جيد، فالتربية تستحق أن يهتم الإنسان ببرامجها حتى يتقن القيام بهذا الدور.

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط الصادرة يوم الأربعاء ٠٧ صفر ١٤٢٧هـ، ٨ مارس ٢٠٠٦، العدد ٩٩٦٢.

الخطبة الثانية

7

الولاء الوطني وإثارات المزايدة والتشكيك

﴿وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾
[سورة الأعراف، الآية: ٨٥].

أولت الشريعة الإسلامية أهمية كبرى للمعاملة الاجتماعية المنصفة بين الناس، والحض على تبني السلوك الحضاري الذي يحفظ للناس مقاماتهم ويحترم شخصيتهم الاعتبارية. وفي مقابل ذلك نهى الشارع المقدس أيما نهي عن الانتقاص من الآخرين وتحقيرهم، أو النظر إليهم بعين الازدراء والتهوين. لقد تناولت الآية الكريمة هذا الجانب من السلوك الاجتماعي وعبرت عنه بـ «البخس»، ونهت عن هذا السلوك بصورة قطعية بحيث ساوت بينه وبين الفساد في الأرض.

إن معنى «البخس» هو انتقاص شيءٍ من صفة أو مقدار لأي من الخلق، وقد نهى الله تعالى في ثلاث آيات من القرآن الكريم على لسان نبيه شعيب عن البخس، فجاء في الأية الكريمة ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ أي لا تنتقصوا الناس أشياءهم المادية والمعنوية، والبخس في الأشياء المادية أن يأخذ أو ينتقص شيئًا من مال أو أملاك الآخرين، أما البخس في الأشياء المعنوية فهي انتقاص شيء من مكانتهم الاجتماعية، أو النيل من كرامتهم أو التنكر والطعن في جدارتهم وكفاءتهم دون وجه حق، ذلك هو البخس الذي نهى الله تعالى عنه.

وينسحب معنى البخس في عرف الفقهاء إلى القدر الذي لو قال المشتري للبائع

إن هذه الكمية لا تساوي إلا عشرة كيلو غرام وهو يعلم أنها أكثر فقد بخسه حقه. والشيء ذاته ينسحب على الجانب المعنوي للإنسان، فلو تعمد معلم أو رئيس قسم في دائرة من الدوائر التقليل من تقويم أحد طلابه أو موظفيه، فهذا هو البخس بعينه. وبطبيعة الحال ينسحب ذات المعنى على جميع المجالات سواء كان على مستوى الأفراد أو الفئات والمجتمعات.

التقليل من شأن الطوائف بخس

ولعل أهم دوافع ومسببات بخس الناس، هو وجود خلل في العلاقة بين شرائح ومكونات المجتمع، فحينئذٍ يكون هذا الخلل دافعًا للبخس عند البعض.

لا يجوز التقليل من شأن طائفة من الناس أو قبيلة من القبائل تحت أي ذريعة كانت، فهذا موجب لاعتلال العلاقة بين أطياف المجتمع، كما ورد في الآية ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾. إن البخس يسبب إثارة النعرات والغبن لدى الآخرين. ولذلك التفت المشرعون في المجتمعات المتقدمة لهذه النقطة تحديدًا، ومضوا منذ أمد بعيد في تشريع قوانين تحظر إثارة العنصرية وإثارة النعرات بين مكونات المجتمع، فلا يستطيع إنسان في المجتمعات الغربية التي تزخر بتنوع بشري واسع، أن ينتقص من كرامة الآخرين، أو يتعدى على شخصياتهم تحت أي مبرر كان، وذلك لوجود قانون يحارب العنصرية التي هي عينها بخس للناس وانتهاك لحقوق الإنسان.

وعلى النقيض من ذلك لا زالت مجتمعاتنا العربية والإسلامية تعاني من هذه الظواهر التي يجري خلالها النيل من مجتمعات أو طوائف بأكملها، وسط غياب تام لأي حماية قانونية. فمن الشائع جدًا خروج شخص ينتمي لقبيلة أو طائفة، يخوّل لنفسه أن يشكك في مكانة طائفة أخرى وقبيلة ما، فينال من دينهم أو ولائهم الوطني. هذا نوع من البخس منهي عنه شرعًا، ومخالف لحقوق الإنسان، ومسبب للاضطرابات في أي مجتمع.

وقد رأينا خلال الأيام الماضية كيف انشغلت الأوساط الثقافية والاجتماعية في المملكة نتيجة هذا النوع من السلوك المقيت، فقد انبرى أحد الأكاديميين وهو بدرجة بروفسور واستشاري في الطب النفسي في إحدى الجامعات المحلية، ومشرف على إحدى القنوات الفضائية، انبرى للتشكيك في ولاء ما يعادل نصف سكان المملكة، بزعمه: إن ولاء أبناء جنوب المملكة لدولة مجاورة أكثر من ولائهم لوطنهم، والشيء ذاته بالنسبة لسكان شمال المملكة فقد يكون ولاؤهم لدولة مجاورة أكثر من ولائهم لوطنهم(١).

هذا الكلام يُعدّ تشكيكًا في الولاء والانتماء الوطني، بل اتساع مضطرد لدائرة التشكيك حتى وصلت النوبة هذه المرة لتنال من نصف سكان المملكة. لسنا هنا بصدد الحديث عن الشخص بعينه، وإنما عن حالة التشكيك القائمة والمتجددة بين الفينة والأخرى من هذا الطرف أو ذاك. والسؤال؛ لماذا يسوغ مواطن لنفسه أن يشكك في انتماء وولاء مواطنيه الآخرين؟ ومن الذي خوله الحق في أن يكون هو مصدرًا لشهادات حسن السيرة والسلوك، وشهادات الولاء الوطني؟ فهؤلاء مشكوك في ولائهم لاعتبارات مذهبية، وأولئك ولاؤهم لدول مجاورة بالنظر لتقارب عاداتهم وأعرافهم لتلك الدول!.

التشكيك في الولاء الوطني

ولنا أن نتساءل مرة أخرى: هل تشابه العادات والتقاليد أو المذهب الديني لفئة من المواطنين مع نظرائهم في دول مجاورة مدعاة ومقياس لضعف الانتماء والولاء الوطني؟. لا شك ولا ريب أن هذا التشكيك هو نوع من أنواع البخس المنهي عنه شرعًا؛ لما له من عواقب وخيمة على النسيج الاجتماعي في أي وطن كان.

ومن أسف نقول إننا أصبحنا بين الحين والآخر نشهد ظهور مثل هذه الحالات،

(١) www.youtube.com /watch?v=-td٦WpHOzOY

فيوم يكون التشكيك في ولاء المواطنين الشيعة لبلدهم؛ لأن مذهبهم مشابه لمذهب دولة أخرى، أو لأن مرجعيتهم الدينية موجودة خارج الوطن. والغريب في الأمر أن سيف التشكيك في الولاء والانتماء الوطني بات يطال كل من يخالف رأي مجموعة معينة من الناس، كما لو أن هذه الفئة تريد احتكار الوطن كلّه دون غيرها، فالوطن بالنسبة لها يعني منطقتها ومذهبها وعاداتها وتقاليدها هي، وكل من يختلف معها في شيء من ذلك فهو مشكوك في ولائه وانتمائه، هؤلاء جعلوا من أنفسهم مسطرة لوطنية الآخرين.

ونحن بإزاء معضلة التشكيك في الانتماء الوطني لشرائح من المواطنين، لا يسعنا الاكتفاء بردود الفعل على صفحات الجرائد المحلية، أو تجاوز الأمر بعد اعتذار خجول مرة، والمكابرة مرات أخرى. المطلوب بوضوح تشريع قانون يجرّم حالات التطاول على الآخرين، أفرادًا أو جماعات، ويفرض الاحترام المتبادل بين الناس. ولا بُدّ هنا من القول إن الاختلاف في العادات والأعراف والتقاليد والمذهب الديني ليس موجبًا للخدش في الانتماء الوطني لأي فئة، فقد باتت الأوطان الحديثة تفخر بتنوعها البشري، وتعتبره مصدرًا للثراء الثقافي والاجتماعي داخل الوطن، فالحديقة تكون أجمل عندما تتنوع ورودها وأزهارها.

ليس هناك من مبرر منطقي للتشكيك في الانتماء الوطني للآخرين، مهما كانت الأسباب. إن صدور أخطاء من بعض الأفراد في تلك المنطقة، أو ذلك المذهب، أو تلك القبيلة، ليس موجبًا لتعميم الخطأ على مجتمعات بأكملها، هذا تصرف مرفوض جملة وتفصيلًا، فالدين والعقل والقانون يمنعون من التعميم على هذا النحو، كما أن العقاب الجماعي يرقى لمستوى الجريمة، والمولى جلّ وعلا يقول في محكم كتابه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[سورة الأنعام، الآية: ١٦٤]. ثم من قال: إن هناك منطقة أو مذهبًا أو قبيلة لم تحصل فيها مشاكل وخلل من بعض أفرادها. لقد أفرزت بعض الفئات مجموعات إرهابية أهلكت الحرث والنسل في الداخل والخارج، فهل يحق لنا أن

نشكك في انتماء القبائل التي تنتمي إليها هذه المجموعات؟ أو الطعن في المذهب أو المدرسة الدينية التي ينتمي إليها هؤلاء؟. إذا كان لا يصح هذا التعميم هنا فهو تعميم فاسد أيضًا عندما يطال الأطراف الأخرى، والمواطنين الآخرين. من هنا نؤكد مجددًا على ضرورة تشريع قوانين تحارب العنصرية والحض على الكراهية، حتى نستطيع تعزيز قيم الوحدة والألفة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة.

الخطبة الأولى

المبعث النبوي ونهضة الأمة

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٦٤].

مع حلول ذكرى المبعث النبوي الشريف، نستحضر هذه النعمة الإلهية الكبرى، نعمة بعث الأنبياء لبني البشر بشكل عام، ونعمة بعث نبينا محمد ﷺ رسولًا للعالمين ونبيًا لهذه الأمة على وجه خاص.

إن الإنسان لا يستغني عن الهدي الإلهي في طريقه وسعيه نحو التكامل والسعادة، إذ يحتاج إلى هداية الله وتوجيهه حتى يسير في طريق الكمال، ويحقق السعادة لنفسه. ومع أن الله عز وجل منح الإنسان نعمة العقل، حتى يستطيع عن طريقه تحقيق الكمال والوصول للسعادة، إلا أن عقل الإنسان يبقى محدودًا ضمن محيط مدركاته وما يمتلك من المعرفة والعلم. ويبقى شغف الإنسان قائمًا للتعرف على مبدئه ومصيره، كما أنه في توق إلى معرفة سبب مجيئه إلى هذه الحياة، ومن أوجده وإلى أين مسيره وما مصيره؟

هذه التساؤلات تقلق الإنسان، وتلحّ على عقله ونفسه، ويحتاج إلى إجابة مطمئنة صحيحة. وربما لجأ بنو البشر في أحيان كثيرة للأساطير والأوهام للحصول على تفسيرات لجوانب من حياتهم، إلا أنها عادة ما تشوّش عليهم فكرهم وأذهانهم،

فتحول دون وصولهم إلى الحقيقة. الإنسان ليس جسمًا فقط، بل هو روح تحتاج إلى منهج وبرنامج يملأ البعد المعنوي والروحي في حياته، فكيف له أن يضع هذا البرنامج؟ إلى جانب ذلك فإن الإنسان في حياته المادية والمعنوية يحتاج إلى نظام وقانون يضبط علاقته مع أبناء جنسه ومحيطه، فكيف يصل إلى هذا النظام الاجتماعي، والقانون الذي ينظم حياته؟

الأنبياء يحملون الهدي الإلهي

لا شك بأن التجارب الإنسانية قد توصل بني البشر إلى بعض الحقائق، لكن اقتصار الإنسان على التجربة الحسية فقط قد يكلفه وقتًا طويلًا وجهدًا كبيرًا. لأجل كل ذلك فهو بحاجة إلى الهدي الإلهي. إن الله تعالى الذي خلق الإنسان بهذا الخلق المتميز ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، جعل من كمال لطفه ورحمته بهذا الإنسان أن يوفر له الهدي الذي يحتاجه في هذه الحياة، فكان ذلك عن طريق الأنبياء والرسل. فالأنبياء يحملون إلى الإنسان الهدي الإلهي.

إن الله تعالى يختار من عباده من بني البشر من يبعثه برسالته حتى يدل الإنسان إلى طريق الكمال والسعادة، وقد كان لهؤلاء الأنبياء الذين بعثهم الله الدور الكبير في هداية الإنسان، ولعل هذه المكاسب التي نراها في حياة البشرية ليست بعيدة عن دور وهدي الأنبياء. فقد أحيا الأنبياء برسالتهم وهديهم في الإنسان الجانب الروحي القيمي، وهدوا البشرية إلى الكثير من الحقائق التي أمكن للبشرية أن تستوعبها منهم.

إن وجود الأنبياء وبعثهم ضرورة من أجل كمال الإنسان وسعادته، ولهذا بعث الله هذا العدد الكبير من الرسل الذي بلغ ١٢٤ ألف نبي، كما تشير بعض الروايات. كل هذا العدد الضخم من الأنبياء إنما جاء لهداية الإنسان وإسعاده، وقد شاء الله أن يختم النبوة بمن هو الأفضل والأكفأ وهو نبينا محمد ﷺ، لكي تكون رسالته وشريعته خاتمة الرسالات والشرائع، بالنظر لاستيعابها لغة الزمن وتقدم البشرية وتطورها، وهذا ما أثبته الواقع، فمع كل هذا التطور والتقدم الإنساني، نرى بأن رسالة الإسلام ظلت غضة

مواكبة لحضارة الإنسان في كل زمان، متى ما فهمت على النحو الصحيح.

حقيقة الأمر، إن هناك من قدم أفهامًا عليلة وسقيمة ملؤها الجمود والانحراف والتشويه لرسالة الإسلام، أظهرت الإسلام على النقيض تمامًا، بل متصادم إلى حد بعيد مع التطور في واقع البشرية. لكن هناك في مقابل ذلك من فهم الإسلام على حقيقته، ولذلك لا يجد هؤلاء أي تصادم أو تناقض بين الشريعة والتقدم الحضاري للبشرية، بل وجدوا في تعاليم هذا الدين استباقًا للكثير من التطورات والحاجات التي تلح على الإنسان في حياته كلما تقدم به الزمن.

رسالة عظيمة في مجتمع جاهلي

ولعل أحد أسرار بعث النبي الأكرم في مجتمع كان يعيش أدنى درجات الانحطاط، أن تظهر عظمة هذه الرسالة وتميز هذا الرسول. فلو جاء النبي في مجتمع له تاريخ من الحضارة والتقدم، لسهل القول بأنه انطلق من تجربة مجتمعه، واستفاد من تاريخ محيطه، ولكن أن يأتي هذا الرسول من مجتمع يعيش أدنى درجات الجهل والانحطاط، ثم يعرض على البشرية هذه الرسالة العظيمة الرائعة في مختلف المجالات، حينها لا يبقى لأي عاقل مجال للشك في أن هذه الرسالة ليست إنتاجًا بشريًا، ولا تعبيرًا عن مستوى ذاتي؛ لأن المحيط الاجتماعي الذي عاش فيه النبي لا يسمح بأي حال من الأحوال لشخص يعيش تلك الظروف أن يقدم مثل هذه الرسالة وهذه الشريعة. كل ذلك يدل على صدق رسالته ونبوته، ولذلك يمن الله تعالى على المؤمنين: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾، فلم يأتهم شخص يعيش تقدمًا وتطورًا أكثر من الوضع الذي كانوا يعيشون فيه، وإنما من نفس ذلك المجتمع.

لقد بعث هذا الرسول العظيم في مجتمع يعتقد بالخرافة، ويعبد الأصنام، ويسجد للأوثان، حيث كان في كل بيت من بيوت مكة صنم يعبده أهل ذلك البيت، بل كان في جوف الكعبة نفسها وعلى سطحها أكثر من ٣٦٠ صنمًا يُعبد من دون الله، وقد كان العربي آنذاك يستبق سفره بالتمسح بالأصنام تبركًا والتماسًا للخير، كما يفعل الأمر

نفسه إذا عاد من سفره.

لقد كانت العصبية والنزاعات وحالات الاحتراب تسود في ذلك المجتمع ولأتفه الأسباب، كما جرى في حرب البسوس حيث أصاب شخص ضرع ناقة شخص من قبيلة أخرى بسهم، فقامت إثر ذلك حرب استمرت لأكثر من أربعين سنة قتل فيها الألوف. وعلى ذات المنوال جرت حرب داحس والغبراء بسبب خلاف على سباق بين فرسين، واستمرت هذه الحرب عشرات السنين هلك خلالها الحرث والنسل.

جاء النبي الأكرم وسط مجتمع كانت حياته حياة احتراب وعصبية وجهل وتخلف في مختلف المجالات، وبحسب وصف الآية الكريمة ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، لقد كان مجتمعًا معرضًا للانتهاء والإبادة، ومهددًا بالعيش خارج التاريخ والحياة، فخلق منه هذا النبي العظيم مجتمعًا جديدًا، وأمة متقدمة، استطاعت أن تقود العالم خلال فترة قياسية من الزمن. إن في ذلك دلالة كبيرة على عظمة هذا الدين وهذا الرسول.

إن ذكرى المبعث النبوي الشريف فرصة لتجديد الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى على هذه النعمة العظيمة، ولا سبيل لأمتنا إلا العودة إلى الهدي الإلهي، إذا أرادت أن تلحق بركب الحضارة، فالأمة الإسلامية وخاصة في المحيط العربي أصبحت تعيش وضعًا شبيهًا بأوضاع العرب في الجاهلية، فالأمة تكاد تكون خارج سياق التطور البشري في مختلف المجالات والأبعاد، ولكن مهما كانت قسوة التخلف التي نعيشها، لا ينبغي أن يصيبنا ذلك باليأس والإحباط، ما دام عندنا هذا الهدي الإلهي وهذه الرسالة العظيمة. إن العودة لهذه القيم العظيمة السامية كفيلة بأن تتجاوز بنا التخلف والانحطاط. وهناك في الأفق بدأت تلوح بشائر الأمل، وهذا ما يبشر بعودة الأمة إلى سالف مجدها، واعتزازها بدينها القويم.

نسأل الله سبحانه أن يوفقنا وجميع المسلمين للعودة إلى قيم الدين وأحكامه، وأن نتحمل مسؤوليتنا في هذه الحياة لنجدد مجد ديننا وأمتنا.

استثمار العطلة الصيفية

ورد عن أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: «إن يكن الشغل مجهدة فاتصال الفراغ مفسدة»[1].

إن أحد أسوأ ما يمكن أن يواجه الإنسان على المستوى النفسي والعملي هو الشعور بالفراغ. فعلى الصعيد النفسي يقود الفراغ إلى شعور الإنسان بالسأم والملل، وأنه لا دور له في هذه الحياة، أما على الصعيد العملي فإن الفراغ قد يدفعه إلى بعض التوجهات السلبية، والمزالق الفاسدة، خاصة في مرحلة الشباب.

إن مشكلة الفراغ لم تكن مطروحة في الحقب الماضية، فلم يكن الإنسان يعاني منها في الغالب، ذلك لأن الحياة كانت تتطلب منه كدحًا وكفاحًا مستمرًا، حتى يضمن توفير أبسط مستلزمات عيشه. فلم يحظَ الإنسان في المجتمعات البدائية والتقليدية بعطلة أسبوعية أو سنوية، ولا ببلوغ سن التقاعد، حتى يعفى خلالها أو بعدها من الشغل، فيتوفر له شيء من الفراغ، وإنما كان الواحد يكدح كل يوم من أيام سنته، حتى يتوفر على لقمة العيش ويتحصل على حاجته.

ومع أن باحثين يذهبون إلى تأصل ظاهرة الفراغ لدى الناس في كل الحضارات والمجتمعات، حتى القديمة منها، مستدلين على ذلك بتوجيهات الفلاسفة اليونانين ارسطو وأفلاطون للناس، لكي يستفيدوا من فراغهم في تنمية ذواتهم في الجوانب

---

(١) الشيخ المفيد. الإرشاد، ج ١، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ، (بيروت ـ دار المفيد)، ص ٢٩٨.

الفكرية والأدبية، لكن سائر علماء الاجتماع يقصرون بروز ظاهرة الفراغ في المجتمعات والحضارات القديمة، على النخب والطبقة الراقية الحاكمة، وليس عامة الناس، فهؤلاء الفلاسفة كانوا يخاطبون هذه الطبقة العليا من الناس، أما عامة الناس فكانوا يكدحون طوال أعمارهم، دون أن تتاح لهم فرصة الراحة فضلًا عن الفراغ.

قوانين العمل ووقت الفراغ

لقد برز مفهوم تنظيم وقت الفراغ في أعقاب الثورة الصناعية، فأصبحت هناك أنظمة وقوانين للعمل، وأصبح هناك تنظيم لأوقات الفراغ، فتحددت ساعات العمل، وأصبحت هناك إجازة أسبوعية وسنوية، وتحديد وقت التقاعد، خاصة في الوظائف العامة، كل ذلك بسبب دواعٍ اجتماعية إنسانية، بحيث أصبح الآن في كل المجتمعات والبلدان البشرية وقت للراحة والفراغ، حتى صار هذا الفراغ مادة بحثية لدى علماء الاجتماع، تناقش كيفية إدارته واستثماره.

فقد لاحظ علماء الاجتماع أن وقت الفراغ قد يسبب للإنسان مشاكل تفسد عليه حياته، سواء خلال عطلته الأسبوعية، أو إجازته السنوية، أو فور خروجه على التقاعد. رأى هؤلاء العلماء أن الفراغ أصبح ظاهرة تحتاج إلى بحث وتوجيه، ولهذا نشأ هذا الفرع من فروع علم الاجتماع، وكان أكثر أهمية واستقطابًا للعلماء والباحثين، وقد أجريت الكثير من الأبحاث والنقاشات حول سبل التعامل مع وقت الفراغ في حياة الإنسان.

عنصر الزمن وقيمته الكبرى

وعلى ذات المنوال، أولت التعاليم الدينية أهمية كبرى لعنصر الزمن، وذلك لتعزيز حس المسؤولية تجاه كل دقيقة من عمر الإنسان. نحن مسؤولون مسؤولية تامة عن الزمن الذي نعيشه، ولا يصح أن نهدره كيفما اتفق. وقد تواترت الأحاديث المروية

الدالة على أن الإنسان يسئل عن أوقاته يوم القيامة، ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه...»[١].

إذًا فالوقت هو الحياة، ولذلك ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «إنما أنت عدد أيام فكل يوم يمضي عليك يمضي بعضك»[٢].

وفي كلمة أخرى عنه عليه السلام: «ما نقصت ساعة من دهرك إلا بقطعة من عمرك»[٣]، فهذا الزمن لا ينبغي أن يهدر ويضيع، وإنما ينبغي للإنسان أن يشعر بالمسؤولية تجاه كل لحظة تمر عليه.

إن وجود وقت للتقاعد من العمل، أو الخروج في إجازة، كما هو حاصل بالنسبة للطلاب، لا يعني بأي حال أن فترة الإجازة هذه وقت فائض قابل للهدر على نحو اعتباطي.

استثمار العطلة الصيفية

ومن المهم ونحن نعيش هذه الأيام فترة العطلة الصيفية، أن نفكر في كيفية استثمار هذا الوقت بما يعود على أبنائنا الطلاب بالنفع. فبعد أشهر من الانشغال بالدراسة طوال أغلب أشهر العام، يجد الأبناء والبنات أنفسهم الآن أمام فراغ كبير، يمتد إلى نحو ثلاثة أشهر، فماذا يصنعون في هذه الأشهر الثلاثة؟

في الحقيقة المسألة من الصعوبة بمكان أن تحل على نحو فردي، حتى مع نجاح البعض في ابتكار برامج لأبنائهم. هذه المسألة بحاجة إلى جهد جماعي، فالمجتمعات الواعية تفكر في كيفية الاستفادة من هذا الوقت باتجاهين:

يمنع الأول منهما المفاعيل السلبية للفراغ، حتى لا يكون اتصال الفراغ مفسدة.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ٣١١.

(٢) علي بن محمد الليثي الواسطي. عيون الحكم والمواعظ، ص ١٧٨.

(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

فحينما يبقى هؤلاء الطلاب ثلاثة أشهر من دون برامج تملأ وقت فراغهم، فإن ذلك قد يدفعهم نحو المفاسد والانحرافات، وهذا ما تشير إليه كثير من التقارير، حيث تشهد العطلة الصيفية تزايدًا في معدل المشاكل وظواهر الانحراف في المجتمع، ولا شك بأن ذلك بسبب الفراغ.

أما الاتجاه الثاني فيقضي باستثمار هذا الوقت في منفعة هؤلاء الشباب والشابات، وهذا ما يحتاج إلى جهد جمعي.

هنا يمكن القول إنه كما للحكومات دور في التهيئة لاستثمار أوقات الفراغ، كذلك يتحمل المجتمع مسؤولية كبيرة في ابتداع مبادراته الخاصة في هذا المجال، وهذا العنصر الأخير هو ما تفتقده مجتمعاتنا على نحو بالغ مع الأسف الشديد، فالرصيد الذي يضعه المجتمع لاستثمار الإجازة الصيفية يُعدّ ضئيلًا جدًا، ولا يكاد يذكر بالمقارنة مع ما ينفقه الناس خلال مواسم أخرى مثل موسم عاشوراء أو شهر رمضان، فالناس في هذين الموسمين يبذلون جهودًا كبيرة، ويصرفون أوقاتًا طويلة، وينفقون أموالًا طائلة لإنجاح البرامج الدينية، في مقابل ذلك لا نجد سوى جهود محدودة تجري لاستثمار العطلة الصيفية، مع أنها تمثل ثغرة خطيرة يمكن أن تلج من خلالها الشرور لأولادنا وبناتنا، نتيجة الفراغ القاتل الذي يلفهم طوال هذه الفترة.

تأسيس ودعم البرامج الصيفية

إننا جميعًا مدعوون لتحمل مسؤوليتنا نحو تأسيس برامج صيفية لأبنائنا في مختلف المجالات. وأخص هذه المجالات المهمة مجالان:

الأول: تنمية القدرات والكفاءات عند أبنائنا وبناتنا، وهناك مؤسسات لوضع برامج لتنمية القدرات لدى الأبناء وتثقيفهم في المجالات الدينية والقيمية. من الملاحظ في هذا السياق تراجع التفاعل مع هذه البرامج التي كانت أوسع انتشارًا فيما سبق.

من هنا ينبغي أن يكون هناك برنامج في كل مسجد، وفي كل حسينية، وكذلك الأمر في كل نادٍ وجمعية خيرية، كلنا معنيون بأن ندعم هذه البرامج وأن نوجه أبناءنا وبناتنا نحوها.

الثاني: فيتركز في تعزيز حس الخدمة الاجتماعية لدى الأبناء والبنات، إذ نحتاج إلى برامج صيفية تعزز في نفوس الأبناء حس المسؤولية الاجتماعية وخدمة مجتمعهم. إن هذا الأمر موجود في سائر المجتمعات، والجمعيات الخيرية، مدعوة لوضع برامج تطوعية يتم تفعليها خلال فترة الإجازة الصيفية، حتى يتسنى لمن أراد من الطلاب والطالبات أن يتطوع للعمل في هذه الفترة، فيكون المجال مفتوحًا أمامه، ضمن عدد من البرامج، حتى يستفيد هؤلاء الأبناء وينمو عندهم حس الخدمة الاجتماعية، كما يتعزز لديهم الإحساس بالمسؤولية تجاه مجتمعهم.

المتقاعدون رصيد من الخبرة والتجربة

هنا يمكننا الإشارة على هامش هذا الحديث إلى أهمية استثمار فئة المتقاعدين عن العمل، في تأسيس الأنشطة ولجان العمل، ورفد المؤسسات الاجتماعية بالخبرات الكبيرة.

المتقاعدون عن العمل بما لديهم من قدرات وخبرات يمكن أن يشكلوا رصيدًا ضخمًا ورافدًا مهمًا من روافد العمل التطوعي والاجتماعي.

ونشير هنا إلى تجربة فريدة جرت على هذا الصعيد في الهند، وتحدثت عنها وسائل الإعلام، حيث تكونت مجموعة تحت اسم «مجموعة المشاركة» قوامها عدد من المتقاعدين، وهدفت هذه المجموعة لمتابعة الدوائر الحكومية ومراقبة سير العمل فيها، وتوجيه الملاحظات التي يرون من الضروري الانتباه لها. هذه المجموعة لم يتجاوب معها أحد في بداية الأمر، بل لم يكن يعيرهم أحد أي اهتمام، لكنهم ومع مزيد من الإصرار ازداد عددهم، حتى وصل إلى ١٤ ألف عضو، حققوا خلال ست

سنوات ١٠٠٠ قصة نجاح، وقد خصصت لهم الأمم المتحدة جائزة عام ٢٠٠٥م باعتبارهم أفضل جماعة في العالم في خدمة النشاط الاجتماعي.

نحن بحاجة إلى آبائنا وإخواننا المتقاعدين أن يتوجهوا لاستثمار فترة تقاعدهم عن العمل الوظيفي، وأن يرفدوا المؤسسات العامة والأهلية بخبراتهم واهتمامهم، إلى جانب تأسيسهم لجانًا جديدة تتناسب واهتماماتهم، فمجتمعنا بحاجة إلى الكثير من الجهود والخدمات التطوعية للنهوض والفاعلية، باستثمار كل دقيقة من عمر الزمن. نسأل الله أن يوفقنا لاستثمار أوقاتنا في خدمة الدين والمجتمع، وتحصيل رضاه تعالى.

الخطبة الأولى

الأولاد ضحايا خلافات الوالدين

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٣٣].

يحتاج الأولاد إلى كثير من الرعاية والاهتمام من قبل أبويهم لينشؤوا نشأة صالحة، ولا يغني أحد الوالدين عن الآخر، فالأب لا يغني عن الأم، والأم لا تغني عن الأب، فدور كل منهما هام وضروري من أجل تنشئة الأولاد تنشئة صالحة، وتربيتهم في أجواء سليمة، ذلك لأن حاجات الأولاد لا تقتصر على الطعام والشراب واللباس فقط، وإنما يحتاجون في ذات الوقت إلى دفقهم بالحنان، وغمرهم بالعاطفة، إلى جانب رفدهم بالتوجيه والتعليم والإرشاد، وتقديم الخبرات والتجارب حتى يشقوا طريقهم في هذه الحياة.

من هنا نشأت الحاجة إلى تعاون الأبوين في رعاية الأبناء. إن تعاون الوالدين في أمر التربية أمر مطلوب؛ لأن أي اختلاف بينهما في هذا الصدد، سينعكس سلبًا على تنشئة الأبناء سيما الصغار منهم. لهذا لم يغفل القرآن الكريم هذه الحقيقة، فالله تعالى جعل قرار فصال الطفل، أي فطمه عن حليب أمه، منوطًا بتوافق الوالدين، لا أحدهما، بقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾.

في ظل صراع الوالدين:

لا شك بأن حياة الأبناء وسط علاقة مضطربة بين الأبوين سيلقي بظلاله السلبية عليهم، بل سيكون حتمًا على حساب تنشئتهم التنشئة الصالحة. إن الاختلافات الصارخة بين الوالدين داخل أجواء العائلة وأمام مرأى الأبناء، يكون له انعكاسات سلبية على نفوسهم، لذلك ينبغي للوالدين الواعيين أن يجنبا أبناءهما أي مظاهر لاختلاف قد ينشأ بينهما؛ لأن ذلك سيخلق تمزقًا عاطفيًا في نفوس الأولاد، وسيخلّف جروحًا عميقة في مشاعرهم وأحاسيسهم، كما سينعكس على سلوكهم. في مقابل ذلك ستكون نفسية وسلوك الأبناء أقرب للاستقامة متى ما عاشوا في ظل علاقة هادئة وانسجام عائلي بين أبويهم.

ومن أسف نقول: إن بعض العائلات لا تدرك مدى انعكاس البيئة العائلية الهادئة على السلامة النفسية للأولاد، وقد تجهل أو تتجاهل الآثار السلبية التي تنعكس على نفوس أبناءهم جرّاء العلاقات المتوترة بين الأبوين.

إن من الواجب على كلا الأبوين أن يدفعا الأولاد لاحترامهما، حتى يكون الأولاد بارين بهما، فيجب على الأم أن تشجع الابن على احترام أبيه، وكذلك يشجع الأب ابنه على احترام أمه والبر بها. أما إذا عاش الأبناء في ظل صراع بين الوالدين، ورأوا أباهم يهين أمهم، أو أمهم تنال من شخصية أبيهم، فلنا أن نتصور ما ستكون عليه نفسياتهم، وكيف ستكون نظرتهم إلى أبويهم، وما تأثير هذه الحالة على سلوكهم؟

حضانة الأبناء بعد الطلاق:

ولعل أسوأ الحالات المؤثرة على الأبناء هي وقوع الطلاق بين الأبوين، فقرار الانفصال في هذه الحال لا يقتصر تأثيره على الزوجين وحدهما. بل سيؤثر حتمًا على الأبناء، خاصة إذا كانوا في مرحلة الطفولة، وفي أمسّ الحاجة للتنشئة والتربية. من هنا حثّ القرآن الكريم الآباء على التضحية وتقديم التنازل لأزواجهم، متى ما برزت هناك

مشاكل جدية، قبل التفكير بالطلاق، يقول تعالى: ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، فالله تعالى يحث الزوج على إبقاء زوجته من أجل أن ينشأ أولاده نشأة صحيحة ولا تتضرر نفسياتهم، ولعل هذا مصداق من مصاديق قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

كما نجد على المستوى الشرعي أن الحضانة تكون من نصيب الأم في السنتين الأوليتين، متى ما حصل الانفصال بين الأبوين، ولا يحق للأب عندها فصل الطفل عن أمه في هذه المرحلة ما لم تتزوج، بل يجب عليه علاوة على ذلك توفير احتياجات الأم في هذه الفترة حسب المتعارف، وحسب قدرته، يقول تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

هنا تجدر الإشارة إلى أن حضانة الأولاد بعد السنتين الأوليين من حياتهم هي مورد اختلاف بين الفقهاء، فالمشهور بين فقهاء الشيعة أن الأب أولى بابنه الذكر بعد هاتين السنتين، والأم أولى بالبنت إلى سبع سنوات، ثم تؤول إلى أبيها، فيما رأى بعض الفقهاء ومن ضمنهم السيد السيستاني أن لا فرق بين الولد والبنت، حيث تؤول حضانتهما إلى الأب بعد السنتين، والأولى حسب رأي السيد السيستاني عدم فصل الولد عن أمه قبل سبع سنين ذكرًا كان أو أنثى.

ويرى فقهاء المذهب الحنبلي أن الحضانة تكون من حق الأم خلال السنوات السبع الأولى للذكر والأنثى على حد سواء، ثم يخير الذكر بين أبيه وأمه، أما الأنثى فتؤول رعايتها للأب بعد سن السابعة.

أما على المستوى التربوي والاجتماعي، فالمسألة أكثر تعقيدًا وتحتاج إلى الكثير من الاهتمام، فالوالدان يجب أن يعطيا الأولوية لمصلحة الولد، ولا يصح أن يكون الولد أداة ضغط يستخدمها الوالدان ضد بعضهما، يقول تعالى: ﴿لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا

وَلا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾، فلا يصح للأم أن تضغط على الأب من خلال ابنه، كما لا يصح للأب أن يفصل الطفل عن أمه لمجرد الانتقام منها، وهو الأمر الأكثر شيوعًا في الآونة الأخيرة. إن هذا السلوك شديد التأثير سلبًا على نفوس الأبناء؛ لعدم قدرة الأب على إشباع حاجة الأولاد عاطفيًا كالأم، حيث لا يستطيع أيًا كان أن يقوم مقام الأم.

الحاجة إلى تشريعات ومؤسسات للرعاية:

إن مجتمعاتنا الإسلامية وانطلاقًا من قيمها الدينية والأخلاقية، أحوج ما تكون لإنشاء مؤسسات رعاية، ولجان استشارية تعاضدها قوانين صارمة تتعلق بمستقبل الأولاد، خصوصًا ضحايا قضايا الطلاق والأزواج المنفصلين. إن مثل هذه المؤسسات والقوانين سبقتنا إليها المجتمعات المتقدمة في أمريكا وأوروبا، حيث أنشأت مؤسسات توفر الاستشارة لكلا الزوجين المنفصلين، إزاء كيفية التعامل مع أبنائهما، كما سنت قوانين رادعة لحماية الأطفال.

إن مما يدعو للأسف انتشار حالة الأنانية وحب الذات، وروح الانتقام بين الأزواج المطلقين في مجتمعاتنا، حتى بدأنا نسمع عن الكثير من الحوادث المرعبة، على غرار ما حدث أخيرًا في مدينة الطائف غرب المملكة، مع مقتل الطفل ذي الأربعة أعوام، أحمد الغامدي على يد زوجة أبيه، حيث كان يعيش بعيدًا عن أمه المطلقة منذ كان في شهره الثالث. لقد قتل هذا الطفل على يد زوجة أبيه بعدما انهالت عليه بالضرب حتى الموت، ثم وضعته في كيس قمامة وألقت به في بناء مهجور، إلى أن أفشت أمرها خادمتها الأجنبية بعد تسعة أيام من الإنكار والتكتم حول مصيره[١]. هذه حادثة واحدة من حوادث العنف الأسري، وقد سبقتها حوادث مأساوية مشابهة تناولها الإعلام في حينه، عدا عن حوادث أخرى لم يبلّغ عنها.

إن تكرر حوادث العنف الأسري يلزمنا بالتحرك على ثلاثة مستويات:

---

(١) جريدة الرياض. الصادرة يوم الخميس ٢٨ رجب ١٤٣٢ هـ، ٣٠ يونيو ٢٠١١م، العدد ١٥٧١١.

أولها المستوى الشخصي، وثانيها المستوى القانوني، وآخرها المستوى الاجتماعي.

فعلى المستوى الشخصي، نحن مدعوون في حالات الخلاف الأسري إلى أن نتقي الله، وأن نفكر في مستقبل الأبناء، قبل الإقدام على قرارات بالغة التأثير في حياتهم.

أما على المستوى القانوني، فلا بُدّ من تشريع قانون رادع يحفظ سلامة الأطفال، ويحمي مستقبلهم، عند نشوب الخلافات الأسرية الحادة.

كما أن من المهم جدًا على المستوى الاجتماعي، تأسيس لجان ومؤسسات متخصصة في هذا المجال، فكما أن لدينا لجانًا لإصلاح ذات البين، تعنى بالصلح بين الأزواج المختلفين، وتوقي وقوع الطلاق بينهم، كذلك تبرز الحاجة الماسة لإنشاء لجان تعنى بحماية أبناء الأزواج المنفصلين، وتقديم الاستشارة للمطلقين، لغرض تجنيب الأبناء الآثار السلبية للانفصال، وحتى لا يحدث هذا الطلاق خدشًا في نفوسهم، والأهم ألّا يصبح هؤلاء الأبناء ضحايا للانتقام والانتقام المضاد بين الأبوين، إن مساعيَ من هذا القبيل تنسجم إلى حدٍّ بعيد مع تعاليم الدين الحنيف، وهي كذلك أمور جوهرية تلامس القيم والأخلاق الإنسانية والدينية.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجنبنا ويجنب أبناء المجتمع كل مكروه، وأن يجعل الانسجام والوئام سائدًا في عوائلنا وبين أبنائنا.

اختيار ليلة الزواج

ورد في الحديث الشريف أن النبي ﷺ، كان يحب الفأل الحسن ويكره الطيرة، وكان يأمر من رأى شيئًا يكرهه ويتطير منه، أن يقول: «اللهم لا يؤتي الخير إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»[1].

جاء الإسلام في مجتمع جاهلي تسوده الخرافات والأوهام، وكان من جملة تلك الخرافات والأوهام الطيرة أو التشاؤم، فإذا خرج الواحد منهم من منزله، فإنه يتفاءل أو يتشاءم بأول شيء تقع عينه عليه، وخاصة الطير، فإذا كان يريد السفر أو بصدد إنجاز أمر مهم، ورأى أثناء خروجه من منزله طيرًا معينًا كالغراب، أو حيوانًا مشوهًا، فإنه يتشاءم حيال الأمر الذي يريد فعله، أما إذا رأى طيرًا آخر كالحمام مثلًا، فإنه يتفاءل بما هو مقبل عليه، كما ينطبق ذات الأمر إزاء موقفهم من بعض الأزمنة أو الحوادث، فكثيرًا ما يكونون عرضة للتشاؤم أو التفاؤل بسببها.

لقد جاء الإسلام وأزال تلك الأوهام والخرافات الجاهلية، ودعا للعقلانية في الممارسات والتصرفات، والارتباط والتوكل في مقابل ذلك على الله سبحانه وتعالى، وحث المسلمين على الإيجابية في التعامل مع شتى أمور الحياة، انطلاقًا من اليقين بأن إدارة الكون بيد الله تعالى.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣.

وقد ورد في الشريعة كثير من الأحاديث والنصوص التي تحذِّر من التطيّر والتشاؤم، ففي رواية عن الحسن بن مسعود قال: دخلت على أبي الحسن الإمام علي الهادي ﷺ، وقد نكبت إصبعي، وتلقاني راكب وصدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليَّ ثيابي، فقلت: كفاني الله شرك من يوم فما أشأمك؟

فقال لي الإمام: يا حسن، هذا وأنت تغشانا؟ ترمي بذنبك من لا ذنب له، يا حسن، ما ذنب الأيام حتى تتشأمون بها إذا جزيتم بأعمالكم فيها؟

فقلت: أنا استغفر الله أبدًا وهي توبتي يا ابن رسول الله.

فقال لي الإمام: والله ما ينفعكم، ولكن الله يعاقبكم بذمّها على ما لا ذمّ عليها فيه، أما علمت يا حسن أن الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلًا وآجلا، قلت: بلى يا مولاي، فقال: لا تعد ولا تجعل للأيام صنعًا في حكم الله[1].

تصنيف الزمن إلى نحس وسعود

إن مما يدعو للأسف رسوخ بعض الأفكار والمفاهيم التي لا أصل ولا حكم شرعي لها، لكنها مع ذلك أصبحت أشبه ما تكون بالآراء والأفكار المقدسة. فمن الأفكار الخطأ التي كانت سائدة في مجتمعنا قديمًا القول بأن «شهر شوال لا عرس فيه ولا حوّال» حيث لم يكن الناس يقيمون أعراسهم، ولا ينتقلون لمساكن جديدة في ذلك الشهر، ويبدو اليوم أن هذه الخرافة أخذت بالاندثار.

إلا أننا نلاحظ في مقابل ذلك، أن الناس في مجتمعنا لا زالوا يتمسكون ببعض العادات، من قبيل مراعاة الليالي الجيدة وغير الجيدة لإقامة حفل الزفاف، وهي ما تعرف محليًا بالليالي «الكوامل».

هنا من المهم أن نعلم جيدًا أنه لا يوجد في الشريعة ما يعرف بأيام جيدة أو أيام سيئة

---

(١) تحف العقول، ص ٤٨٢.

لحفل الزفاف، ولعل الوارد في هذا الصدد يرتبط بإجراء العقد وليس الزفاف، وهو لا يزيد عن رواية ضعيفة السند، تنصح بتجنب إجراء عقد الزواج إذا كان القمر في برج العقرب. كما توجد أيضًا روايات ضعيفة أخرى حول كراهية إجراء عقد الزواج في الليالي الأخيرة من الشهر، وذلك عندما يكون القمر في المحاق، أي في اليوم الثامن والعشرين والتاسع والعشرين والثلاثين من الشهر. أما ما يعرف بالليالي (الكوامل) وهي سبع ليال من الشهر تصادف اليوم الثالث والخامس والثالث عشر والسادس عشر والحادي والعشرين والرابع والعشرين والخامس والعشرين، فلا توجد أي رواية حول كراهية إجراء عقد الزواج أو ترتيب حفل الزفاف فيها.

وإنما يعود تجنب الناس لترتيب حفل الزفاف فيها لاعتقاد قديم بأنها أيام نحسة. واللافت في الأمر أن السيد رضي الدين ابن طاووس الذي أورد روايات حول الأيام النحسة في كتابه الدروع الواقية، يقول: دلت الأخبار على التحذير من العمل فيها ـ أي الأيام السبعة الكوامل ـ بأي عمل كان ولزوم الإنسان بيته، وعدم الحركة لشدة نحوستها.

غير أن غالبية الفقهاء لا يأخذون بهذه الروايات لضعفها، وعلى اعتبار أن هذا الاعتقاد ليس له أصل عقلي ولا حديث ثابت.

ولعل بعض الناس يستدل على نحو خطأ بآيات القرآن الكريم ومنها ما يشير إلى وجود أيام نحسة كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾، وقد ورد في الرواية أن هذه الريح استمرت في الهبوب من يوم الأربعاء إلى الأربعاء التالي، وتبعًا لذلك الفهم الخطأ ستكون جميع أيام الأسبوع هي أيام نحس!، والصحيح أن هذه الآية الكريمة تشير أن الأيام النحسات كانت على أولئك القوم الذين نزل بهم العذاب؛ لأن الله عذبهم فيها، وليست أيام نحس على كل البشر وعلى مدى الزمن. في مقابل ذلك تواترت الروايات الشريفة حول النهي عن التطيّر، والحث على التفاؤل والإيجابية وتجنب الأوهام والآراء الاعتقادات الخاطئة.

يقول العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: أما اتصاف اليوم أو أي قطعة من الزمان بصفة الميمنة أو المشئمة، واختصاصه بخواص تكوينية عن علل وأسباب طبيعية تكوينية فلا، وما كان من الأخبار ظاهرًا في خلاف ذلك فإما محمول على التقية أو لا اعتماد عليه[1].

ونحن كأتباع لمدرسة أهل البيت عليهم السلام علينا أن نأخذ بتوجيهاتهم، وأن نبتعد عما ليس له أصل من الشرع أو من العقل.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للالتزام بتعاليم الدين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي. الميزان في تفسير القرآن. ج١٩، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، بيروت ـ مؤسسة الأعلمي)، ص٧٧.

الخطبة الأولى

اليسر في القوانين والعادات والسلوك

﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة: الآية١٨٥]

التيسير والتعسير سلوكان متمايزان متضادان، فالتيسير يعني جريان الأمور بسهولة ومرونة دون تكلف، فيما التعسير يعني الشدة والضيق والتعقيد في الأمور. يتوق الإنسان دائمًا إلى إتمام أموره بيسر وسهولة، وقد ورد في الآية القرآنية الدعاء على لسان نبي الله موسى ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾. وشددت تعاليم الإسلام على ترسيخ ثقافة اليسر والتيسير، والنهي في مقابل ذلك عن العسر والتعسير، وهناك الكثير من النصوص والتعاليم الواردة في الشريعة التي تصب في هذا السياق، ومنها الآية الكريمة ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾.

هناك ثلاثة جوانب يمكن من خلالها تسليط الضوء على مسلكي اليسر والعسر في حياة الأفراد والمجتمعات؛ الأول جانب التعامل الشخصي، والثاني جانب القوانين والأنظمة، والثالث جانب العادات والأعراف والتقاليد.

سلوكيات الأشخاص:

من السهل على أي منا ملاحظة مدى الشعور باليسر والسهولة التي يلاقيها أثناء تعامله مع نوعية معينة من الناس في حياته العامة، فيما ينتابه على النقيض من ذلك تمامًا شعور مختلف عند تعامله مع صنف آخر من الناس. فالصنف الأول لا تكاد ترى

من طرفهم أي تعقيد وصعوبة في تعاملاتهم مع الآخرين، بينما تجد لدى الصنف الآخر نزعة دائمة لتعكير صفو الآخرين وتنكيد حياتهم. في هذا المجال حثت النصوص الشرعية الإنسان المؤمن على أن يكون متسامحًا متساهلًا في تعامله مع الآخرين، وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يسروا ولا تعسروا»[١]، ومضمون حديث النبي الأكرم يشمل التعاطي الشخصي في كل شأن من شؤون الحياة، فاليسر والبعد عن تعقيد الأمور هو المطلوب دائمًا.

إن تيسير الأمور يشمل أبسط الأشياء حتى في قضايا البيع والشراء، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أدخل الله الجنة رجلًا كان سهلًا مشتريًا وبائعًا، وقاضيًا ومقتضيًا»[٢].

ويحضرني في هذا السياق، ما لمسته ذات مرة وأنا في محل تجاري من ضيق وانقباض على وجه البائع تجاه أحد الزبائن، فسألته عن سبب ضيقه من ذاك الزبون تحديدًا، فاشتكى لي صاحب المحل بأن ذلك الزبون لا يشتري شيئًا بيسر أبدًا، فهو يعمد للجدال والمماكسة لدرجة أتمنى معها لو أن ذلك الغرض غير موجود عندي، حتى لا يأتي لمحلي بتاتًا. وورد عن النبي ﷺ: «حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس»[٣]، وعن جابر بن عبدالله الأنصاري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»[٤].

يشجع الإسلام الإنسان المسلم على أن يكون سهلًا في التعامل مع الآخرين، وذلك لا يعني بأي حال أن يضيع الواحد حقوقه فيكون مغبونًا، فقد ورد في الحديث

---

(١) صحيح البخاري حديث٦٩.

(٢) كنز العمال. ج٤، ص٤٤، حديث٩٤٢٥.

(٣) مسند أحمد، الإمام أحمد بن حنبل، ج ١، ص ٤١٥.

(٤) صحيح البخاري. حديث٢٠٧٦.

عنه ﷺ: «إن المغبون لا محمود ولا مأجور»[١]، وإنما المطلوب من الإنسان الاتزان في الدفاع عن حقه، والبعد عن التعقيد في تعاطيه مع الآخرين على حد سواء.

في هذا السياق يمكن ملاحظة حالة اليسر والعسر على المستوى الشخصي عند التوسط لفك النزاعات بين الأشخاص، فإذا ما صادفت شخصًا سهلًا لينًا تستبشر وتشعر بارتياح بالتوسط بين المختلفين، أما إذا ابتليت بطرف متشدد، عندها يأتي الشعور بالعسر وصعوبة الأمر، وأن الأمر لن ينتهي بسرعة ويسر.

كما يمكن ملاحظة هذا السلوك عند التعاطي مع بعض الموظفين في الإدارات العامة، فهناك موظف لديه نزعة مزاجية لتعقيد المراجعين فلا تمشي عنده المعاملات بيسر، ويهون الخطب إذا كانت المسألة خاضعة لتطبيق اللوائح والأنظمة، غير أن الأمر كثيرًا ما يكون بخلاف ذلك حيث تحكيم الهوى والمزاج الشخصي، وهذا أمر لا يجوز.

التعقيد في الأنظمة والقوانين:

تمتاز بعض البلاد بقوانين سلسة ويسيرة، تساهم في تسهيل حياة الناس، فيما تتسم بلاد أخرى بقوانين معقدة، تعرقل حياة الناس على شتى المستويات التجارية والثقافية والاجتماعية.

هناك في بعض البلاد يمكن ملاحظة مدى سهولة الحصول على تراخيص الأنشطة التجارية بسهولة ويسر، فيما تنزع بلاد أخرى نحو وضع شتى أنواع القيود والعقبات أمام تأسيس المشروعات التي يفترض أن تصب في مصلحة البلد، في نهاية المطاف. إذ يحتاج أي صاحب مشروع جديد في البلاد ذات القوانين المتخلفة لمشوار طويل من الإجراءات البيروقراطية والتوسل بالوساطات الكبيرة، الأمر الذي يقوده للإحجام عن مشروعه في أحيان كثيرة، نتيجة الصعوبة في الحصول على التصاريح المطلوبة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ١٩٧.

يشار في هذا المجال إلى التجربة الرائدة لإمارة دبي، ونجاحها في استقطاب رؤوس الأموال والأنشطة التجارية، والمشروعات الضخمة، فكيف نجحت هذه الإمارة الصغيرة فيما عجز عنه الآخرون. وما الذي يميزها عن غيرها من البلدان المجاورة؟ ولماذا نجد رؤوس الأموال الضخمة لتجار الخليج تصب هناك؟ حقيقة الأمر يكمن السر في حجم التسهيلات المقدمة، وسهولة القوانين، ويسر الإجراءات، بما يفوق البلاد المجاورة بمراحل، هذا هو سر النهضة الاقتصادية في هذه الإمارة.

والسؤال: ما الذي يمنعنا من أن نحذو حذوهم؟ ولماذا نعسر على الناس حياتهم؟ ولماذا يجد المواطن أمامه ألف عقبة وعقبة حتى ينشئ مشروعًا تنمويًا أو تجاريًا أو اجتماعيًا؟ أليس ذلك بخلاف الشريعة السمحاء التي كان وسيظل منهجها قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾؟.

التعقيد في العادات والأعراف:

لكل مجتمع عاداته وتقاليده الاجتماعية، وما يميز بعض المجتمعات بعدها عن التكلف والتعقيد في عاداتها وتقاليدها، في مقابل مجتمعات أخرى ساهمت عاداتها في إضفاء المزيد من الأعباء والتكاليف على عاتق أفرادها. ولو أخذنا تقاليد المجتمعات في موضوع الزواج مثلًا: فسنجد بأن هناك مجتمعات تكتفي بالحد الأدنى من التقاليد لإتمام حفل الزفاف، بما يوفر الاحتفاء البهيج دون كلفة باهظة، لكن بعض المجتمعات تفرض تقاليدها أن ينفق الزوج على حفلة الزفاف أضعاف تكاليف الزواج الحقيقي، وبشكل يفوق ما ينفقه المتزوج على تقديم المهر وترتيب منزل الزوجية.

إضافة إلى بذل جهود كبيرة مضنية، تحصل بسببها مشاكل وحساسيات، هنا يمكننا القول بأن مجتمعنا مع الأسف من المجتمعات المعقدة في هذا المجال، فالناس عندنا لا زالوا يتفننون في ابتداع عادات وتقاليد جديدة ترهق كاهلهم، حتى إن تكاليف

حفلات الزواج لدى السعوديين بلغت في عام واحد أكثر من ١,١ تريليون ريال حسبما نشرت صحيفة اليوم بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٤٣٢هـ الموافق ١٥/ ٧/ ٢٠١١م.

اللافت في الأمر أن مجتمعنا لا زال مستغرقًا في إدراج عادات جديدة بين الحين والآخر، فبعد حفلات الزفاف جاءت حفلات عقد القران، وحفلات تخرج الصغار من رياض الأطفال وغيرها.. مع ما يصاحب ذلك من تكاليف مالية لا تساهم سوى في استنزاف الأموال، وزيادة الأعباء على كاهل الأسر. حقيقة الأمر، لا يستحق هذا النوع من المناسبات أكثر من لفتات رمزية بعيدة كل البعد عن التكلف والتعقيد.

ولعل ذات الأمر ينسحب على الاحتفالات التي تقيمها بعض اللجان الخيرية ولجان التكريم ضمن احتفالاتها، والتي تعمد لتقديم دروع تذكارية باهظة الثمن. أصل الاحتفاء وتكريم الناشطين حسن لكن لا يجب أن يكون على نحو مبالغ ومكلف ماليًا.

ولعل أغلبنا رأى كيف أن مجتمعات أخرى اعتادت على تبادل الهدايا الرمزية دون النظر لسعرها، حتى إننا نجد على مستوى رؤساء الدول، يتبادلون هدايا رمزية قد لا تتعدى الصور التذكارية لبعض الآثار التي لا تكلف شيئًا، وفي مقابل ذلك نستغرب نحن اندفاع مجتمعنا باتجاه تعقيد شؤون حياتهم يومًا بعد آخر.

لقد تناول القرآن الكريم مزايا خاصة لرسالة النبي الأكرم ﷺ، ومنها قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ فعلينا ألّا ننساق مع الصرعات الجديدة، والعادات والتقاليد المرهقة لكاهل الجميع، سواء في حفلات الزواج، ومراسيم العزاء، التي باتت لا تخلو من تعقيدات مزعجة كذلك، فهذا خلاف التيسير. وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «تياسروا في الصداق»[1] بمعنى التساهل وتيسير مهور

(١) كنز العمال، ج ١٦، ص ٣٢٤.

النساء، وعنه ﷺ: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ المرأةِ تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا وتيسيرُ رَحِمِهَا»[١] أي ولادتها، وكان رسول الله ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه قال: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[٢]. وعن ابن عباس قال، قال رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا»[٣].

وتبعًا لذلك علينا تعزيز هذه المفاهيم الواردة في السنة المطهرة ضمن تعاملاتنا في شتى الأمور الحياتية.

نسأل الله أن ييسر لنا أمور الدنيا والآخرة.

(١) مجمع الزوائد، الهيثمي، ج ٤، ص ٢٨١.
(٢) صحيح البخاري. حديث٦٩.
(٣) كنز العمال، ج ١٠، ص ٢٤٩.

الإنسانية والتطلع للعدل

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلمًا وجورًا وعدوانا، ثم يخرج رجل من عترتي أو من أهل بيتي يملأها قسطًا وعدلًا كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»[4]

أجمعت صحاح المسلمين وتواترت مصادر الحديث عند جميع المذاهب على قضية ظهور الإمام المهدي المنتظر في آخر الزمان.

وبلغت استفاضة تلك الأحاديث حدًا دفع ابن تيمية في منهاج السنة للقول «إن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داوود والترمذي وأحمد وغيرهم»[٥].

فكل المذاهب الإسلامية لديها اعتقاد وإيمان بظهور الإمام المهدي، فيما يكمن الاختلاف بين السنة والشيعة في بعض التفاصيل، منها ما يتمحور حول ولادة الإمام، وما إذا كان ينحدر من ذرية الإمام الحسن كما يرى بعض أهل السنة، أم من ذرية الإمام الحسين كما ذهب الشيعة، وبعض السنة، وما إذا كان ولد بالفعل وهو حي يرزق كما يعتقد الشيعة، أم أنه سيولد في وقت لاحق كما يرى أهل السنة. هذه خلافات في

(٤) كنز العمال، ج ١٤، ص ٢٧١.

(٥) أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. منهاج السنة النبوية، ج٨، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، ص٢٥٤.

التفاصيل كما في أي شأن من الشؤون الإسلامية العقدية والفقهية، لكن أصل القضية متفق عليها.

يأتي السؤال هنا، عن معنى الاحتفاء بالإمام المهدي، وللإجابة عن ذلك هناك معنيان من المعاني الكبيرة لإحياء هذه المناسبة، الأول هو التطلع للعدل، والثاني هو الحفاظ على مستوى الأمل في النفوس.

التطلع للعدل:

تعاني البشرية اليوم أكثر من أي وقت مضى من انتشار الظلم، فقد أصبح الظلم والجور سياسة عالمية مهيمنة، تحظى بغطاء وشرعية من قبل أقوى المؤسسات العالمية، وهي مجلس الأمن الدولي. فمجلس الأمن المنوط به حماية الأمن والسلم العالميين، بات مؤسسة تحمي الظلم والعدوان في كثير من الموارد والمواقع.

لقد تحولت الدول الخمس دائمة العضوية في المجلس التي احتكرت لنفسها حق النقض (الفيتو) على حساب بقية الشعوب، تحولت إلى دول شريكة فيما يجري من مظالم في هذا العالم، ولا أدلّ على ذلك من مأساة الشعب الفلسطيني، الذي يتعرض يوميًا للظلم والعدوان، على يد كيان العدو الصهيوني، الذي يعلن بين الفينة والأخرى عن بناء آلاف الوحدات السكنية الاستيطانية الجديدة، على حساب أهل الأرض، فيما يكتفي العالم بموقف المتفرج.

وفي السياق ذاته، يشكل انتشار الفقر والمجاعات في العالم انعكاسًا ملموسًا لانتشار الظلم والجور. وقد أوردت آخر الإحصائيات العالمية أن ١٣ مليون طفل يموتون في كل سنة، قبل بلوغ يومهم الخامس من الولادة، نتيجة سوء التغذية وانعدام الرعاية الصحية.

كما أن هناك أكثر من مليار ونصف المليار إنسان على وجه الأرض، أي ما يعادل ربع البشرية، يعيشون بلا كهرباء، علاوة على مليار شخص في البلدان النامية لا

يحصلون على كمية كافية من المياه الصالحة للاستخدام، بل اللافت أن هناك ثلاثين مليون فرد يعيشون تحت خط الفقر في الولايات الأمريكية المتحدة وحدها، فضلًا عن الدول الأخرى النامية.

في مقابل ذلك لنا أن نعلم بأن أقل من واحد في المئة مما ينفقه العالم من الثروات الضخمة والميزانيات الهائلة التي تنفق على التسلح، يكفي لإدخال كل الأطفال في العالم لتلقي التعليم في المدارس. هذا يكشف لنا مدى حجم الظلم السائد في المجتمعات البشرية، وهو ما يدفع العالم إلى التطلع لسيادة العدل والحرية والكرامة بين أبناء البشر. وذلك ما نعتقد بتحققه لدى ظهور المهدي من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين.

تعزيز الأمل في النفوس:

إن عقيدة الإيمان بالإمام المهدي المنتظر تبدد كل سحب اليأس والقنوط، وذلك لإيماننا بأن الحق والعدل سينتصر في نهاية الأمر. فمهما كانت الظروف حالكة، والظلم قاسيًا، يبقى قلب الإنسان المؤمن عامرًا بالأمل؛ لأنه يعتقد بأن مآل الحق والعدل الانتصار في نهاية المطاف.

ولإدراك مدى تأثير العامل النفسي في حركة الشعوب، لنا أن نلاحظ كيف أحيت الثورات العربية الأخيرة الأمل في النفوس، في حين جهدت عدة جهات مختلفة لعرقلة هذه الثورات في أكثر من بلد، من أجل أن يدبّ اليأس والتشاؤم في النفوس مجددًا. فبعد التفاؤل الكبير الذي عمر قلوب ونفوس الناس بانتصار الثورة في تونس ومصر، برزت العقبات والعوائق أمام الشعوب في البلاد العربية الأخرى، حتى كادت تزرع اليأس في نفوس الناس. ضمن هذا السياق يمكن فهم أهمية زراعة الأمل في النفوس، التي تجد جانبًا من تطبيقاتها في الإيمان بحتمية ظهور الإمام المنتظر.

ليلة النصف من شعبان:

حري بنا أن نؤكد في هذا المقام على أهمية ليلة النصف من شعبان، التي تصادف مولد الإمام المهدي حسب رأي الشيعة، فهي ليلة بركة وعبادة ودعاء واستغفار. من هنا ننصح أنفسنا وجميع المؤمنين بأن يستثمروا هذه الليلة العظيمة، بإحياء مراسيم العبادة والتهجد إلى الله تعالى، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «إن الله يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمستغفرين ويرحم المسترحمين ويؤخر أهل الحقد كما هم عليه»[١].

وفي رواية عن زيد بن علي بن الحسين قال: «كان علي بن الحسين عليهما السلام يجمعنا جميعًا ليلة النصف من شعبان، ثم يجزئ الليل أجزاء ثلثا فيصلي بنا جزء، ثم يدعو ونؤمّن على دعائه، ثم يستغفر الله ونستغفره ونسأله الجنة حتى ينفجر الصبح»[٢]. كما وردت روايات في مستحبات هذه الليلة ومنها صلاة جعفر الطيار، وزيارة الإمام الحسين، وقراءة دعاء كميل، والصدقة.

ولعلنا نشير هنا إلى أن مظاهر الفرح والاستبشار بهذه الليلة تعدّ شعيرة حسنة، وسنة مباركة، ولكن علينا أن نحمي هذه المظاهر من الشوائب السيئة والتصرفات غير المناسبة، علينا أن نتعاون جميعًا لوضع حدٍّ لهذه التصرفات، وأن نتحمل المسؤولية بألّا نغفل عن رعاية أبنائنا وتوجيههم للسلوك الصحيح، حتى لا يصبحوا فريسة لأصحاب التصرفات الطائشة.

نسأل الله أن يبارك للجميع هذه المناسبة العظيمة.

---

(١) كنز العمال، ج ٣، ص ٤٦٤.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي. مصباح المتهجد، الطبعة الأولى ١٤١١هـ، (بيروت ـ مؤسسة فقه الشيعة)، ص ٨٥٣.

الخطبة الأولى

التكلّف في العلاقات الاجتماعية

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾[سورة صّ، الآية:٨٦]

يسلّط القرآن الكريم الأضواء على جوانب من مناطق الضعف وموارد الخلل في شخصية الإنسان وسلوكه، وذلك حتى يتلافاها ويتجاوزها، مستهدفًا ترشيد سلوك هذا الإنسان وصناعة شخصيته السوية المستقيمة.

ومن نقاط الضعف التي تطرأ على سلوك الإنسان، ما أشارت إليه الآية الكريمة بمصطلح (التكلف)، وذلك بأن يكون الإنسان متكلفًا في سلوكه. يقول الله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي على تبليغ الرسالة، ثم ينفي عن نفسه صفة (التكلف) لغرض لفت النظر إلى سلبية هذه الصفة فيقول: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

فالتكلف صفة مذمومة في شخصية الإنسان، وقد وردت نصوص كثيرة تحذر الإنسان من هذه الصفة، منها ما ورد عن النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء والأمناء والأتقياء براء من التكلف»[1].

والتكلف في معناه هو التصنع والتظاهر بشخصية على غير الحقيقة، كأن يدّعي

(١) السيد محمد حسين الطباطبائي، سنن النبي ﷺ، طبعة ١٤١٦هـ، (قم المقدسة: مؤسسة النشر الاسلامي)، ص١٢٩.

الإنسان مكانة ليست له، أو يتبوأ مقامًا في غير محله. ومن معاني التكلف أن يتحمل الإنسان مشقة في تعامله مع الآخرين دونما داعٍ ومبرر، وهذا محل حديثنا. إذ ينبغي أن يتسم تعامل الإنسان مع الآخرين من حيث الأصل بالبساطة والبعد عن التكلف وتكبد المشقة.

هنا لا بُدّ من التوضيح بأن هذا لا يعني بأي حال عدم إيثار الآخرين على النفس والمبادرة في قضاء حوائجهم، فهذا التصرف لا يطلق عليه تكلفًا بل يسمى إيثارًا، يقول تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، وهذا في الشريعة أمر ممدوح. بل المقصود من التكلف هنا، هو التكلف في التعامل مع الآخرين، عبر تحميل الذات مشقة دون داعٍ سوى الرياء وطلب السمعة، فهذا منهي عنه شرعًا.

ذلك على غرار المريض الذي يوصيه الأطباء بالتزام الفراش وطلب الراحة التامة، لكنه مع ذلك يخالف رأي الأطباء فيلتزم استقبال ضيوفه، لا لشيء إلا ليجامل أصدقاءه على حساب صحته، هذا من التكلف المذموم في بعض صوره.

التكلّف في الضيافة

وكذلك ما يرتبط بأمور الضيافة مثلًا، فالضيافة شيء محبوب ومندوب، لكن التكلف فيها مذموم، وهناك نصوص كثيرة تعالج هذا الأمر، فقد روي عن أمير المؤمنين ﷺ: «شرّ الأخوان من تتكلف له»[1]، وورد عن الإمام الصادق ﷺ: «المؤمن لا يحتشم من أخيه ـ والاحتشام بمعنى تحمل الحرج ـ وما أدري أيهما أعجب الذي يكلف أخاه إذا دخل عليه أن يتكلف له، أو المتكلف لأخيه»[2].

فهناك بعض الضيوف يكلفون على غيرهم فلا يقبلون إلا ببرتوكول معين، والإمام الصادق يتساءل هنا أيهما أعجب هذا الذي يكلف غيره، أم الشخص الذي يكلف نفسه

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٢٧٦.

في حين يمكن للآخر أن يقبل منه اليسير الممكن.

وروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام: «لا تكرم الرجل بما يشق عليه»[١] وذلك كما يحدث في بعض الأحيان من إصرار على شخص ما بقبول الدعوة أو شيء ما بخلاف رغبته، وقد يكون في ذلك ضرر عليه، من هنا يوصي الإمام بألا تشق على أحد إن كنت تريد إكرامه.

هكذا ينبغي أن يكون الإنسان عفويًا ومنبسطًا في تعامله مع الآخرين، فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من تكرمة الرجل لأخيه المسلم أن يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ولا يتكلف له شيئًا»[٢].

وعن الحارث الأعور قال أتاني أمير المؤمنين علي فقلت له: يا أمير المؤمنين، ادخل منزلي، فقال: «أدخل شرط ألا تدّخر عني شيئًا مما في بيتك، ولا تتكلف شيئًا مما وراء بابك»[٣]. وفي رواية (ولا تجحف بالعيال)[٤] أي لا يكون إكرام الضيف على حساب أهل الدار.

وهناك في السياق ذاته رواية لافتة عن أبي وائل قال: دخلت أنا وصاحب لي على سلمان الفارسي، فقال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن التكلف لتكلفت لكم، ثم جاء بخبز وملح ساذج لا إدام عليه، فقال صاحبي: لو كان في ملحنا هذا زعتر، فبعث سلمان بمطهرته ليرهنها عند البقال ليشتري زعترًا، فلما أكلنا قال صاحبي: الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا، فقال سلمان: لو قنعت بما رزقك الله لم تكن مطهرتي مرهونة عند البقال[٥].

---

(١) تحف العقول، ص ٤٨٩.
(٢) الكافي، ج ٦، ص ٢٧٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج ٢٤، ص ٢٧٩.
(٤) الشيخ الصدوق. عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢٣٥.
(٥) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٣٨٤.

العادات المكلّفة

إن علينا أن ننشر ثقافة عدم التكلف في مجتمعنا، خصوصًا في مجال العادات الاجتماعية، ومنها ما يرتبط بالعادات المتعلقة بحفلات الزواج، فجميعنا يدرك حجم الكلفة القائمة في حفلات الزفاف النسائية تحديدًا، وهي كلفة مرهقة لأصحاب المناسبة والضيوف المشاركين فيها على حد سواء، لكننا جميعًا متواطئون على هذا النهج مع شديد الأسف. فعادة ما ينتهي حفل استقبال المهنئين ويبدأ زفاف العريس في وقت مبكر نسبيًا قد لا يتعدى الساعة العاشرة والنصف مثلًا.

وقد درجت مجتمعاتنا في السابق على زفاف العريس إلى بيت الزوجية وقد سبقته عروسه، فيدخل بيته وهي بانتظاره، لكن الأمر الآن انقلب، فحفلات الزفاف لدى النساء باتت تستمر حتى ساعات الفجر مع الأسف، بل إن وجبة العشاء لا تقدم للضيوف إلا بعد منتصف الليل!، وهذا برنامج مكلف ومزعج لجميع الأطراف، خصوصًا في ظل تزايد حفلات الزواج في العطل الصيفية، فكثير من المدعوات مضطرات تحت وقع الالتزام الاجتماعي لتلبية الدعوة لحضور أكثر من حفلة زواج، في أوقات متقاربة، ما يعني ذلك تأخر كثير من النساء عن العودة لبيوتهن وأزوجهن وعيالهن، الأمر الذي ولد مشاكل كثيرة بين العوائل وقد بلغنا الكثير منها، لا لشئ سوى هذا التكلف المبالغ فيه.

إننا مدعون لإعادة النظر في هذه السلوكيات، حتى تكون بعيدة عن التكلّف، دون أن نحرم أنفسنا فرصة مشاركة بعضنا أفراح بعض.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للالتزام تعاليم الدين.

فرص العمل أمن المجتمع والوطن

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﮥ أنه قال: «اطلبوا الرزق فإنه مضمون لطالبه»[1].

إن استقرار الإنسان النفسي والاجتماعي يتوقف بلاشك على تأمينه لمتطلبات حياته ومعيشته، عدا ذلك سيكون الإنسان غير مستقر نفسيًا، وبالتالي لا يكون مستقرًا اجتماعيًا، فينعكس ذلك على اضطراب الحالة الاجتماعية، بوجود من لا يتوفر له الأمن الاقتصادي.

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كاد الفقر أن يكون كفرًا»[2]، فحينما يكون الإنسان قلقًا على وضعه الاقتصادي، ويفتقد العمل الشريف، نتيجة العوائق المختلفة، فإن المجتمع يكون معرضًا للاضطراب، ولذلك تتزايد السرقات، وتنتشر الرشوة، ويتفشى الفساد، وغير ذلك من الظواهر السلبية المختلفة، ولعل بعض الحكومات تتجاهل بل تتعايش مع انتشار هذه الحالات، ولا تعيرها اهتمامًا جادًا، لأنها لا تشعر بالضرر المباشر جرّاء انتشار السرقات والعنف بين أبناء المجتمع.

لكن هذا الاضطراب الاجتماعي قد يتحول إلى اضطراب سياسي، فالناس الذين يعيشون تحت ضغوط المعيشة، وتنعدم أمامهم سبل الحصول على العمل الشريف،

---

(١) الإرشاد: ج١، ص ٣٠٣.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٠٧.

سيقودهم ذلك إلى مواقف وتطورات قد لا تحمد عقباها، ولعل ما يحصل الآن في منطقة الشرق الأوسط من ثورات وانتفاضات، يكمن أحد أسبابها الرئيسة في المشكلة الاقتصادية التي باتت تطحن الناس.

وقد ورد عن أبي ذر الغفاري: «عجبت لمن لا يملك قوت يومه كيف لا يخرج على الناس شاهرًا سيفه»[(١)]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن مؤسسات ومنظمات دولية عديدة، سبق وأن حذرت منذ أكثر من سنتين من اندلاع اضطرابات سياسية واجتماعية في العديد من الدول النامية، نتيجة غلاء الأسعار، وتفشي البطالة، وهذا ما حصل بالفعل في كثير من البلدان.

الأزمات الاجتماعية والاضطراب السياسي

إن حكومات المنطقة مدعوة للتدخل على نحو عاجل لمعالجة الأزمات ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي، قبل أن تتحول إلى أزمات سياسية تعصف باستقرارها وأمنها. ويكتسب الأمر أهمية قصوى في البلدان التي تمتلك وفرة اقتصادية، إذ إن شعوب الدول الفقيرة ربما تتعايش مع الضائقة الاقتصادية وتتقبلها، لكن الناس في الدول الغنية أقل تحملًا للمشاكل الاقتصادية.

من هنا كان لزامًا على دول المنطقة المسارعة في وضع معالجات حقيقية أمام شعوبها لتتفادى الاضطرابات التي قد تنفجر بوجهها.

إن الاعلان في المملكة عن إستراتيجية اقتصادية تتوخى معالجة معضلة البطالة ومشاكل الشباب في البلاد يُعدّ أمرًا طيبًا، ويبشر بالخير، متى ما رافقه التزام وتطبيق عملي على أرض الواقع، فكثيرًا ما يفرح الناس بالقرارات والخطط، لكنهم يحبطون بالتباطؤ والمماطلة من قبل الأجهزة المكلفة بالتنفيذ.

---

(١) محمد شوقى الفنجرى. الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، ص ٥٤.

من الواضح ان الإستراتيجية الجديدة التي شرعت فيها وزارة الاقتصاد والتخطيط، بتوجيه ملكي، ومشاركة عدد من الوزارات، أنها وضعت اليد على مكامن التحدي والخطر، المتمثلة في مشكلة البطالة والشباب، كما تتحدث عنها جريدة الرياض (الاثنين ١٧ شعبان ١٤٣٢هـ). فقد بلغت نسبة البطالة في المملكة ٣١ ٪ بين الذكور ضمن قوة العمل، أما بين الإناث فوصلت النسبة إلى ٧١٪.

وهذه نسب مرتفعة جدًا إذا ما قيست بمعدل البطالة الكلي. وغني عن القول أن انعدام فرص العمل أمام الشباب يعني انسداد الأفق أمامهم إزاء بناء مستقبلهم، وتوفير احتياجاتهم المعيشية، فضلًا عن إمكانية الزواج وتكوين أسرة و بناء منزل.

الشباب والقلق على المستقبل

وإذا عاش الشباب هذا القلق فإن ذلك قد يدفعهم إلى مختلف الأخطاء والتوجهات غير السوية، من تعاطي المخدرات والاتجار بها، فهناك نسبة كبيرة من الشباب الذين انزلقوا إلى هذا المنحدر بسبب الظروف الاقتصادية، والقلق تجاه تأمين مستقبلهم. زد على ذلك قسمًا آخر من الشباب الذين مثلوا صيدًا سهلًا للتنظيمات الإرهابية التي بات يحاكم بعض أعضائها هذه الأيام أمام محاكم شرعية.

وقسم ثالث من الشباب باتوا يمارسون التصرفات الطائشة، عبر قيادتهم السيارات بسرعة جنونية، تشكل خطرًا على حياتهم وحياة الآخرين، وقد أظهرت إحصائية صادرة عن ادارة المرور أن حوادث المرور باتت تحصد يوميا ١٦ شخصًا في شوارع المملكة، ممن يتوفون بشكل مباشر بسبب الحادث، هذا خلاف من يموتون في المستشفى تأثرًا بجراحات بليغة، وأغلب المتورطين في هذه الحوادث هم من فئة الشباب.

أما القسم الرابع من الشباب ضحية الفراغ والبطالة، فهم الذين استسلموا لحالات الكآبة والاضطرابات النفسية. كل هذه الظواهر سببها الأكبر حالة البطالة، دون أن

يكون ذلك السبب الوحيد بطبيعة الحال.

وفي السياق ذاته، أشارت صحيفة الرياض إلى أن ٩٦٪ من الشباب السعودي يرى أن توفير الوظائف يمثل بالنسبة اليهم أهمية قصوى، فهذا يكشف إلى أي مدى يعيش الشباب قلقًا اقتصاديًا ونفسيًا واجتماعيًا، خصوصًا وأن أكثر الشباب في المملكة يعانون وقت الفراغ، إذ يتراوح ذلك من ٤ إلى ١٢ ساعة يوميًا، فأين يصرف الشاب كل هذا الوقت؟

وفي إحصائية نشرتها جريدة الوطن السعودية (١٩ شعبان ١٤٣٢هـ) جاء فيها أن ٥٠٪ من خريجي كليات التقنية ينضمون إلى قائمة البطالة. أما من يتسربون خلال سنوات الدراسة فقد بلغت نسبتهم ٦٥٪ من الطلاب، علمًا بأن الدولة تتحمل تكلفة الدراسة التي تصل إلى ٩٨ ألف ريال عن كل طالب سنويًا، غير أن اللافت أن ٢٥٪ ممن تخرجوا في هذه الكليات التقنية اتجهوا للعمل في وظائف لا تتناسب مع تخصصاتهم!، ومعنى ذلك أننا نصرف أموالًا في تعليم الطلاب ضمن تخصصات معينة، إلا أنهم يعملون في مجالات أخرى ليست مجال تخصصهم، فما مبرر هذا الصرف وهذه الخسائر الكبيرة إذًا؟.

والأغرب مما سبق هو أن معضلة البطالة باتت تطال المبتعثين في الدول الغربية، الذين يكلفون البلد ميزانية هائلة، لكنهم حين يعودون للبلد لا يجدون فرصة عمل!، ولعل مجال تعليم البنات خير شاهد على ذلك، فالدولة تصرف على تعليمهن سنوات طويلة حتى يتخرجن فيكون مصيرهن الجلوس في البيت!.

استراتيجية وطنية لمواجهة البطالة

هنا لا بُدّ من التركيز على ثلاثة محاور نجد أن لها الدور الأبرز في معالجة المشكلة الاقتصادية، التي يئن تحت وطأتها كثير من المواطنين، وأولها ضرورة إعادة النظر في الاستراتيجيات الاقتصادية، ودور القطاع الخاص وأخيرًا دور المجتمع.

أولًا: لا بُدّ من اعادة النظر في الاستراتيجيات الاقتصادية القائمة في البلد، فليس من المعقول أن يكون لدينا اقتصاد ضخم يستوعب أكثر من ثمانية ملايين عامل أجنبي، بلغت تحويلاتهم المالية أكثر من ٩٨ مليار ريال في العام الماضي وحده، ومع ذلك لا يزال أبناؤنا وبناتنا يعانون البطالة، ويلهثون وراء فرص العمل. هذا الأمر يدعونا لإعادة النظر في الإستراتيجية القائمة، وتحديث القوانين والأنظمة، ووضع إستراتيجية تأخذ بعين الاعتبار أولوية توفير فرص العمل أمام الشباب من الجنسين.

ثانيًا: يجب أن يتحمل القطاع الخاص مسؤوليته الكبيرة في توفير فرص العمل أمام الشباب، وذلك بالتركيز على استيعاب وتشجيع أبناء الوطن على العمل بمختلف السبل، سيما وأن نسبة السعوديين في القطاع الخاص لا زالت متدنية جدًا، بالمقارنة مع العمالة الأجنبية التي تعج بها الشركات والمؤسسات في القطاع الخاص.

هنا، لا بُدّ وأن أشير إلى ما سبق وأن أكدته مرارًا على أبنائنا بالتوجه نحو تأسيس مشاريعهم الاستثمارية الخاصة، فليس من الصحيح أن يحصر الشباب خياراتهم في الحصول على وظيفة صغيرة هنا أو هناك. بل المؤسف في الأمر أن بعض الشباب ممن لا يحمل مؤهلًا عاليًا بات يتردد في قبول الوظيفة التي قد يصل راتبها الشهري إلى ٣٥٠٠ ريال، كما أخبرني بذلك أحد العاملين في لجان التوظيف الأهلية.

الأعمال الحرة خيار أفضل

إن بلادنا تزخر بكثير من الفرص الاقتصادية الواعدة، التي بات يقتنصها الوافدون الأجانب، فيجنون من ورائها ملايين الريالات. ويحضرني في هذا السياق ما رواه لي أحد الأصدقاء العاملين في مجال السياحة في المدينة المنورة، عن أحد الوافدين الذي بات اختصاصيًا في إدارة الفنادق بحكم عمله السابق في أحد الفنادق. فهذا الوافد

تحول من مجرد عامل في الفندق إلى مستثمر استأجر الفندق الذي كان يعمل فيه، وذلك مقابل خمسة ملايين ريال يدفعها لمالك الفندق، وقد طور هذا الوافد تجربته بحيث استأجر فندقًا ثانيًا وثالثًا، إلى أن وصل عدد الفنادق التي استأجرها إلى ١٤ فندقًا! وهذا ما يحتاج بطبيعة الحال إلى إرادة وإدارة وجهد واجتهاد.

ولعل كثيرًا منا قرأ ما كتبته إحدى الصحف السعودية عن عامل هندي اتفق مع طبيب سعودي على أن يفتح باسمه مركزا طبيًا، ليقوم العامل نفسه بإدارة شؤون المركز بالكامل، مقابل مبلغ من المال يدفعه للطبيب السعودي، وقد بلغ عدد المراكز التي افتتحها العامل الهندي على هذا النحو ١٨ مركزًا طبيًا، مستخدمًا اسم هذا الطبيب السعودي، فكان الطبيب السعودي يأخذ نسبة على كل مستوصف بلغ مجموعها ما قيمته مليون وثلاثمائة ألف ريال شهريًا، بينما يكون نصيب العامل الهندي مليون وثمانمائة ألف ريال شهريًا من أرباحه الصافية[١].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ لماذا يستطيع الوافد الأجنبي اقتناص هذه الفرص الاقتصادية الكبيرة فيما يظل ابن البلد نائمًا بل كلًا على غيره؟.

إن على الشباب التوجه نحو تنويع خياراتهم الاقتصادية، والبدء في تأسيس مشاريعهم التجارية الخاصة، بالاستفادة من الفرص الاقتصادية الهائلة التي تملأ البلد، خاصة مع وجود جهات لتمويل المشاريع الصغيرة بقروض ميسرة، كبنك التسليف، وصندوق المئوية.

ثالثًا: لا بُدّ أن يتحمل المجتمع مسؤوليته إزاء تشجيع الشباب على العمل. فليس من المناسب الاكتفاء بحديث المجالس إزاء أخطاء هذه الجهة الرسمية أو تلك، فمثل هذه الشكاوى تتناولها الصحف المحلية ولا أحد ينكرها، غير أن المطلوب منا هو التحرك باتجاه تشجيع أبنائنا وتوجيههم نحو تأسيس

---

(١) جريدة الاقتصادية. الصادرة بتاريخ ١١/ ٢/ ١٤٢٠هـ الموافق ٢٦/ ٥/ ١٩٩٩م.

المشاريع الاقتصادية، واقتناص فرص العمل المتاحة.

ولعل مضمون الرواية التي أشرنا إليها «اطلبوا الرزق فإنه مضمون لطالبه» تشدد على أن الرزق والكسب الوفير متاح لمن يسعى لتحصيله، أما الكسالى فلن يحصلوا على شيء، وعن رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يحب أن يرى عبده تعبًا في طلب حلال»[١]، وفي حديث آخر عنه ﷺ: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[٢]، وعنه ﷺ: «ملعون ملعون من ضيع من يعول»[٣]، ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «لا تكونوا كلًا على الناس»[٤].

وأخيرًا، نحن في بلد زاخر بالفرص الاقتصادية التي يسيل لها لعاب كل أحد، وما يتمنى معها أي أجنبي أن يتحصل على تأشيرة يدخل بها بلادنا بأي ثمن، فمن غير المعقول أن يشكوا أبناء البلد من قلة الفرص أمامهم؟

نسأل الله للجميع سعة الرزق وحسن المعيشة.

---

(١) كنز العمال: ٩٢١٥، ٩٢٠٠.

(٢) الكافي، ج ٥، ص ٨٨ .

(٣) بحار الأنوار. ج١٠٠، ص١٣.

(٤) تحف العقول، ص ٥١٣.

الخطبة الأولى

نفقات التسلح والمجاعة في القرن الأفريقي

ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام انه قال: «إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء، فما جاع فقير إلا بما متع به غني، والله تعالى سائلهم عن ذلك»[1].

تأبى عدالة الله سبحانه وتعالى أن يُوجد مخلوقًا واحدًا لا رزق له في هذه الحياة. فحينما يكون هناك قرار إلهي بوجود مخلوق من المخلوقات، فلا بُدّ وأن يكون إلى جانبه قرار إلهي بتوفير ما يحتاج إليه هذا المخلوق من قوت في هذه الحياة، لذلك يقول تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَ قَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ»[2]، فقد قسم الله لجميع المخلوقات أرزاقهم في هذه الحياة، وما عليهم سوى السعي للوصول إلى رزقهم وتوفير متطلباتهم.

وقد شاءت حكمة الله أن يجري بعض أرزاق العباد على يد بني جنسهم من بني البشر، في حال بروز الموانع التي تحجزهم عن الوصول إلى أرزاقهم، كالكوارث الطبيعية، والمجاعات والجفاف والآفات المختلفة، أو النزاعات السياسية، والأوضاع غير المستقرة السائدة في بعض البلاد، من هنا كان على الموسرين أن يعرفوا أن رزق هؤلاء المحرومين مقسوم على أيديهم، يقول الله تعالى ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٢٨.

(٢) نهج البلاغة. خطبة ٩١.

مآسي المجاعة في القرن الأفريقي

لا زلنا نتابع منذ أسابيع مآسي المجاعة التي تضرب بلدان القرن الأفريقي، في الصومال وكينيا وأثيوبيا، هذه المجاعة هي الأولى التي تعلن عنها الأمم المتحدة منذ سنة ١٩٨٤، ذلك لأن الأوضاع الإنسانية هناك بلغت حدًا خطيرًا لم يسبق لها مثيل في السنوات الأخيرة. فهناك أكثر من ١١ مليون من أبناء البشر يتعرضون الآن لمجاعة حقيقية، بينهم ما يقارب من ٤ ملايين صومالي عربي مسلم، وإن كنا إزاء مختلف الكوارث الطبيعية لا بُدّ وأن نتحسس آلام جميع المتضررين والمحتاجين من أبناء البشر، بغض النظر عن أديانهم ومذاهبهم.

إن هذه المجاعة مأساة عظيمة تحدث في جوارنا الجغرافي، وبالقرب منا، وعلينا هنا أن نتذكر الحديث المروي عن رسول الله ﷺ: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع»[(١)]، ولعل مفهوم الجوار ينطبق سواء على مستوى الجوار الفردي، أو على الصعيد المجتمعي، أو الدول القريبة والمجاورة لنا، لذلك ينبغي لنا أن نتحسس آلام أولئك الجائعين في جنوب الصومال، فهذا البلد يشهد يوميًا وفاة نحو ٢٥٠٠ إنسان بسبب الجوع، وهذا ما سيستمر إذا سارت الأمور على معدلاتها الحالية، وفقًا لتقارير المنظمات العاملة في مجال الإغاثة الإنسانية، وما نسمعه من تقارير وتبثه الشاشات من صور لأطفال يتهاوون في الشارع موتًا؛ لأن أجسامهم لم تعد تستطيع حملهم بسبب الجوع.

هؤلاء الأطفال وقبل كل شيء هم أبناؤنا وإخواننا من بني البشر، وممن ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، علاوة على أن سكان هذه المناطق هم في أغلبهم من المسلمين ومن العرب، ومع ذلك لا زلنا نقف مكتوفي الأيدي، ونتفرج عليهم وهم يعيشون هذه المأساة.

---

(١) مجمع الزوائد. ج ٨، ص ١٦٧.

فعل الكوارث الطبيعية والنزاعات السياسية

ولو أردنا مقاربة أسباب تعرض البشر للمجاعات في تلك البلاد، لا بُدّ من الإشارة إلى جانبين، أحدهما يكمن في تعاضد الكوارث الطبيعية مع النزاعات السياسية، والآخر تباطؤ المجتمع الدولي المنشغل بتجارة الموت المتمثلة في صفقات التسلح الهائلة.

فإلى جانب الآفات والكوارث الطبيعية، كالجفاف الذي يضرب القرن الأفريقي حاليًا، هناك أيضًا عوامل أخرى متمثلة في النزاعات السياسية الداخلية والحروب، خاصة في الصومال، فقد يكون من أهم أسباب المجاعة عدم الاستقرار السياسي الذي يعيشه الناس هناك.

فهناك أكثر من ٢ مليون صومالي مهددون بالموت جوعًا في جنوب البلاد، الذي يخضع لسيطرة منظمات متشددة، هذه المنظمات المتشددة لا هي وفرت الطعام لهؤلاء الناس، ولم تسمح في الوقت نفسه لمنظمات الإغاثة الإنسانية بالدخول لممارسة عملها في تلك المناطق، بدعوى أنها منظمات من دول كافرة. هذه المشاكل والنزاعات هي سبب رئيس من أسباب الفقر والمجاعة هناك.

أما على المستوى الدولي فالجميع يرى كيف ينفق هذا العالم مئات المليارات سنويًا على تجارة السلاح، والكماليات المختلفة، فيما يغض الطرف عن هذه المجاعة، ويكتفي ببضع ملايين من الدولارات، أو إرسال مساعدات قليلة لا تكاد تسدّ رمق هؤلاء الجوعى.

الإنفاق العسكري العالمي

تذكر المعاهد المختصة بمتابعة الإنفاق العسكري العالمي أنه في سنة ٢٠١٠ بلغ الإنفاق العسكري العالمي أكثر من تريلون ونصف ترليون دولار، والولايات المتحدة الأمريكية بمفردها كان نصيبها ٦٩٨ مليار دولار، وهذا الإنفاق الأمريكي يتجاوز بست مرات إنفاق الصين على الجوانب العسكرية، والبالغ ١١٩ مليار دولار، لتحتل

الصين المرتبة الثانية ضمن أكثر الدول في النفقات العسكرية، متقدمة على بريطانيا وفرنسا وروسيا.

أما معدل نفقات دول الشرق الأوسط على التسلح ـ هذه المنطقة تقع المجاعة قريبًا منها ـ، فقد أنفقت هذه الدول ١١١ مليار دولار في صفقات السلاح.

والسؤال هنا، لماذا تنفق هذه الأموال الهائلة؟ ولمن تشترى حكومات المنطقة هذه الأسلحة؟ وضد من سوف تستخدم؟

للأسف الشديد يبدو أن هذه الأسلحة لا سبيل لاستخدامها إلا ضد شعوب المنطقة، أو ضد دول المنطقة بعضها بعضًا، فالعدو الرئيس لهم وهو إسرائيل بات منذ زمن في مأمن من هذه الأسلحة، ذلك لأن المزود الرئيس لهذه الأسلحة وهي الولايات المتحدة لا يمكن أن تعطي للدول العربية سلاحًا يهدد أمن إسرائيل، فهذه سياسة أمريكية معلنة، فقد تعهدت أمريكا بالحفاظ على التفوق العسكري المستمر لإسرائيل، وألّا تفسح مجالًا لدول المنطقة بالتوازن مع إسرائيل عسكريًا.

إن شعوب المنطقة تعيش حاجات حقيقة، وتنقصها التنمية، كما تعصف بها الأزمات من كل ناحية، خصوصًا في ظل الظروف الحالية، فهناك ملايين الشباب يعيشون البطالة، وعشرات الملايين لا يتوفر لهم السكن والتعليم العالي والعلاج المناسب، ومع ذلك نرى حكومات المنطقة لا تزال مصرة على إنفاق المليارات على الأسلحة!.

هكذا ينفق العالم المبالغ الطائلة على السلاح والفناء والدمار، بينما ملايين الناس يعيشون المجاعة. علينا ونحن نقبل على شهر رمضان المبارك أن نتحسس آلام الآخرين في بلادنا والبلاد الأخرى، نتحسس آلام الجوع والحاجات الإنسانية المختلفة لمن حولنا من البشر.

نسأل الله أن يجعلنا ممن ينفقون مما رزقهم، وأن يشبع هؤلاء الجياع ويرفع معاناتهم.

التوبة.. تهيؤ لضيافة الله

ورد عن عبد السلام بن صالح الهروي، قال: دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في آخر جمعة من شهر رمضان، فقال لي: يا أبا الصلت: إن شعبان قد مضى أكثره، وهذا آخر جمعة فيه، فتدارك فيما بقي تقصيرك فيما مضى منه، وعليك بالإقبال على ما يعنيك وأكثر من الدعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وتب إلى الله من ذنوبك، ليقبل شهر رمضان إليك وأنت مخلص لله عز وجل، لا تدعن أمانة في عنقك إلا أديتها، وفي قلبك حقدًا على مؤمن إلا نزعته، ولا ذنبا أنت مرتكبه إلا أقلعت عنه. واتق الله وتوكل عليه في سرك وعلانيتك، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وأكثر من أن تقول فيما بقي من هذا الشهر: اللهم إن لم تكن غفرت لنا فيما مضى من شعبان فاغفر لنا فيما بقي منه، فإن الله سبحانه وتعالى يعتق في هذا الشهر رقابا من النار لحرمة شهر رمضان[1].

تعوّد الناس أن يتأهبوا في آخر اسبوع من شهر شعبان، لشراء مستلزمات بيوتهم، من مواد غذائية تعينهم على صيام شهر رمضان المبارك، لكن السؤال هنا؛ كيف يتأهب الإنسان روحيًا ونفسيًا ليقبل على ضيافة الله في هذا الشهر الفضيل؟.

---

(١) عيون أخبار الرضا. ج١، ص٥٦.

الله يدعونا لضيافته في هذا الشهر، وقد تعود كل منا عندما يعزم النزول عند ضيافة أحد من ذوي الشأن، فإنه يتهيأ نفسيًا ويرتدي أجمل حلله، ونحن الآن نتهيأ لضيافة الله فكيف نفعل ذلك؟

إعلان التوبة

إن أفضل تهيئة يقدم عليها العبد المسلم مع دخول شهر رمضان المبارك هي إعلان التوبة لله سبحانه وتعالى، وبحسب تعبير الرواية الآنفة عن الإمام الرضا عليه السلام: «وتب إلى الله من ذنوبك».

إن التوبة تعني الإقرار بالذنب والتعهد بعدم العودة إليه. إذ لا يخلو الواحد منا من ذنوب، فنحن بشر معرضون للأخطاء، فنكون بحاجة إلى التوبة.

وكما أن أجسامنا بحاجة إلى العناية بالغسل والتنظيف باستمرار، فلا يكتفي بأن يستحم الواحد مرة في العمر أو في السنة أو الشهر، كذلك الحال بالنسبة للروح، فكما يحتاج جسمك للتعهد بالنظافة تحتاج روحك ونفسك إلى التعهد بإزالة الشوائب، وهذا هو معنى التوبة.

ولعل السؤال هنا، إذا كان الله تعالى يعرف طبيعة عباده، المعرّضين باستمرار لارتكاب الأخطاء والذنوب، فما هو الموقف حينما يقع الإنسان في الخطأ والمعصية؟ حقيقة الأمر أن هناك حالتين تنتاب العبد في هذا المقام، حالة التساهل واللامبالاة، فلا يعود يبالي بأي ذنب أذنبه، وهي الحالة السيئة، وكما ورد عن علي عليه السلام: «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ»[1].

أما الحالة الأخرى التي قد تنتاب العبد المذنب فهي اليأس والقنوط وسيطرة العقد على نفسه. إن النفس البشرية مركبة من قوى الخير والشر، فالإنسان يعيش صراعًا

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٤٨.

مستمرًا مع نفسه، ففيها ما يدفع الإنسان لعمل الخير، وفيها ما يجره لارتكاب الخطايا، وفوق ذلك يتحلى كل إنسان بضمير يقظ يعاتبه على ارتكاب المعصية، وتلك هي النفس اللوامة بحسب تعبير الآية القرآنية ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

إن يقظة الضمير تجعل الإنسان بطبيعة الحال غير مرتاح تجاه الذنوب التي ارتكبها، لكن هذه الحالة تتحول لدى بعض الناس إلى مستوى العقدة والاستسلام لليأس، وهذا خطأ كبير، فلا يجوز القنوط من رحمة الله، وقد حذرنا القرآن الكريم من هذه الحالة، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكافِرُونَ﴾، ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، وورد عن علي عليه السلام: «لا تيأس لذنبك وباب التوبة مفتوح»[1].

إن الله تعالى في محكم آياته يدعو عباده للتوبة ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، ويقول تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾.

فالله سبحانه وتعالى يدعونا إلى التوبة، وهو يتعهد بأن يقبل التوبة عن عباده، فالعباد يعصون ربهم لكنه سبحانه يقول لهم: أنا أقبل توبتكم، وإن تكرر الذنب، وذلك من رحمة الله تعالى بخلقه، فهل ثمة لطف أعظم من هذا؟

هنا لا بُدّ من الإشارة إلى أن أول مراحل التوبة هي الإقرار والاعتراف بالذنب، فمشكلة الإنسان في أكثر الأحيان هي المكابرة والجحود، وعدم الاعتراف بأخطائه.

إن على الإنسان أن يتفحص سلوكه وأوضاعه، وخاصة في علاقته مع الآخرين، ففي الغالب لا يعترف الإنسان بخطئه ويرمي اللوم على الآخر، ينبغي أن يعترف الإنسان في قرارة نفسه بأخطائه، فتلك أول مراحل التوبة.

ولكن السؤال؛ كيف يقر بذنوبه التي بينه وبين ربه؟ فهل ينشر ذلك في الصحيفة الرسمية مثلًا، أم يقف على الملأ ليعترف بأخطائه؟

---

(١) تحف العقول ص ٢١٤.

لا تتحدث عن ذنوبك للآخرين

إن الاعتراف بالذنب من أدقّ المسائل التي تناولتها الشريعة، وقد عدت إعلان المعاصي وإشهار الذنوب من السلوك المذموم، فلا يجوز للإنسان أن يتحدث بذنوبه للناس، وقد ورد عن رسول الله ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، فإن من الجهار أن يعمل العبد بالليل عملًا ثم يصبح وقد ستره ربه، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا»[١].

كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «المذيع بالسيئة مخذول والمستتر بالسيئة مغفور له»[٢]، وورد عن رسول الله ﷺ: «اجتنِبوا هذه القاذوراتِ التي نهى اللهُ تعالى عنها، فمن أَلَمَّ بشيءٍ منها فلْيستَتِرْ بسِترِ اللهِ، و لْيَتُبْ إلى اللهِ»[٣].

وقد ورد عن أحد الأولياء الصالحين القول: لا ينبغي لأحد أن يهتك ستر الله. قيل: وكيف يهتك ستر الله؟ قال: يعمل الرجل الذنب فيستره الله عليه فيذيعه في الناس.

لا ينبغي للإنسان أن يتحدث عن ذنوبه وأخطائه أمام الآخرين، أيًا كانوا، ومهما كان قربهم منه، أو علت مقاماتهم الاجتماعية أو الدينية.

في هذا السياق نحن نتلقى بين الفينة والأخرى أسئلة متعلقة بمشاكل العلاقات الزوجية، إذ تستفسر من خلالها الزوجة حول ما إذا كان من واجبها إخبار زوجها عن أخطاء كانت ارتكبتها في الماضي، نزولًا عند الرغبة في المكاشفة والمصارحة، وذات السؤال يأتينا من بعض الأزواج، وقد يذهب البعض بعيدًا في اعتبار مصارحة الزوجين لبعضهما بأخطائهما الخاصة، نوعًا من المفاتحة والمثالية الجيدة، والحقيقة أن هذا النوع من المكاشفة بين الزوجين خطأ كبير ينبغي اجتنابه، فالواجب أن يستر الإنسان

(١) كنز العمال، ج ٤، ص ٢٧٢.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٣) أحمد بن الحسين البيهقي. السنن الكبرى. ج٨، طبعة ١٤١٣هـ، دار المعرفة، ص ٣٢٦.

ما ستره الله عليه، أما الاعتراف بالذنب فلا يكون إلا إليه سبحانه وتعالى، فبين يديه سبحانه يقر العبد بذنوبه، ويتوب إليه التوبة النصوح، ويطلب منه المغفرة، فلنبادر جميعًا للمكاشفة مع الله تعالى وطلب التوبة منه.

وقد وردت في مجال التوبة كثير من النصوص والأدعية التي تربي الإنسان على التوبة من ذنوبه وتعلمه آداب الخطاب مع الله سبحانه وتعالى. فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «لا مصيبة كاستهانتك بالذنب ورضاك بالحالة التي أنت عليها»[١]. وقال أيضا عليه السلام: «والله ما ينجو من الذنب إلا من أقرّ به»[٢]، كما ورد عنه عليه السلام: «لا والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين: أن يقروا له بالنعم فيزيدهم، وبالذنوب فيغفرها لهم»[٣].

من هنا كان على كل واحد منا قبيل شهر رمضان المبارك، أن يختلي بنفسه، وأن يعمل له جرد حساب شخصي يتضمن أخطاءه وذنوبه، ليعترف بها أمام الله سبحانه تعالى، ويتوب منها.

نحمد الله تعالى أن بلغنا وإياكم هذه الجمعة الأخيرة من شهر شعبان، ونسأله أن يبلغنا شهر رمضان، وأن يوفقنا لصيامه وقيامه وأن يجعلنا من المشمولين برحمته ورضاه.

---

(١) تحف العقول، ص ٢٨٦.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦.

الخطبة الأولى

تنمية الحساسية تجاه الذنوب

ورد عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين ﵇ أنه قال: «إياك والابتهاج بالذنب فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه»[1].

يحتاج الإنسان باستمرار إلى امتلاك إحساس مرهف تجاه ارتكاب الأخطاء والذنوب. فقد يقع الإنسان في الذنب والخطأ نتيجة جهله والتباس الأمور عليه، وعدم معرفته بأن ما قام به أمر خطأ، وهنا قد يعذر، خاصة إذا كان قاصرًا في جهله؛ لأن الجهّال على نوعين:

جاهل قاصر وجاهل مقصّر، فالجاهل القاصر هو الذي لم تتح له ظروف المعرفة لسبب أو لآخر، أما الجاهل المقصّر فهو من يستطيع أن يتعلم ولكنه لم يفعل، من هنا فالجاهل القاصر أقرب للعذر. لكن الجاهل المقصّر معرض للمحاسبة على تقصيره، وقد ورد عن الإمام جعفر الصادق ﵇ أنه قال: «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة: عبدي أكنت عالمًا؟ فإن قال: نعم. قال له: أفلا عملت بما علمت؟. وإن قال: كنت جاهلًا. قال له: أفلا تعلّمت حتى تعمل؟»[2].

وغالبًا ما يقع الإنسان في المعصية والخطأ نتيجة ضعف الإرادة والاستجابة لضغط الأهواء والمصالح الآنية، فيقع في الذنب عامدًا. ولذلك احتاج الإنسان باستمرار إلى

(١) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٥٩.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي، الأمالي: ١ / ٨ - باب ١، حديث ١٠.

تنمية إحساس مرهف يقيه شر الوقوع في الأخطاء والذنوب.

إن من نعم الله تعالى على الإنسان أن زود جسمه بأجهزة مناعة عضوية تقيه شرّ الآفات، كما زود روحه أيضًا بجهاز مناعة يتمثل في الضمير المتحفز إزاء ارتكاب الأخطاء. فكما أن جسم الإنسان يتمتع بجهاز مناعة يتشكل في الخلايا الليمفاوية، منوط به مكافحة الميكروبات والأجسام الغريبة الضارة بالجسم، كذلك تتمتع الروح بجهاز مناعة يتمثل في الضمير، ويستيقظ هذا الضمير عندما يقوم الإنسان بخطأ، فيشعره بالذنب، وتبدأ نفسه بلومه ﴿وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾. إذا وقع الإنسان السوي في خطأ لضعف إرادة أو لسيطرة شهوة عليه، فإنه سرعان ما يشعر بوخز الضمير، فيلوم نفسه ويندم.

إن شهر رمضان المبارك شهر الإنابة والتوبة، فيفترض أن تكون ضمائرنا خلاله في أقصى حالات التأهب واليقظة، أكثر من أي وقت آخر. إن على الإنسان المؤمن أن يتيح الفرصة لضميره لأخذ أقصى ما يملك من راحة في هذا الشهر الفضيل، عبر التدبر في آيات القرآن الكريم، والأدعية والأوراد العظيمة، وليس الاقتصار على القراءة الحرفية المجردة، فلا ينبغي أن تقتصر قراءتنا على مجرد المرور على الألفاظ دون وعي لمحتواها. إن التدبر العميق في آيات الله هو بالتأكيد أحد وسائل تحفيز الضمير على اليقظة الدائمة.

تقوية المناعة النفسية ضد المعاصي

هناك الكثير من النصوص الدينية التي تحض الإنسان المؤمن على تنمية الحساسية داخل نفسه، تجاه ارتكاب الذنب والخطأ. فكما تكون لدى جسم الإنسان حساسية مفرطة أحيانًا تجاه بعض الأطعمة فيظهر أثر ذلك على جلده مثلًا، عليه كذلك أن يتحسس من الذنوب، وذلك ما يعبر عنه في الأدعية المأثورة والنصوص الدينية بحالة الندم على الذنب.

إن أسوأ ما يمكن أن يمر به الإنسان هو أن يميت في نفسه الحساسية التي يتمتع

بها ضميره بشكل طبيعي، فيرتكب الذنب دون أدنى اكتراث، وهذا ما يعني الاستهانة بالذنب. إن على الإنسان المؤمن ألّا يستهين بأي ذنب مهما صغر في نظره، فكما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ»[١]، وفي رواية أخرى: «أعظم الذنوب عند الله ذنب صغر عند صاحبه»[٢]، فلا ينبغي أن يعوّد الواحد منا نفسه الاستهانة بالذنوب، فمهما صغرت المعاصي، عليك أن تعظمها في نفسك؛ لأنها مخالفة للعظيم والكبير المتعال سبحانه وتعالى، ولعلنا نلحظ ذلك في حياتنا العادية، فقد يمازح أحدهم شخصًا ما قريبًا فيتقبل منه ذلك، لكن التصرف نفسه يعدّ غير لائق عندما يجري أمام شخص عظيم القدر والمنزلة. علينا الاحتفاظ بيقظة ضمير دائمة حتى لا ننجرف خلف حالة الاستهانة بالذنوب.

إن من علامات الإيمان عند الإنسان مستوى حساسيته تجاه الذنوب، فإذا رأيت نفسك غير مرتاحة عند ارتكاب أي خطأ، مهما كان صغيرًا، فهذا دليل إيمانك وصفاء نفسك. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن»[٣]، وروى أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام عنه قوله: «إن الرجل ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة. فقلت له: يدخله الله بسبب الذنب الجنة؟! فقال: نعم إنه يذنب فلا يزال خائفًا ماقتًا لنفسه فيرحمه الله فيدخله الجنة»[٤].

بين الندم والابتهاج بالذنب

فقد يكون الذنب في الحالة السوية سببًا للاقتراب من الله، وطلب العفو منه، والخوف من العاقبة السيئة. ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما من عبد أذنب ذنبًا فندم عليه إلا غفر الله له قبل أن يستغفر»[٥]، ذلك لأنه شعر بالندم فيغفر الله له.

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٤٨.
(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، ج ٢، ص ١٢٥.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٦.
(٥) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٧.

وعلى النقيض من ذلك، فإن المصير السيئ ينتظر المذنب الذي لا يكترث بذنبه، وأسوأ منه المذنب الذي يفرح بذنبه، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «من أذنب ذنبًا وهو ضاحك دخل النار وهو باك»[1]، وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام الرواية التي صدّرنا بها حديثنا «إياك والابتهاج بالذنب فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه»، وتحدث حالة الابتهاج بالخطأ مثلًا عندما يتنازع الإنسان مع الآخرين، فيتمكن من ظلم خصمه فيفرح بذلك، وكأنه حقق نصرًا عظيمًا. إن ظلمك لغيرك ذنب، أما فرحك بهذا الذنب فهو ذنب أكبر.

نحو مدعوون لجعل ضمائرنا حية يقظة على نحو دائم، سيما إذا أخطأنا بحق الآخرين. ينقل في هذا السياق بأن المرجع الديني السيد البروجردي غضب من أحد تلامذته وعنفه أثناء نقاش دار بينهما خلال الدرس، لكن السيد البروجردي لم يستطع النوم في تلك الليلة، حتى ذهب بنفسه إلى منزل تلميذه ليقدم له الاعتذار، ويطلب منه العفو، فتعجب التلميذ، وقال أنت معلمنا ووالدنا فلا داعي للاعتذار، وإن كان ولا بُدّ فدع ذلك حتى الغد، فقال السيد البروجردي إنه لم يغمض له جفن ولم يستطع النوم، متسائلًا من يضمن لي أن أعيش إلى يوم غد.

إن يقظة الضمير حالة إيمانية عظيمة، ينبغي أن نربي أنفسنا عليها، فلا نتهاون بذنوبنا، ولا نستحقر غيرنا، وأيًا كان خصمنا حتى لو كان خادمًا عندنا، فغدًا سيطالبنا بحقه أمام رب العالمين، ويا له من موقف صعب هناك، وما أهون تقديم الاعتذار عنه في هذه الدنيا لو تأمل الإنسان وفكر.

نسأل الله أن يوفقنا للتوبة من كل الذنوب والأخطاء سيما ونحن في شهر التوبة والإنابة.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٣٠٥.

مؤشرات لزمن عربي جديد

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[سورة الشعراء، الآية:٢٢٧].

إن من أبرز مشاكل الإنسان انشغاله بلحظته الراهنة، وغفلته عن المستقبل. فإذا كان يعيش في لحظة يمتلك فيها أسباب القوة والقدرة، فإنه يغفل عن أن هذه الحالة لن تدوم له، فقد تزول هذه القدرة التي عنده، لذلك ينبغي له أن يفكر في مآلات تصرفاته وأعماله في كل مجال، لكن الإنسان كما عبر عنه القرآن الكريم ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾. فهناك من هم دائمو التفكير في الدنيا، غافلين عن مآلهم يوم القيامة، بل حتى في حياتهم الدنيا هم مشغولون بالتفكير في لحظتهم الآنية، لاهين عن مستقبلهم، وعمّا تخبئه لهم الأيام.

لا يوجد إنسان يضمن لنفسه الحياة واستمرار الصحة والقوة، فكم من حي مات في ذات اللحظة؟ وكم من سليم أقعده المرض والوهن سنوات؟ هكذا تتغير الأحوال. إن على الإنسان أن يفكر فيما وراء اللحظة المعاشة، وأن ينأى بنفسه عن الغفلة عن قادم الأيام، وقد ورد وصف الله تعالى لبعض الأقوام بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾[سورة الانسان، الآية:٢٧].

إن التعاليم الدينية تدفع الإنسان باتجاه التفكر في مستقبله ومآلات أفعاله، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك خيرًا ورشدًا فاتبعه،

وإن يك غيًّا فدعه»[١].

هل يتعظ الحكام؟

ولعل أحوج الناس لتمثل هذه الحقيقة في نفوسهم وأذهانهم هم الحكام. فالحاكم الذي يمتلك القوة والسلطة عليه أن يتفكر جيدًا في المستقبل، عندما تدفعه قوته لظلم رعيته وشعبه. فقد يجد هذا الحاكم المجال مفتوحًا أمامه لفعل ما يريد، من اضطهاد الناس، وسرقة أموالهم، وتبذيرها كيفما شاء، لكن السؤال؛ ماذا عن المستقبل وعن الآخرة؟ هل الحكم والسلطة يحمي الإنسان من الموت؟ هل دامت للأبد حياة الحكام المتسلطين والجبابرة الغابرين؟ ثم إذا كانت لدى الحاكم سلطة وسطوة باطشة اليوم أفلا يمكن أن تزول منه هذه القوة غدًا؟ فالحكام هم أولى الناس بالتروي والتفكر في مآلات أفعالهم، فلا ضمانة لأحد من تقلب الأيام ونكبات الدهر، كما قال ربنا عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

إن على الحكام أن يتعظوا ويعتبروا بأسلافهم، فالتاريخ يفيض بالعبر، فهناك إمبراطوريات ذوت، ودول عظمى دالت، وحكام جبابرة زالوا، وإذا كان هؤلاء الحكام لا يقرأون التاريخ الماضي فليتعظوا بالتاريخ المعاصر. لقد شهدت منطقتنا العربية حتى سنوات قريبة، مرور أعتى الحكام وأكثرهم بطشًا وجبروتًا، وهو حاكم العراق السابق صدام حسين، فلم يكتفِ هذا الحاكم المتجبر بالتنكيل بشعبه أيما تنكيل، بل انسحب ظلمه وبطشه على الشعوب المجاورة، ولكن ماذا كانت النتيجة؟، كلنا رأينا، وجميع الحكام رأوا كيف انتهى به المقام لأن يُخرج من حفرة كان مختبئًا فيها تحت الأرض، ويقاد ذليلًا إلى قفص المحاكمة، ثم يعلق على حبل المشنقة في نهاية المطاف. إن هذه عظة حاضرة، ولكن ما أكثر العبر وأقل المعتبر.

---

(١) مستدرك الوسائل. ج١١، ص٣٠٦.

محاكمة مبارك درس وعبرة

ولعل العبرة الأخرى هي فيما يجري هذه الأيام من محاكمة لرئيس مصر، أقوى دولة عربية، بل أكبر وأقوى دول الشرق الأوسط، فقد حكم الرئيس المخلوع حسني مبارك مصر بكل جبروت وغطرسة لثلاثة عقود من الزمن، وقد رأينا ورأى جميع الحكام كيف جيء به إلى داخل قفص الاتهام، وهو على سرير المرض، ليحاكم في المكان الذي طالما مارس فيه غروره وغطرسته، وهي أكاديمية الشرطة التي قلب اسمها على اسمه. أليس في هذا عبرة لمعتبر.

إن هذا الحاكم الذي حكم مصر بكثافتها السكانية التي يربو تعداد نفوسها على ٨٠ مليون نسمة، يعيش منهم ٤٠٪ تحت خط الفقر مع شح الموارد والنمو السكاني الكبير، ألم يكن يفترض به الاهتمام بمصلحة الفقراء والمحتاجين من شعبه؟

تشير الإحصاءات إلى أن مولودًا مصريًا واحدًا يأتي للدنيا كل ٢٣ ثانية، وهذا ما يعني زيادة سكانية سنوية تعادل مليونًا ونصف المليون مواطن، حتى إن آلافًا من المصريين لا يجدون لهم مأوى فباتوا يعيشون في المقابر، عدى موجات الهجرة وسط الطاقات العلمية التي غادرت البلاد بحثًا عن لقمة العيش، فيما يتلاعب الحاكم وأسرته وحاشيته الفاسدة بثروات الشعب، وما يصل إليهم من تبرعات وهبات دولية.

لقد تسبب هذا الحاكم في سقوط أكثر من ٨٤٠ شهيدًا، وأكثر من ستة آلاف جريح في الثورة الأخيرة وحدها، أما المعتقلون السياسيون في عهده فتشير أقل الإحصاءات إلى أنهم زادوا على ٣٠ ألف معتقل سياسي، في حين ترفع بعض الإحصاءات أعداد السجناء السياسيين في عهده إلى نصف مليون سجين.

وعلاوة على ما سبق أوغل هذا الحاكم في ممالأته للعدو الصهيوني، وتآمره مع كيان العدو ضد الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، إلى جانب عقده اتفاقية مجحفة لبيع الغاز الطبيعي المصري بثمن بخس لإسرائيل، وبسعر أقل من أسعار السوق. فقد

قضت الاتفاقية التي وقعت عام ٢٠٠٥، بتصدير مليار وسبعمائة مليون متر مكعب سنويًا من الغاز الطبيعي إلى إسرائيل، ولمدة عشرين عامًا، وذلك بثمن يتراوح بين سبعين سنت إلى دولار ونصف للمتر المكعب، بينما يصل سعر التكلفة في السوق إلى ما يقارب الثلاثة دولارات!، كما حصلت شركة الغاز الإسرائيلية، علاوة على ذلك، على إعفاء ضريبي لمدة ثلاث سنوات. في مقابل ذلك وعلى الضفة الأخرى ظل الشعب المصري يعاني من أزمات الطاقة نتيجة شح الغاز في المحافظات المصرية، وكم رأينا العجائز وكبار السن يصطفون في طوابير طويلة طمعًا في الحصول على اسطوانة غاز الطبخ، ناهيك عن أزمات انقطاع الكهرباء نتيجة الأمر نفسه.

لقد استهان الحاكم المصري المخلوع ونظامه بمشاعر وكرامة المصريين إلى حدٍّ بعيد، ولذلك ليس مستغربًا أن يصل إلى هذه النتيجة، التي بات معها خلف قفص الاتهام، فقد تحمله الناس طويلًا. وقد حدث ما يشبه ذلك أيضًا لحاكم تونس الذي يعيش الآن وضعًا صحيًا مترديًا، وقد حوكم غيابيًا بالسجن مدة ١٦ عامًا، ولعل فيما جرى لرئيس اليمن عبرة ثالثة لمن أراد، فقد بات يعاني من الحروق في أغلب أجزاء جسمه، فلماذا لا يتعظ الحكام؟ يقول الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[سورة العنكبوت، الآية: ٤٠].

لا شك أن ما حصل في مصر وتونس وأكثر من بلد عربي يُعدّ مؤشرًا على زمن عربي جديد، لا رجعة معه للوراء. إن على الحكام أن يعيدوا النظر في سلوكهم، وأن يصحححوا علاقتهم مع شعوبهم، وإلا فإن زمن إخضاع الشعوب قد ولى، فما عادت الشعوب تحتمل مزيدًا من الظلم والجور.

نسأل الله أن يصلح أمور المسلمين وأن يجنبنا الفتن.

الخطبة الأولى

التوبة حتى لا يصبح الذنب مسلكًا

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[سورة آل عمران، الآية:١٣٥].

يحتاج الإنسان المؤمن للوقاية الروحية الدائمة من احتمالات الوقوع في الذنوب والآثام، تمامًا كحاجته الجسمية المستمرة لتأمين النظافة والوقاية من الأقذار والأوساخ. فعلى غرار سعي المرء للمبادرة للعلاج والوقاية الصحية من الأمراض، أو الحفاظ على نظافته من الأدران، ينبغي أن يكون هكذا تمامًا على الصعيد الروحي، فليست هناك وسيلة أخرى يعصم المرء بها نفسه من احتمالات الوقوع في الذنوب والأخطاء، فالعصمة بيد الله يؤتيها بفضله من يشاء من عباده، أما سائر البشر فهم معرضون للجنوح نحو الأخطاء.

وتتميز الشريعة الإسلامية بنظرة واقعية للإنسان المؤمن، فلا ترفعه لمستوى الملائكة المنزهين عن الخطأ، وإنما تتعامل معه كسائر البشر المعرضين لارتكاب الأخطاء، تمامًا كقابليتهم للتعرض لسائر الأمراض الجسمية. من هنا نبعت الحاجة إلى وقاية الروح وتطهير النفس، تجنبًا لمزالق الشيطان والنفس الأمارة بالسوء.

إن من أهم وأبرز سبل الوقاية الروحية من احتمالات الوقوع في الأخطاء والذنوب،

هو التمسك بذكر الله سبحانه وتعالى، ليس باللسان فحسب، وإنما بجعل الله سبحانه حاضرًا في قلوبنا. إن استحضار عظمة الخالق في قلب الإنسان، والتفكر الدائم في عاقبة الأمور في الآخرة، هو أفضل ما يقي الإنسان به نفسه من الوقوع في الخطأ. عدا ذلك يبقى المرء، حسبما تشير النصوص الدينية، معرضًا للآثام مهما بلغت درجة تقواه وورعه، وهو لذلك محتاج باستمرار للتذكر بأنه خاضع للرقابة الإلهية، وعدم الغفلة عن أنه عرضة للعذاب والسخط الإلهي، إن أوغل في الذنوب والأخطاء.

إن ذكر الله يكاد يكون حجر الزاوية في النأي بالنفس عن الفواحش والظلم، فالوقوع في المعاصي أمر مقرون دائمًا بالغفلة عن ذكر الله. لذلك نجد الآيات الكريمة في تناولها للمتقين، تذكر أن من صفاتهم أنهم إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم.

ولعل الإشارة الأبرز هنا هي أن هؤلاء المتقين أنفسهم ليسوا في منأى عن ارتكاب الأخطاء، فقد ذكرت الآيات الكريمة من صفات المتقين أنهم ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، لكن تتحدث الآية عنهم في الوقت عينه بالقول ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾، والفاحشة من الفحش، وهو تعدي الحدّ، فليس المقصود بالفاحشة هنا ارتكاب الزنا فقط، وإن كان القرآن الكريم قد وصف الزنا بأنه فاحشة ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾، ذلك لأن الزنا من أظهر مصاديق الفاحشة، لكن حقيقة الأمر هي أن كل خطأ وكل ذنب هو تجاوز للحدّ، ويمكن أن يوصف حينئذٍ بالفحش والفاحشة.

إذًا، فالإنسان مهما بلغت درجة تقواه يبقى معرضًا للخطأ والوقوع في الذنب. وتتفاوت درجة الذنوب باختلاف مقامات البشر، ففي حين تبقى ذنوب الإنسان العادي ضمن مستواه، فإن الأمر مختلف بالنسبة للمتقين، فأقل خطأ لدى هؤلاء يعتبر

ذنبًا كبيرًا، ولذلك ورد في الرواية: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[١]. من هنا كانت الركيزة الأساس لدى الإنسان المؤمن هي نبذ الغفلة عن ذكر الله، والاستغفار الدائم عن ارتكاب الذنوب والفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

الذنب طارئ أو مسلك

في هذا السياق هناك حالتان تعتري الإنسان عند ممارسة الذنوب والأخطاء، فمرة يكون فيها ارتكاب الذنوب سلوكًا دائمًا متكررًا، فيصبح عندها كالمرض المزمن، ومرة تعترضه الأخطاء نتيجة غفلة أو جهل، وسرعان ما يتراجع عنها ويتوب منها. فالإنسان المؤمن لا يرضى لنفسه القيام بالذنوب والأخطاء كسلوك دائم، أما صدور بعض الذنوب والأخطاء، فهذا أمر وارد في حياة البشر، من هنا ورد عن النبي ﷺ: «إن كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢].

من هذه الزاوية يمكن فهم حديث الفقهاء عن مفهوم (العدالة)، حيث يذكرون بأن العدالة تزول بارتكاب الذنب وتعود بالتوبة والاستغفار، فالعدالة ليست بمعنى العصمة، الإنسان العادل وفق هذا المفهوم ليس بمعنى المعصوم الذي لا يصدر منه خطأ، بل على النقيض من ذلك، قد يصدر من المؤمن العادل خطأ ما، لكن المناط هنا هو في الاستغفار والعودة عن الذنب، أو الاستمرار فيه والإصرار عليه.

إن من المؤسف أن يتشدد البعض على نحو مبالغ في محاسبة الآخرين على أخطاء ارتكبوها في فترة ما من حياتهم، حتى بعد أن أقلعوا عنها وتابوا منها. نحن نواجه هذه المشكلة مثلاً عند حالات الخطوبة والزواج، فترى أحدهم يتشدد في شروطه على نحو بالغ التعقيد، وقد يتشبث أحيانًا بكلمة سمعها ذات زمن عن هذا الشاب أو تلك الفتاة، فيكون ذلك سببًا في عدم الموافقة والقبول بها أو به زوجًا. إن التعاليم الدينية

---

(١) بحار الأنوار. ج٢٥، ص٢٠٥.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني. صحيح سنن الترمذي. حديث ٢٤٩٩.

تشير بوضوح إلى رحمة الله الواسعة، وقبوله التوبة عن عباده، فكما يمكن أن تصدر منا الأخطاء والذنوب فنعود عنها، كذلك الآخرون يمكن أن يعتريهم الأمر ذاته.

المبادرة للتوبة

ينبغي للإنسان أن يكون يقظًا تجاه أخطائه وذنوبه، وأن يبادر فورًا للتوبة النصوح والاستغفار، دون تسويف ومماطلة، وإرجاء للمستقبل المجهول. وليس الاستغفار هنا مجرد ألفاظ يلقيها اللسان، وإنما هو عزمٌ قلبي وتصميم على عدم اقتراف الذنب مرة أخرى، فكما أنه لا يصح اليأس من رحمة الله، كذلك لا يجوز التسويف والإصرار على الذنب، ورد في الآية الكريمة ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

فعلاوة على ان الإنسان غير ضامن لعمره حتى يعمد لتأجيل توبته، يدل التسويف كذلك على اللامبالاة والاستهانة بأوامر الله، ولذلك على المرء أن يبادر للاستغفار والتوبة.

إن من كرم الله ولطفه بعباده أن فتح لهم أبواب التوبة على مصاريعها الواسعة، ورد عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بتوبة فذلك هو الإصرار»[1]، فيشير الإمام إلى أن المصرّ على الذنب هو ذلك الإنسان الذي يخطئ ولا يستغفر، بل لا يحدّث نفسه في الإقلاع عن ذلك الذنب والخطأ. ولذا حثت النصوص الدينية على اليقظة إزاء ارتكاب الأخطاء، والمبادرة للتوبة والاستغفار، ونبذ المماطلة والتسويف في فعلها.

روي عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك، يهم العبد بالحسنة فيعملها فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة، وإن هو عملها كتب الله له عشرًا، ويهم بالسيئة أن يعملها، فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء، وإن هو عملها أجل سبع ساعات، وقال صاحب الحسنات

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٢٨٨.

لصاحب السيئات: لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها، فإن الله عزّ وجلّ يقول: إن الحسنات يذهبن السيئات، فإن قال: أستغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار، قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات: اكتب على الشقي المحروم»[١]، فبحسب الرواية يعطي الله سبحانه فرصة التراجع عن المعصية على مدى ساعات من ارتكابها، والاستغفار منها ومحوها، ذلك حتى لا يبقى الإنسان منشدًا إلى المعصية، ولا تبقى المعصية منغرسة في نفسه.

كما ورد عن زرارة قال سمعت الإمام الصادق عليه السلام يقول: «إن العبد إذا أذنب ذنبًا أجل من غدوة إلى الليل فإن استغفر الله لم تكتب عليه»[٢]، فالمذنب في النهار إذا استغفر ربه في ليلته لم تكتب عليه تلك السيئة. وروى الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «طوبى لمن وجد في صحيفة عمله يوم القيامة تحت كل ذنب أستغفر الله»[٣] ومعنى ذلك الاستغفار والإقلاع عن كل ذنب يذنبه العبد.

أبواب الأمل والرجاء

ولنتأمل الرواية الآتية التي تكشف إلى أي مدى يفتح الإسلام أبواب الأمل والرجاء أمام الإنسان، وكيف تدفع هذه النصوص والروايات الإنسان إلى أحضان الرحمة الإلهية، وخاصة في هذا الشهر الفضيل، شهر رمضان المبارك، فعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «العجب ممن يقنط ومعه الممحاة، قيل: وما الممحاة؟ قال: الاستغفار»[٤]، فالإمام يشبّه الاستغفار بالممحاة التي يستخدمها المعلم أثناء الكتابة على لوح التعليم في الصفوف الدراسية، فهو يكتب ويمحو ويزيل ما يشاء بتلك الممحاة، كذلك الأمر مع الاستغفار فهو ممحاة الذنوب والأخطاء أنّى

(١) الكافي، ج ٢، ص ٤٣٠.
(٢) الكافي، ج ٢، ص ٤٣٧.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٦٩.
(٤) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٦٩.

عزم العبد المؤمن على ذلك.

إن وجود فرص الاستغفار لدى العبد المؤمن هي كدعوة مفتوحة بألّا يقنط العبد من رحمة الله. وعن الإمام علي بن موسى الرضا ﴿عليه السلام﴾ عن أمير المؤمنين علي ﴿عليه السلام﴾ قال: «تعطروا بالاستغفار لا تفضحنكم روائح الذنوب»[١]، فلننظر لهذا المعنى العظيم لهذه الرواية، فهي تشير إلى أن الذنب تكون له رائحة كريهة، تنعكس على شخصية الإنسان وسلوكه، وهذه الرائحة لا تزول سوى بالاستغفار، وتلك نعمة كبيرة من الله سبحانه وتعالى على الإنسان.

وأخيرًا ورد عن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ قال: «ما من عبد أذنب ذنبًا فقام وتطهر وصلى ركعتين واستغفر الله إلا غفر له، وكان حقًا على الله أن يقبله؛ لأنه سبحانه قال: من يعمل سوءًا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورًا رحيمًا»[٢].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا جميعًا ذنوبنا وأخطاءنا، وأن يوفقنا للإنابة والتوبة خاصة في هذا الشهر الكريم.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ٢٢.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٧٩.

الثقافة العنصرية وخطرها على المجتمعات

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[سورة المائدة، الآية:١٨].

إن الثقافة العنصرية تعدّ أعظم امتهان لكرامة البشر، ومهدد أكيد لاستقرار المجتمعات. فالفكر العنصري هو منشأ السلوك الأسوأ بين أبناء البشر، ذلك القائم على جعل فئة من الناس في موقع أرقى من الفئات الأخرى، لتعتدي هذه الفئة تبعًا لذلك على حقوق الآخرين. إن هذه الروح والثقافة العنصرية هي مهدد حقيقي للمجتمعات؛ لأنها تنطوي على امتهان سافر لكرامة الناس. فقد خلق الله سبحانه وتعالى جميع البشر، وجعلهم جميعًا عباده وعياله، بحسب تعبير النصوص الدينية، فإن تأتي بعد ذلك فئة وتزعم لنفسها الأفضلية على سائر الناس، فذلك عدوان وتجاوز على الحقيقة.

إن مجرد اعتقاد أتباع أي دين أو مذهب بأن دينهم ومذهبهم هو الأفضل، وهو الحق والصواب، فذلك لا يمت إلى الثقافة العنصرية بصلة. فهناك مسافة بين الاعتقاد بأفضلية عقيدة ما واعتناقها تبعًا لذلك، وبين القناعة بأن لـ (ذواتنا) الأفضلية المطلقة على سائر البشر. فمن حق المرء أن يعتقد بأن الدين الذي يعتنقه هو الأفضل، متى ما

قامت لديه الأدلة على ذلك، بخلاف الاعتقاد بأن ذاته هي الذات الأفضل على سائر الذوات.

فليس هناك دين إلهي أو مذهب سوي يقبل بأن يظلم الإنسان الآخرين أو يعتدي على حقوقهم، وإذا ما اعتقد أحد بأن دينه أو مذهبه يجيز له أن يتعالى على الآخرين وأن يظلمهم ويعتدي على حقوقهم، فذلك راجع إما لخطأ ذلك الدين والمذهب، أو لأنه لم يفهم تعاليم دينه فهمًا سليمًا، كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، فالافتراء على الدين انتهى بهذه الفئة من الناس إلى الغرور، فليس هناك دين أو مذهب سوي يدفع الإنسان إلى التعالي والتكبر على أبناء جنسه، فذلك عين العنصرية التي تنبذها جميع الشرائع.

لقد شددت التعاليم الإسلامية على أن معيار التفاضل بين بني البشر هو التقوى والالتزام القيمي بالتعاليم الإلهية. وليس مجرد الانتماء الاسمي للدين أو الالتزام الشكلي بالمذهب معيارًا حاسما للأفضلية المطلقة، فجميع ذلك لا قيمة ولا وزن له، ما دام بعيدًا عن الالتزام بالقيم.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «بلّغ معاشر شيعتنا وقل لهم: لا تذهبنّ بكم المذاهب، فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله، وليس من شيعتنا من يظلم الناس»[١]. إن مجرد الانتماء للدين الإسلامي، أو لمذهب معيّن، لا يمنح المرء الأفضلية التلقائية على الآخرين، فضلًا عن أن يعطيه الحق في ممارسة الظلم والعدوان على حقوقهم.

خطر الثقافة العنصرية

عانت المجتمعات البشرية طويلًا من انتشار الأفكار والثقافات العنصرية، التي انبثقت عنها نظم سياسية قائمة على أساس عرقي أو ديني. ولعل المثل الأبرز في هذا

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤، ص ٢٦٩.

الصدد نشوء النازية في ألمانيا على يد أدولف هتلر، وهي القائمة على الاعتقاد بتفوق العرق الآري على سائر الأعراق، وعلى غرار ذلك ما كان سائدًا إبان نظام الفصل العنصري في جنوب أفريقيا القائم على تفضيل البيض على السود والملونين. إن الثقافة العنصرية خطأ جملة وتفصيلًا، ولم يقم عليها دليل علمي أو عقلي واحد، فهذا ربنا عز وجل يردّ على اليهود والنصارى الذين ادعوا أن لهم علاقة خاصة به دون سائر البشر ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾. إن أسوأ ما يمكن أن ينبثق عن أي ثقافة عنصرية هو قيام نظام سياسي حاكم يتعامل مع مواطنيه على أساس عنصري، فيقدم فئة من المواطنين، فيما يضطهد ويعتدي على فئات أخرى.

إن بروز حالات العنف في أوروبا مؤخرًا كما حدث في النرويج وبريطانيا يعد نتيجة ومؤشرًا واضحًا على تصاعد سطوة التيارات اليمينية العنصرية الشريرة. فعلى الرغم من وجود أنظمة سياسية قوية في تلك البلدان مهتمة بتطبيق معايير المواطنة على نحو متساوٍ بين رعاياهم، بغض النظر عن أعراقهم وأديانهم ومذاهبهم، إلا أن ذلك لم يمنع من بروز التيارات اليمينية المتطرفة التي أخذ يتنامى نشاطها في أوروبا، والتي تتبنى أفكارًا وثقافات عنصرية، تنظر إلى الآخرين وخاصة تجمعات المهاجرين أو السود وكأنهم عبء يجب التخلص منه.

ولذلك تتنادى هذه الأحزاب المتطرفة للحدّ من الهجرة إلى أوروبا، فتكونت على أساس ذلك منظمات ضد المهاجرين، وضد المسلمين، وضد الفئات الأخرى، وأصبحت هناك أحياء يعيش فيها هؤلاء المهمشون في أوضاع مزرية، نتيجة الفقر والبطالة والحرمان والشعور بالتهميش، وهذه أرضية طبيعية لنشوء الاضطرابات على غرار الأحداث التي انطلقت شرارتها من حي توتنهام المتنوع الأعراق شمالي لندن مؤخرًا، إثر مقتل شاب أسود على يد الشرطة.

البدون لون من العنصرية

إن من المؤسف أن تجد الثقافة العنصرية طريقها إلى بلاد المسلمين على نحو أو آخر، فيدفع ثمنها فئات واسعة من المواطنين. فلو أخذنا مثلًا على ذلك، معاناة الآلاف من غير محددي الجنسية في بلادنا وبعض دول الخليج، والمعروفون باسم (البدون)، فإن هؤلاء الناس يعيشون بيننا منذ سنوات، فهم ولدوا وعاشوا طوال حياتهم في هذا البلد، ولم يعرفوا بلدًا غيره، ولا يحملون جنسية أخرى، وانعدام الجنسية سبب لهم ولا يزال متاعب كثيرة في حياتهم، على صعيد التعليم والصحة والعمل، وهذا ما عرضته مرارًا الصحف المحلية، وتقارير الجمعية الوطنية لحقوق الإنسان. إن هؤلاء بشر ومسلمون ومقيمون في بلادنا منذ أمد بعيد، فإذا استمروا في العيش تحت ضغط التهميش والتمييز، فإن ذلك قد يجعل منهم قنابل موقوتة في مجتمعاتنا.

إن علينا أن نحذر من انتشار أي فكرة أو ثقافة عنصرية بيننا، فليس من الصحيح أن نكتفي بالامتعاض إزاء الظلم الواقع على مجتمع ما أو طائفة معينة، فيما نلوذ بالصمت إزاء مظالم الآخرين. إنما ينبغي أن نكون حساسين تجاه أي ظلم يقع على أي إنسان لكونه إنسانًا، فلا نقبل بأن يقع ظلم على أحد؛ لأن الظلم لا يتجزأ، ولأن النتائج الوخيمة للظلم تطال الجميع.

ينبغي أن ننأى بمجتمعنا عن مثل هذه التيارات والأفكار العنصرية، على مستوى السلوك الشخصي، أو الأوصاف المتداولة تجاه بعض المقيمين الأجانب في بلادنا. فالكثير من هؤلاء المقيمين من ذوي الأصول الأفريقية يشتكون من معاناة أبنائهم من النظرة الدونية من قبل زملائهم الطلاب، فهم يعيّرونهم لبشرتهم السوداء!، عدا ما يتعرض له بعض العمالة الأجنبية في بعض الحواري من الإيذاء والقذف بالحجارة! هذا أمر غير جائز، وهذه ثقافة عنصرية ينبغي أن نحذر أبناءنا وأن نحذر الناس من مخاطرها.

إن هذه التصرفات الخطأ لا ينبغي السكوت عنها، حتى على صعيد الألفاظ، فلا ينبغي أن نسمح بالحديث عن سائر البشر على نحو الاستنقاص والنظرة الدونية لهم.

ورد عن النبي الأكرم ﷺ أنه عاتب إحدى نسائه لأنها أشارت بيدها إلى قصر قامة امرأة أخرى، فاعتبرها غيبة بحق تلك المرأة. وذلك ما ورد عن عائشةَ قالَتْ : «دخلَتْ علَيَّ امرأَةٌ قصيرةٌ فلمَّا خرجَتْ قلْتُ بيدَيَّ هكذَا : يا رسولَ اللهِ ما أقْصَرَها ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: اغْتَبْتِها قومي فتَحَلَّلَيها»[1].

ينبغي ألّا نغفل عن انتشار مثل هذه السلوكيات المشينة فديننا يقوم على مبدأ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾، فلنحذر من أي تهميش أو ظلم أو تمييز ضد أي فئة من المجتمع على أساس أعراقهم أو مذاهبهم أو قبائلهم، فإن نتائج هذا السلوك وخيمة على كل الوطن، وعلى كل المجتمع.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم للخير والصلاح وأن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

(١) عبد الله بن عدي الجرجاني. الكامل في ضعفاء الرجال، ج٢، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، (بيروت: دار الفكر)، ص٢٩٥.

الخطبة الأولى

تدبير المعيشة وثقافة الاستهلاك

ورد عن هشام بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لحمران ابن أعين: «يا حمران انظر إلى من هو دونك في المقدرة، ولا تنظر إلى من هو فوقك في المقدرة، فإن ذلك أقنع لك بما قسم لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك»[1].

تنقسم حاجات الإنسان على الصعيد المعيشي إلى قسمين؛ أساسية وكمالية. فالحاجات الأساسية للإنسان هي تلك المتصلة بالمأكل والمشرب والملبس والمسكن وأمثالها.

أما القسم الآخر فهو الاستهلاك المتعلق بالحاجات الكمالية والرفاهية، التي عادة ما تنشأ تحت تأثير النمط الاستهلاكي السائد في المجتمع.

فالتقاليد الاجتماعية في أي بيئة سكانية لها انعكاس مباشر وكبير على نوع وشكل اللباس والعادات الغذائية لدى الأفراد، الأساسية منها والكمالية على حدٍّ سواء.

لا شك بأن الوضع الاستهلاكي الأمثل لأي فرد أو مجتمع، يقوم على مدى الانضباط والموازنة بين تلبية الحاجات الأساسية من جهة ومتطلباته الثانوية من جهة أخرى.

---

(١) بحار الأنوار. ج٦٦، ص٤٠٠.

فعلى المستوى الفردي ينبغي للإنسان أن يعطي الأولوية لتلبية حاجاته الأساسية، وألّا يمنح متطلباته الثانوية والكمالية اهتمامًا مبالغًا، إلا إذا كانت لديه القدرة المادية للوفاء بتلك المتطلبات. وعلى النقيض من ذلك إذا كانت إمكاناته المادية محدودة، فإن عليه بطبيعة الحال أن يأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار.

إن من المشاكل التي يقع فيها بعض الناس هي عدم الموازنة بين حاجاتهم الأساسية والكمالية، فيكلفون أنفسهم فوق طاقتها، ويثقلون كواهلهم بالقروض المالية الكبيرة لأغراض ثانوية وكمالية لا ترتبط بحاجاتهم الأساسية.

ولعلّ أوضح الأمثلة في هذا السياق هي الأعراف والتقاليد الاجتماعية السائدة التي جعلت من الزواج أمرًا بالغ الصعوبة. فلو وقفنا على التكاليف الفعلية للزواج فلربما وجدناها في متناول كثير من الشباب، غير أن ارتباط حفلات الزواج في وقتنا الراهن بجملة من المتطلبات الباهظة التكاليف، جعل الشباب أمام خيارين أحلاهما مرّ، فإما العزوف عن الزواج، أو إراقة ماء الوجه باللجوء للاقتراض من هنا وهناك، وتكبد الخسائر الكبيرة للوفاء بمتطلبات كمالية، استجابة لضغط الأعراف والتقاليد الاجتماعية الخطأ.

وينسحب ذات الأمر على بعض العادات الناشئة، ومنها السفر للسياحة خارج البلاد، التي لا تمثل في جوهرها حاجة أساسية. فقد كان السفر خارج المنطقة في أوقات سابقة أمرًا غير متاح لأغلب الناس نتيجة إمكاناتهم المادية المحدودة، لذلك تعارف الناس على إطلاق وصف «الحاج» لكل من سنحت له الفرصة لحج بيت الله الحرام، فأصبح بذلك مميزًا عن سائر الناس. غير أن السفر للسياحة خارج البلاد في العطل الصيفية والأعياد والمناسبات المختلفة بات متاحًا للكثيرين في الوقت الراهن، لدرجة ظن معها بعض الناس أن السفر أصبح من الحاجات الأساسية في حياتهم، على الرغم من إمكاناتهم المحدودة أحيانًا!!.

إذا كان الإنسان مقتدرًا وأراد أن يسافر مع عياله فلا مندوحة عن ذلك، أما في ظل غياب القدرة المادية فلا ينبغي للإنسان أن يضع على كاهله الأعباء والديون لمجرد تحقيق رفاهية هو غير قادر على تكاليفها! ولربما كان ذلك على حساب حاجاته الأساسية والمتطلبات الضرورية لأسرته.

الموازنة بين الدخل والصرف

ينبغي للإنسان أن يرتب أمور حياته الأساسية والكمالية وفقًا لإمكاناته الفعلية. وهذا ما تشير إليه الرواية عن الإمام الباقر التي جاء فيها: «يا حمران انظر إلى من هو دونك في القدرة ولا تنظر إلى من هو فوقك في القدرة، فإن ذلك أقنع بما قسم الله لك، وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك».

وتنطوي الرواية على جانبين مهمين، أولهما الجانب النفسي، بقول الإمام لحمران: «ذلك أقنع لك»، فالمطلوب أن يلبي الإنسان حاجاته تبعًا لقدراته المادية هو، وليس بالنظر لما يفعله الآخرون الذين ربما تكون إمكاناتهم المادية أكبر من إمكاناته. فإذا كان عند أحدهم إمكانية لشراء سيارة من طراز معين تناسب تكلفتها قدراته المالية، فلماذا يطمع فيما يفوق ميزانيته ويكلف نفسه أعباء الديون، لا لشيء إلا تقليدًا لآخرين أو مجاراة لعرف أو مباهاة غير ضرورية؟ فذلك أبعد ما يكون عن القناعة التي تناولتها الرواية. وتتضمن الكثير من الأدعية الواردة عن النبي وآل البيت عليهم السلام جملة من هذه المعاني، منها ما ورد في دعاء كميل: «واجعلني بقسمك راضيًا قانعًا».

أما الجانب الثاني الذي تناولته الرواية الآنفة فهو المتعلق بضرورة تحلي الإنسان بحسن التدبير في المعيشة. فقد جاء في الرواية: «وأحرى أن تستوجب الزيادة من ربك»، ووردت في هذا السياق نصوص كثيرة توصي الإنسان بحسن التدبير، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أحسن تدبير معيشته رزقه الله تبارك وتعالى»[1]. وعن الإمام

(١) كنز العمال، ج ٧، ص ١٨٩.

علي ﷺ: «صلاح العيش التدبير»[١]، وعنه ﷺ: «القليل مع التدبير أبقى من الكثير مع التبذير»[٢].

لقد أشارت بعض الدراسات إلى أن ٨٩٪ من العوائل السعودية متورطة في القروض والديون، والأمر المؤسف أن غالب هذه الديون لم تكن لخدمة حاجات أساسية، بقدر ما كانت لتحقيق الرفاهية والمتطلبات الكمالية!.

ومما أتذكر، أن أحدهم لم يتردد ذات يوم في طلب قرض مالي، لا لشئ سوى الرغبة في السفر للسياحة برفقة عائلته، واللافت أنه برر رغبته في السفر بأن هناك من أقربائه من يسافرون للسياحة، فلماذا لا يسافر هو!؟.

وعلى غرار ذلك يأتي شاب لطلب مساعدته للزواج، لا لشيء إلا لسداد تكاليف صالة الأفراح وغيرها من الكماليات.

نحن في حاجة ماسة إلى ثقافة التدبير، ومن ذلك اللجوء للادخار المالي المنتظم باقتطاع جزءٍ من الدخل الشهري، فالقاعدة الصحيحة هي أن يتمتع الإنسان بالصرف من مدّخراته المالية عند الحاجة بدلًا من الاعتماد على القروض. ولو دققنا النظر فسنجد بأن منشأ كثير من المشاكل المادية عند كثيرين عائد في حقيقته لسوء التدبير.

المقتدرون ومراعاة المحيط الاجتماعي

كما ينبغي أن تنعكس الثقافة الاستهلاكية المتوازنة على المستوى المجتمعي حتى لدى المقتدرين ماديًا. إذ ينبغي أن تسود ثقافة البساطة في الحياة حتى لدى الموسرين، من خلال امتناعهم عن بعض الكماليات التي قد تسبب حرجًا للمجتمع بتحولها إلى عادة ملزمة لمن هم أدنى منهم.

---

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ، ص٥٨.

إن من أكثر الأشياء اللافتة في هذا الصدد هي ممارسات كثير من الأثرياء الغربيين، باعتمادهم نمط عيش معقول وغير مكلف، فيعيش مع عائلته في شقة صغيرة، بدلًا من البحث عن فيلا فخمة، هربًا من أعباء الإنشاء وتكاليف الصيانة والتأثيث المستمر. وتنسحب بساطة العيش لدى الإنسان الغربي على طبيعة حياتهم اليومية، وهذا ما لاحظه كثير من أبنائنا المبتعثين للدراسة في الخارج، فقد يرى الطالب المبتعث أثناء تبضعه في المتجر أنه اشترى من المواد الاستهلاكية أكثر من أستاذه في الجامعة، رغم أن الأخير لديه عائلة بعكس الأول!، ولعل تفسير ذلك هو أن الإنسان الغربي حتى لو كان ثريًا فهو يبقى منتميًا لبيئة اجتماعية تعتمد في ثقافتها شراء الحاجات تبعًا لمتطلباتها اليومية أو الأسبوعية، على النقيض من الطالب المبتعث الذي ينتمي لبيئة تعتمد في عاداتها على شراء كميات كبيرة تفوق الحاجة بكثير!.

وورد عن رسول الله ﷺ متحدثًا عن حقوق الجار: «ولا تؤذيهِ بريحِ قدرِكَ إلّا أن تغرف لَهُ، وإنِ اشتريتَ فاكِهَةً فأَهْدِ لَهُ وإن لم تفعَل فأدخلها سرًّا ولا تُخرِجْ بِها ولدَكَ ليغيظَ بِها ولدَهُ»[1]. فشراء الفاكهة أمر كمالي، فإذا رآها أولاد الجيران فقد يتمنونها وقد لا تكون عند من يعولهم القدرة على شرائها، مما ينعكس ذلك في نشوء المشاكل النفسية لدى أولئك الأطفال.

وهناك في ذات السياق رواية أخرى عن حماد بن عثمان قال: «أصاب أهل المدينة غلاء وقحط حتى أقبل الرجل الموسر يخلط الحنطة بالشعير ويأكله ويشتري ببعض الطعام، وكان عند أبي عبد الله عليه السلام طعام جيد قد اشتراه أول السنة فقال لبعض مواليه: اشتر لنا شعيرًا فاخلط بهذا الطعام أو بِعْهُ فإنا نكره أن نأكل جيدًا ويأكل الناس رديًا»[2].

إن على الإنسان أن يراعي المحيط الاجتماعي الذي يعيش فيه. وأتذكر في هذا المقام، بأن المرجع الراحل السيد محمد الشيرازي واجه متاعب صحية شديدة جرّاء

(١) فتح الباري، ابن حجر، ج ١٠، ص ٥٤٨.
(٢) الكافي. ج٥، ص١٦٦.

البرد القارس إبان انتقاله للعيش في مدينة قم المقدسة بعد قيام الثورة الإسلامية، حيث لم يكن متعودًا العيش في مثل هذا الجو، فتبرع بعض الموسرين ممن حوله لشراء جهاز تدفئه مركزية لمنزله، فرفض رحمه الله تركيب جهاز التدفئة لما علم بأن جيرانه وأهالي المنطقة من حوله ليس في بيوتهم أجهزة تدفئة من هذا القبيل. هكذا يستشعر الإنسان أوضاع من هم حوله.

إن مشكلة بعض الممارسات الاستهلاكية التي يقوم بها بعض الأثرياء والموسرين أنها قد تتحول مع الوقت إلى نمط سائد وعادة دارجة تثقل كاهل عامة الناس.

فقد تلقيت قبل أيام بطاقة دعوة لحضور حفل زفاف، وقد كانت البطاقة نفسها غالية الثمن على ما قيل لي، وقد يقال هنا أن هذا التاجر أو ذلك الثري قادر على الوفاء بقيمة هذه المتطلبات الكمالية، فما المانع من اقتنائها؟! لكن هذا ليس هو مكمن المشكلة، بل المشكلة تبدأ عندما تصبح تلك الممارسة نمطًا وعادة سائدة في البلد، مما يسبب إحراجًا للآخرين ممن ليس لديهم القدرة المادية للوفاء بذلك المستوى من العيش، ولذلك ينبغي أن يحسب لهذا الأمر حسابه.

إن جانبًا من أغراض الشريعة الإسلامية هو لفت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بمن هم حولنا. ولعل في ذلك تكمن فلسفة زكاة الفطرة التي جاء توقيتها مع يوم العيد، حيث اعتاد الناس على لبس الجديد وأكل الطعام اللذيذ، فرأت الشريعة أن غير المقتدرين لا ينبغي أن يعيشوا يوم العيد في مستوى أقلّ من غيرهم، من هنا فرض الإسلام زكاة الفطرة لأجل إتاحة الفرصة للعوائل الفقيرة أن تعيش في ذلك اليوم في مستوى مقارب لمحيطهم الاجتماعي.

الخطبة الثانية

انتصار الشعب الليبي وأطماع الناتو

عن رسول الله ﷺ: « إن الله يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني، ثم يأخذه أخذة رابية إن الله حمد نفسه عند هلاك الظالمين، فقال: «فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين»[1].

تشدد النصوص الدينية باستمرار على حقيقة ساطعة مفادها أن عواقب الظلم وبيلة وخيمة على الظالمين أنفسهم قبل أي أحدٍ آخر، إن لم يكن في عالم الدنيا ففي الآخرة.

مع سقوط حاكم ليبيا المخلوع معمر القذافي، سقط بحمد الله صنم ثالث من أصنام الاستبداد في المنطقة العربية، وتدحرج رأس من رؤوس الدكتاتورية والظلم، ونسأل الله تعالى أن يكمل للشعب الليبي فرحته، باكتمال نصره، وانتهاء عصر الظلم والاستبداد الذي عاشه طوال السنين الماضية.

من هنا لا بُدّ أن نستذكر هذه الحقيقة التي أكدت عليها النصوص الدينية، حقيقة أن عاقبة الظلم وخيمة، فربنا سبحانه تعالى يمهل ولا يهمل، وبنص الآية الكريمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، وورد عن رسول ﷺ أنه قال: « إن الله يمهل الظالم حتى يقول قد أهملني، ثم يأخذه أخذة رابية». وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ظلامة المظلومين يمهلها الله ولا يهملها»[2]. وروي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: « قال

(١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٣٢٢.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٦٠٧٨.

جبرئيل قلت: يا ربّ تدع فرعون وقد قال: أنا ربكم الأعلى؟ فقال: إنما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت»[١].

إن مفهوم الظلم في اللغة والاصطلاح مفهوم واسع لا يقتصر على ظلم الحكام المستبدين لشعوبهم، بل يشمل جميع الظلامات، الفردية منها والمجتمعية. فجور الأشخاص على بعضهم، أو ظلم الزوج لزوجه واعتداء الجار على جاره، جميعها تندرج تحت مفهوم الظلم، وتشملهم بذلك اللعنة الإلهية على الظالمين ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾. غير أن الظلم على مستويات، ولعل أسوأها وأشدّها وقعًا هو ظلم الحكام المستبدين لشعوبهم، فهو الأقسى والأوسع رقعة وتأثيرًا.

شاء الله عزّ وجلّ أن يجعل زوال عروش الحكام الظالمين عظة وعبرة لغيرهم. لقد حكم هذا الطاغية ليبيا عن طريق انقلاب عسكري، ومارس القتل والقمع ضد شعبه، وطال بطشه الملايين على مدار أربعة عقود من حكمه، حتى لقب نفسه بعميد الحكام العرب. لم يقتصر ظلم هذا الطاغية على شعبه وبلده، بل تعدى ذلك إلى أنحاء العالم، دون رادعٍ يردعه، فمرة يستدعي شخصية مرموقة في مجتمعها كالسيد الإمام موسى الصدر، فيعمد لتغييبه ويجعل مصيره مجهولًا طوال أكثر من ثلاثين سنة، دون أن يرف له جفن، وأخرى يعمد لتفجير طائرة مدنية في الجو فيقتل المئات من الأبرياء في (لوكربي). وكم شارك في حروب دموية أحرقت الأخضر واليابس وحصدت الأرواح والممتلكات، وكم بدّد ثروة بلاده وشعبه، على نزواته وشهواته، ناهيك عن العبث الفكري والآراء الشاذة التي ضمنها كتابه الأخضر حيث ذهب إلى حدّ العبث في الدين، وخالف الثابت من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين.

كان هذا الطاغية يعيش جنون العظمة والغرور، فبلغ ما بلغ من الظلم والبطش، ظنًا منه أن ذلك سيدوم له، ونعت معارضيه بأبشع النعوت والألفاظ، مشفوعًا بالتهديد

---

(١) تفسير مجمع البيان. ج١٠، ص٢٥٧.

والوعيد، حينما ثار عليه الشعب، وتمكن بحمد الله من القضاء على نظامه.

إن في زوال عرش هذا الطاغية لعظة وعبرة لباقي الظالمين والمستبدين، وإن كانت كلفة ذلك باهظة مع سقوط أكثر من ٣٥ ألف قتيل، بالإضافة إلى عشرات الآلاف من المصابين، ومئات الآلاف من النازحين، وخسائر مادية قدرت بأكثر من ٢٤٠ مليار دولار.

الاستعانة بالقوى الأجنبية

إن مما ينغص لذة انتصار الشعب الليبي هو التدخل الأجنبي. فالكل كان يتمنى أن تتحرر ليبيا بسواعد أبنائها دون أي تدخل أجنبي من حلف الناتو، غير أن الطاغية هو من ألجأ شعبه للاستعانة بالقوات الأجنبية. فمن المعلوم أن حلف الناتو إنما يتدخل في ليبيا خدمة لمصالح سياسية ومطامع اقتصادية، وإن كانت مغلفة بشعارات إنسانية. ولا أدلّ على زيف شعاراتهم المعلنة حول حماية المدنيين الليبيين من غضهم الطرف عما يجري من انتهاكات دموية في فلسطين المحتلة، وما يحدث من نهب واعتداء على الفلسطينيين على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

ومع حلول ذكرى يوم القدس العالمي الذي يصادف الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وهو مناسبة عظيمة للتذكير بالقدس الشريف الذي لا يزال محتلًا، يدرك هؤلاء الغربيون حجم الانتهاكات القائمة ضد الشعب الفلسطيني، لكنهم يصرون على غض الطرف عن معاناتهم. والسؤال هنا، لماذا يرسلون أساطيلهم إلى ليبيا والعراق وأفغانستان بينما يغضون الطرف عن فلسطين؟

الجواب واضح وضوح الشمس، فالمسألة لا تعدو مسألة مصالح وأطماع ليس إلا، فحلف الناتو يساند الشعب الليبي مقابل أطماع اقتصادية كبرى يريد تحقيقها من وراء هذه المساندة.

إن الشعوب التي يضطرها الطغاة للاستعانة بالقوى الأجنبية لإنقاذها من براثن

الظلم ليست ملامة. من هنا ليس من اللائق توجه اللوم للشعب الليبي على استعانته بالقوى الأخرى؛ لأن ذلك موقف اضطراري، كما اضطرت لذات الأمر شعوب أخرى. وإذا كان هناك من ملامة فهي لاولئك الذين وجّهوا اللوم للشعب العراقي، واتهموه بأبشع التهم إبان الاحتلال الأمريكي للعراق، مع أن الاحتلال كان مفروضًا عليه ولم يكن باختياره. لا تلام الشعوب إذا رأت في تدخل القوى الخارجية فرصة للخلاص من ظلم فظيع واقع عليها من طغاة مستبدين على غرار صدام أو القذافي، ولا ينبغي أن تكون هناك ازدواجية في المعايير لدى بعض الناس، فما يصح عندهم للشعب الليبي من الاستعانة بالقوى الأجنبية يفترض أن يكون ذات الموقف صحيحًا بالنسبة للشعب العراقي!!

نسأل الله أن يمن على الشعوب المستضعفة بالنصر والغلبة، وأن يقرّ أعيننا بتحرير القدس الشريف، ويرزقنا الصلاة فيه وقد تطهر من دنس الاحتلال، وتخلّص من القهر والإذلال الذي يمارسه الصهاينة.

الخطبة الأولى

وقاية الأبناء من الشقاء

﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾

[سورة التحريم، الآية: ٦]

شددت الشريعة الإسلامية على بعدين ينبغي أن يكونا عماد اهتمام الآباء في تربية أبنائهم، أولهما توفير احتياجاتهم الأساسية في الحياة، والآخر الحفاظ على سلامة الأبناء الروحية والمعنوية لصلاحهم في الدنيا وللنجاة في الآخرة.

إن من البديهي أن يهتم الإنسان في هذه الحياة بوقاية أبنائه وأفراد عائلته من المكاره والأخطار، فيسعى في سبيل ذلك لتجنيبهم مصادر الألم والمرض، وإذا أصيب أحدهم بسوء سعى إلى علاجه فورًا ليضمن شفاءه، فهذا هو الوضع الطبيعي إزاء تحمل أي إنسان لمسؤوليته تجاه عائلته.

في موازاة ذلك ينبغي للمرء أن يوسع أفقه فيفكر في تجنيب أفراد عائلته المساوئ الروحية والأخلاقية أيضًا. ذلك لأن شقاء الإنسان وبلاءه لا يأتي نتيجة المشاكل المادية فقط، فالإنسان ليس جسمًا ومادة فحسب، كما أن مصيره غير مقتصر على هذه الدنيا فقط.

إن الآباء مدعوون للتفكير في مستقبل أبنائهم الأخروي، تمامًا كاهتمامهم

بمستقبلهم الدنيوي. فبقدر اهتمام الآباء بأن تعيش عوائلهم في سكن مناسب، ينبغي أن يكون لديهم ذات الاهتمام في ضمان سكنهم المناسب في الآخرة.

من هنا كان على الإنسان أن يفكر في السلامة الروحية والمعنوية لعائلته، وأن يقيهم الميكروبات والجراثيم التي يمكن أن تتسلل إلى أرواحهم ونفوسهم، تمامًا بقدر اهتمامه بتوفير حاجاتهم الأساسية من سكن وتعليم ومأكل..

ولعل السؤال هنا؛ إذا كان بالإمكان توفير حاجات العائلة في الدنيا، فهل يمكن ضمان توفير الشيء ذاته في الآخرة؟.

الجواب: نعم. بإمكان المرء أن يسعى ويجتهد من أجل تحقيق السلامة الروحية لعائلته في الدنيا تمهيدًا لضمان وتأمين مستقبلهم في الآخرة. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ فمضمون الآية الكريمة يشير إلى أن الأمر لا يقف عند حدود الإنسان نفسه ليقيها من النار، وإنما هناك طرف آخر ينبغي الاهتمام به وهي العائلة. إن على المرء أن يفكر مليًّا في وقاية أهله من النار، تلك النار التي وصفها جبّار السموات والأرض بأن ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

وسائل التربية والتوجيه

ولتلمس سبل القيام بالوقاية الروحية والمعنوية للأبناء، ينبغي لربّ الأسرة الاهتمام بثلاثة أساليب ضمن تربيته لأولاده، وهي التعليم المباشر، والتوجيه المستمر، وتمثل دور القدوة الحسنة.

الأول: التعليم

إن أغلب مشاكل الإنسان ناتجة من جهله، فإذا بلغه العلم، وتشرّب بالمعرفة، تجنب كثيرًا من الشرور.

لذلك جاءت النصوص تأمر الإنسان بأن يصرف جهدًا في تعليم أفراد أسرته

المعارف التي تنفعهم، والحقائق التي تمكنهم من تجاوز المفاسد والأخطاء. ورد عن الإمام علي ﷺ: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم»[١].

فالمعرفة أمر في غاية الأهمية لمساعدة الإنسان على الكمال والرقي وتجنب الفساد.

وورد عن الإمام الصادق ﷺ ما يشير إلى أن على المرء أن يسبق إلى تحصين أفكار أبنائه قبل أن يطالهم تشويش الأفكار المنحرفة، يقول ﷺ: «بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن تسبقكم إليهم المرجئة»[٢]، والمرجئة فئة منحرفة فكرياً انتشرت في فترة تاريخية معينة.

إن عصرنا الراهن مليء بالتيارات المنحرفة فكريًا وعقديًا، لذلك ينبغي أن نحصّن ونحذّر أبناءنا من خطر الوقوع فيها.

ولعل قائلًا يقول بأن أمر التعليم غير ميسور بالنسبة إليه شخصيًا، نقول بأن هذا ليس عذرًا كافيًا، فقد بات بالإمكان إيصال الأبناء إلى منابع الوعي وسبل الهداية أينما كانت، فتوفير العلم اليوم أصبح ميسورًا بسبب تطور الوسائل التعليمية.

الثاني: التوجيه

قد لا تكون المعرفة وحدها كافية لدفع الإنسان نحو الخير، ما لم يصاحبها التوجيه المستمر والتذكير الدائم. فهناك موانع كثيرة قد تحول دون التزام المرء، وتجره إلى الركون نحو الباطل والخطأ، مثل الغفلة، والاستجابة إلى ضغط الأهواء والشهوات. وقد يقع أحدهم في الخطأ وهو عالم بأن ذلك خطأ لا ينبغي الوقوع فيه، بسبب الاستسلام للشهوات، من هنا جاءت أهمية وضرورة التذكير.

إن على الآباء أن يوفّروا سبل التوجيه لأفراد العائلة دون الاكتفاء بالعلم فقط. ورد

---

(١) كنز العمال، ج ٢، ص ٥٣٩.

(٢) الكافي، ج ٦، ص ٤٧.

في هذا السياق عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله الإمام الصادق ﷺ عن قول الله عز وجل: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قلت: هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي؟ فقال ﷺ: «تأمرهم بما أمرهم الله به، وتنهاهم عما نهاهم الله عنه، فإن أطاعوك كنت قد وقيتهم، وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك»[١]، وقال ﷺ: لما نزلت هذه الآية جلس رجل من المسلمين يبكي وقال: أنا قد عجزت عن نفسي كُلّفت أهلي، فقال رسول الله ﷺ: «حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك وتنهاهم عما تنهى عنه نفسك»[٢].

إن من المؤسف أن يسأم بعض الناس من تذكير أهلهم بالخير. فالتوجيه والتذكير بالخير لا أمد له، بل ينبغي أن يكون مستمرًا وبأساليب متنوعة، فإذا كان ابنك لا يصلي الجماعة مثلًا فلا تسأم من تذكيره عبر قصة، أو آية أو حديث، أو فكرة تحببه إلى حضور صلاة الجماعة والمشاركة في الأنشطة الدينية.

إن زرع بذرة الخير في نفوس الأبناء عملية دائمة، تبدأ من الصغر ولا تنتهي عند الكبر، ففي رواية عن الإمام الصادق ﷺ: «مُرَ الصبي فليتصدق بيده بالكسرة والقبضة والشيء»[٣] فعندما يعطي الأب ابنه الصغير مبلغًا من المال، ويطلب منه أن يعطيه للفقير، سيكون لهذا التصرف أثر كبير في نفسه، فيتعلم من خلاله البذل والعطاء والاهتمام بمعاناة الفقراء. من هنا نبعت الحاجة إلى توجيه وتذكير الأبناء على نحو دائم دون الاكتفاء بتوفير المعرفة والعلم فحسب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

الثالث: القدوة

ينبغي للمرء أن يكون قدوة لأفراد عائلته في فعل الخير، ليكون لمواعظه عند ذلك الأثر البالغ في نفوس أبنائه. قد يتخفى بعض الآباء عن أنظار أبنائهم ويفعلون

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، ج ٦، ص ١٧٩.
(٢) بحار الأنوار. ج٩٧، ص٩٢.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١، ص ١١٥.

ما يشاؤون، في حين يحرصون على الظهور أمام أسرهم بمظهر الصلاح، حتى لا تنخدش صورته في أذهان عائلته، وحتى لا يتأثرون بسيرته السيئة. إن مثل هذا الأب غير الملتزم لن يكون لمواعظه على الأغلب أي أثر في أبنائه، فهو ليس قدوة صالحة أمامهم، كما أن موعظته ليست نابعة من أعماق القلب، لذلك لن يعدوا تأثيرها أطراف آذانهم. قال الإمام الصادق عليه السلام في رواية أنه لما نزلت الآية الكريمة: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال الناس: كيف نقي أنفسنا وأهلينا؟ قال: اعملوا الخير، وذكروا به أهليكم، وأدبوهم على طاعة الله[1]. وفي ذلك إشارة واضحة من الإمام إلى أهمية التطبيق العملي أمام الأبناء.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المبادرين لأعمال الخير والداعين له.

---

(١) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٢٠١.

سفك الدماء في بلاد المسلمين

«ورد في الكافي عن أبي حمزة عن أحدهما (الباقر أو الصادق عليهما السلام) قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: يا رسول الله قتيل في مسجد جهينة، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم قال: وتسامع الناس فأتوه فقال صلى الله عليه وآله: من قتل ذا؟ قالوا: يا رسول الله، ما ندري، فقال: قتيل من المسلمين بين ظهراني المسلمين لا يدرى من قتله، والله الذي بعثني بالحق لو أن أهل السماوات والأرض شركوا في دم امرئ مسلم و رضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار»[1].

وقد أخرج النسائي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم»[٢].

كما أخرج الهيتمي في مجمع الزوائد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو اجتمَعَ أهلُ السماءِ والأرْضِ على قتلِ مؤْمِنٍ لكبَّهُمُ اللهُ في النارِ»[٣].

إن حق الحياة هو أول حق من حقوق الإنسان، عنه تتفرع وتنبثق سائر الحقوق الأخرى.

---

(١) الكافي. ج٧، ص٢٧٣.

(٢) سنن النسائي. حديث ٣٩٩٨ .

(٣) مجمع الزوائد. ج ٧، ص ٢٩٧.

إن حق الحياة قرار إلهي ومنحة ربانية للإنسان، ولا يجوز تبعًا لذلك لأي جهة كانت أن تصادر هذا الحق أو تعيق نفاذ القرار، ومن يفعل ذلك فهو يتحدى أمر الله سبحانه وتعالى، إلا إذا كان هذا الإنسان قاتلًا معتديًا، وظالمًا غشومًا، فهو يستحق القتل بأمر الله، وما عدا ذلك فليس مقبولًا عند الله سفك دم أحد من عباده.

تُعدّ حرمة الدماء من أعظم الحرمات في الإسلام، ولهذا أكدت عليها جملة من النصوص، ومنها الآية الكريمة ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، فالنفس الواحدة طبقًا للآية لها مكانتها وقدسيتها عند الله سبحانه وتعالى، التي تعادل في وزنها وزن نفوس البشر أجمعين.

تشدد الروايات والأحاديث النبوية أيما تشديد على حرمة الدماء، وتنهى على نحو قاطع عن المساهمة في سفك دم ولو بشطر كلمة. فقد ورد عن النبي ﷺ: «لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»[1]، وتشير الرواية هنا إلى إمكان تدارك مختلف المعاصي والانحرافات على نحو أو آخر، لكن مسألة الدم خط أحمر لا يمكن التهاون إزاءه أو السكوت عليه.

وعنه ﷺ قال: «لا يحولنّ بين أحدكم وبين الجنة كف من دم أصابه»[2].

إن هؤلاء الذين يحرّضون على قتل الأبرياء عبر البيانات والفتاوى هم شركاء أساسيون مع الإرهابيين والتفجيريين في جرائم القتل التي تسفك فيها دماء الأبرياء بسبب فتاواهم، إنهم محاسبون أمام الله تعالى تجاه هذه الدماء التي تسفك. فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ شَرَكَ في دمٍ حرامٍ بشطْرِ كَلِمَةٍ جاءَ يومَ القيامةِ مكتوبٌ بينَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِن رحمةِ اللهِ»[3]، فلا شيء أبدًا يبرر سفك الدم الحرام. وفي رواية أخرى جديرة

(١) صحيح البخاري. حديث ٦٨٦٢.

(٢) كنز ا لعمال. ج٥، ص٢٧،حديث ٣٩٩٢٢ .

(٣) مجمع الزوائد. ج٧، ص٣٠١.

بالتأمل قال ﷺ: «لزوال الدنيا جميعًا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»[(١)].

كما جاء في السيرة النبوية أنه وجد رجل مقتول من قبيلة جهينة، ولا يعلم قاتله، فغضب رسول الله ﷺ لذلك وأمر باجتماع المسلمين في المسجد، وصعد فيهم خطيبًا قائلًا: قتيل بين المسلمين لا يدرى من قتله، والذي بعثني بالحق لو أن أهل السماء والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار[(٢)].

لقد جاء الإسلام ليؤسس مجتمعًا يحترم حق الحياة، ويعطي للدماء حرمتها ويحذر من انتهاكها. خاصة وأن الإسلام جاء في مجتمع جاهلي كان يمتهن سفك الدماء، فجاءت الرسالة النبوية لترسي أركان مجتمع جديد، فكان النبي الأكرم ﷺ يدأب على تجنب القتال، ويسعى لتقليل عدد الضحايا ما أمكن في حروبه مع أعداء الإسلام، حتى إن إجمالي عدد القتلى في حروب وغزوات النبي ﷺ على مدار عشر سنين لم يبلغوا ١٣٠٠ قتيلٍ من كلا الطرفين المسلمين والكفار. فغاية رسالة الإسلام احترام حق الحياة لبني البشر، وليس الانتقام أو استباحة الدماء.

باسم الدين تسفك الدماء

لقد ابتليت الأمة الإسلامية في تاريخها الماضي وواقعها المعاصر بتوجهات فكرية تدعو إلى سفك الدم الحرام، حتى أصبحت هذه الأمة كما لو أنها لا تعرف للدم حرمة، ولا تقيم للحياة وزنًا. وقد بتنا نشاهد في عصرنا الراهن كيف تعمد الحكومات المستبدة في بلاد المسلمين إلى سفك دماء الألوف من أبناء شعبها لا لشيء سوى الحفاظ على العروش والكراسي!. إن استخدام العنف الأعمى ضد الشعوب عبر التاريخ أمر يندى له الجبين، ونتيجة لذلك برزت مجاميع من أبناء الأمة تتبنى استخدام العنف وتمارس سفك الدماء، بل وتفخر بعدد القتلى الذين تفتك بهم من المدنيين والأبرياء.

يحار المرء عندما يرى إنسانًا يدّعي التدين ويزعم نصرة الإسلام يقوم بتفجير نفسه

(١) كنز العمال. ج١٥، ص٣٢، حديث ٣٩٩٤٧ .

(٢) الكافي.ج٧، ص٢٧٢-٢٧٣.

وسط مسلمين مصلين، ليوقع بينهم العشرات بين قتيل وجريح، فأيّ دين هذا؟!. لقد شيع المسلمون أواخر شهر رمضان المبارك وفي أيام العيد مئات الضحايا الذين سقطوا بسبب أعمال إرهابية وتفجيرية داخلية في العراق وباكستان وأفغانستان والجزائر ونيجيريا. ويتضح من ذلك أن هؤلاء الإرهابيين أكثر جرأة وشجاعة ضد المدنيين الأبرياء منهم ضد العدو. إذ تشير الإحصاءات لأعداد القتلى من الجنود الأمريكيين في العراق منذ عام ٢٠٠٣ وحتى الآن إلى أنهم يتجاوزن بقليل عدد الأربعة آلاف جندي، في مقابل ذلك بلغت أعداد ضحايا الإرهاب الداخلي من العراقيين وحدهم أكثر من مئة ألف تبعًا لأقلّ الإحصاءات، فيما يصل العدد وفق إحصاءات أخرى إلى مئات الألوف من الضحايا.

إن من المؤلم حقًّا حدوث هذه المجازر بحق الأبرياء المسالمين في المساجد والأسواق بالتزامن مع شهر رمضان المبارك ويوم العيد. فقد حصلت أواخر شهر رمضان سلسلة من التفجيرات الإرهابية في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي، في الجزائر وأفغانستان وباكستان والعراق ونيجيريا. والأكثر إيلامًا هو أن تحصل هذه الفظائع تحت عناوين إسلامية!. فهذا مسجد في شمال باكستان يستهدفه انتحاري بحزام ناسف فيقتل ٤٧ مصليًا، ويوقع عشرات الجرحى والضحايا. وفي العراق أيضًا يستهدف انتحاري آخر مسجد أم القرى السني في بغداد ويخلف عددًا كبيرًا من القتلى، وسبق ذلك تفجير انتحاري آخر استهدف حسينية في البصرة وراح ضحيته عشرات القتلى، عدا باقي التفجيرات التي استهدفت الأبرياء في مختلف المناطق.

إن مثل هذه الأفعال ينبغي أن تسترعي النظر والانتباه، فهي تشير إلى أن هناك خللا اجتماعيًا، وفكريًا، ينتاب هذه الأمة التي يقدس دينها الحياة، فيما يستهين أبناؤها بالقتل الأعمى بحق الأبرياء.

نسأل الله تعالى أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين، وأن يدفع عنا وعن جميع المسلمين المكاره والأسواء.

الخطبة الأولى

التعليم ومسؤولية العائلة

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من سعادة الرجل الولد الصالح»[1].

إن حصول الأبوين على أبناء صالحين ليس محض صدفة، ولا ضربة حظ، بقدر ما هو ثمرة لتربية سليمة، ورعاية مستمرة، وتخطيط دائم.

لا شك بأن وجود الولد الصالح أمنية لكل أب وأم، ذلك لأن الولد الصالح يكون عونًا لوالديه في مواجهة تقلبات الزمان، وفخرًا لهما أمام الناس، كما أنه مدعاة لانهمار ثواب الله ورضوانه على المرء في حياته الدنيا وبعد رحيله عن هذه الحياة. من هنا جاء تطلع الإنسان المؤمن ودأبه واجتهاده إلى أن يكون له أولاد صالحون.

لا بُدّ من الإشارة هنا إلى أن مفهوم الصلاح لا يقتصر على التزام الأبناء العبادات والفرائض الدينية فحسب، بل هو مفهوم شامل، يتضمن أيضًا النجاح في الحياة، والاستقامة في السيرة والأخلاق العامة. وقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ جملة من الأحاديث والروايات التي تربط بين سعادة المرء واكتسابه الولد الصالح، ومن ذلك قوله: «من سعادة الرجل الولد الصالح»، وفي رواية أخرى عن النبي ﷺ أن نبي الله عيسى بن مريم مر بقبر يعذّب صاحبه ثم مرّ به من قابل فإذا هو لا يعذب، فقال: يا رب، مررت بهذا القبر عام أول فكان يعذب، ومررت به العام فإذا هو ليس يعذب؟ فأوحى الله إليه أنه

(١) الكافي. ج٦، ص٣.

أدرك له ولد صالح فأصلح طريقًا وآوى يتيمًا فلهذا غفرت له بما فعل ابنه»[١]، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ميراث الله من عبده المؤمن ولد صالح يستغفر له»[٢].

الإعداد والاجتهاد لصلاح الأبناء:

غير أن ما يجدر التشديد عليه هنا هو أن الحصول على الولد الصالح، ليس مرهونًا بعوامل غيبية أو أنه حدث اعتباطي ناتج عن ضربة حظ!. إن وجود الأبناء الصالحين في حياة أي أبوين ليس من قبيل الصدفة المحضة، بقدر ما هو مرتبط بتخطيط وإعداد وعمل على المرء أن يقوم به، ويجتهد فيه، حتى يحصل لاحقًا على النتيجة المتوخاة.

قد يقول قائل إن هناك من عمل على إصلاح أولاده لكنه لم ينجح، إن هذا القول من قبيل الاستثناء لا القاعدة، فهناك أنبياء وأئمة كان لهم أولاد غير صالحين، وقد يكون هناك أشخاص سيئون وأشرار خلفهم أولاد صالحون. إن القاعدة الأصل والنظام الطبيعي هو أن التربية الصالحة تنتج الولد الصالح، والتربية الفاسدة تنتج الولد الفاسد، وما عدا ذلك فهو أمر استثنائي نتيجة تداخل عوامل وأسباب أخرى.

إن على الوالدين أن يخططا لإنجاب وتربية أولاد صالحين، فهذا أفضل ما يقدمانه في هذه الحياة، حتى يجري لهما النفع في الدنيا والآخرة. وما يفيد الإنسان لو كان يمتلك ثروة هائلة لكنه لم يحظَ بولد صالح، بل كان مجرمًا فاسدًا؟ فهل يرتاح الوالد وابنه عاق له؟ أو سيئ السلوك وتائه في طرق الفساد والرذيلة؟ ماذا تنفع الثروة والمنصب حينئذٍ؟

بينما يعوض الولد الصالح أباه عن كثير من نقاط الضعف التي يمكن أن يعيشها في حياته، وبذلك يحتاج المرء إلى أن يحمل هم التربية وإنتاج الولد الصالح، وأن يصرف جهدًا لتحقيق هذا الأمر.

---

(١) الكافي. ج٦، ص٣و٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه. ج ٣، ص ٤٨١.

النجاح الدراسي دافع للصلاح

إن نجاح الأبناء الدراسي سبب رئيس في صلاحهم في هذه الحياة. ففي غالب الأحيان يعاني الأبناء الذين يحملون سلوكًا سيئًا من تعثر في دراستهم، ويكونون بذلك طعمة للتوجهات السيئة. ونحن على أعتاب عام دراسي جديد ينبغي أن نذكر العوائل والآباء بالاهتمام بأبنائهم على هذا الصعيد، فقد ورد في النصوص الدينية أن من حقوق الولد على أبيه أن يعلّمه، عن أبي رافع عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وأن لا يرزقه إلا طيبًا»[١]. من حق الولد على أبويه أن يتعلم المهارات التي يحتاجها في حياته تبعًا لظروف الزمن الذي يعيشه.

إن أقلّ ما يجب أن تهتم به العائلة على الصعيد الدراسي للأولاد، هو متابعة سيرهم التعليمي في المدرسة، وممارسة الدور الرقابي لسد الثغرات التربوية في المدارس، وأخيرًا التواصل والتعاون مع إدارات المدارس. ينبغي أن تتحمل العائلة مسؤولية متابعة سير الولد في المدرسة، فتعليم الأولاد لا يتأتى بوضع الولد على مقعد الدراسة فحسب، بل يحتاج الأمر إلى متابعة السيرة الدراسية للابن، وخاصة من قبل الأب، صحيح أن الأم تشارك في هذه المسؤولية لكن العبء الأكبر موكول إلى الأب. ينبغي أن يتفقد الأب وضع ابنه على نحو دوري دائم.

كما أن على الآباء متابعة سير العملية التعليمية لتلافي الثغرات والنواقص ونقاط الضعف. من هنا كان على المجتمع أن يتنبه، ويراقب وضع المدرسة، وسير الدراسة فيها، ولا يسكت عن أيّ خلل.

وأخيرًا، التواصل والتعاون مع إدارات المدارس من خلال المشاركة والحضور في الاجتماعات الدورية لمجالس الآباء وغيرها. فإذا تم ذلك إضافة إلى جوانب تربوية أخرى تخص الأبناء، نستطيع أن نضمن تنشئة صالحة وأولادًا صالحين يكونون زينة المجتمع وصلاحه.

---

(١) كنز العمال. ج ١٦، ص ٤٤٣، حديث ٤٥٣٤٠ .

الخطبة الثانية

7

النشاط الأهلي وتقدم المجتمع

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[سورة المائدة، الآية: ٢]

يُعدّ النشاط الأهلي التعاوني أحد أهم معايير القوة في أي مجتمع من المجتمعات. فبقدر ما يحتوى المجتمع من الأنشطة الأهلية التعاونية يكون مجتمعًا قويًا متماسكًا متقدمًا، ذلك لأن طبيعة النشاط الأهلي ترفع معنويات أبناء المجتمع، كما أنها تزيد من تلاحمهم، وتفسح المجال أمام تفجر الطاقات والكفاءات في أوساطهم.

من هنا درجت المجتمعات المتقدمة على تشجيع النشاط الأهلي التطوعي، وأتاحت بذلك مساحة واسعة لإدارة شؤون المجتمع عبر الأنشطة الأهلية المدنية التطوعية، في مقابل ذلك يبقى الناس في المجتمعات غير الفاعلة في مجال العمل المدني، ضعفاء غير مكترثين بشؤونهم، سيما في ظل احتكار الدولة للفضاء العام.

إن النشاط الأهلي التعاوني هو مصداق للآية الكريمة: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى﴾، فالتعاون إنما يتمظهر ويتجسد في أفضل صوره في العمل الأهلي التطوعي.

البرّ كل ما ينفع الناس

وفيما يعرف العلماء واللغويون مفهوم (البر) بأنه اسم جامع لأعمال الخير في كافة مجالاتها، درجت مجتمعاتنا الدينية على ربط عمل البر بالمشاريع الدينية المحضة، من

بناء المساجد أو الحسينيات..، فالناس يقبلون على دعم هذه المشاريع، ويبذلون فيها الأموال. غير أننا بالعودة إلى النصوص الدينية نجد أنها أوسع أفقًا من ذلك، فأعمال البر ليست محصورة في الشأن الديني وحده كبناء المساجد، فهذه وسائل لغايات أكبر، وهي القيم النافعة في المجتمع، لذلك يقول الله تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٧٧]، فالبرّ تبعًا لذلك هو مفهوم واسع، يشمل العقيدة الصحيحة، والسلوك الصالح، والأخلاق المستقيمة، وكل ما يفيد ويبني ويساهم في إنجاح المجتمع.

روافع النشاط الأهلي

تحتاج المشاريع الأهلية الاجتماعية إلى روافع مهمة لا بُدّ من توفرها لتطوير أي عمل تعاوني؛ منها الدعم الرسمي، ومساندة رجال الأعمال، والخطاب الديني الدافع. نحن نلحظ الآن أن هناك مشاريع أهلية اجتماعية متنوعة في المنطقة، ونرى بوضوح منافعها على المجتمع، لكنها بحاجة إلى مزيد من الدعم والمساندة.

وأول ما تحتاجه هذه المشاريع، هو الدعم الرسمي، عبر تذليل العقبات، وتسهيل القوانين والأنظمة، وجعلها مشجعة على العمل الأهلي. إن تكبيل العمل الأهلي بسلسلة من الإجراءات والعوائق والتصاريح المعقدة، يفضي إلى إبطاء وتعطيل النشاط الأهلي. وذلك بخلاف ما يجري في المجتمعات المتقدمة، حيث تشجع الحكومات على تأسيس منظمات المجتمع المدني بمختلف ألوانها وأشكالها، من خلال القوانين والتشريعات المساعدة إلى جانب الدعم المادي والمعنوي.

كما ينسحب الأمر ذاته على الدعم المرجو للمشاريع الأهلية من لدن رجال

الأعمال. إن من المؤسف أن لدى بعض رجال الأعمال مفهومًا ملتبسًا إزاء دعم المشاريع الأهلية، يربط ذلك على نحو مباشر بالأعمال الدينية وحدها، فالواحد من هؤلاء قد يكون سخيًا في بناء المسجد أو المأتم، أو الأعمال ذات الطابع الشعائري، فيما ينأى بنفسه عن دعم المشاريع الاجتماعية ذات النفع العام المرتبطة بالرياضة والثقافة والترفيه، ومنها المهرجانات الشعبية التي بدأت تقام في البلد الآن. إن مقابلة بعض رجال الأعمال لهذه المشاريع الاجتماعية الواعدة بالدعم الشحيح، ربما نمّ عن ضيق أفق وقلة وعي، إن لم نقل التقصير في البذل والعطاء.

إن بعض المشاريع الكبيرة التي يتبناها رجال أعمال في وطننا تبعث على السرور وتستحق الإشادة والاحترام والتقدير. فقد كتبت الصحف السعودية أمس[1] عن رجل أعمال في مدينة حائل هو الدكتور ناصر إبراهيم الرشيد، الذي أنشأ مؤسسة للأيتام تعدّ الأكبر في العالم، بكلفة بلغت أكثر من مائة مليون ريال تبرع بها من ماله الخاص. إن هذه الأعمال تستحق الإشادة والإطراء، وجديرة بأن تشجع رجال الأعمال الآخرين في أنحاء الوطن إلى المبادرة لدعم العمل الخيري والاجتماعي على نحو فعال.

المهرجانات الشعبية

لقد أخذت المهرجانات الشعبية مكانها في الفضاء الاجتماعي في منطقتنا، وعكست جانبًا مشرقًا من ثقافة وتراث وكفاءات المنطقة، وتستحق بذلك المساندة والتشجيع. فوجود مهرجان شعبي كمهرجان القطيف (واحتنا فرحانة)، ومهرجان الدوخلة بسنابس، ومهرجان الوفاء في مدينة سيهات، تمثل كل هذه فرصًا ثمينة لتفجر الطاقات والكفاءات، وإبراز شخصيات المجتمع وكفاءاته، خاصة الطاقات الشابة المتحفزة للبذل والعطاء.

كما تقدم هذه المهرجانات صورة لمجتمعنا أمام المجتمع المحلي والدولي،

---

(١) جريدة الرياض. الخميس ١٠ شوال ١٤٣٢ هـ، ٨ سبتمبر ٢٠١١م، العدد ١٥٧٨١.

وتكرس حالة التلاحم والتعاون داخل المجتمع، وأخيرًا فإنها تعطي فرصة جيدة في مجال الترفيه في داخل البلد، حيث تحتاج العوائل والأبناء إلى مجالات ترفيهية، في ظل محدودية مجالات الترفيه، ما يجنب الأطفال والشباب حالة الكبت والعقد وضمور مواهبهم المختلفة.

إن المهرجانات الشعبية في المنطقة لها فوائد جمة أبرزها تقديم صورة أكثر إشراقًا لمجتمعنا، على النقيض من النظرة الضيقة لدى بعض الناس الذين لا ينظرون لمثل هذه الأنشطة إلا من زاوية كمالية وترفيهية.

نحن بحاجة إلى المزيد من الدعم لهذه المهرجانات التي تستقطب مئات الشباب والشابات المتطوعين. فمهرجان واحد على غرار (واحتنا فرحانة) شارك فيه نحو ٥٠٠ متطوع ومتطوعة، وشمل أكثر من ٥٠ فعالية مختلفة ثقافية وتراثية وصحية وغيرها، وقصده ما يزيد على ١٧٠ ألف زائر، إن مهرجانًا من هذا القبيل لهو جدير بدعم المجتمع، ويستحق القائمون عليه الشكر والتقدير، إدارة وكوادر.

إن وجود هذه المهرجانات الأهلية الناجحة ينبغي أن يشجع الجميع على دعمها، وعلى رأسهم رجال الأعمال. كما أنها بحاجة إلى دعم من الخطاب الديني، فلا ينبغي أن نقف عند بعض الثغرات والأخطاء، ونحط من قيمة هذه المهرجانات بذريعة وجود أخطاء هنا أو هناك، فليس ثمة عمل يخلو من الأخطاء، حتى في المجال الديني نفسه، فلا ينبغي أن يكون ذلك مبررًا للتشنيع على العمل، والحط من قيمته وتشويه القائمين عليه!. ينبغي أن نتعاون على تلافي الأخطاء، فمجتمعنا يزخر بالطاقات، وعلينا أن ندعمها، وأن نبرز هذه الجهود، وأن نكثف نشاطنا الأهلي الاجتماعي.

الخطبة الأولى

المشاركة في الانتخابات البلدية

ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): أنه قال: «إذا أمكنت الفرصة فانتهزها، فإن إضاعة الفرصة غصة»[1]

توجه تعاليم الإسلام الفرد المسلم إلى التزام الإيجابية والفاعلية في حياته، ومن صور ذلك أن يهتم المرء باستكشاف الفرص لتقدمه المعنوي والمادي. كما تحظ تلك التعاليم على النأي عن الاسترسال والغفلة عن فرص التقدم المتاحة في مختلف المجالات، خاصة وأن هناك صنفًا من الناس لا يفتحون أعينهم على الفرص، أو يتلكؤون في المبادرة إلى اقتناصها، وأحيانًا تحول بعض الهواجس بينهم وبين الاستفادة منها، سيما إذا لازم ذلك تطلعات نحو فرص أكبر في المستقبل، فيبدون حينئذٍ مترددين في تقدير مدى الفائدة المرجوة مما هو متاح في الحاضر من فرص أقلّ حجمًا، وما إذا كان الأمر يستحق العناء أم لا. في مقابل ذلك ينبغي القول إن هناك أناسًا آخرين يفتحون أعينهم على الفرص ولديهم كل الحرص على التقاط اي فرصة، فيستفيدون من المتاح والممكن، ويتحركون ويطالبون بالمزيد.

نماذج من استثمار الفرص

وهناك تجارب كثيرة تكشف عن مدى استغلال بعض الأفراد للفرص المتاحة التي

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم.

ربما لا يلتفت لها الآخرون. وفي هذا الصدد زرت أحد الأشخاص وكان يجيد التحدث باللغة الأوردية، فسألته متعجبًا عن كيفية اكتسابه هذه اللغة، فقال إن لديه سائقًا هنديًا يتحدث الأوردية، فوجدها فرصة في أن يتعلم منه ولو كلمة واحدة أو كلمتين في كل مشوار يوصله، ويضيف أنه مع مرور الوقت أصبح لديه حصيلة جيدة من الكلمات باتت تتيح له فرصة التحدث بهذه اللغة، بل وأصبح يقدم خدمات الترجمة للذاهبين إلى الهند من أصدقائه وأقربائه.

هذا نموذج واضح لفرصة قد تكون متاحة للكثيرين لتعلم هذه اللغة أو غيرها دون بذل جهد كبير، غير أن البعض لا يجد مبررًا لاكتساب لغة أخرى، فلا يجد بطبيعة الحال الدافع لاستغلال الفرص في هذا السبيل. ولو تتبعنا المثال ذاته، لوجدنا أن الرجل الذي استغل فرصة تعلم اللغة، قد تجاوز سلفًا الهواجس التي قد تسيطر على آخرين، حول إمكانية الاستفادة من هذا السائق الذي أمامه، ومدى قيمة هذه اللغة والفائدة من تعلمها.

وقد حدثني شخص من بلد آخر عن نشاط ديني قام به في مناطق نائية في الفلبين، وكان قد أسّس مسجدًا ونشاطًا دينيًا هناك، وقد سألته عن ملابسات هذه الخطوة، فقال إن لديه فيما سبق عاملًا فلبينيًا يعمل عنده، وبعد حوار هادئ معه تحول العامل إلى الإسلام، ويقول إنه شجعه على إنشاء مسجد عند عودته إلى بلده، وقد فعل ذلك، ودخل بفضله كثيرون في الإسلام. ومرة أخرى نجد كيف أن فرصة وجود العمال الأجانب وغير المسلمين متاحة للكثيرين، غير أن هذا الشخص عرف كيف يستفيد من هذه الفرصة في حين غفل عنها الباقون. وعلى هذا النحو تمر فرص كثيرة على الإنسان غير أنه يغفل عنها ولا يلتفت لها.

وتنسحب نزعة التقاط الفرص لدى بعض الناس على المستوى المادي، في الوقت الذي قد يتلكأ آخرون. فهناك أناس يفتحون أعينهم جيدًا على كل ما يجري حولهم، فما إن يتناهى إلى سمعهم خبر عن خروج نظام معين، أو صدور قرار في شأن ما يمكن

الاستفادة منه، إلا وتجدهم أول المبادرين لاستغلال الأمر، سوا كان الأمر متعلقًا بمنح أراضٍ مثلًا، أو إعطاء قروض، أو تقديم وظائف جديدة. في حين تجد آخرين أمام مثل هذه المواقف نفسها مترددين بين مصدق ومكذب، ومدى إمكانية حصول ذلك، أو مقدار الفائدة عند الإقدام على هذه الخطوة من عدمها، وهنا يأتي السؤال البدهي، عما قد يخسره المتردد من هؤلاء، لو أنه حاول استثمار الفرص المتاحة، ولماذا يحرم نفسه الفرصة؟.

الإيجابية والفاعلية

إن التعاليم الدينية تحضّ الإنسان المؤمن باستمرار على الإيجابية والفاعلية، إن على مستوى المصالح المادية أو المعنوية. فالأولوية في هذا المجال هي للحركة واغتنام الفرص متى ما تسنى ذلك، ويصدق هذا الأمر على الصعيد الفردي، كما يصدق على الصعيد المجتمعي، فهناك مجتمعات في غاية اليقظة والانتباه، متى ما لاحت لهم في الأفق فرصة يمكن اغتنامها إلا وتجدهم يسارعون لها، في مقابل بعض المجتمعات الأخرى الخاملة التي تنعدم عندها هذه الحالة، مع ما يعيشونه من أوضاع سلبية، وما ينقصهم من حاجات ويفتقدونه من حقوق، إلا أن التساهل والاسترسال يبقى سمتهم الأساس، والأنكى أنه حتى إذا ما أتيحت لهم فرصة محدودة الفائدة، تجدهم يدخلون في جدل عقيم حول مدى الفائدة المرجوة من اغتنامها، متطلعين إلى فرص أفضل وأكبر!، مع أن الأولى هو السير بسيرة العقلاء القائمة على قاعدة (خذ وطالب)، وأن يتم اغتنام الفرصة القائمة ومواصلة العمل على اكتساب المزيد من الفرص الأخرى.

ويمكن القول هنا إن الروح الإيجابية والاستفادة من الفرصة المتاحة تمثل بحد ذاتها ثقافة اجتماعية. فهناك مجتمعات يسودها الكسل واجترار الغبن والتباكي على حظهم العاثر، دون أدنى حركة نحو الاستفادة من أي فرص لبناء واقع أفضل. أن من

الصحيح أن بعض الفرص المتاحة قد تكون محدودة الفائدة، وإن التطلع يحذونا نحو فرص أعظم وأفضل، غير أن هذا لا يتناقض مع مبدأ الاستفادة مما هو متاح الآن مهما كان ضئيلًا، والسعي والعمل في ذات الوقت من أجل الحصول على ما هو أفضل وأكبر.

الانتخابات البلدية بين التفاعل والعزوف

من هنا، نهيب بأبناء مجتمعنا للاستفادة من مختلف الفرص، ومن ذلك فرصة الإنتخابات البلدية المقبلة. نقول ذلك مع وعينا التام بأن هذه الانتخابات قد لا تمثل إلا جزءًا محدودًا من حقوقهم، فنحن لا نرى بأن هذه الفرصة هي المبتغى والغاية التي يجب أن نفرح بها، ولنقول بأن كل شيء على ما يرام، بل العكس من ذلك، نحن نعي جيدًا بأن هذه الفرص تشوبها النواقص والثغرات، إلا أننا نعتقد في ذات الوقت بأهمية الإستفادة من كل ما هو متاح.

نحن ندرك جيدًا أن هناك رأيًا له وجاهته، يقول بأن الانتخابات البلدية غير مفيدة وينبغي مقاطعتها. ومرد ذلك إلى أن الناس سبق وأن تفاعلوا بحماس مع الانتخابات البلدية السابقة، باعتبارها انطلاقة لمسيرة الإصلاح السياسي في البلاد، وبوابة لتطور كبير يطال مختلف المجالات في البلاد، سيما على مستوى المشاركة الشعبية، التي تبدأ اليوم بانتخاب أعضاء المجلس البلدي، لتصل غدًا إلى انتخاب أعضاء مجلس الشورى، فلا تكون عندها عضوية مجلس الشورى بالتعيين وإنما بانتخاب الناس، غير أن جميع ذلك لم يتحقق مع شديد الأسف، وليعقب ذلك حالة من اليأس والإحباط التي انتابت الناس، ونحن ندرك كل ذلك جيدًا ونتفهمه. وزيادة على ما سبق، كان الناس يترقبون تطورًا ملحوظًا في أنظمة المجالس البلدية، باتجاه توسيع رقعة المشاركة، بحيث يكون كل أعضاء المجالس البلدية منتخبين بالكامل، وأن تتاح الفرصة لمشاركة المرأة ناخبة ومرشحة، إضافة إلى توسيع صلاحيات المجالس،

والنأي عن حرمان بعض المواطنين من الترشح دون تقديم أسباب قانونية واضحة للرفض، كما حصل مع بعض المرشحين على مستوى الوطن والمنطقة، سيما إذا كان ذلك عائدًا لآراء سياسية معينة ضمن قضايا إجرائية، ولنا أن نتسائل هنا: لماذا تضيق الصدور من تقبل من يختلف معهم في آراء وقضايا محدودة، مع أن قيمة المشاركة الشعبية تكمن في كونها تتسع لجميع الآراء. إن كل متابع جيد يدرك بأن هذه ثغرات ونقاط ضعف تعاني منها المجالس البلدية، ولذلك فنحن نتفهم آراء من يدعون للمقاطعة، غير أن من واجبنا في مقابل ذلك أن نتحدث بما نحن مقتنعون به.

أفضلية المشاركة في الانتخابات

نحن نرى أن من المناسب والمطلوب المشاركة في الانتخابات البلدية. ومنطلقنا في هذه الدعوة، هو أن المشاركة في الانتخابات ترشحًا وانتخابًا ستساهم بالتأكيد في تعزيز الوعي الانتخابي والممارسة الديمقراطية، فوجود عملية انتخابية وإن كانت محدودة وجزئية، ستساهم بلا شك في تنمية الوعي عند أبنائنا وبناتنا وسائر أفراد شعبنا، على غرار ما جرى ويجري في مناطق أخرى من العالم التي سبقتنا في هذه الممارسة الديمقراطية. كما ستسهم هذه العملية الانتخابية في إبراز الكفاءات والطاقات المحلية، وإيصال هذه الكفاءات للعمل على مصالح المجتمع في قضاياه الخدمية وفي حدود الصلاحيات الممنوحة، ذلك أنه من الخطأ تصور أن المجلس البلدي منوط به حل كلّ المعضلات التي تمر بها المنطقة خارج السياق الخدمي!. وعلاوة على ما سبق تكمن الخشية في ان تكون الدعوة للمقاطعة وغياب المشاركة الفاعلة مفتاحًا لوصول عناصر أقل كفاءة وأقلّ تأهيلاً وإخلاصًا، وبذلك يخسر المجتمع، نقول ذلك لوجود التفاضل الطبيعي بين المرشحين، دونما تشكيك في أي منهم.

إن الدعوة للمشاركة في الانتخابات البلدية لا تعني بأيّ حال الوقوف عند هذا

السقف. بل المطلوب هو استمرار المطالبة بتوسيع رقعة المشاركة الشعبية، غير أننا نتحدث الآن عن المقدار المتاح، وضمن ظروف بلدنا وبيئتنا السياسية، ولذلك نرى أن المشاركة ستكون أمرًا مفيدًا، وينبغي تبعًا لذلك على أبناء مجتمعنا أن يستفيدوا من هذه الفرصة، وأن يتجه كل ناخب لاختيار المرشح الذي يقتنع بكفاءته وجدارته في تمثيل المنطقة، دون أي اعتبارات خارج معيار الكفاءة والجدارة، آملين أن يكون الإقبال على الانتخابات كبيرًا، وأن تكون نسبة المشاركة عالية، وأن تجري المنافسة وسط أجواء من الاحترام المتبادل والتنافس الايجابي الشريف، التي تمكن كل مرشح من عرض نقاط قوته أمام الجمهور دون الإساءة للمرشحين الآخرين، وعلى غرار ذلك من حق كل ناخب أن يعبر عن وجهة نظره في من ينتخبه، لكن دون القدح والإساءة للآخرين، كما نأمل أن يقوم المرشحون الفائزون في هذه الدورة بتقييم تجربة أسلافهم في الدورة السابقة، وأن يستفيدوا من نقاط قوتها ويتلافوا نقاط ضعفها، ويسعون لخدمة مجتمعهم على نحو أفضل وأكثر تطورًا.

الخطبة الأولى

الابتهاج بالبذل والعطاء

﴿...وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٦ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧﴾
[سورة التغابن، الآيتان: ١٦-١٧].

الثروات المالية الشخصية ليست بالضرورة نتاج جهد فردي محض، ولا يمكن أن تأتي بمعزل عن الفرص التي يوفرها المحيط الاقتصادي والاجتماعي للفرد، ولهذا كان للمجتمع في تلك الثروات حق ونصيب، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ۝٢٤ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[سورة المعارج، الآيتان: ٢٤-٢٥].

إن حال الثروات المكتسبة يشبه إلى حدٍّ كبير حال الطاقة التي يكتسبها جسم الإنسان من خلال الغذاء، فإنه يحتاج إلى تصريف لهذه الطاقة، وإلا فإن بقاءها في الجسم سيشكل ضررًا فادحًا، وكلما تناول الإنسان كمية أكثر من الغذاء، وكانت السعرات الحرارية فيها أكبر، كانت حاجة الجسم أكثر للحركة وبذل الجهد لحرق تلك الطاقة، وإلا فإن اختزانها في الجسم سيكون مدمرًا للصحة، من هنا نشأت الحاجة لدى بعض الناس الذين لا تقتضي طبيعة عملهم بذل الجهد البدني لأن يصنعوا لأنفسهم برنامجًا رياضيًا، يصرف فائض الطاقة لديهم، حتى لا تصبح منشأً للمشاكل الصحية.

هذا المثال ينطبق تمامًا على الثروات المالية، فالإنسان الذي حباه الله سبحانه وتعالى بدخل مالي جيد، يجب أن يكون لديه في مقابل هذا الدخل إنفاق وعطاء،

ضمن محيطه الاجتماعي، وقضايا الشأن العام. إذ إن تكدس الثروة دون إنفاق على أوجه البر يُعدّ منشأً للأمراض الروحية التي تضرب صميم الجانب المعنوي للإنسان، فتخلف أضرارًا فادحة على شخصيته.

لقد حفل القرآن الكريم والمرويات الشريفة بالكثير من النصوص حول الإنفاق، بشكل يفوق تلك الآيات والمرويات التي تحث على سائر العبادات كالصيام أو الحج أو الصلاة.

إن الإنفاق أمر ضروري لصحة الإنسان الروحية، ولصحة المجتمع الذي ينتمي إليه، ذلك لأنه إذا قلت حالة العطاء والإنفاق فإن المجتمع يضعف وينحدر مستواه، يقول تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾[سورة التغابن، الآية: ١٦]، وبهذا المعنى فإن الإنسان حينما يعطي فهو لا يعطي الآخرين بقدر ما ينفق على نفسه. إن الإنسان معني بالبحث عن الفرص الاستثمارية التي تبني آخرته، وتقوّم وضعه الروحي، من قبيل المساهمة في مساعدة الفقراء، وتشييد المساجد، ودعم المؤسسات الخيرية والاجتماعية، وطباعة الكتب، تمامًا كما يبحث عن الفرص الاستثمارية المربحة في حياته الدنيا.

البحث عن فرص الخير والعطاء

إن أصحاب السجايا الطيبة يفرحون إذا فتحت أمامهم أبواب الإنفاق في سبيل الله. تلك سجية اشتهر بها الإمام زين العابدين حيث نقل عنه أنه يفرح إذا جاءه فقير فيرحب به ويقول: «مرحبًا بمن يحمل عني زادي إلى الآخرة»[1]. ونعرف بعض الأشخاص المؤمنين الذين دأبوا على السؤال والمطالبة باستمرار باطلاعهم على فرص الخير والبذل في سبيل الله حتى لا تفوتهم فرص المساهمة فيها. هذا النوع من الناس هم الذين يعون قيمة المال ويستثمرونه استثمارًا صحيحًا، وهم الرابحون في نهاية المطاف.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص٩٨.

إن الله سبحانه تعالى يشوق الإنسان إلى الإنفاق فيقول عز من قائل: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ﴾، ثم يقول تعالى إن هذا المال الذي تنفقه في الشأن العام هو قرض وسوف يرد إليك بأضعاف كثيرة، وأرباح مضمونة ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾ [سورة التغابن، الآية:١٧]، فالله هو الذي يعطي المال، ثم يقول سبحانه ضمن دعوته عز وجل للإنفاق بأنه سوف يقترض هذا المال من عبده، وهو الغني عن كل أحد، وإنما أراد بذلك أن يعطي للإنسان فرصة البذل والعطاء، وليرسخ بذلك أسس التلاحم والتراحم بين الناس، وفوق كل ذلك يجعل ذلك العطاء سببًا لغفران الذنوب ونيل رضوانه عز وجل، وورد في آية كريمة أخرى ﴿مَّن ذَا الَّذِى يُقْرِضُ اللَّه قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٤٥].

الإنفاق بين الدوافع والموانع

إن علينا أن نعي بأن نفس الإنسان قد تمنعه عن الإنفاق تحت هاجس نقص المال، وهذا ما عبرت عنه الآية الكريمة بشحّ النفس وحذرت من هذه الحالة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[سورة الحشر، الآية: ٩].

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: «الجود من كرم الطبيعة»[١] وفي قول آخر عنه عليه السلام: «الكريم يبهج بفضله واللئيم يفتخر بملكه»[٢] فالشخص الكريم يبتهج بالإنفاق على أوجه البر بخلاف اللئيم. إن الإنسان الواعي الذي يحمل رؤية واضحة وروحًا سليمة يفرح بالعطاء، قال علي عليه السلام: «مسرة الكرام في بذل العطاء»[٣].

إن معادن الناس إزاء مبدأ الإنفاق والعطاء ليست واحدة. نجد ذلك واضحًا عندما تعرض على أحدهم مشروعًا خيريًا يحتاج بعض الإنفاق فيشعر بالضيق ويحسسك

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ٤٢١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٤٣.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم.

بأنك قد أثقلت عليه، وخاصة إذا تعدد عليه الطرح، بينما وعلى العكس من ذلك تجد الواعين الذين يتعاطون مع طلبات المساهمة في المشاريع الخيرية وكأنها فرص استثمارية نادرة تنزل عليهم من السماء.

ولعل السؤال الملحّ هنا؛ ماذا يفعل الإنسان بالمال إذا لم ينفق في سبيل الله، وماذا ينفع الهوس بالأرقام وارتفاع الأرصدة وهي نائمة في الحسابات البنكية؟!. على العكس من ذلك حين ينفق المرء فهو يكسب راحة النفس، ومحبة القلوب، ورضا الرب عز وجل، ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول العبد: مالي مالي وإنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس»[1].

وسأل النبي أصحابه ذات مرة: «أيكم مال وارثه، أحب إليه من ماله؟ قال: قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله، أحب إليه من مال وارثه. قال: اعلموا أنه ليس منكم أحد إلا مال وارثه أحب إليه من ماله، مالك من مالك إلا ما قدمت، ومال وارثك ما أخرت»[2]. فالمال الذي تركته هو ليس لك بل لوارثك.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «أتى رجل النبي فقال يا رسول الله: أي الناس أفضل إيمانًا؟ قال: أبسطهم كفًا»[3]. وقال عليه السلام: «السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار»[4].

وحينما نتحدث عن البذل والعطاء لا نتحدث عن فئة الأغنياء فقط، وإنما نعني بذلك كل إنسان بحسب وسعه. حيث يتصور بعض الناس من ذوي الدخل المحدود

(١) صحيح مسلم، ح ٢٩٥٩.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٢، ح ٣٦٢٦.

(٣) الكافي، ج ٨، ص ٤٠.

(٤) مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ١٣.

بأن هذا الكلام إنما يخص ذوي الثروات والأموال الطائلة، هذا غير صحيح فكل ينفق من سعته. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه»[١] وقال: «جود الفقير أفضل الجود»[٢]، فعلى كل إنسان أن ينفق على أوجه البر حسب استطاعته.

إن على الإنسان أن يدرب نفسه على البذل والعطاء. وذلك بالإنفاق على أقاربه وذويه، والمحتاجين في مجتمعه، وما يخدم الدين، وما أحوج مجتمعنا إلى العطاء والبذل، خاصة في الوقت الحاضر، حيث تبدو الآفاق أرحب من حيث إمكانية إنشاء المشاريع الدينية والاجتماعية المختلفة، من قبيل بناء المساجد والحسينيات، وطباعة الكتب، وإنشاء المؤسسات الدينية والاجتماعية، وما إلى ذلك من مشاريع البنية التحتية الاجتماعية التي لا تزال هشة وضعيفة، وهي أحوج ما تكون للمال.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المنفقين والمعطائين وممن يبارك لهم في أرزاقهم.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٦٧.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم.

الانتخابات والتنمية السياسية

ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «وَ لَيْسَ امْرُؤٌ وَ إِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ وَ لَا امْرُؤٌ وَ إِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَ اقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ»[1].

إن العمل والمشاركة في الشأن العام ليست حكرًا على فئة اجتماعية دون أخرى، وهي بذلك ليست مقصورة على القيادات أو النخب. فلا ينبغي أن يكون الشأن العام حكرًا على من يتصدى للقيادة فقط، أو على النخب العاملة في هذا المجال، بل إن عامة الناس لا يستغنى عنهم وعن دورهم في هذا الشأن، ومهما رأت القيادات في نفسها القدرة والكفاءة إلا أنها (ليست بفوق أن تعان على ما حملها الله) كما يقول الإمام علي.

إن عامة الناس، حتى العاديين منهم، لا يجوز تجاهلهم ولا يستغنى عن دورهم في الشأن العام، ووفقًا لتعبير أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولا امرؤ وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه». إن كلمة الإمام تُعدّ تأسيسًا ودعمًا لضرورة المشاركة المفتوحة في الشأن العام، وهذا هو بالضبط تجسيد لمفهوم الديمقراطية الذي تبلور لاحقًا لدى الشعوب المتقدمة، حيث تدار شؤون الناس

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

من خلال المشاركة العامة، ومفتاح تلك المشاركة هي العملية الانتخابية على كافة المستويات بدءًا من المجالس البلدية والبرلمانات وصولًا إلى انتخاب رؤساء الدول.

إن العملية الديمقراطية التي تجري في دول العالم تعتبر أفضل صيغة وصل إليها المجتمع البشري في الإدارة للشأن العام، وهي برغم الثغرات، تبقى الصيغة الأفضل حتى الآن، وتضل مع ذلك قابلة للتطوير ما دامت عقول البشر قادرة على التفكير والإبداع. وتبعًا لذلك تقضي هذه الصيغة بأن يكون لكل مواطن ضمن سنّ معين حق المشاركة في الشأن العام ترشحًا و ترشيحًا، وأن ينتخب من يراه مناسبًا للمناصب العامة على جميع الصّعد والمستويات.

وظيفة العملية الانتخابية

إن مفتاح العملية الديمقراطية هي الانتخابات وصناديق الاقتراع، والانتخابات لها مهمتان، أولاهما انتخاب ممثلي الشعب؛ لأنه لا يمكن أن يجلس جميع الناس على طاولة واحدة وفي مكان واحد لاتخاذ القرارات، فالناس إذًا بحاجة إلى إبراز واختيار من يمثلهم للقيام بذلك الدور.

وثانيها تحقيق وتفعيل المشاركة السياسية في إدارة الشأن العام، وقد بدأت هذه المسيرة على نحو خجول في العديد من المجتمعات الإسلامية والعربية، التي لم تكن ضمن هذا النطاق حتى وقت قريب.

إن نجاح أي عملية انتخابية يقاس بحسب مستوى فاعلية الناخبين فيها، ولهذا تهتم البلدان بإبراز مستوى ونسبة المشاركة في الانتخابات كدلالة على أن الشعب متفاعل مع الواقع السياسي الذي يعيشه، فإذا كانت نسبة المشاركة عالية، دلّ ذلك على تفاعل ورضا الشعب، وإذا كانت النسبة متدنية فهذا يعني أن هناك مشكلة وخللًا، فالشعب يبعث من خلال المقاطعة وقلة الإقبال رسالة سياسية إلى الواقع السياسي؛ لأن العزوف عن المشاركة في الانتخابات في بعض الأحيان يقصد منه إيصال رسالة

سياسية للواقع السياسي أكثر من أي شي آخر.

شروط التفاعل الانتخابي

إن تفاعل أي شعب من الشعوب مع العملية الانتخابية رهن بأمرين، جدية تلك العملية، وتنافس القوى داخل المجتمع. فإذا لم يلمس الناس جدية أي عملية انتخابية وفاعليتها، وانعكاس ذلك على حياتهم، فمن الطبيعي أن يعرضوا عنها. والأمر ذاته ينطبق على العامل التنافسي بين القوى المجتمعية، فالانتخابات التي تشارك فيها قوى متعددة ومتنوعة تكون حامية الوطيس؛ لأن كل جهة تسعى من أجل إقناع الناس ببرنامجها الانتخابي، وتحثهم على التصويت لصالحها، بينما إذا غابت تلك القوى عن التنافس العام، ظهرت تلك العملية الانتخابية وكأنها تنافس فردي من الصعب أن يجد تفاعلًا مقبولًا من القطاعات الأوسع من الشعب.

لقد شهدت الانتخابات البلدية التي جرت في المملكة مؤخرًا عزوفًا لافتًا من الناخبين، نظرًا لغياب الحماس الداخلي، وخيبة الأمل التي سيطرت على الناس، جرّاء جمود الإصلاحات السياسية. وبالرغم من دعوتنا للمشاركة في الانتخابات البلدية، إلّا أننا ندرك جيدًا المبررات التي أدت لمحدودية الإقبال، وعزوف الناخبين، مقارنة بالانتخابات الماضية عام ٢٠٠٥. وبدا ذلك واضحًا ومنذ وقت مبكر، فالإقبال على التسجيل في قيد الناخبين كان ضعيفًا، وإقبال الناس على الترشح جاء أقل من السابق، ومشاركة القوى أيضًا كانت ضعيفة، وحتى القوى التي شاركت لم تعمل بكل طاقتها لغياب الحماس.

ولعل أحد تفسيرات هذا العزوف الكبير عن المشاركة الانتخابية يعود للتوقعات والآمال التي علقها الناس في وقت سابق على المجالس البلدية، واعتبار ذلك خطوة باتجاه إصلاحات أكبر، فضلًا عن التوقعات بتطوير نظام المجالس البلدية وزيادة صلاحياتها وهو ما لم يحدث، الأمر الذي دفع إلى هذا المستوى من العزوف.

إن العزوف اللافت للعملية الانتخابية يُعدّ رسالة سياسية ينبغي أن تتفهمها الجهات المعنية. إن العالم سيقرأ هذا العزوف عن الانتخابات البلدية باعتباره مؤشرًا على أن عامة الشعب غير متفاعلين مع واقعهم السياسي، وأن هذه الانتخابات الجزئية لا تمثل طموحهم وتطلعاتهم، وهذا ما يعني ضرورة تفهم هذه الرسالة، ومعالجة هذا الأمر حتى تتسع رقعة المشاركة، ويكون تفاعل الشعب على نحو أكبر.

تقدير المشاركين في الانتخابات

ومع ذلك، نتقدم بالشكر لجميع الإخوة المرشحين الذين دخلوا السباق الانتخابي، فهم أعلنوا استعدادهم لخدمة مجتمعهم. فكلنا يعلم أن عضوية المجلس البلدي ليست منصبًا كبيرًا، ولا يحظى عضو المجلس بأي امتيازات تذكر، بل على العكس من ذلك، غالبًا ما يكون عضو المجلس في موضع المسائلة والعتاب والملامة. إن المرشحين الذي قرروا الدخول في السباق الانتخابي إنما أعلنوا عن استعدادهم لخدمة مجتمعهم، فهم بذلك يستحقون الشكر.

نتوجه بالشكر لجميع المرشحين لتصديهم لهذا المهمة، رغم الظروف السلبية المعاشة، وأجواء الإحباط السائدة، والشكر موصول كذلك للفرق الانتخابية التي عملت مع المرشحين. وفي الوقت الذي نتفهم فيه وجهة نظر المقاطعين للعملية الانتخابية، وندرك مبرراتهم، نشكر في ذات الوقت جميع الذين عملوا وشاركوا بجهدهم التطوعي في العملية الانتخابية، والناخبين الذين توجهوا للإدلاء بأصواتهم لانتخاب من يرون فيه الكفاءة.

نأمل أن تكون المجالس البلدية القادمة مجالس نشطة وفاعلة، فالمنتخبون من أبناء هذا الوطن وقد حازوا ثقة ناخبيهم، فيهم الخير والبركة، أما المرشحون الذين لم يحالفهم الحظ، فهذه العملية الانتخابية ليست نهاية المطاف، فمجالات خدمة المجتمع متعددة.

ونبارك للأعضاء المنتخبين لعضوية المجالس البلدية، ونأمل من الجميع أن يتعاملوا بروح رياضية طبقًا للتقاليد الديمقراطية. علينا تقديم التهنئة للفائزين، وأن نتمنى لهم التوفيق في مهمتهم تمامًا كما يجري في المجتمعات المتقدمة الأخرى، فمهما اشتد التنافس بين مختلف الأطراف والقوى إلا أنهم في نهاية السباق الانتخابي يتقدمون بالتهنئة لبعضهم بعضًا، ويباركون فوز منافسيهم، بل ويعرضون مساندتهم بمنتهى الإيجابية.

نأمل أن يتجاوز الجميع الحساسيات فكلنا أبناء وطن واحد، ونسعى لخدمته، ونرجو للفائزين التوفيق، ونسأل الله تعالى أن يكون المستقبل خيرًا من الماضي بعون الله.

الخطبة الأولى

الاهتمام بالسلوك الاجتماعي

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[سورة التوبة، الآية: ٧١]

إن الالتزام بالقيم الأخلاقية وحسن السيرة والسلوك، ليس واجبًا فرديًا يحققه الإنسان في حدود حياته الخاصة، بل هو مهمة اجتماعية لتحقيق الإصلاح العام.

إن من صميم مسؤوليات الإنسان المؤمن ذكرًا كان أم أنثى، أن يسعى لكي يكون المجتمع كله ملتزمًا بالقيم، ويكون كل أفراده ملتزمين بحسن السيرة والسلوك. صحيح أن الفرد المسلم مسؤول بالدرجة الأولى عن نفسه، لكن ذلك لا يعني الوقوف ضمن حدوده الذاتية، وبمعنى آخر لا يصح أن يكون لا مباليًا أو غير مهتم بالسلوك العام في مجتمعه، بل عليه السعي لإصلاح غيره.

ضمن هذا السياق جاءت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما هي سائر الفرائض الدينية، بل تشير النصوص بأن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لها أولويتها على سائر الفرائض، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وَ مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ»[1]، وورد في رواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء فريضة تقام بها الفرائض

(١) نهج البلاغة. حكمة ٣٧٤.

وتأمن المذاهب وتحل المكاسب وتردّ المظالم وتعمر الأرض وينتصف من الأعداء ويستقيم الأمر»[١].

والمعروف لغة هو كل ما دعا إليه الشرع وأمر به، واجبًا كان أو مستحبًا، وكل ما كان مفيدًا لبني البشر على مستوى الأفراد أو المجتمع، وأما المنكر فهو كل ما نهى عنه الشرع سواء على مستوى التحريم أو الكراهة، وكل ما كان سيئًا في حياة الفرد أو المجتمع. وبهذا فكل فرد في المجتمع مسؤول عن التبشير بسلوك الخير والصلاح، وأن يدعو له، ولا يكتفي بالالتزام والتطبيق ضمن حدوده الشخصية.

احترام خصوصية الأفراد

هناك خط رفيع بين مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، وبين حرية الإنسان في التصرف ضمن حياته الخاصة. لقد تعمق في عصرنا الراهن مفهوم احترام الخصوصيات الفردية، وأن لكل إنسان الحرية في التصرف ضمن حياته الخاصة، وعدم أحقية أحد في التدخل في شؤونه الشخصية.

من المهم في هذا الاطار أن نرفع اللبس القائم لدى البعض بين احترام خصوصية الافراد، وبين واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمع الإقرار التام بحرية الانسان في التصرف ضمن إطار حياته الخاصة، لكن دعوة الآخرين إلى ما فيه مصلحتهم يبقى أمرًا محبذًا عقلًا وشرعًا. ولعل ذلك هو سبب الدعوات المستمرة لأن يحترم عامة الناس القوانين العامة وأن يلتزموا بها، كما تدخل في ذات السياق قضايا الصحة العامة، ونظافة البيئة، ذلك لأن هناك تداخلًا جوهريًا بين الخاص والعام في حياة الناس، كذلك يمكن القول إن إرتكاب السيئات لا يؤثر على مرتكبيها وحسب وإنما يترك اثره كذلك على المحيط الاجتماعي.

---

(١) الكافي. ج٥، ص٥٦.

الانطلاق من المحبة

وعلاوة على ما سبق تتسم العلاقة بين الأفراد في المجتمع المسلم بخصوصية مهمة، فالإسلام يرى أن هناك علاقة وطيدة بين أبناء هذه الأمة بصريح الآية الكريمة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[سورة التوبة، الآية: ٧١]، والولي هنا هو المحب والناصر، وكأن هذا المقطع من الآية يؤسس لمسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالمسلم عندما يأمر أخاه المسلم بالمعروف وينهاه عن المنكر، فإنما ينطلق من أرضية المحبة لأخيه، إنه يحب أخاه المسلم، وهو ناصره ومعينه على تجاوز الجوانب السيئة في شخصيته، لذلك فهو ينبهه لتجنب الوقوع في الأخطاء.

ذلك يشبه تمامًا حينما ترى إنسانًا يوشك أن يقع في حفرة فتحرص على تنبيهه حتى لا يقع فيها، فهذا لا يُعدّ تدخلًا في شؤونه الخاصة بأي صورة من الصور، بل هو تدخل فيه مصلحة وفائدة له. من هنا لا بُدّ من نشر ثقافة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفق الأساليب المحببة والمناسبة، التي تجعل الطرف الآخر يستجيب للأمر ويرتدع بالنهي.

اختيار الأسلوب المناسب

إن تخير الأسلوب المناسب من حيث الطريقة والطرح أمر أساس في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلا صحة لأي أسلوب فظ ينال من كرامة وشخصية الآخرين لمجرد خطأ ارتكبوه، حتى لو كان ذلك الأسلوب بزعم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذلك ما يأتي بنتائج عكسية.

إن عماد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائم على الكلمة الطيبة، وكما ورد في الحديث عنه ﷺ «الكلمة الطيبة صدقة»[١]، فإذا كان عند إنسان خطأ معين، ورأى

(١) صحيح البخاري. حديث ٢٩٨٩.

عددًا ممن حوله يوجهونه لخطئه بالحسنى والكلمة الطيبة، فذلك مما سيؤثر فيه حتمًا، وبعبارة أخرى يصنع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوًّا يتنبه فيه الإنسان المخطئ إلى خطئه، دون أدنى شعور بخدش في شخصيته أو جرح لكرامته.

ولنا أن نتذكر في هذا المقام ما ورد في الرواية حينما رأى الحسنان عليهما السلام شيخًا يتوضأ وضوء خطًا فاحتكماه في وضوئهما حتى يتنبه لخطئه. إن مسلكًا على هذا النحو يشبه تمامًا كما لو رأينا قائد سيارة يقود في الاتجاه المعاكس للطريق، فسنستنكر كما يستنكر الآخرون، فيتنبه بذلك السائق إلى خطئه، فلعله كان مشتبهًا، فالإسلام يريد من الناس أن يمارسوا ذات الأسلوب في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فمن يخطئ ويتهاون في واجب فجميع من حوله معنيون بلفت نظره إلى ذلك الخطأ. ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده ما أنفق الناس من نفقة أحب من قول الخير »[١].

من تطبيقات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن بعض موارد تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتبط بالسلوك الاجتماعي العام، سواء كان ذلك الأمر واجبًا أم مستحبًا أم محرمًا أم مكروهًا. فلو تحمل كل واحد منا مسؤولية تشجيع من حوله على حضور صلاة الجماعة مثلًا، لكانت المساجد عامرة بالهدى كما هي عامرة بالبناء. من هنا فنحن بحاجة إلى حملة دائمة لتشجيع الناس على حضور صلاة الجماعة، ولتجاوز حالة التهاون والتكاسل التي تمنع كثيرين من حضور الجماعة، فليس من المقبول أن نجد مسجدًا يتسع لألف مصلٍّ ثم لا نرى فيه إلا العشرات من المصلين، إن هذه المسألة تدخل في صميم المسؤولية الاجتماعية التي تقع على عاتق الجميع.

كما أن من تطبيقات الأمر بالمعروف الاهتمام بالحقوق الشرعية، فنحن نعرف بعض الأشخاص يأتون ليدفعوا الحقوق الشرعية مدفوعين بتشجيع من بعض أقربائهم

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٣١١.

أو أصدقائهم، إن الأسلوب اللبق الحسن، هو ما يجعل منا شركاء في فعل الخير، فنكون سببًا في تطهير مالنا ونمائه. نحن نتحدث مع أصدقائنا في أمور جانبية كثيرة، ونشجع بعضنا بعضًا على أمور هامشية كالسفر سوية مثلًا، فلماذا لا نشجع بعضنا بعضًا على أمور هي أهم من ذلك بكثير، فلا يجب أن نستهين بذلك حتى لو كانت استجابة بعض الأطراف متواضعة في بعض الأحيان.

وعلى غرار ما سبق يتساوق النهي عن العنف الأسري، وسوء المعاملة داخل الأسرة مع النهي عن المنكر. إن قضايا العنف الأسري يفترض أن تنال قسطًا وافرًا من اهتمامنا، فإذا ما بلغ أحدنا أن هناك من يسيء معاملة زوجته أو عائلته، فلا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي، بل المطلوب المسارعة في الحديث معه ولو على نحو غير مباشر، كأن ترشده لقراءة موضوع يتناول هذه القضية، كما تبين له اشمئزازك من هذا التصرف، حتى يتنبه لخطئه، ذلك لأن كثيرًا من النفوس مجبولة على الطيبة بطبعها ولا تحتاج سوى إلى تذكير فقط، فلا يجوز أن نتكاسل ونبخل على أنفسنا وغيرنا بقول كلمة الخير، يقول تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[سورة الذاريات، الآية:٥٥].

وينطبق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك على مسألة الاهتمام بالذوق العام ونظافة البيئة. إن مما يدعو للاسف أن تجد شخصًا يفتح نافذة سيارته ويلقي ببعض الأوساخ في الطريق العام!، ذلك منتهى الاستهتار وقلة الذوق، كما أنه خلاف نظافة البيئة، أضف إلى ذلك استمرار كتابة العبارات السيئة والبذيئة على جدران المدارس والمنازل من قبل العابثين، يأتي جميع ذلك مع شديد الأسف في ظل ازدياد مفترض في ثقافة الناس، ومعرفتهم بالسلوكيات غير الحضارية، فمن واجبنا أن نتصدى لهذه الظواهر وأمثالها.

إن من واجبنا أن نولي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قسطًا وافرًا من اهتمامنا، وأن نبعد عن أذهاننا بأنها فريضة عديمة الجدوى والتأثير، فالأفكار التي تروج على نحو إيجابي تترك أثرها حتمًا في الواقع الاجتماعي.

حادث العوامية والتعبئة الطائفية

عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»[1].

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على الجزيرة العربية بالأمن والاستقرار فور بزوغ الرسالة الإسلامية، غير أن الشيطان وجنوده ظلوا عبر الزمن، وحتى وقتنا الراهن يجهدون في إثارة الفتنة في أرض الجزيرة. لقد كان الناس في جزيرة العرب قبل الإسلام يعيشون حياة سيئة، وكان من أبرز سمات الانحطاط فيها عبادة الأصنام، إلى جانب الاحتراب الدائم، والنزاع المستمر فيما بينهم، كما يظهر ذلك تاريخ ما قبل الإسلام. وبعد جهود كبيرة بذلها الرسول الأكرم ﷺ ترك أهل هذه المنطقة عبادة الأصنام، وأصبحوا يعبدون الله عز وجل، كما توحدوا وأصبحوا أمة واحدة ألفّ الله بين قلوبهم، بعد أن كانوا قبائل متفرقة متناحرة، يقول الله عز وجل ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

يمكن القول إن خطر الوثنية قد زال تمامًا من الجزيرة العربية، وقد ذهب إلى غير رجعة، غير أن خطر الاحتراب والنزاع لا زال خطرًا ماثلًا. فقد ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه مسلم عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنَّ

(١) صحيح مسلم حديث رقم٢٨١٢.

الشَّيطانَ قد أيِسَ أن يعبُدَه المصلُّونَ في جزيرةِ العربِ ولَكنْ في التَّحريشِ بينَهم». وهذا الحديث يظهر بجلاء أن خطر الوثنية وعبادة الأصنام قد زالت إلى غير رجعة من الجزيرة العربية، لكن الحديث الشريف يشير من جانب آخر إلى أن حالة النزاع والاحتراب والاختلافات لا تزال خطرًا ماثلًا.

إن من الصحيح القول بأن هذا المجتمع نجح في صنع وحدة اجتماعية وسياسية فريدة على يد رسول الله ﷺ، لكن الصحيح أيضًا بأن الشيطان وجنوده الآدميين ليسوا في وارد ترك المجتمع المسلم يعيش بسلام، بل سيسعون بمختلف السبل لإعادة الحياة في هذه المنطقة إلى ما كانت عليه من نزاع واحتراب، وهذا ما حصل في فترات متعاقبة من تاريخ هذه المنطقة، وتحت عناوين مختلفة.

إن الحديث الشريف يحذرنا على نحو واضح بألّا نغفل عن مواجهة خطط وألاعيب الشيطان، الذي يسعى جاهدًا لإيقاع النزاع والشقاق بين أبناء المجتمع المسلم، حتى في جوار بيت الله الحرام ومنبع الإسلام، لقد تضمن الحديث رسالة واضحة تحث على اليقظة الدائمة وعدم النوم على حرير الأمل، فالشيطان سيسعى دومًا (للتحريش بينهم) يعني في إثارة البغضاء والضغائن بين سكان هذه المنطقة.

قيام الدولة السعودية

لقد استمرت حالات النزاع والمناوشات بين القبائل إلى عهد قريب سبق قيام الدولة السعودية، التي وحدت أطراف الجزيرة العربية، فكان ذلك هو التطور السياسي الأبرز في تاريخ هذه المنطقة. من هنا وجب التفكير دائمًا في حفظ هذه الوحدة، والحرص على أن يعيش الناس في هذه المنطقة متآلفين متحابين، يعاضد بعضهم بعضًا، ويشعرون بانتمائهم الواحد إلى بلادهم ووطنهم، وهذا ما يستلزم نشوء مناهج وبرامج لتعزيز المواطنة، وتحقيق مسألة الاندماج الوطني، حتى لا تكون هناك إثارات يمكن أن تعود بالبلاد إلى مرحلة الخلافات والاحتراب القبلي. إن هدفًا نبيلًا من هذا

القبيل يتطلب وجود مناهج تعليمية تربي الأجيال في هذا الوطن على التآلف والمحبة، فلا يصح أبدًا أن نسمح بوجود ما يثير البغضاء والشحناء بين الطلاب وهم يدرسون في نفس المدرسة، فوجود إثارات طائفية في مناهج التعليم يعني أننا نبذر بذور البغضاء في نفوس هذا الجيل.

وكذلك الأمر على مستوى الإعلام، فوسائل الإعلام ينبغي أن تهتم بنشر ثقافة الوحدة والتآلف، وتذكير الناس بما يجمعهم، والإشارة إلى سيرة نبينا محمد ﷺ وسعيه الدؤوب إلى التأليف بين القلوب، وتجاوز الخلافات السابقة، فقد كان يغضب من كل من يثير نعرة من نعرات الجاهلية فيردد «ما بالُ دَعوى جاهليةٍ ... دَعوها فإنها مُنتِنَةٌ»[١]. ينبغي أن تنحى وسائل الإعلام باتجاه وأد الفتن، ونزع فتيل الأزمات بين مختلف مكونات المجتمع، حتى لا تعود بلادنا القهقرى.

التعبئة الطائفية تحريش شيطاني

إن مسؤولية الحفاظ على الوحدة وتأكيد التآلف داخل المجتمعات مسؤولية مناطة بالجميع. تتساوى في هذا السياق أجهزة الدولة، والمؤسسات الدينية، والمثقفون الواعون. إن الجانب الديني المتمثل في الفتاوى والخطب الدينية ينبغي أن يعطي الوحدة بين المواطنين واندماجهم أهمية قصوى، ولو لم يكن من أمر سوى تحصين أبناء المجتمع من وساوس الشيطان، وسعيه للتحريش بين الناس عامة، وبين ساكني الجزيرة العربية بصورة خاصة، على حدِّ قول النبي الأكرم ﷺ لكفى.

على النقيض من ذلك، لا زلنا نشهد مع بالغ الأسف سعيًا للتعبئة بين المواطنين، وخاصة التعبئة الطائفية. ثمة من يسعى دائمًا لإثارة مواضع النزاع والتفريق بين المواطنين، وتشكيكهم في بعضهم بعضًا، وهذا مسعى يتطابق تمامًا مع أغراض الشيطان، فهؤلاء الذين يحرضون ويعبئون المواطنين طائفيًا ومذهبيًا إنما يحققون

---

(١) صحيح البخاري، حديث ٤٩٠٥ .

أهداف الشيطان، حتى إنك تجد هؤلاء سريعي الإستجابة لأي حدث طائفي أو مذهبي يقع في أي منطقة من مناطق العالم الإسلامي، بحيث يجرون نار المعركة الطائفية إلى بلادنا. فأين ما وقع حدث له بُعد طائفي في لبنان، أو العراق، أو البحرين، فإنك ترى الأصداء الطائفية تتردد هنا بسرعة البرق، حيث يستغله دعاة الكراهية في تعبئة المواطنين ضد بعضهم بعضًا.

إن وقوع أحداث سياسية في مختلف البلدان بين القوميات والطوائف والمذاهب المختلفة، ينبغي أن يكون دافعًا لنا لحفظ وحدتنا على نحو أفضل، لا أن نستورد تلك الأخطار إلى بلادنا. وينسحب ذات الأمر على بعض الأحداث الداخلية التي تجري في بلادنا بين الحين والآخر، فإندلاع المشاكل في مختلف المناطق، وبين مختلف القبائل والطوائف، يكاد يكون أمرًا عابرًا، فلماذا تفسر ذات الأحداث على نحو طائفي وسياسي مبالغ فيه عندما تجري في منطقة يقطنها المواطنون الشيعة مثلًا، فتنطلق إثرها حالة من الهياج والتعبئة الطائفية الكريهة.

ما جرى في العوامية حدث محدود

وكنموذج على ما سبق، ما جرى من حدث محدود في بلدة العوامية في محافظة القطيف من اشتباك بين رجال الأمن وبعض الأشخاص، حيث قوبل هذا الحدث بتهويل كبير، وتشكيك طائفي ومذهبي، واتهام المواطنين بالولاء لبلد آخر!.

إن ممارسة العنف مدانة، ولا أحد يغطّي العنف، لا ضد المواطنين ولا ضد رجال الأمن، ولا أحد من علماء الشيعة ولا في فكر الشيعة الدعوة للعنف، بل إن علماءنا تحدثوا كثيرًا حول العمل السلمي، واللا عنف، والعالم كله يعرف أن الثورة الإسلامية حينما قامت في إيران وأنزل الشاه المخلوع جيشه إلى الشوارع، أمر الإمام الخميني الشعب بأن ينثروا الورود على دبابات الجيش، ولم يسمح لهم باستخدام العنف، وفي ذات السياق ألفّ المرجع الراحل السيد الشيرازي أكثر من كتاب، بخلاف عشرات

المحاضرات التي تحدث خلالها عن نبذ العنف وتأكيد النهج السلمي، وهكذا سائر علماء الشيعة. فالعنف مدان، لا نقبل به ونرفض استخدامه تجاه أي كان.

إن حدث العوامية كان يجب أن يكون سببًا لوحدة المواطنين والتفافهم أكثر حول بعضهم بعضًا، بتأكيدهم على الأمن والسلم، ومعالجة المشاكل بالحوار والطرق السلمية. غير أن المسيء في الأمر استغلال هذا الحدث في تأجيج الطائفية.

ومن المؤسف أن التصريح الرسمي حول هذا الحدث، هو الذي أعطى الضوء الأخضر لهذه التعبئة الطائفية، فقد كان واضحًا أن بعض عبارات بيان وزارة الداخلية حملت ضوءً أخضرَ للبدء بهجوم وحملة طائفية تستهدف المواطنين الشيعة. إن هذا ليس في مصلحة الوطن، وله انعكاسات سلبية، وقد فتح الباب واسعًا ومنح فرصة لوسائل الإعلام العالمية والإقليمية للحديث حول الموضوع، لأن البيان طرح الحدث في اطار بالغ من التهويل والتشكيك الطائفي والمذهبي، حتى بلغ حدّ الاتهام بالولاء لدولة أخرى ومرجعياتها. إن هذا الاتهام وإن لم يعمم على جميع المواطنين من أهالي المنطقة، لكنه كان كضوءٍ أخضر لتوجيه الاتهامات والتشكيك في ولاء هؤلاء المواطنين، بالنظر إلى وجود أرضية مهيأة أصلًا، فجاءت هذه العبارة لتعطي فرصة للمتعصبين ليبدأوا حملتهم الطائفية.

التوظيف الطائفي للحدث

ليس من مصلحة الوطن التعاطي على نحو مبالغ مع أي حدث عابر كحدث العوامية، بل السليم هو أن يعالج كأي حدث آخر، يُحقق فيه وتعالج خلفياته، ويعاقب المخطئ بعد ذلك.

إن رجال الأمن يتعرضون خلال عملهم لحوادث أمنية على مدار العام، فيقع من بينهم العشرات بين قتيل وجريح كما تشير إلى ذلك الصحف اليومية، فلا ينبغي أن تتحول حادثة محدودة إلى قضية طائفية. نحن ومع إدانتنا القاطعة لأي اعتداء

على رجال الأمن، إلا أننا ندين في الوقت نفسه إسباغ الأبعاد الطائفية على هذا النوع من الأحداث. وعلى غرار ذلك، نرفض رفضا قاطعًا حالة التعميم التي يقابل بها المواطنون الشيعة في كل مرة، فمع وقوع أي حدث من قبل أحد من الشيعة في الداخل أو الخارج، يطالب وجهاء الشيعة وخطباؤهم ومثقفوهم بأن يعلنوا ولاءهم وتبرؤهم!، وكأن الشيعة مدانون ويقبعون في قفص الاتهام دائمًا.

والسؤال هنا؛ لماذا تتعاملون معنا كالمجرم الذي عليه أن يسجل حضوره كل يوم في مركز الشرطة؟

نحن لا نقبل هذا الأسلوب البغيض. ولنا أن نسأل في مقابل ذلك، لماذا حينما تحصل إساءات للمواطنين الشيعة لا يطالب هؤلاء أنفسهم بأن يتكلموا عنها، فقد تحدث ذات مرة إمام عينته الدولة للمسجد الحرام معلنًا بكل صراحة عن تكفيره المسلمين الشيعة وخصّ علماءهم بالتكفير، فلماذا لم نجد أي إدانة له في أوساطكم؟ لماذا سكت العلماء والدعاة والمثقفون والإعلاميون إلا قلة من الواعين الذين تحدثوا حول هذا الموضوع؟ لماذا لا تدينون هذا التكفير؟

ولماذا تسكتون حينما يمنع بعض الشيعة من إقامة صلاة الجماعة في مناطقهم؟ أيها الإعلاميون والكتاب والدعاة الذين تطالبوننا كل يوم بأن نتحدث ونثبت اهتمامنا بالوحدة والولاء، لماذا لم تتحدثوا أنتم حول هذا الموضوع؟ هناك مواطنون يريدون أن يصلوا جماعة في مناطقهم فيمنعون! أليس هناك رجل رشيد، عالم، داعية، مثقف يحتج ويقول بأن هذا خطأ ولا ينبغي أن يكون؟

بل الأدهى، لماذا يمنع الشيعة في بعض المناطق من اتخاذ مقابر لدفن موتاهم، فيضطرون لنقل جثامين ذويهم مسافات بعيدة حتى يدفنوا؟ هل هذا صحيح؟ ولماذا يحرم الشيعة من بعض الفرص الوظيفية فتسكتون؟ لماذا لا تتكلمون يا علماء السنة والجماعة؟

لماذا يسمح بدخول جنازة كل ميت مسلم إلى المسجد النبوي الشريف من أي بلد كان ولا يسمح الدخول بجنازة المواطن الشيعي إلى المسجد؟ وقد رأينا قبل أشهر كيف حرمت جنازة أكبر علماء الشيعة في المدينة المنورة وهو الراحل الشيخ محمد علي العمري من الدخول إلى المسجد النبوي!. فلماذا لا تتكلمون يا من تطالبون الشيعة كل يوم بإعلان رأيهم تجاه كل قضية؟ فإذا تحدث شخص ما في لندن طولبنا بالرد عليه، أو قامت مجموعة محدودة بحدث أمني في منطقة وجبت علينا الإدانة!، والسؤال، ماذا عنكم أنتم ولماذا تسكتون؟ فالوحدة الوطنية لا تحمى من طرف واحد وإنما يجب أن يتعاون من أجلها الجميع.

ندين استخدام اللغة الطائفية والكيل بمكيالين، وندعو إلى التعامل مع الأحداث بحجمها وضمن إطارها الصحيح. نحن ضد الإثارات الطائفية والمذهبية ضد أي فئة من المواطنين، فكلنا مواطنون، ننتمي إلى هذا الوطن، وشركاء فيه، ويهمنا أمنه، فانفراط الأمن ضرره على الجميع. إن أهم نعمة أنعمها الله علينا هي نعمة الأمن والأمان، لذلك ندين أي عمل عنف تجاه أي مواطن أو رجل أمن أو مؤسسة حكومية أو أهلية، فذلك أمر مدان وينبغي أن نلتف حول هذا الموقف، لكننا في نفس الوقت ندين الأسلوب الطائفي في التعاطي مع الأحداث التي تقع في منطقتنا، يجب أن يتوقف هذا التوجه في إثارة التعبئة الطائفية المذهبية، وإلا فالضرر ليس على الشيعة وحدهم، بل هو على الجميع الدولة والوطن، كما أنه يفتح منافذ يستغلها الأجانب والأعداء.

نسأل الله أن يصلح ما فسد من أمور المسلمين.

الخطبة الأولى

الغنى والثراء النفسي

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الغنى من كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس»[1].

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: فقر النفس شر الفقر»[2].

لا يقتصر مفهوما الغنى والفقر على الجانب المادي الاقتصادي في حياة الأفراد، وإنما يرتبطان على نحو وثيق بالجانبين المعنوي والروحي للأشخاص، كما تشير لذلك النصوص الإسلامية.

الغنى والفقر في الأصل مصطلحان اقتصاديان، يرتبطان بمدى امتلاك الإنسان للثروات والإمكانات المادية، فإذا كان الفرد يمتلك مستوى من الإمكانات المادية يوصف حينها بالغنى، أما إذا لم يكن يمتلك تلك الإمكانات ينعت بالفقر، ذلك هو المعنى اللغوي والاقتصادي للغنى والفقر، إلا أن الثقافة الإسلامية نقلت هذين المصطلحين إلى ميدان التربية والأخلاق، فتحدثت عن غنى وفقر النفوس، لا فقر المال فحسب. فهذه النصوص توجهنا وترشدنا إلى أن هناك ثروات روحية معنوية يمتلكها بعض الناس ويفتقر لها آخرون. من هنا ينبغي أن يحرص الإنسان على امتلاك الثروات المعنوية أكثر من أي شي آخر، فهي الأهم بالنسبة لشخصية الإنسان.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٦٠.

(٢) غرر الحكم. حكمة ٢٩٦٥، ٦٥٤٧.

لا تناقض هنا بين غني النفس وغنى المال، فليس معنى الثراء المعنوي الروحي أن يكون الإنسان فقيرًا معدمًا، ولكن المقصود أن تكون الأولوية عند الإنسان لاكتساب الثروات الروحية والإمكانات المعنوية، وإذا ما حصل على الإمكانات المادية فلا ينبغي أن تشغله عن اكتساب الإمكانات الروحية. من هنا ورد الحديث عن النبي ﷺ: «ليس الغنى من كثرة العرض» ـ وهي الإمكانات المادية ـ ولكن الغنى غنى النفس»، أن تكون نفس الإنسان ثرية روحيًا.

إن امتلاك الفرد لإمكانات مادية كبيرة سيظل غير ذي جدوى ما دام خاوي الوفاض معنويًا وروحيًا، بل سيكون حقيقة في أشد أنواع الفقر وشرّه. إن غنى النفس هو ثراؤها بالملكات الفاضلة والسمات النبيلة، فيما الفقر الفعلي ليس سوى انعدام تلك الملكات أو ضعفها في نفس الإنسان، فامتلاك الفرد لخصال المروءة والعزة والبذل والعطاء والصبر والقناعة وحسن الخلق وغير ذلك من الأخلاق الفاضلة هو الثراء الحقيقي، وإن كان معدمًا من الناحية المادية، ومن افتقد هذه الخصال فهو فقير مهما كانت إمكاناته المادية.

ورد عن أبي ذر الغفاري قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذرٍّ، أتَرى كثرةَ المالِ هوَ الغِنى، قُلتُ: نعَم، قالَ: وتَرى أنَّ قلَّةَ المالِ هوَ الفَقرُ ؟ قلتُ: نعَم يا رسولَ اللَّهِ . قالَ: ليسَ كذلِكَ إنَّما الغِنى غِنَى القَلبِ والفَقرُ فقرُ القلبِ»[1]. وجاء عن الإمام علي عليه السلام قال: «فقر النفس شرّ الفقر».

بين الثراء المعنوي والثراء المادي

ليس هناك من تعارض في اجتماع الثراء المعنوي الروحي من جهة والثراء المادي من جهة أخرى، فالسعيد من اجتمع له الأمران. غير إننا عند المفاضلة بين الأمرين سنجد سلسلة عناصر تجعل من الثراء المعنوي أكثر قيمة بمراحل من الثراء المادي

---

(١) المستدرك على الصحيحين. ج٥، ص٤٦٦.

بمفرده، وذلك للأسباب التالية:

أولًا: الثراء المعنوي باقٍ مع الإنسان، بينما الثراء المادي معرض للزوال في أي لحظة. فالإنسان الذي يمتلك صفات نبيلة فإنها تبقى معه ما بقي الدهر، ولكن من يمتلك عقارًا أو منصبًا، فلا يضمن بالتأكيد بقاء المال أو المنصب بحوزته، ولذا فالثروات المعنوية هي الأبقى والأكثر دوامًا.

ثانيًا: الثراء المعنوي مصدر رضا وسعادة، بينما الثراء المادي قد لا يحقق ذلك بالضرورة. فالشخص الذي تكون نفسه ثرية معنويًا، سيعيش تلقائيًا في راحة وسعادة، بينما قد يعيش الآخر الذي يمتلك الثروات المادية وهو مفتقر إلى الثروات الروحية حالة من الاضطراب النفسي وعدم الاستقرار، وهذا ما نسمع عنه ونلحظه عند كثير من الأثرياء.

فالناظر من بعيد للواحد من هؤلاء يراه يتقلب في الثراء المادي، فيخيل للآخرين تبعًا لذلك بأن هذا الثري في غاية الراحة والسعادة لوسع داره، وفخامة سيارته، وتعدد إمكاناته، لكن وبقليل من الاطلاع على تفاصيل حياة هذا الثري وعلى حقيقة واقعه، قد تكتشف بأنه يعيش الاضطراب الروحي، وعدم الانسجام النفسي، ضمن تعاطيه مع مختلف الأمور.

كتبوا مرة خلال مشكلة انهيار سوق الأسهم التي مرت على المملكة قبل سنوات، أن إنسانًا محدود الدخل جمع كل ما عنده وأضاف عليها بعض القروض المالية التي بلغت بمجملها ما يقارب ٤٠٠ ألف ريال واستثمرها في سوق الأسهم. وشخص آخر كان عنده ثروة مالية شخصية قدرت بـ ١٠٠ مليون ريال، فاقتطع نصفها ليستثمرها في سوق الأسهم، وحين وقعت الخسارة وانهار السوق، خسر الاثنان، ولكن من خلال ردة فعل الاثنين على مسألة الخسارة ظهر المعدن الروحي لكليهما، فالشخص محدود الدخل تأثر بالخسارة نفسيًا على نحو محدود مع أنه خسر كل ما عنده، ذلك

لأنه يمتلك ثراءً روحيًا دفعه لتسليم أمره لله تعالى والتوكل عليه، فواجه المشكلة حتى تغلب عليها. لكن الآخر الثري ماديًا، والخاوي روحيًا، لم يتحمل الأمر فأصيب بالاكتئاب وعانى أمراضًا ومعاناة شديدة، مع أنه لا يزال يحتفظ بخمسين مليونًا هي النصف الآخر لثروته.

حينما لا يكون هناك ثراء روحي، وثقة بما في يد الله سبحانه، فإن الثراء المادي قد يجلب الشقاء على الفرد، هنا يكمن الفارق الجوهري بين الثراء المادي والثراء المعنوي، ورد عن رسول ﷺ: «من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يد غيره»[1].

ثالثًا: الثراء المعنوي يدفع الإنسان إلى حسن التعامل مع محيطه الاجتماعي، بينما الثراء المادي الأجوف روحيًا قد يجعل الإنسان غير منسجم مع محيطه. فمن يتمتع بالغنى الروحي سيصل رحمه، ويحسن إلى الآخرين، ويبذل من ماله في سبيل المجتمع، ويتواضع للناس، ولكن حينما لا يكون كذلك فإن رغبته في الثروة تقوده لسوء التعامل مع الآخرين، وقد رأينا وسمعنا عن أشخاص دخلوا في مشاكل لا تنتهي حتى مع آبائهم وأمهاتهم، ووصلوا إلى أروقة المحاكم لخلافات لا تعدو عن نزاع على قطعة أرض أو مبلغ من المال!. إنما يقع في هذا الأمر من يكون نهمه وراء المادة على نحو صرف، مفرغًا جوانحه من أدنى ثراء روحي ومعنوي.

جاء في أحد التقارير أن أختين كانت إحداهما متزوجة من رجل محدود الدخل، فيما الثانية متزوجة من ثري مقتدر، فكانت زوجة الرجل محدود الدخل تنظر إلى أختها وتتمنى لو كانت مثلها، وتغبطها على ما هي عليه من الثراء، لكن حين تكشفت الأمور أمامها، ظهر أن أختها التي تعيش تحت ظل الزوج الثري لم تكن تشعر بالسعادة، لأن زوجها غير مهتم بها، ولا يؤدي الحقوق تجاهها، فعينه مفتوحة على أعراض الناس،

---

(١) الكافي. ج٢، ص١٣٩.

بينما كانت الأولى تنعم بالراحة مع زوجها، حيث يمنحها كل محبته واهتمامه، ويحسن معاملتها، وهنا يظهر بلا شك جانبا الفرق بين الثروات المادية والثروات المعنوية. لذلك ورد ضمن أحاديث التزويج ألّا يعتمد معيار المال في أهلية الشخص المتقدم في طلب الزواج، بل يعتمد معيار الخلق والدين، وفي الحديث عنه ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه»[1]، ولم يتناول الحديث مقدار ثروة الشخص وإمكاناته المادية، كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أتدري ما الصعلوك المختال؟ قال: قلت: القليل المال، قال: «لا، ولكنه الغني الذي لا يتقرب إلى الله بشيء من ماله»[2]. فما قيمة المال ونفعه إذا لم يجد به على الناس ووجوه الخير.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «جود الفقير أفضل جود»، ونحن نرى من وحي الواقع أن غالب الذين يدفعون الحقوق الشرعية من يكون الفائض المالي السنوي عندهم أقل من ٥٠ ألف ريال إلى ١٠٠ ألف ريال، ولكن من يكون الفائض السنوي عنده يزيد على عشرين مليون ريال فليس من السهل على بعضهم أن يخرج خُمس وزكاة أمواله، ولا نريد التعميم هنا، فهناك كثير من أهل الخير ممن يوفقهم الله تعالى فيبذلون باستمرار ما بوسعهم في أوجه البر.

المستقبل الآخروي بين الفقر والثراء

رابعًا: الثراء الروحي ضمان للمستقبل الأخروي. فالإنسان في هذه الحياة مهما امتلك من وسائل الثروة، لكن مآله الموت في نهاية المطاف. ولنضرب مثلًا بسيطًا لتوضيح الفكرة بين الدنيا والآخرة؛ فلو أن إنسانًا ذهب إلى بلد ليقيم فيها مدة مؤقتة، وعرض عليه شخص أن يقيم هذا الشهر منعمًا مكرمًا كعيشة الملوك ولكن بشرط أن يتنازل عن كل ممتلكاته في بلده، فهل هناك عاقل يقبل بذلك؟ بالطبع لا! فهي

(١) تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٣٩٦.

(٢) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٣٧٤.

إقامة مؤقتة وهو بحاجة إلى سكن دائم وإمكانات دائمة. كذلك الإنسان في هذه الدنيا فهو يعيش حياة وإقامة مؤقتة قد يحرص خلالها على امتلاك الثروات، ولكن ماذا عن الحياة الآخرة؟

من هنا وصف ربنا الحياة الدنيا بقوله عز وجل: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾، إن من يمتلك الثراء الروحي والمعنوي يجهد في التفكير في دار مستقره في الآخرة، ويسعى من أجل أن يصبح هناك في أحسن حال. فكما ينبغي للمرء ترتيب أوضاعه في الحياة الدنيا، ينبغي عليه في الوقت نفسه ترتيب وضعه في الآخرة، فالمقياس الحقيقي للغنى والفقر يكون في يوم القيامة وفي الدار الآخرة، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «الغنى والفقر بعد العرض على الله تعالى»[1].

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من الأثرياء في معنوياتهم ومادياتهم.

---

(١) نهج البلاغة. حكمة٤٥٢ .

اضطرابات مصر ومسألة الأقليات

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ على أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[سورة المائدة، الآية:٨].

تأتي حاكمية العدل في التعامل مع أصناف الناس ضمن أعلى سلم المبادئ الرائعة للشريعة الإسلامية، غير أن تطبيقات ذلك على الأرض تبدو بعيدة المنال في أحيان كثيرة. تفيض مبادئ الإسلام بالإنسانية والمحبة والعدل والإحسان، وتأتي في طليعة هذه المبادئ مبدأ حاكمية العدل في التعاطي مع الناس، سابقة على الأحاسيس والمشاعر والمواقف الشخصية تجاههم، فقد يكون لدى الإنسان لسبب أو لآخر غضاضة تجاه أحد، يترتب عليها انعدام الود بين الطرفين، لكن مع ذلك ينبغي ألّا يكون الموقف النفسي من الآخر مبررًا للاعتداء على حقوقه، هذا هو المبدأ الأساس في الإسلام، سواء كان في التعامل بين الأفراد أو بين الجماعات والفئات، فإذا ما كره أحد فئة معينة من الناس، لأفكارهم أو عاداتهم أو دينهم أو لأي سبب آخر، فهذا شيء يخصه، ولكن لا يجوز له أن يترجم هذه المشاعر عدوانًا عليهم ونيلًا من حقوقهم. إن أمر الثواب والعقاب على المشاعر والأحاسيس تجاه الآخرين موكول لله سبحانه وتعالى، غير أن المهم في هذه الحياة الدنيا هو شكل وسبل التعامل مع هؤلاء الآخرين.

لو طبق المسلمون المبادئ الإسلامية سيما (حاكمية العدل) لكانت مجتمعاتنا من

أكثر المجتمعات الإنسانية استقرارًا وانسجامًا. إن مما يؤسف عليه بشدة أن هناك بونًا شاسعًا، ومسافة واسعة، بين هذه التعاليم وواقع المجتمعات الإسلامية غالبًا، لذلك أصبحت مجتمعاتنا مسرحًا للاضطرابات والفتن والهزات الاجتماعية، بينما عاشت المجتمعات الأخرى استقرارًا سياسيًا ونموًا اقتصاديًا، لا لشيء سوى أنها طبقت ما نحن بصدده من مبادئ إسلامية وإنسانية عظيمة. لم يعد هناك مشكلة بين الجماعات والفئات المختلفة داخل المجتمعات المتحضرة، سيما وقد دفعوا في الماضي أثمانا باهظة في الحروب المستعرة فيما بينهم، لكنهم تجاوزوا حالة القطيعة وتعايشوا مع الاختلاف الطبيعي بين البشر، فانعكس ذلك استقرارًا اجتماعيًا في حياتهم، في مقابل ذلك لا تزال المجتمعات الإسلامية تفتقر إلى الاستقرار الاجتماعي والسياسي، نتيجة عدم تجاوز مأزق التعايش السلمي بين مختلف الفئات.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي لا يحملنكم ويدفعكم ﴿شَنَآنُ قَوْمٍ﴾ بغض قوم، ﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، بمعنى أنه لا يصح أن تكون العداوة مدعاة لعدم العدل مع من تكرهونهم ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وقد تحدث المفسرون بأن مورد نزول هذه الآية كان التعامل مع المشركين، وبعضهم قال بأنها نزلت حول التعامل مع اليهود، وبالإجمال فالآية تشدد على الاحتكام إلى قيمة العدل كمعيار أعلى في التعامل مع الآخر المختلف دينيًا وفكريًا.

مبدأ المواطنة ضمانة الاستقرار

إن أكبر ضمانة لاستقرار المجتمعات هي اعتماد مبدأ المواطنة، وأن يعيش الجميع في ظل نظام يساوي بينهم في الحقوق والواجبات وتكافؤ الفرص.

تابعنا بألم ما حدث في مصر في الأسبوع المنصرم، من اشتباك دموي بين المسيحيين الأقباط وعناصر الأمن، فيما عرف بأحداث ماسبيرو يوم ٩ أكتوبر ٢٠١١م، إثر خروج مظاهرة للأقباط احتجاجًا على هدم كنيسة لهم في أسوان، ووقع في الاشتباكات

حوالي ٢٦ قتيلًا وأكثر من ١٥٦ جريحًا، وشهد الوضع السياسي المصري إثر ذلك حالة استنفار خشية وقوع فتنة كبرى. إن حادثة من هذا القبيل مرشحة للوقوع في مجتمعات عديدة بسبب اختلاف العرق، القومية، الدين أو المذهب، ولكن السؤال هو: لماذا تبقى هذه الاضطرابات مرشحة لتكرار وقوعها في مجتمعاتنا؟ ومتى يمكن أن تتجاوزها؟. حقيقة الأمر لا نحتاج إلى معجزة وحلول سحرية لتجاوز هذا الأمر، فالحل جاهز وممكن، وهو أن نستفيد ونتعظ من تجارب الشعوب الأخرى.

إن هيمنة الشعور بالتعالي عند فئة من الشعب، وبقاء الفئة الأخرى تحت سيطرة الشعور بالاضطهاد ـ سواء كانت هذه الفئة أقلية أم أكثرية ـ هو ما يجعل العلاقة هشة، والنسيج الاجتماعي قابلًا للاختراق والتمزق، من هنا مثّل مبدأ المواطنة أساسًا لتعايش سلمي بين الجميع.

وثاني ضمانات الاستقرار يكمن في سيادة ثقافة التعددية وقبول الآخر، وذلك مبدأ ديني شدد عليه ربنا سبحانه وتعالى في الآية الكريمة: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، ويقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾. فحينما يسود الاحترام المتبادل يتحقق الانسجام في المجتمع، أما إذا سادت وسائل التعبئة والتحريض على الكراهية بسبب اختلاف الدين أو الرأي أو التوجه، فإن المجتمع يبقى مهيئًا للاضطراب والفتن والمشاكل. فالحل يكمن في هذين المبدأين؛ اعتماد المواطنة في العلاقة مع كل المواطنين، وسيادة ثقافة التسامح والتعددية واحترام الآخر.

إدارة الاختلاف

كيف تصل مجتمعاتنا وشعوبنا إلى الحل الجذري لمشكلة إدارة الاختلاف بين فئات الوطن؟ نحن نعلم في هذا السياق أن المسألة مضى عليها قرون، فقد عاشت الأمة الإسلامية في ظل الاستبداد وهيمنة الرأي الواحد لقرون طويلة، وتربت عليها أجيال متعاقبة، حتى أصبحت هناك مكتسبات للفئات المهيمنة على حساب الفئات

المهمشة، بحيث لم يعد من السهل على الفئة الأولى التنازل عن تلك المكتسبات بسهولة، نحن ندرك هذا الأمر، كما نعلم أن مشكلة العنصرية في أمريكا على سبيل المثال لم تحل في يوم وليلة، وإنما احتاجت إلى عقود طويلة من الزمن حتى تعالج مختلف جوانبها على المستوى العام، ومع ذلك لا زالت آثار العنصرية موجودة في المجتمع الأمريكي على المستوى الفردي.

ما العمل إذن؟ للجواب عن هذا السؤال نحن بحاجة إلى أن نتجه إلى الحلول الجذرية، عبر إجراء سلسلة خطوات، منها:

أولاً: الاعتراف بوجود خلل في إدارة الاختلاف بين فئات الوطن

إن مشكلة كثير من بلداننا تكمن في أنها لا تريد الاعتراف بوجود المشكلة، فتتظاهر حكومات هذه البلدان عوضًا عن ذلك بأن كل شيء على ما يرام، بل لا تتردد في الإعلان بخلاف الواقع بأنها تنظر لجميع مواطنيها باعتبارهم سواسية كأسنان المشط! متناسية حجم التمييز القائم.

حالة التنكر هذه لن تساعد في حلحلة المشكلات، بل هي سبب أساس في تعميق المشاكل وزيادة تعقيدها يومًا بعد آخر، إن سلوكًا من هذا القبيل يشبه إلى حدًّ كبير سلوك النعامة التي تدس رأسها في التراب، فيما تظلّ المشكلة قائمة ما بقي التنكر لها مستمرًا.

هنا لا بُدّ من الإشارة إلى أن الجهة غير المتضررة من التمييز لا تشعر غالبًا بهذه المشكلة، فتتنكر تبعًا لذلك لوجودها من الأساس، ولكن الآخرين من ضحايا التمييز هم من يشعر بوطأته صبح مساء. لا بُدّ قبل أي شيء آخر أن نتحلى بالشجاعة والصراحة مع أنفسنا، ولنعترف بأن هناك مشكلة تمييز تنخر الكيان الاجتماعي في بلداننا، تمامًا كسائر المجتمعات البشرية التي كانت وما زال بعضها يعاني من ذات المشكلة، فالاعتراف بمشاكلنا ليس عيبًا، ولكن العيب كل العيب هو في التستر على

المشكلة والتنكر لها.

إن محاولة التنصل من المسؤولية في اندلاع مشكلاتنا الداخلية التي تعود إلى جذور محلية محضة، وإلقاء اللوم على هذا الطرف الخارجي أو ذاك لن يساهم في حل هذه المشكلات، بل سيأخذنا بعيدًا عن تسوية مشاكلنا، ولعل ما حصل من اشتباك طائفي في مصر مؤخرًا ليس سوى مظهر من مظاهر المشكلة القائمة في المجتمعات الإسلامية.

إرادة الحل

ثانيًا: امتلاك إرادة الحل

لا بُدّ من وجود إرادة حقيقية فعلية لابتداع الحلول لمشكلاتنا البينية. إن اعتماد سياسة الالتفاف والتحايل على المشاكل قد يؤجلها بعض الوقت، لكنه لن يساهم في حلها بأي حال، فقد تنفجر المشكلات مجددًا في أي وقت لاحق. من هنا نبعت الحاجة لوجود إرادة فعلية للحل. كما أن الاقتصار على الحلول الأمنية لن يجدي هو الآخر نفعًا، إذ لن تعدم المشاكل سبل التعبير عن نفسها بشكل آو بآخر، فلا بُدّ من التوجه لحل المشكلة ورفع معاناة المتضررين من سياسة التمييز القائمة، وذلك بابتداع الحلول السياسية، الاجتماعية والثقافية حتى نستأصل مشكلاتنا.

ثالثًا: تلاقي العقلاء من الأطراف المختلفة

إن بروز التشدد في هذا الطرف أو ذاك ليس سوى إفراز طبيعي لوضع سياسي واجتماعي غير سوي. من هنا كان على العقلاء من مختلف الأطراف أن يتداعوا فيما بينهم، خاصة وقت الأزمات، سواء من داخل أجهزة الحكومات أو الأطراف المختلفة، وذلك لغرض امتصاص حالات التشنج التي تفرزها الأوضاع المتوترة. نقول ذلك مع كامل إدراكنا لصعوبة موقف العقلاء المعتدلين حين تطل الفتن والاضطرابات برأسها، فهم في مرمى الاتهامات من كل جهة؛ لأن كل طرف من المتنازعين يريد من

المعتدلين الوقوف إلى جانبه، وإذا ما قدم هؤلاء العقلاء رأيًا معتدلًا فإن المتشددين من كل الأطراف سيرشقونهم بالاتهامات..

محاصرة الحوادث

رابعًا: محاصرة الحوادث الطائفية

المشكلات الطائفية غالبًا ما تندلع نتيجة حوادث جزئية، فإذا لم تحاصر هذه الحوادث وتواجه بالشكل السليم، فإن رقعتها قد تتسع وتتعمق. وبالعودة للاشتباكات بين الأقباط والمسلمين في مصر، نجد أن شرارتها غالبًا ما تعود لخلاف على بناء كنيسة، أو نزاع على قطعة أرض، أو زواج مسلم من قبطية او العكس، وهذه في مجملها قضايا جزئية، وإن كانت بالتأكيد أعراضًا لمشكلة طائفية داخلية عميقة، ومرشحة للانفجار في أي وقت.

هنا لا بُدّ من الإشادة بالموقف العام في الساحة المصرية إزاء اندلاع الاشتباك الطائفي الأخير، فالمصريون تعاملوا مع ما حصل في الأسبوع المنصرم تعاملًا حضاريًا على مستوى الآراء والمواقف، وهذا بالتأكيد سيساعدهم في الخروج من هذه المحنة، لا بل سيقربهم من الحلول الجذرية.

إن نسبة الأقباط في مصر التي لا تتجاوز العشرة في المئة من السكان لم تكن سببًا لتجاهل مشكلتهم من مختلف المستويات السياسية، الدينية والثقافية. لقد كانت القيادات في مصر بمستوى الحدث من خلال تعاملها الحضاري المسؤول والإيجابي. فقد دان شيخ الأزهر الدكتور محمد طيب الفتنة، واتخذ جانب الحكمة، ودعا إلى التلاقي والحوار، وعمل على جمع مختلف أطراف النزاع، فساعد على إطفاء الفتنة. هذا هو الدور الحكيم المتوقع من القيادات الدينية، بدلًا من دخولها على خط الاضطرابات كعامل تأزيم، عبر توجيه الاتهامات ورمي الآخرين بتهم الولاء للخارج. إذ تكمن إحدى مشكلاتنا العويصة في تورط بعض الجهات الدينية والرسمية في صب

الزيت على نار الفتنة بتصريحاتهم غير المسؤولة، في حين كان ينبغي لهذه الجهات أن تكون أطرافًا جامعة تعمل على أساس قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

إن من يريد معالجة المشكلات الطائفية سيجد السبيل سالكًا، أما من يبحث عن الاتجار بالمشاكل ويلتف على حلها فسيقول أي شيء ويبرر أية أفعال، لكن المشكلة ستبقى، والخسارة ستكون على الوطن.

لقد كان لافتًا في الأزمة الأخيرة موقف رئيس الوزراء المصري الدكتور عصام شرف، باعتباره رأس الهرم السياسي، فقد كان خطابه ناضجًا معتدلًا دعا فيه رجال الدين الإسلامي والمسيحي ورجال الإعلام والثقافة والفن، لتحمل مسؤولياتهم الوطنية، لسدّ الثغرات في نسيج الأمة، التي تمكن مثيرو الفتن من النفاذ منها، وشدد في آخر خطابه القول مخاطبًا جميع المصريين «أثق في وطنيتكم وإخلاصكم وإيمانكم بالله والوطن واحذروا الفتنة بينكم». هذان الخطابان الديني لشيخ الأزهر والسياسي لرئيس الوزراء هما اللذان سيمكنان المصريين من تجاوز هذه المحنة إن شاء الله.

والأهم من إلقاء الخطابات هو التوجه العملي للمعالجة، حيث بدأ طرح بعض المشاريع، ومنها إقرار قانون مكافحة التمييز الديني، ويتضمن القانون فرض عقوبة السجن مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر، وغرامة لا تقل عن ٥٠ ألف جنيه مصري، أو بإحدى هاتين العقوبتين على من يرتكب جريمة التمييز بين المواطنين المصريين.

وعرف مشروع المرسوم الجريمة بأنها أي عمل أو امتناع عن عمل يكون من شأنه إحداث التمييز بين الأفراد، أو ضد طائفة من طوائف الناس، بسبب الجنس أو اللغة أو الدين أو العقيدة، وتترتب على هذا التمييز إهدار تكافؤ الفرص أو العدالة الاجتماعية أو تكدير للسلم العام. هذا هو مشروع الحكومة المصرية الذي يجري طرحه للمناقشة.

وعلاوة على ما سبق قررت الحكومة المصرية تشكيل بيت العائلة المصرية. فقد

طرح رئيس مجلس الوزراء قرارًا بإنشاء بيت العائلة المصرية، برئاسة شيخ الأزهر والبابا شنودة الثالث. ويضم هذا البيت الزعامة الدينية للمسلمين الذين يمثلون ٩٠٪ من السكان، وزعامة الطائفة القبطية التي تمثل بالكاد ١٠٪ من المصريين، دون أن يجد شيخ الأزهر أي غضاضة في الجلوس على قدم المساواة مع زعيم الأقباط ورئاسة بيت العائلة بالتناوب، غير ناظر لضآلة نسبة الأقباط من تعداد السكان العام. ويهدف بيت العائلة المصرية إلى الحفاظ على النسيج الاجتماعي لمصر، بالتنسيق مع جميع الهيئات والوزارات في الدولة.

نحن معنيون بالعمل من أجل الأمن والاستقرار، وبناء علاقات أفضل بين كل فئات وشرائح الوطن. إن من مسؤوليتنا كبح جماح الأفكار المتشددة لدى مختلف الأطراف، حتى لا يعود ضررها على المجتمع والوطن، وأخيرًا نحن في أمسّ الحاجة إلى الحكمة والتعقل من كل الأطراف، حتى تستطيع مجتمعاتنا الإسلامية تجاوز هذه الفتن والوصول إلى شاطئ الأمن والاستقرار.

نسأل الله سبحانه أن يحفظ الأمن في بلادنا وبلاد المسلمين جميعًا.

السيطرة على ثورة الغضب

الخطبة الأولى

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1].

أودع الله سبحانه وتعالى في نفس الإنسان مجموعة من الغرائز والانفعالات المختلفة التي يغلب على كثير منها جانب الجموح، وكلّفه بإدارة هذه الانفعالات، وضبط هذه القوى داخل نفسه. ومن تلك الانفعالات ما ينتاب الإنسان من حالات: الرضا، والغضب، والخوف، والرجاء، والحزن، والفرح، وحالة الحب والكراهية.

إن جميع هذه الحالات التي تعبر عن غرائز وانفعالات ومشاعر في نفس الإنسان، تمثل بجموحها في أحيان كثيرة عوامل ضغط هائلة على النفس ولذلك استدعى الأمر أن يضبطها ويحسن إداراتها، وهذا هو جوهر التحدي والامتحان. فالإنسان أمام كل حالة انفعال وطغيان غريزي يقف في حقيقية الأمر وسط ميدان اختبار وامتحان.

ولعل إحدى أكثر الانفعالات ضغطًا على نفس المرء هي حالة الغضب، إذا واجه ما يزعجه ويخالف رغبته، فالإنسان هنا أمام امتحان فعلي، حول إمكانية السيطرة على حالة الغضب في نفسه أم الاسترسال معها. يتمنى كل أحد أن لا يوضع في موقف يثير غضبه، لكن ذلك يكاد يكون محالًا ما دمنا نعيش وسط الناس، فالناس كأفراد لا يعيشون في جزر منفصلة، وعليه لا تسير الحياة الاجتماعية للأفراد وفق ما يشاؤون،

(١) صحيح البخاري. حديث٦١١٤.

وبحسب ما يرغبون في كل مفردة من المفردات، فهذا أمر غير متحقق البتة، وبالتالي فالإنسان يرى نفسه أحيانًا أمام مواقف مزعجة ومؤذية، نتيجة كلام من هنا وموقف هناك مما يثير غضبه. لذا كان التحدي الحقيقي أن يضبط الواحد انفعالاته وألّا ينساق وراءها كيفما اتفق.

إطلاق العنان للغضب

إن حالة الغضب تُعدّ من القوى الكامنة التي لو تيسر لها الانفلات من السيطرة فلربما تجاوز المرء بسببها كل حدود. هذه القوة الكامنة قد تأخذ الإنسان إلى مهاوي الردى فيما لو أطلق لها العنان، فقد يتصرف الغاضب تصرفات خطيرة تجاه المحيطين به، فيتجاوز بذلك كل الحدود حتى إزاء أقرب الناس إليه، زوجته وأولاده، وقد يكون هذا التجاوز لفظيًا، جارحًا وعدوانيًا، والأسوأ من ذلك ما يمكن أن يدفع للتصرف على نحو خطر من خلال الاعتداء العنفي على الآخرين، وقد سمعنا وقرأنا عن حالات كثيرة، اندفع خلالها آباء غاضبون نحو الاعتداء العنيف على أبنائهم فتسببوا لهم بعاهات مستديمة، وكذلك ينسحب الأمر على مستوى الأزواج والزملاء، فقد بتنا نسمع بين الفينة والأخرى وقوع المصادمات العدوانية المسلحة بين الشباب التي لا يعدو منشؤها المزاح أحيانًا، فيدفعهم انفلات الغضب فيما بعد للمشاجرات العنيفة باستخدام الآلات الحادة والأسلحة.

وبالتتبع للعديد من حالات الحوادث والخلافات المدمرة للعلاقات الأسرية والاجتماعية، نجد أن منشأها الحقيقي هي حالات الغضب غير المبرر. لقد وجدنا بعض الأحيان أن مصير عائلة بأكملها يكون في مهب الريح لا لشيء إلا عدم الرضا عن الطعام الذي أعدته الزوجة، وما شابه ذلك من أمور تافهة صغيرة، وكم من علاقات وصداقات وثيقة انقطعت بسبب كلمة صدرت من أحدهم فينسف كل ذلك الود بسبب لحظة غضب.

إن اشتعال حالة الغضب في نفس الإنسان يشبه تمامًا اشتعال النيران حين تلتهم بيتًا أعدّه صاحبه وتعب فيه وأنفق عليه كثيرًا، لكن هذه النار تنسف ذلك البيت خلال وقت وجيز!. ذلك يذكرنا بما نحن بصدده من حالة قتل جرت في إحدى المناطق القريبة، حين أقدم شخص على قتل شاب وجرح أخيه في الطريق العام، لا لشيء سوى لأن الشاب المقتول الذي كان يقف عند إشارة المرور أعطى إنذارًا بالتزمير بشكل مزعج حتى تتحرك السيارة التي أمامه، فلم يتمالك قائد السيارة الأخرى نفسه وأعصابه فنزل وتشاجر معهما وقتل السائق وجرح من معه!، هذا هو حصاد انفلات حالة الغضب. فقد يفقد المرء مكاسب كثيرة تعب في تحصيلها طويلًا، لكن لحظة واحدة من الغضب تنسف كل تلك المكاسب في لمح البصر.

ضبط النفس والتعقل

وردت نصوص دينية كثيرة تذكر الإنسان بضرورة التعقل وعدم الاستسلام للحظات الانفعال. فقد يشعر الغاضب في لحظة ما برغبة في استرداد كرامته من خلال تصرف أخرق طائش، لكن ما أن تنجلي الغبرة إلا ويرى نفسه أمام أثمان باهظة يجب أن يدفعها نتيجة ذلك التصرف، فمثل هذا الشخص في حقيقة الأمر لم يسترد كرامته عبر تصرفه الأخرق بقدر ما سبب لها جروحًا إضافية.

من هنا على الإنسان أن يكون واعيًا حذرًا أمام لحظات الغضب. ومن جملة ما ورد من النصوص الدينية في شأن الغضب، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «الغضب شرّ إن اطعته دمر»[١]، فالغضب يدمر المكاسب والمصالح، ويقول عليه السلام: «إنكم إن أطعتم سورة الغضب أوردتكم نهاية العطب»[٢]، وفي رواية ثالثة قال عليه السلام: « احترسوا من سورة الغضب، وأعدوا له ما تجاهدونه به من الكظم والحلم»[٣].

---

(١) غرر الحكم. حكمة ٢١٦٤.
(٢) غرر الحكم. حكمة ١٧٠٩.
(٣) غرر الحكم. حكمة ٧٩٤٨.

إن عامل الجهل وقلة الوعي هما من محفزات سيطرة الغضب على الإنسان. وقلة الوعي قد تجعل المظلوم ظالمًا في بعض الأحيان، فكم رأينا مظلومًا تحول إلى ظالم بسبب لحظة غضب، فقد جاءني قبل مدة أشخاص يعرضون قضية ابنهم، الذي كان موظفًا دفعه غضبه للشجار مع أحد المراجعين فبصق في وجهه، فأحيل للتحقيق إثر ذلك، وأصبحت قضية كبيرة، فكلف هذا الشخص أفراد عائلته بأن يبذلوا ماء وجوههم لتخليصه من الموقف الذي وضع نفسه فيه. مثل هذا الموظف حين اندفع في لحظة انفعال للبصق في وجه ذلك المراجع الذي أساء إليه وأثار غضبه، كان هدفه الثأر لكرامته، ولكن ما النتيجة، فقد أذل نفسه وعائلته. ويروى في هذا السياق عن علي عليه السلام: «من طبائع الجهال التسرع إلى الغضب في كل حال»[١]. وفي كلمة تنطبق إلى حدٍّ بعيد مع القصة الأنفة، روي عنه عليه السلام: «لا يقوم عزّ الغضب بذل الاعتذار»[٢].

كما وردت نصوص أخرى كثيرة تنبه الإنسان إلى تجنب حالات الغضب، وهو في حاجة دائمة إلى هذا التنبيه، يقول الإمام علي عليه السلام: «إياك والغضب فأوله جنون وآخره ندم»[٣]، فالجنون يعني عدم استخدام العقل، والإنسان الغاضب يعطل عقله عمليًا، ويترك الأمر لمشاعره وانفعالاته لتقوده، وقال عليه السلام: «أعظم الناس سلطانًا على نفسه من قمع غضبه»[٤]، فالشجاعة لا تتأتى بالضرورة وقت الرضا، بل الشجاعة الحقيقة تتبدى عند التحكم في الأعصاب ساعة الغضب، وفي غمرة المشاحنات البينية. ويقول عليه السلام: «الغضب عدو فلا تملكه نفسك»[٥].

اذكر قدرة الله عليك

إن تذكر قدرة الله علينا هي أهم عامل من عوامل سيطرة الإنسان على أعصابه،

(١) غرر الحكم. حكمة ٦٣٢٥.
(٢) غرر الحكم. حكمة ٦٣٢٥.
(٣) غرر الحكم. حكمة ٢٦٣٥.
(٤) غرر الحكم حكمة. ٣٢٥٩.
(٥) غرر الحكم. حكمة ٥٢٣٧.

وعدم استسلامه لفورة الغضب. إذ تورد النصوص أن على المرء في حالة الغضب أن يتذكر قدرة الله تعالى عليه، خاصة عندما يغضب على من هم أضعف منه كالزوجة والأبناء والعمال، فقد جاء في حديث قدسي عن الله عز وجل: «أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي»(١). وسأل رجل رسول الله ﷺ أحبّ أن أكون آمنًا من غضب الله وسخطه، قال ﷺ: «لا تغضب على أحد تأمن غضب الله وسخطه»(٢). وقال ﷺ: «من كف غضبه كف الله عنه عذابه»(٣). وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «لا تغضب فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم»(٤).

وهناك روايات تنصح الإنسان في حالة الغضب بأن يغير من وضعه، فيقعد إذا كان قائمًا أو العكس أو يضجع، حتى ينفس عن نفسه. عن أبي ذر الغفاري عن رسول الله ﷺ: «إذا غضب أحدُكم وهو قائمٌ فلْيَجْلِسْ، فإن ذهب عنه الغضبُ وإلا فليضطجِعْ»(٥). كما أن هناك روايات تنصح بإسباغ الوضوء حال الغضب، فلعل لحظات الانشغال بالوضوء تكون كافية لتهدئة انفعالات الغضب وتعود بالمرء إلى رشده. ورد عنه ﷺ: «إنَّ الغضبَ منَ الشيطانِ وإنَّ الشيطانَ خُلِقَ منَ النارِ وإنما تُطْفَأُ النارُ بالماءِ فإذا غَضِبَ أحدُكُم فلْيَتَوَضَأْ»(٦).

إن علينا أن نتحكم في انفعالاتنا بأن نتذكر قوة الله علينا، خاصة مع من هم أضعف منا وتحت هيمنتنا.

---

(١) الكافي، ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) كنز العمال. حديث ٤٤١٥٤.

(٣) بحار الأنوار. ج ٧٠، ص ٢٦٣.

(٤) تحف العقول. ص١٤.

(٥) سنن أبي داؤود. حديث ٤٧٨٢.

(٦) سنن أبي داؤود. حديث٤٧٨٤.

إرادة الشعب تسقط القذافي وتحرر الأسرى الفلسطينيين

﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾[سورة محمد، الآية: ٤].

خلق الله البشر وابتلاهم في الحياة الدنيا بجملة من التحديات الكبيرة، إن على مستوى الطبيعة أو الحياة الاجتماعية على حدٍّ سواء. فالإنسان مخزون من القدرات والطاقات الهائلة التي لا تبرز إلا عند مواجهة التحدي، فإذا لم يكابد الإنسان التحديات فإن طاقاته وقدراته تبقى كامنة مخبوءة في أعماقه.

ولأن الله سبحانه وتعالى منح الإنسان هذه القدرات ليستفيد منها، وحتى يعلم قدرة خالقه، ويكتشف ما أعطاه الله من نعم، ويفيد الحياة من خلال تفجير طاقاته، جعل الله أمام الإنسان جملة من التحديات التي لولاها لحرمت البشرية من الإنجازات والنجاحات الكبرى. ولعل ذلك هو جوهر ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي في معاناة وتعب لكي يظهر معدنه الحقيقي، وكذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

يواجه الإنسان في هذه الحياة نوعين من التحديات؛ هما التحديات الطبيعية، والتحديات الاجتماعية التي تفرضها مخالطة البشر لبعضهم بعضًا. فعلى مستوى الطبيعة يواجه البشر جملة تحديات، منها الأمراض والحرّ الخانق، والبرد القارس، والزلازل والبراكين والأعاصير، ولولا مواجهة الإنسان لهذه التحديات لما توصل

اليوم إلى مستوى يرقى إلى التعايش مع أغلبها، فقد ابتدع الإنسان علم الطب والعقاقير لتوقي الأمراض، واستطاع تكييف الهواء لتجنب الحرارة القاسية، والبرد القارس، كما استطاع تجنب قدر كبير من أخطار الأعاصير.

وبالقدر ذاته وجد الإنسان نفسه أمام تحديات اجتماعية جمة، لكونه يعيش ضمن مجموعة من البشر، ممن يمتلكون مثله غرائز تدفعهم للتحدي والتفوق في مختلف الحقول، ومنها الحقل الأخلاقي الذي يشعره بالحاجة إلى القيم والمبادئ والأخلاق. هذه التحديات تضع الإنسان أمام امتحان في هذه الحياة، ولو أن الإنسان كان يعيش في مجتمع ليس فيه ظلم ولا اعتداء ولا مشاكل بينية، فستكون هذه حياة الفردوس الأعلى وليست امتحانًا دنيويًا.

الطغيان امتحان الشعوب

ثمة تساؤل يطرأ باستمرار على أذهان الكثيرين حول سبب إمهال الله سبحانه وتعالى الظالمين ليمارسوا الظلم والفساد، والجواب على ذلك هو أن الله يمتحن البشر في تخليص أنفسهم من ذلك الظلم. إن الله لا يعجزه ظلم ظالم أو مستبد، فيقول عزّ من قائل: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾، ولذلك فالسؤال المقابل هو: هل المطلوب أن يستخدم الله جبروته على نحو دائم لردع الظلمة؟!، لقد عاقب ربنا عزّ وجلّ بعض الأمم الغابرة بالعذابات الدنيوية كالكوارث الطبيعية من الزلازل والطوفان والرياح العاتية، فكانت تلك الكوارث تجتث تلك الأقوام الفاسدة من قعرها، لكن ذلك كان في بعض الموارد الاستثنائية، أما الأصل فهو أن الله تعالى يمتحن أبناء البشر، كيف يتعايشون فيما بينهم، وكيف يخلّصون أنفسهم من الظلم والفساد.

إن بقاء وتسلط الطغاة على مقدرات الشعوب عقودًا من الزمن هو ابتلاء قاسٍ لهذه الشعوب. وإلا فما الداعي لأن يترك الله طاغية مثل القذافي الذي هلك بالأمس القريب لكي يعتدي ويظلم ويمارس طغيانه وبطشه أكثر من أربعين سنة؟ وما مبرر بقاء من هو

أكثر طغيانًا منه وهو الدكتاتور المقبور صدام حسين وغيرهما من الطغاة عبر التاريخ؟ لا شيء يبرر بقاءهم غير الابتلاء الإلهي لهذه الشعوب والمجتمعات، فينظر سبحانه وتعالى كيف تتصرف هذه الشعوب أمام حالات الطغيان والظلم والاستبداد، سواء كان من الخارج أو من الداخل، هل يخنعون ويخضعون ويسيرون في فلك الظلمة؟ أم يواجهون ويدافعون عن أنفسهم وكراماتهم ومقدراتهم؟

إن الله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على موقفهم تجاه الظلم السائد في مجتمعهم، ويحاسبهم على قبولهم بالظلم والجور، وذلك هو البلاء العظيم.

ان تجارب التاريخ ونور العقل يهدي الإنسان إلى أن قوة الظالم إنما تحصل بخضوع المظلوم، فإذا ما تحرك المظلومون فإن قوة الظالم تتلاشى أمامهم. لذلك لا معنى للتحجج بقوة الظالم، واعتبارها مانعًا عن التحرك لمقاومة الظلم. إن أساس انتصار الشعوب هي التضحيات الكبيرة في مقاومة الظلم، والاستعداد لدفع الأثمان الباهظة، وإن تطلب ذلك زمنًا طويلًا قد يمتد إلى عقود من الزمن.

إن الله تعالى لا ينصر الكسالى والمتقاعسين، وإنما ينصر من ينصره ويتوكل عليه، ويتوسل الوسائل والأساليب الصحيحة، التي تمكنه من إدراك أمانيه واسترجاع حقوقه. إن ما يعزز هذه الحقيقة حدثان شهدهما الأسبوع المنصرم، ويؤكدان دون أدنى مواربة بأن انتصارات الشعوب رهن بإرادتها، دون انتظار للمجهول.

المقاومة الفلسطينية وتحرير الأسرى

الحدث الأول: صفقة تبادل الأسرى بين الكيان الصهيوني والفلسطينيين

لقد كانت صفقة تبادل الأسرى بين المقاومة في فلسطين المحتلة والكيان الصهيوني، كدليل واضح على أهمية وجدوى المقاومة، وأن إسرائيل لا تفهم غير لغة القوة. لقد ثبت منذ زمن بعيد أن لا جدوى فعلية من المفاوضات مع هذا العدو، وأن لا وزن حقيقيًا لما يسمى المجتمع الدولي، ولا ضغط الرأي العام في استرداد الأرض،

والإفراج عن الأسرى. ولقد ثبت دون أدنى شك الرهان المطلق على المقاومة، وهذا ما يحمل العرب والمسلمين بحكوماتهم وشعوبهم مسؤولية دعم المقاومة ضد المحتل الإسرائيلي، فقد أثبتت المقاومة في لبنان وفلسطين صمودهما وجدوى نضالهما، وبالتالي ينبغي الرهان عليهما.

ورغم أن أخبار صفقة التبادل طغت عليها التطورات الميدانية في ليبيا، وسقوط نظام القذافي، فقد أثبت هؤلاء الفلسطينيون المحاصرون مقدرة فائقة في مقاومة شتى الضغوط، وأفشلوا كل المحاولات، حتى رأت إسرائيل نفسها عاجزة أمامهم، ولم تجد بُدًا من الخضوع وقبول شروط المقاومة في الإفراج عن الأسرى.

وكلنا تابع كلمة رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو وهو يتحدث عن هذه الصفقة، ويريد أن يقنع شعبه بها، فقد كشف خطابه كيف أن هذا العدو ما عاد يمتلك خيارًا آخر سوى الرضوخ لشروط المقاومة، وهذا دليل قاطع على أن المقاومة في تقدم، وأن أوضاع المنطقة تسير بالاتجاه الذي يثير القلق لهذا الكيان. ولقد تحققت بحمد الله هذه الصفقة وتحرر بموجبها ٢٠٪ من الأسرى الفلسطينيين، وتلك نسبة كبيرة قياسًا على تسليم جندي إسرائيلي واحد، فالأسرى الفلسطينيون في سجون الاحتلال يبلغون أكثر من خمسة آلاف أسير وأسيرة، وقد تحرر منهم ١٠٢٧ أسيرًا وأسيرة.

وقد تابعنا في الأخبار كيف أن بعض هؤلاء الأسرى قضوا جلّ أعمارهم في السجون الإسرائيلية، تنفيذًا لأحكام قضائية مديدة وقاسية. فالأسير المحرر يحيى السنوار أحد قادة حماس ومؤسس الجهاز الأمني فيها، اعتقل قبل عشرين عامًا، وصدرت بحقه أحكام بالسجن تمتد إلى ٤٥٠ سنة!، وكذلك الأسيرة المحررة أحلام التميمي، هذه المرأة المجاهدة، التي صدر بحقها ١٦ حكمًا بالسجن مدى الحياة، وعلى غرار ذلك الكثير من الأسرى المحررين الذين فرج الله عنهم وأنقذهم ببركة جهاد المقاومة في فلسطين.

القذافي يواجه مصيره الأسود

الحدث الثاني: سقوط الطاغية القذافي

لقد أثبتت الأحداث في ليبيا أن الشعب عندما يقرر التحرك والانتصاف لنفسه ولو بعد أربعين سنة من الخضوع للاستبداد والظلم، فإنه سرعان ما ينال مراده. وقد اكتشف الشعب الليبي أن ذلك الظالم الطاغية معمر القذافي صار يبحث له عن ملجأ يؤويه بعدما أرعد وأزبد طويلًا، سيما وقد سمع الناس كلهم تهديداته بداية تحرك الشعب ضد نظامه البائد، وكيف وعد بملاحقتهم من بيت إلى بيت ومن شارع إلى شارع «ومن زنقة إلى زنقة»، لكن سرعان ما رأى الجميع نهايته المريعة من على شاشات التلفزيون. ولو أن الناس استمروا في الخنوع لسلطته فلربما استمر في سدّة الحكم إلى ستين سنة، ولكان ورّث أبناءه أيضًا مسيرته في الظلم والطغيان.

إن مقاومة الظلم وبذل التضحيات الكبيرة في هذا السبيل هو سر انتصار الشعوب، وصدق عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾.

إن المصير الأسود الذي لقيه القذافي على يد شعبه هو المصير الذي ينتظر جميع الطغاة مهما تعجرفوا، ومهما تظاهروا بالقوة. إن ما يجب أن نستخلصه من الحدث الليبي هو أن نعرف بأن ما حققه الشعب لم يحصل بين عشية وضحاها، وإنما جاء نتيجة نضالات طويلة دفع خلالها آلاف الشهداء أرواحهم، وعانى الآلاف السجون والمنافي، لا لشيء إلا لمعارضتهم النظام الجائر. ويكفي أن نعلم أن حادثة تمرد واحدة قام بها السجناء السياسيون في سجن أبو سليم في بني غازي راح ضحيتها نحو ١,١٧٠ سجينًا سياسيًا قتلوا في مجزرة واحدة، وأخفى النظام قبورهم.

كما قدم هذا الشعب عبر نضاله في الأشهر الأخيرة وحدها أكثر من ثلاثين ألف شهيد، وأكثر من خمسين ألف جريح، لكنهم نجحوا أخيرًا في التخلص من ظلم وبطش هذا النظام الفاشي، كما لا ننسى الجريمة النكراء التي فعلها هذا الحاكم الهالك مع

الإمام السيد موسى الصدر الذي دعاه إلى زيارة ليبيا، ولما لبى الدعوة غدر به، وغيبه عن الأنظار حتى لم يعد أحد يعلم مصيره حتى الآن.

لقد ارتكب هذا النظام جرائم كثيرة بحق شعبه وشعوب المنطقة لكن النهاية كانت لصالح الشعب الليبي.

لقد قاوم الشعب الليبي سنين طويلة، وقدم من التضحيات الشيء الكثير، حتى تحقق له النصر. حتى المجتمع الدولي الذي يعزى إليه جانب من هذا النصر، لم يتقدم لمساندة الليبيين إلا بعد أن تحرك الشعب في وجه الطاغية، وإلا فالمجتمع الدولي وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا كانوا من أهم المتعاونين استخباريًا مع نظام القذافي.

إن الشعب الليبي يقف اليوم أمام امتحان جديد، نسأل الله أن يوفقهم لبناء دولتهم، وأن يؤسسوا لمنهج العدل والمساواة في نظامهم الجديد، كما نسأل الله أن يعين بقية الشعوب المستضعفة حتى تتغلب على ما تعاني من ظلم وطغيان.

الخطبة الأولى

قبس من سيرة الإمام الجواد

ورد عن الإمام الجواد ؏: «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة. وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم»[1].

إن الاحتفال بمناسبات ذكريات أئمة آل البيت ؏ وعظماء الإسلام ليس عملًا ترفيًا. وإنما هو نشاط قيمي أخلاقي، يستهدف توثيق علاقة أبناء الأمة بسيرة قادتها الربانيين، والاستفادة من مدرستهم. فمن فوائد الاحتفاء بذكرياتهم هو استحضار سيرتهم واستذكار توجيهاتهم وتعاليمهم.

إننا حينما نحتفي بهذه الذكريات فإن علينا أن نحسن الاستفادة، فلا يكون التفاعل معها عاطفيًا فقط، أو مجرد عادة اجتماعية، وإنما ينبغي أن يسأل كل واحد منا نفسه في هذه المناسبات والذكريات عن مدى معرفته بحياة هذا الإمام؟ وماذا استفاد من احياء المناسبة المتعلقة به؟.

من هذا المنطلق فإننا حينما تمرّ علينا هذه الأيام ذكرى وفاة الإمام محمد الجواد ؏ تاسع أئمة أهل البيت، فإن علينا أول ما نتذكر هو أن هذا الإمام كان أقصر الأئمة عمرًا، إذ لم يتجاوز عمره الخامسة والعشرين، وفي هذا درس بليغ علينا استحضاره، يتمثل

(١) ابن أبي الفتح الإربلي. كشف الغمة، ج ٣،ص ١٤١.

في أن حياة الإنسان لا تقاس بطول أو قصر حياته، وإنما بكفاءاته وإنجازاته، فلربما عاش الانسان عقودًا طويلة من الزمان، فيما يعيش آخر عمرًا أقصر، وعند المقارنة بين ما قدمه كلا الشخصين فإنك قد تجد الفارق كبيرًا لصالح ما قدمه الثاني من إنجازات.

لقد عاش الإمام الجواد عقدين ونصف من الزمن كانت مليئة بالعطاء، ولا يزال عطاؤها مستمرًا لأبناء الأمة حتى الوقت الراهن، وتمثل هذا العطاء في تراث الإمام الفكري، والكوادر والطاقات البشرية التي ربّاها من أبناء الأمة في حياته، علمًا بأن هذا الإمام ابتلي بلون من الابتلاء مغاير في طبيعته عن غيره من الأئمة الذين ابتلوا بألوان أخرى من البلاء، من الحبس في السجون والتعرض للقهر والإيذاء، فبعد وفاة أبيه الإمام الرضا جلبه المأمون العباسي وزوجه ابنته، وفرض عليه الإقامة بالقرب منه، كما أن الخليفة المعتصم فرض عليه مغادرة المدينة المنورة والإقامة في بغداد تحت رقابته.

إن في حياة الإمام الجواد ﴿عليه السلام﴾ درسًا عظيمًا يتمثل في إمكان تعرض الإنسان المؤمن في هذه الحياة لأنواع الابتلاءات، وعليه تبعًا لذلك أن يختار أفضل الطرق لخدمة دينه ورسالته ضمن الظروف التي يعيش فيها. فكما أن هناك إمامًا كالكاظم ﴿عليه السلام﴾ قضى جلّ حياته في السجون، فإن إمامًا آخر كالجواد اضطر للإقامة قريبًا من بلاط الحاكمين، لكن الهدف في كلتا الحالين كان واحدًا والمسيرة واحدة. وتكمن العبرة هنا في ان اختلاف الظروف هو الذي يفرض اختلاف أساليب العمل.

كيف تكسب رضوان الله؟

لا شك أن رضوان الله هو الهدف الأكبر للمؤمن، وما عدا ذلك يُعدّ من الجزئيات. يقول الإمام الجواد في جملة ارشاداته: «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة».

أولًا: كثرة الاستغفار

الاستغفار يعني الندم على ارتكاب الذنب، والعزم على ترك الخطأ، ومعالجة النقص في حياة الإنسان. ولا شك أن الإنسان الذي يهتم بتجاوز أخطائه وعثراته يكون أقرب إلى الله ورضوانه، ولهذا وردت في هذا السياق نصوص كثيرة في فضل الاستغفار، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «من كثرت همومه فعليه بالاستغفار»[١]. إن تكالب الهموم على الانسان منشؤه غالبًا المشاكل والأخطاء، من هنا لزم على الإنسان أن يراجع نفسه ويعالج نقاط الضعف عنده.

وورد عنه ﷺ: «خير الاستغفار عند الله الإقلاع والندم»[٢]. فالاستغفار ليس مجرد لقلقة لسان، وإن كان التلفظ بالاستغفار مطلوبًا لتأكيد المعنى في نفس الإنسان وسلوكه، لكن التلفظ الحرفي بالاستغفار ليس مقصودًا بذاته.

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه»[٣]، وذلك يشبه إلى حدٍّ كبير إذا أغضب شخصٌ شخصًا آخر بكلمة مسيئة ثم اعتذر إليه، ثم لم يلبث أن أعاد نفس الكلمة، فإن ذلك سوف يعتبر من قبيل الاستهزاء بالآخر حتمًا. من هنا فكثرة الاستغفار هي في طليعة الخريطة والطريق إلى بلوغ رضوان الله.

ثانيًا: لين الجانب

ينبغي للإنسان المؤمن أن يتحلى بلين الجانب في علاقاته مع من حوله من الناس، وأن تكون سمعته على هذا الصعيد سمعة طيبة. إن لين الجانب مع الأقربين منا؛ زوجة، أولادًا، خدمًا وما شابه، هو مما يجلب رضوان الله، وذلك على النقيض من بعض الناس الذين يكونون أشدّاء مع من حولهم.

---

(١) الكافي. ج ٨، ص ٩٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج٧. ص٢٥٥.

(٣) الكافي. ج٢، ص٥٠٤.

ثالثًا: كثرة الصدقة

بأن يكون الإنسان معطاءً لمن حوله من الفقراء والمعوزين وذوي الفاقة وأهل الحاجة. ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «داووا مرضاكم بالصدقة»[١]، وجاء أيضًا عنه ﷺ: «استنزلوا الرزق بالصدقة»[٢]، فكلما أعطى الإنسان وتصدق من ماله فهو الكاسب الأول وهو المستفيد، ومصداق ذلك الرواية الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره، وفخره، وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه»[٣]. إذا قصدك أحد لحاجة ما، فتذكر قول الإمام بأنك أنت الأحوج منه لتلك الصدقة، لأنك إذا أعطيته فإنك تنفع نفسك في وقت الحاجة الملحة.

ينبغي أن يعوّد الإنسان نفسه التصدق ولو بالشيء القليل، وأن يعود أبناءه ذلك. إن بعض المؤمنين يحرصون على دفع الصدقة اليومية فيبدؤون نهارهم بالصدقة، فأمثال هؤلاء برمجوا أنفسهم على أن يبدؤوا يومهم بالصدقة، فيخرج الواحد منهم من منزله ورعاية الله تحفه، وتوفيق الله يحيط به. ولعل وجود صناديق جمع الصدقات في بعض الأماكن والبيوت محفّزٌ على التذكير والتشجيع على دفع الصدقة، كما أن بعض الناس يحرص على إخراج صدقة مع نهاية يومه، وقبل أن يخلد للنوم، وهكذا أمام أي مشوار أو عمل.

إن كل لحظة من حياة الإنسان هي فضل من الله وخير منه، فعليه أن يشكر هذا العطاء وهذا الخير. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اعطوا الواحد والاثنين والثلاثة ثم انتم بالخيار»[٤] وفي نصّ آخر عنه عليه السلام: «أطعموا ثلاثة وإن شئتم أن تزدادوا

---

(١) مجمع الزوائد. ص٦٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٨١.

(٣) كشف الغمة، ج ٣، ص ١٣٩.

(٤) بحار الأنوار. ج ٩٣،ص ١٥٩.

فازدادوا وإلا فقد أديتم حق يومكم»[1].

فالإمام يشير إلى أن إخراج الصدقة ثلاث مرات في اليوم على الأقل، بينما في المقابل تجد هناك من ينزعج إذا أتيت له بعد شهر أو سنة للتبرع لمشروع خيري، فيقول للتو قد دفعت الشهر الماضي للمشروع الفلاني!، والسؤال؛ ماذا ينقص منك إذا تبرعت ببعض مالك والمعطي هو الله في كل لحظة، فعلى من تمنّ؟

إن دوام الشكر، والاعتراف بالفضل، والشكر لله على العطاء ينبغي أن يكون بعدد أنفاس الإنسان فذلك هو أعظم معروف يمكن أن يسديه لنفسه.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل المعروف.

(١) من لا يحضره الفقيه. ج ٢، ص ٦٩.

الإسلاميون وبناء الدولة المعاصرة

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[سورة الحج، الآية: ٧٨]

يمثل الإسلام الهوية الأساس لهذه الأمة، وتخليها عنه يعني التخلي عن هويتها والانسلاخ عن ذاتها، وأن تصبح فريسة لأطماع المستعمرين والحاقدين.

يومًا بعد آخر، يتجلى للعالم عمق الانتماء الديني في نفوس أبناء الأمة الإسلامية، هذه الأمة التي مرت عليها قرون من محاولات التضليل والصدّ عن دين الله، والسعي المحموم من أعداء الإسلام في الداخل والخارج، لكي يحولوا بين جماهير الأمة ودينها، فسعوا من أجل تمكين مختلف الآراء والتيارات والتوجهات المخالفة للإسلام، بل وفرضوا أنماطًا من السلوك والثقافات المناوئة للإسلام، كل ذلك بغرض أن تبتعد الأمة عن دينها وأن تترك قيمها الإسلامية، لكن جماهير الأمة أثبتت تمسكها بدينها.

لقد أصبح الإسلام الوسيلة وأمل الخلاص لهذه الأمة. فبعد أن جربت الشعوب مختلف الأنظمة التي رفعت الشعارات المختلفة، ولم تذق منها الا الشقاء والظلم والتخلف. أيقنت الأمة بأن خلاصها في دينها والعودة إلى هويتها، فكم حاولت الأتاتوركية في تركيا، والشاهنشاهية في إيران، والبورقيبية في تونس، والأحزاب البعثية والماركسية والعلمانية المتطرفة في بلدان كثيرة من العالم العربي والإسلامي، كم

حاول كل أولئك أن يصرفوا الأمة عن دينها، وأن يطبقوا عليها قسرًا الأنظمة والقوانين المخالفة للدين، حتى وصل الأمر إلى فرض طريقة اللباس، وتغيير الحروف الهجائية من العربية إلى اللاتينية كما في تركيا، وفي إيران لم يكن الحال أحسن من ذلك، فقد كانت تدور هناك رحى معركة ضد الحجاب في عهد الشاه رضا خان والد الشاه الأخير لإيران، حيث كان رجال السلطة ينزعون الحجاب من على رؤوس النساء بالقوة والإكراه، وحصل مثل ذلك بأشكال مختلفة في بلدان أخرى، كما جرت في تركيا حرب مشابهة لمنع ارتداء الرجال القبعة التي تلبس على الرأس على غرار العمامة، ومبعث تلك الحرب هو اعتبار القبعة شعارًا ورمزًا كان يمارسه المسلمون المتدينون.

لقد كانت تطال تلك الحرب هذه الأمور والممارسات الدينية المألوفة، فضلًا عن مختلف الألوان والأنماط من المحاربة للإسلام في أفكاره وقيمه، ولكن ما أن انجلت الغبرة، وذهبت حالة القمع والقسر، حتى تجلت للعالم حقيقة إصرار وتمسك الشعوب الإسلامية بدينها، وهذا ما بدا واضحًا من اختيارات الشعوب العربية والإسلامية.

عمق الانتماء الديني في الأمة

وبالرغم مما تعرضت له الشعوب الإسلامية من نمط فظيع وشنيع من التغريب والتغييب للدين، ومحاولات محو الهوية الإسلامية، ومحاربة الإسلاميين، إلا أن حقائق الواقع أثبتت عكس ذلك تمامًا. وما جرى في الانتخابات التونسية الأسبوع الماضي، وفوز الإسلاميين فيها بالمقام الأول، يخلص إلى تلك النتيجة، فتونس من البلدان العربية التي تعرضت لألوان من سياسات التغريب، ومحاولات محو الهوية الإسلامية، ولكن حينما أتيحت الفرصة لأبناء الشعب التونسي للمشاركة في انتخابات حرة، تحدث العالم كله عن نزاهتها وعن صدقيتها، رأينا كيف أن غالبية الأصوات ذهبت للاتجاه الديني المتمثل في حركة النهضة؛ لأنها تمثل رمز الحالة الإسلامية في تلك البلاد.

لقد نالت حركة النهضة أكثر من أربعين في المئة من الأصوات، فيما جاءت بقية الأحزاب في مراتب متأخرة بالرغم من قدراتها وإمكاناتها، ودعم الجهات المختلفة لها، وهذا ما نتوقعه من تقدم للاتجاهات الإسلامية في مختلف البلاد العربية والإسلامية، فيما لو أتيحت للشعوب فرصة الاختيار.

لقد رأينا ذات الأمر في إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، وكيف أبدى الشعب تمسكه بدينه، وعلى غرار ذلك ما جرى في العراق بعد سقوط حكم البعث، وكيف التف الناس حول قياداتهم الدينية فور سقوط النظام، وهانحن نرى الآن في تونس، وحينما تجري الانتخابات في مصر وليبيا سنرى مثل ذلك أيضًا، وهكذا في أوساط كل شعب إسلامي تتاح له فرصة التعبير عن رأيه. إن هذا مما يؤكد عمق الانتماء الشعبي للدين، وأن هذه الأمة لا تريد استبدال هويتها الإسلامية بأي هوية أخرى.

تحدّي إقامة الحكم الرشيد

ومع ذلك لا بُدّ من القول أن هناك تحديًّا كبيرًا وخطيرًا أمام الأمة في هذه المرحلة. يتمثل في بناء الإسلاميين نموذج حكم مشرق متصالح مع العصر، قادر على معالجة التحديات المعاصرة التي تواجهها مجتمعاتها.

وإذا أردنا أن نتكلم بصراحة ووضوح، نقول إن هناك نوعين من الفهم والتوجه الديني في أوساط أبناء الأمة.

الأول هو ما تتبناه المدرسة السلفية التي تريد استنساخ ماضي الأمة، وإدارة الحكم والمجتمع على طريقة السلف، واحتذاء نماذج دول الخلافة الإسلامية الغابرة، وتطبيقها في هذا العصر.

أما المدرسة الأخرى فهي التي تنادي بضرورة الاجتهاد والانفتاح على العصر وعلى تطورات الحياة.

إن محاولة تطبيق النموذج السلفي في إدارة الحكم يصطدم بعدة حقائق، ومنها:

أولًا: لا نستطيع أن ننظر إلى تجربة السلف والأمة في تاريخها الماضي باعتبارها تجربة معصومة. فمهما اختلفنا في تقويم القائمين عليها من خلفاء وحكام، لكنها تبقى تجربة بشرية يرد فيها الخطأ والنقص، فما الداعي لأن نلزم أنفسنا بتجربة يتحدث التاريخ عن جود أخطاء ونواقص فيها. إن سيرة رسول الله ﷺ هي وحدها السيرة المعصومة، أما سير الخلفاء والحكام الآخرين فلا أحد يعتقد بعصمتها. فلماذا نلزم أنفسنا شيئًا لسنا متأكدين من صحته.

ثانيًا: إن السلف كانوا بشرًا مثلنا، اجتهدوا وسع جهدهم وفقًا لمعايير عصرهم. هذا أفضل ما يقال عن تلك التجربة، فلماذا نحرم أنفسنا حق الاجتهاد في عصرنا، والعمل بناءً على مقتضيات زمننا؟.

لقد أوردت المصادر التاريخية أنه حينما عرضت الخلافة على الإمام علي بعد مقتل الخليفة عمر في قصة الشورى، قال له عبد الرحمن بن عوف: نبايعك يا علي على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين. فاعترض أمير المؤمنين وقال: «على كتاب الله وسيرة رسوله واجتهاد رأيي»، فلم يقبل الامام علي بأن يلزم نفسه اجتهاد غيره، وقد علق على هذا الموقف الدكتور إسماعيل الشطي من رواد الحركة الإسلامية في الكويت، مشيرًا إلى نقطة مهمة، حيث قال ضمن مقال له:

(ولقد كاد الجيل الأول من المسلمين رضوان الله عليهم، أن يجعل من تجربته السياسية والتنظيمية في إدارة الدولة جزءًا من الشريعة، لو لا تصدي الإمام علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، لمثل هذه المحاولة، وكلفه هذا التصدي التضحية بمنصب الخلافة، في أول عرض لتوليها، عندما رفض الالتزام بتجربة الشيخين بعد كتاب الله وسنة نبيه، إذ كان تقييمه لهذه التجربة لا يعدو كونها اجتهادًا بشريًا، يسع من بعدهم، ويتسع لآفاق المستقبل السحيق. وبتضحيته هذه، أوقف الإمام -كرّم الله وجهه-

زحف الثابت من الدين إلى حدود تلك المساحات)[١].

ثالثًا: هناك تغير كبير ملحوظ في الظروف والأوضاع التي تعيشها الأمة والمجتمعات البشرية، ولا بُدّ لنا من الاستفادة من التجارب الإنسانية. حقيقة الأمر إننا لا نستطيع أن نبني نظامًا للحكم في هذا العصر، وأن ندير الدولة والمجتمع بنفس الطريقة التي كانت في العصور السابقة، فالبشرية قطعت شوطًا كبيرًا، وباتت أمام مخزون هائل من التجارب الثرية، حول بناء نظم الحكم التعددية والديمقراطية التي تراعي حقوق الإنسان، ويتم خلالها التداول السلمي للسلطة، تحت رقابة قضائية، وفصل واضح بين السلطات، من هنا فنحن لا نستطيع أن نغض الطرف عن هذه المكاسب، وهذا هو الامتحان والتحدي القائم أمام الإسلاميين الذين يتجهزون لتسلم مقاليد الحكم في عدد من البلاد العربية.

وعلينا ألّا نغفل حقيقة الفشل الذريع الذي منيت به التجربة الطالبانية في أفغانستان، فحينما جاءت طالبان للحكم، رأت الأمة والعالم كيف أنهم فشلوا في إدارة بلادهم بطريقة تناسب هذا العصر، وأبعد من ذلك فقد أصبحوا مثارًا للسخرية في مختلف مجتمعات العالم، من هنا تبرز الحاجة إلى نماذج إسلامية متصالحة مع العصر، فهذا هو الامتحان الكبير أمام الإسلاميين.

إن قادة الأحزاب الإسلامية في تونس ومصر وليبيا اليوم أمام فرصة تاريخية، يستطيعون من خلالها أن يقدموا للعالم وللأمة نماذج حكم متصالحة مع العصر، منفتحة على التجارب الإنسانية الجديدة.

أولويات الحكم في هذا العصر

إن ما رأيناه من إقبال كبير على الانتخابات فاق كل التوقعات في تونس، وحصول

---

(١) الدكتور إسماعيل الشطي، الإسلام الذي نريد، جريدة الشرق الأوسط، العدد ٧١٣١، الصادرة بتاريخ ٧/ ٦/ ١٩٩٨م.

الاتجاه الإسلامي على النسبة الأكبر من الأصوات، يضع الإسلاميين أمام مسؤولية كبيرة، نتمنى معها أن يضعوا نصب أعينهم التجربة الناجحة للإسلاميين في تركيا، بقيادة حزب التنمية والعدالة الحاكم. فالتجربة التركية برعت في تقديم الأولويات الملحّة ضمن برامجها في إدارة الحكم، فلم تنشغل بمسائل فرعية هامشية من الدين، بل اتجهت إلى القيم الأساسية، كمسألة الحريات والعدالة وكرامة الإنسان، والتقدم الاقتصادي، وتلبية احتياجات المواطنين. فبالرغم من أهمية مختلف جوانب الدين إلا أن هناك أوليات ملحّة، ينبغي أن تولى الاهتمام الأكبر على حساب ما عداها. ينبغي ان لا ينشغل الإسلاميون في القضايا الهامشية، حتى لا يضيعوا هذه الفرصة النادرة التي لاحت أمامهم لقيادة مجتمعاتهم نحو دولة العدالة والرفاه والكرامة.

إن تقديم الأولويات أمر نابع من صميم الدين والنهج النبوي الشريف في إدارة المجتمع والشأن العام. فنحن نقرأ في سيرة رسول الله ﷺ كيف كان في أكثر من مورد يأخذ الظرف الذي يعيش فيه بعين الاعتبار، وكان يحسب حسابًا في بعض الجوانب والأمور للرأي العام المحيط به، ولذلك نقلت عنه نصوص منها؛ قوله ﷺ: «لولا أن قومي حديثو عهد بالجاهلية لفعلت كذا ولأمرت بكذا»، وفي حديث آخر: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بكذا وطلبت منهم كذا». وهناك نص يقول: «لكي لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه» رغم استحقاق بعضهم للقتل، ولكن حتى لا تشيع في أوساط العرب سمعة سيئة عن الدين وعن الرسول ﷺ فهو يتجنب الإقدام على معاقبة من يستحق العقاب.

إن على الإسلاميين الذين هم بصدد تسلم مقاليد الحكم في بعض البلاد العربية، أن يأخذوا مسألة الأولويات بعين الاعتبار. فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، إن هذه الآية الكريمة لا تقتصر على الأحكام الفردية كالصوم والصلاة، كأن يتيمم المصلي إذا تعذر عليه الوضوء مثلًا، وإنما تنطوي الآية على قاعدة عامة للفرد والمجتمع، لذا يمكن القول؛ ما جعل عليكم (كأمة) من حرج، فأي حكم قد

يسبب حرجًا للأمة في وقت من الأوقات، أو ظرف من الظروف، فإن بإمكان الفقهاء أن يجددوا النظر في آلية تنفيذه وتطبيقه، بناء على ما تقتضيه مصلحة الأمة.

ولعل من البشائر الطيبة أننا نجد اليوم تناميًا مضطردًا للوعي الإسلامي المنفتح على العصر.

لنا أمل كبير في الطرح الإسلامي الوسطي المعتدل المنفتح، فهو الذي يستطيع أن يحقق مصالحة بين الأمة وبين العصر الذي تعيش فيه.

نسأل الله أن يأخذ بأيديهم جميعًا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين.

الخطبة الأولى

الثبات على المبدأ ومقاومة الضغوط

جاء عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال في وصيته لجابر بن يزيد الجعفي: «إن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع، وفكر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك، فسقوطك من عين الله عز وجل أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن تتعب بدنك»[1].

إن الثبات على المبدأ في مواجهة الضغوط والصعوبات المختلفة، هو الشعار الذي ينبغي أن يتحلى به الإنسان المؤمن في هذه الحياة. فالإنسان بطبعه يرتاح لرضى الآخرين عنه، فمتى ما عاش في محيط اجتماعي راضٍ عنه، كان ذلك سببًا لراحته النفسية. إن من مسلمات الأمور أن على المؤمن أن يترك لدى الآخرين السمعة الحسنة والانطباعات الطيبة عن نفسه، غير أن الشيء المهم ألّا تكون نظرة الناس لنا هي معيار التقويم للذات ولسلامة المنهج، وإنما يكون وفقًا لمعيار المبادئ ومدى الالتزام بها بالدرجة الأساس، أما رأي الناس فينا مدحًا أو ذمًا فذلك ما يجب أن يأتي في المرتبة التالية. ينبغي للإنسان المؤمن أن يقيّم نفسه على أساس المبادئ والقيم.

إن رضا عامة الناس ربما يكون سهل المنال، متى ما التزم الفرد توجهًا يستهوي هذه العامة. ولكن السؤال الأهم: هل هذا الاتجاه يتطابق مع المبادئ والقيم؟. حقيقة

(١) تحف العقول. ص٢٨٤.

الأمر، لا ينبغي للمرء أن يسير على منهج معيّن لمجرد خطب ود الآخرين، فرضى الآخرين لا ينبغي أن يكون هو الهدف. إن هدف المؤمن هو رضا الله تعالى، وأن يكون ملتزمًا هذا المبدأ. إن من المفهوم أن الانسان المؤمن ومن خلال سلوكه الحسن مع الآخرين يسعى لجذب رضاهم، ولكسب السمعة الحسنة بينهم، بالالتزام بحسن القول، وطيب السيرة، وسلامة السلوك، وليس بالتنازل عن مبادئه. المبادئ والقيم العليا ينبغي أن تبقى بعيدة عن الشك لمجرد عدم قناعة الآخرين بها.

إن التمسك بالمبادئ العليا التي يؤمن الإنسان بها عن قناعة وعلم حجة على المرء، فلا يقبل منه بأي حال التنازل عن ما اكتشفه وتبين له. هذا يذكرنا بعالم الفلك الإيطالي الشهير (غاليلو) الذي توصل إلى حقيقة أن كوكب الأرض ليس إلا جرم سماوي متحرك، ولا يمثل مركز الكون كما كان الاعتقاد السائد في الأوساط الدينية الكنسية في تلك الآونة، لكن (غاليلو) لم يتنازل عن تلك الحقيقة العلمية التي توصل لها رغمًا عن الكنيسة والحكومة والرأي العام الذي كان بالضد منه تمامًا.

وصية من الإمام الباقر

إن الفقرات التي بدأنا بها حديثنا من وصية الإمام الباقر عليه السلام لجابر الجعفي، تؤكد على نهج الثبات على المبادئ رغم ضغوط البيئة الاجتماعية.

ومقتضى قول الإمام أنه إذا لامك الناس وكان الحق معك فذلك ثواب لك، تلك هي سيرة الأولياء والصالحين حينما يسمعون كلامًا سيئًا بغير حق، فإنما يقولون هذا ثواب بالمجان حصلنا عليه.

ويستمر الإمام في تأكيد هذا المفهوم والمبدأ بالقول: «واعلم أنك لا تكون لنا وليًا حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك (مجتمعك) وقالوا إنك رجل سوء، لم يحزنك ذلك، ولو قالوا أنك رجل صالح لم يسرك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله فإن كنت سالكًا سبيله فإنه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مباينًا للقرآن فماذا الذي يغرك من نفسك؟».

إذًا فالمبدأ والمعيار الذي يجب أن يلتزم به الإنسان المؤمن، هو كتاب الله لا كلام الناس الذي غالبًا ما يكون خاضعًا للأهواء والميول.

لقد عاصر الإمام محمد الباقر، خامس أئمة أهل البيت ، الذي نعيش ذكرى رحيله هذه الأيام، الطغيان الأموي في أقسى مراحله، لكنه كان مثالًا للثبات على المبدأ ومقاومة الضغوط. فقد شهد في حداثة سنه مأساة كربلاء، وهو بعد لم يكمل السادسة من عمره، وبعد ذلك عاصر بقية الحكام الأمويين، ورأى ظلمهم وطغيانهم، إلى عهد هشام بن عبدالملك حيث التحق بالرفيق الأعلى سنة ١١٤هـ عن عمر ناهز ٥٨ عامًا.

لقد أتيحت للإمام الفرصة لنشر معارف وعلوم الإسلام؛ لأن الدولة الأموية في عهودها الأخيرة كانت تعاني من ضعف شديد، وكانت الثورات المناهضة لها تتوالى وتتابع في مختلف الأرجاء، فانشغل الحكام نسبيًا عن أهل البيت، ووجد الإمام الباقر الفرصة سانحة لنشر العلوم، وهو من أرسى أساس جامعة أهل البيت في أرجاء الأمة، حيث كان في المدينة المنورة، وكان يستقبل الطلاب والسائلين من مختلف الأرجاء، ولذلك عرف بالباقر؛ لأنه بقر العلم بقرًا، أي شقّه وأخرج أسراره ومخبوءاته كما يقول العلماء والمؤرخون، وقد أوردت المصادر أسماء أكثر من أربعمائة وثمانين من العلماء والفقهاء والرواة ممن أخذوا عنه العلم وتشرفوا بصحبته.

مواجهة الضغوط الاجتماعية

هنا لا بُدّ وأن نؤكد على أمرين:

الأول: إن على الشاب المؤمن والفتاة المؤمنة اللذين قد يعيشان في محيط سيئ، أن يلتزما بمبادئهما وقيمهما وأحكام دينهما، وألّا يتأثرا بالضغوط الاجتماعية التي قد تواجههما، وألّا يستسلما لقول من هنا أو اتهام من هناك بالرجعية أو التعقيد.

نحن اليوم نعيش زمنًا قد تضغط على الإنسان فيه أجواء الفساد والانحراف، وقد تدفعه نفسه للانسياق حتى لا يكون شاذًا عن محيطه، وأكثر من يواجه هذا التحدي هم الشباب الذين يعيشون في أوساط بعض الشلل، فيرون أن الانحراف هو السمة السائدة

فيمن حولهم، وهنا قد يرى الشاب نفسه شاذًا عن هذا الجمع والجو، وما عليه هنا إلا أن يستحضر مثل هذه الوصايا للإمام الباقر، وكما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «فلا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل»[(١)].

الثانية: إن على المصلحين وذوي الرأي في المجتمعات، ألّا تهتز ثقتهم بأنفسهم، لمجرد إعراض الناس من حولهم، وعدم قناعتهم بكلامهم. فالمصلح له رأي ووجهة نظر هو مقتنع بها، ولكن من حوله إما لأنهم لم يدركوا هذا الرأي الذي لديه ولم يتفهموه، أو أنهم يعيشون تحت تأثير عوامل أخرى، ومراكز قوى تؤثر على عقولهم وتوجهاتهم، هنا قد يجد المصلح نفسه محاصرًا بآراء تخالف رأيه ومعتقده، فعلى صعيد التكتيك من حق المصلح أن يداري الناس، وأن يتصرف بما يتناسب مع ظرفه وموقفه، ولكن على المستوى الداخلي النفسي لا ينبغي أن تهتز ثقته بنفسه، ولا أن يتزلزل؛ لأن الناس من حوله لم يقبلوا كلامه، إنما عليه مداراة الناس وتقدير استيعابهم، ومدى تقبلهم للرأي الجديد عليهم، دون أن يدفعه ذلك للتشكيك في قناعاته انسياقًا خلفهم، حتى لا يصبح مصداقًا للآية الكريمة ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ وكما ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «ولا تكونن أمعة، تقول: أنا مع الناس وأنا كواحد من الناس»[(٢)].

إن على الإنسان أن يلتزم مبادئه، وألّا يخضع للضغوط الخارجية، فإن الأنبياء عانوا أكثر من ذلك وقد اتهموا بالجنون والسحر، وتفرّق الناس عنهم، وعلى غرار ذلك كان الأمر بالنسبة للأئمة والمصلحين والأولياء، كل ذلك ينبغي أن يكون درسًا للإنسان في أن يكون واثقًا من نفسه، ومن مبادئه التي آمن بها عن حق، فلا تهتز نفسه ولا يضطرب ولا يتزلزل.

هذا ما نستفيده من سيرة الإمام الباقر في ذكرى وفاته، ونسأل الله أن يثبتنا على ولايته ويصلح أمورنا وأمور المسلمين.

---

(١) الكافي. ج٨، ص٢٠٧.

(٢) تحف العقول. ص٤١٣.

الخطبة الثانية

مع الحجيج على صعيد عرفات

ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «ما من بر ولا فاجر يقف بجبال عرفات فيدعو الله إلا استجاب الله له، أما البر ففي حوائج الدنيا والآخرة، وأما الفاجر ففي أمر الدنيا»[1].

وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «إن من أعظم الناس ذنبًا من وقف بعرفات ثم ظن أن الله لم يغفر له»[2].

شرعت فريضة الحج بمناسكها المختلفة لتروّض نفس الإنسان، وتدربه على معنى العبودية لله تعالى. إن هدف مناسك الحج أن يتربى المسلم على معنى العبودية، سواء أدرك مغزى النسك والمصلحة من وراء العمل العبادي الذي يؤديه أم لا. فالشأن العبادي والتشريعات الدينية المتعلقة به لا ينبغي أن يكون الالتزام بها مرهونًا بمدى تفهم المرء لمغازيها، أو الإدراك الفعلي للمصلحة من ورائها، وإنما غاية ما هناك أن على المرء أن يطيع أمر ربه سبحانه تعالى.

لقد أجاب نبينا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام أمر ربه بناءً على رؤيا رآها في المنام ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾. وبذلك جسّد إبراهيم وإسماعيل

(١) مستدرك الوسائل. ج ١٠، ص ٢٦.

(٢) وسائل الشيعة. ج ١٣، ص ٥٤٧.

معنى العبودية، فالإنسان المسلم ملزم بطاعة أوامر ربه في كل مجال من المجالات، ولا يسمح لنفسه وأهوائها وشهواتها أن تحول بينه وبين أوامر ربه، فهو حين يستجيب لشهواته لا يكون عابدًا لله، وإنما عبدًا لأهوائه ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾، فالمسلم يقول في كل يوم، وفي كل صلاة، أنه يعبد لله ويخاطبه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وهذا ما يفيد الحصر، أي لا نعبد غيرك، ومن هو الغير الذي تحصن نفسك كل يوم لئلا تكون عبدًا له؟ هذا الغير هو الأهواء والشهوات والرغبات والملذات، فأنت حينما تقرأ هذه الآية في كل صلاة أكثر من مرة، ثم تخضع إلى أهوائك وشهواتك فستكون غير صادق فيما تقوله في صلاتك وفي ادّعائك العبودية لله.

الحج عظمة الدين والأمة

تتجلى في فريضة الحج عظمة هذا الدين، وعظمة الأمة التي ينتمي إليها الإنسان المسلم. فهو يرى في الحج الناس من مختلف البقاع، ومختلف الألوان والأشكال واللغات والاتجاهات، كلهم يجتمعون على صعيد واحد وفي زيٍّ موحد، ويتجهون إلى الله داعين ملبين بهتاف واحد: لبيك اللهم لبيك. إن قلوب جميع المسلمين تتجه إلى مكة المكرمة، وإلى المشاعر المقدسة، وحيث يتواجد الحجيج.

إن كل مؤمن تحدثه نفسه ويتمنى في أعماق قلبه أن يكون مع أولئك الحجيج، وبإمكانه أن يكون معهم فعلًا متى ما عاش الأجواء الروحانية التي يعيشونها، وإذا ما سار في الخط الصحيح التي تريد مناسك الحج أن توجه سلوك الناس إليه.

بأدائه مناسك الحج ينال الإنسان المسلم خيرات كثيرة، فهو من خلال رحلته العبادية تلك ينفتح روحيًا على ربه تعالى، ويتمثل العبودية الكاملة لله سبحانه وتعالى، عبر الامتثال المطلق للأوامر الإلهية التي تأمره بأن ينزع ثيابه فينزعها، وأن يلبس شيئًا محدودًا فيلبس الإحرام، وأن يتقيّد بكل محظورات الإحرام، والمناسك المتنوعة المختلفة من طواف وسعي ونحر ورمي جمار وحلق أو تقصير.

إن فريضة الحج تُعدّ تجسيدًا عمليًا لوحدة الأمة. فالوحدة الاسلامية، هذا المبدأ العظيم، يتجسد في الحج، فالحاج وهو يطوف بالبيت الحرام، يلتفت عن يمينه، وشماله، وأمامه، وخلفه، فيجد الطائفين من مختلف الأقوام والشعوب، فيدرك أنه جزء من أمة كبيرة، وأن هذه الأمة هي أمة واحدة كما أراد لها الله تعالى بقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾. ينبغي للمسلمين أن يستفيدوا وأن يجسدوا وحدتهم من خلال مناسك الحج، بأن تسودهم أجواء الألفة والمحبة والوحدة، وأن يواجهوا المحاولات التي تسعى لتفريقهم وتمزيقهم والإساءة للعلاقات فيما بينهم، هذا ما يجب أن يستوحيه المسلمون من مناسك الحج.

كما ينبغي للإنسان المسلم في الحج أن ينفتح على تاريخ دينه، وعلى تاريخ النبوات والرسالات السماوية. إن المسلم عندما يصلي عند مقام إبراهيم إنما يستحضر بذلك مواقف نبي الله إبراهيم الخليل، ومواقف ابنه إسماعيل، ومواقف زوجته الصابرة المجاهدة هاجر، إنه يرى بأمّ عينيه تلك الربوع التي انبثق منها نور الإسلام والتي ظهر فيها الوحي.

وكان يفترض أن يستفيد المسلمون في هذه الرحلة من الاطلاع على آثار ومعالم دينهم وتراثهم، ولكن مما يؤسف عليه أن كثيرًا من تلك المعالم والآثار التاريخية قد طُمست، وهذا ما حرم المسلمين من أن يتواصلوا مع تاريخهم بشكل محسوس.

إعادة بناء الذات:

وفي الحج يتجه المسلم بكل جوارحه إلى الله معترفًا بذنوبه، راجيًا منه التوبة والمغفرة، وخاصة على صعيد عرفات. ورد عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: «أما علمت أنه إذا كان عشية عرفة برز الله في ملائكته إلى سماء الدنيا، ثم يقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثًا غبرًا أرسلت إليهم رسولًا من وراء وراء، فسألوني ودعوني، أشهدكم إنه حق عليّ أن أجيبهم اليوم، قد شفعت محسنهم في مسيئهم وقد

تقبلت من محسنهم فأفيضوا مغفورًا لكم»[١]. فينصرف الناس من عرفات وقد غفرت ذنوبهم وكل حاج ينصرف كأنه يوم ولدته أمه.

وعن الإمام الصادق ﴿عليه السلام﴾ قال: «وإنما تعجل الصلاة ـ يوم عرفة ـ وتجمع بينهما لتفرغ نفسك الدعاء فإنه يوم دعاء ومسألة ثم تأتى الموقف وعليك السكينة والوقار فاحمد الله وهلّله ومجّده واثن عليه وكبّره مئة مرة واحمده مئة مرة وسبحه مئة مرة واقرأ قل هو الله أحد مائة مرة، وتخير لنفسك من الدعاء ما أحببت واجتهد فإنه يوم دعاء ومسألة، وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فإن الشيطان لن يذهلك في موطن قطّ أحبّ إليه من أن يذهلك في ذلك الموطن، وإياك أن تشتغل بالنظر إلى الناس، وأقبل قبل نفسك »[٢].

ويحفل يوم عرفة، بجملة من الأدعية المأثورة الرائعة التي توجه الإنسان إلى ربه، وتجعله ينفتح على ذاته، وتجعله وجهًا لوجه أمام ثغراته ونواقصه وأخطائه، حتى يعاهد الله سبحانه وتعالى على التوبة والرجوع عنها. إنه برنامج مكثف لإعادة بناء الذات وتطهيرها من الشوائب والأقذار.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يشركنا في صالح دعوات الحجيج، وأن يوفقهم لأداء مناسك حجهم بيسر، وأن يعيدهم إلى ديارهم سالمين غانمين.

---

(١) وسائل الشيعة. ج ١٣، ص ٥٥١.

(٢) تهذيب الأحكام. ج ٥، ص ١٨٢.

الخطبة الأولى

الشخصية النرجسية

ورد عن علي عليه السلام: «وَ إِيَّاكَ وَ الْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَ الثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَ حُبَّ الْإِطْرَاءِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ»[1].

ثمة بون شاسع بين احترام الذات والثقة بالنفس، وبين الإعجاب بالنفس، أو ما يطلق عليه وصف (النرجسية) بحسب علم النفس. فالثقة بالنفس واحترام الذات أمران مطلوبان، فمن لا يثق بنفسه لن يتسنى له تفجير طاقاته وقدراته، فلا بُدّ للإنسان وأن يتمتع بالثقة بنفسه، وأن يحترم ذاته؛ لأن من لا يحترم ذاته سيفرط في كرامته وقيمته.

في مقابل ذلك قد يصاب بعض الأشخاص بحالة الإعجاب بالنفس، وهي حالة مرضية، تعني أن تتضخم في نفس الإنسان ذاته، وتجعله يغفل عن نقاط ضعفه، فيصيبه انتفاخ نفسي، يرى معه ذاته في أعلى علّيين، فيما يرى الآخرين في مرتبة أدنى منه بدرجات.

وقد تأتي حالة الإعجاب بالنفس، نتيجة إنجاز يحققه الإنسان، أو بسبب نقاط قوة تبرز في حياته، فيصاب عندها بحالة من تضخم الذات والانتفاخ، نتيجة المبالغة الزائدة في تقدير ذاته، وهو ما يطلق عليه في علم الأخلاق: العجب، ويوصف في علم النفس الحديث بالشخصية النرجسية، وقيل بأن هذا التوصيف مأخوذ من أسطورة

(١) نهج البلاغة. كتاب ٥٣.

يونانية، جاء فيها أن شخصًا كان معجبًا بجماله إلى حدٍّ كبير، فكان يصرف ساعات طويلة أمام المرآة، وكان يمشي يومًا ومر ببحيرة فلاح له منظره على صفحة الماء، ولأنه كان شديد الإعجاب بنفسه وقف أمام البحيرة، وهو يطيل النظر في صورته التي ظهرت على صفحات الماء، ومن سيطرة هذه الحالة عليه فقد توازنه ووقع في الماء وغرق، ووفقًا للأسطورة نبتت محل غرق الشاب نبتة، هي زهرة النرجس، فأطلق على حالة الإعجاب الشديد بالذات بالحالة النرجسية.

إن تقدير الذات والثقة بالنفس أمران يحتاجهما الإنسان، شريطة الحذر من الوقوع في المحذور، وهي الإصابة بحالة العجب بالذات.

أعراض الحالة النرجسية

إن الشخصية النرجسية لها سمات، وعلى كل إنسان أن يتأمل في نفسه ويتفحص مشاعره وأحاسيسه، تمامًا كما يفحص جسمه توقيًا للأمراض الجسدية. ومن سمات مرض الإعجاب بالنفس ما يلي:

- تضخم قيمة الذات وميزاتها ومهاراتها عند الإنسان. فهذا الشخص ينظر إلى ذاته وإنجازاته ومهاراته بشكل مبالغ وغير طبيعي، وبعيدًا عن الاتزان والموضوعية.
- حب المدح والإطراء. إن حب الإطراء يكاد يكون حالة بشرية عامة، إذ يفرح الناس عادة عندما ينالهم نصيب من المديح في هذا المحفل أو ذاك، ولكن هذه الحالة إذا تفاقمت وتمكنت من نفس الإنسان بحيث صار يتطلب المدح ويبحث عنه، فعندها تكون تلك حالة نفسية سلبية مدمرة، وفي المقابل تتفاقم لدى هذا الشخص الحساسية تجاه النقد، فلا يرضى بأي حال أن يقال له أنك أخطأت، علاوة على ما قد يحصل عند الإنسان من مبالغة وإفراط متجاوزين للحد، فكل شيء يرتبط به يعتبره الأفضل والأعلى في مقابل ازدراء أعمال

الآخرين وتحقير إنجازاتهم قلّت أو كثرت.

- توقع احترام الآخرين ومراعاتهم له وأن يجعلوه في الصدارة دائمًا، وإن لم يفعلوا ذلك اعتبره إهانة وإجحافًا مقصودًا بحقه، فالشخص النرجسي يترقب على الدوام الرئاسة في أي جماعة كان، دون أن يقبل بأقل من ذلك، ويزعجه لو حصل خلاف توقعه. وفي المقابل تجده يقلل دائمًا من شأن الآخرين فلا يطيق أن يُمدح عنده أحد، ولا أن تبرز مقابله مكانة أحد، يغار من بروز الآخرين.

أضرار الاعجاب بالنفس

إن الحالة النرجسية مرض يقود الإنسان إلى نتائج بالغة الضرر على شخصيته وحياته الاجتماعية، ومن ضمنها:

أولاً: توقف مسيرة النمو والتقدم. فالمعجب بذاته، الذي يرى نفسه في أعلى عليين، ولا شيء أفضل منه، لن يسعى بطبيعة الحال إلى تحقيق مزيد من التقدم، بينما إذا كان الإنسان يرى أنه لا يزال في بداية الطريق، وأن أمامه مشوارًا طويلًا للتحصيل والتقدم، امتثالًا لقول الله تعالى ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلا﴾، وفي آية أخرى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، فإن هذا الشخص سيكون مثابرًا على تقوية الذات، وتحقيق التقدم، وكسب المعارف.

إن صاحب الشخصية النرجسية يقف عند مكانه ولا يتقدم قيد أنملة، وهذا ما تشير إليه كثير من النصوص والروايات، فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر أنه قال: «إياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسن». وجاء عنه عليه السلام: «ما أضر المحاسن كالعجب»[١]، وبذلك يشير الامام إلى أن نقاط القوة عند الإنسان يضرها إعجاب المرء بها فلا تنمو ولا تتصاعد. وورد عنه عليه السلام:

---

(١) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٩٥٤.

«الإعجاب يمنع من الازدياد»[١]، كما ورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله: «لا تستكثروا كثير الخير»[٢].

ثانيًا: كراهية الآخرين ونفورهم من الشخص النرجسي، لأن الناس بطبعهم ينفرون ممن يتعالى ويتكبر عليهم، يقول الإمام علي عليه السلام في هذا السياق: «ثمرة العجب البغضاء»[٣].

ثالثًا: التعرض لسخط الله تعالى، فالإنسان المعجب بنفسه يكون مسخطًا لربه تعالى. وورد عن الإمام علي عليه السلام: «من كان عند نفسه عظيمًا كان عند الله حقيرًا»[٤]، ومفاد ذلك أن من تتضخم ذاته في نفسه يحتقره الله؛ لأنه سبحانه وتعالى يريد للإنسان أن يعيش حالة التواضع في نفسه، مهما بلغت مراتبه في أي مجال كان، ونقرأ في دعاء مكارم الأخلاق أن الإنسان المؤمن يطلب من الله تعالى حالة التوازن كلما تقدم وأنجز، وأن يظل متواضعًا في أعماق نفسه، فقد جاء في الدعاء: «اللهم صلِّ على محمد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزًا ظاهرًا إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها».

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نبي الله موسى سأل إبليس، فقال: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، فقال إبليس: «إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله، وصغر في عينه ذنبه»[٥]. كما ورد في السياق نفسه عن الإمام الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[٦].

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١٦٧.
(٢) الكافي. ج ٢، ص ٢٨٧.
(٣) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٩٤٧٢.
(٤) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٨٦٠٩.
(٥) الكافي. ج ٢، ص ٣١٤.
(٦) الكافي. ج ٢، ص ٣١٣.

من هنا كان على الإنسان أن يكون منتبهًا لنفسه، فلا تتضخم ذاته، وأن يعرف ويتذكر دائمًا فضل وقيمة الآخرين، فإن المعجب بنفسه لا يعرف لأحد فضلًا كما في الحديث، بل ولا يتردد في التقليل من شأن الآخرين وأعمالهم. إن على المرء أن يكون واعيًا ومنتبهًا في تعامله مع عائلته وزملائه والناس، حتى لا تنمو في نفسه هذه الحالة النرجسية.

إن عليه أن ينظر إلى من هم أعلى وأرقى منه حتى يشعر بالتواضع. إن من يعيش مع أناس أقل شأنًا منه قد تتكرس عنده هذه الحالة، ولكن إذا عاين من هم أعلى درجة منه، ووضعهم كنماذج يحتذي بهم، حينئذٍ سيشعر بأنه في بداية المشوار.

النرجسية المجتمعية

إن الحالة النرجسية ليست مرتبطة بالأفراد فحسب، بل قد تضرب مجتمعات بأكملها. فكما يشعر بعض الأفراد بأنهم عظماء وأنهم أعظم شأنًا من غيرهم دون وجه حق، كذلك قد تصاب مجتمعات بأكملها بهذه الحالة. وتتعدد أسباب نشأة هذه الحالة لدى المجتمعات، فقد يعتبر صنف من الناس أن مجرد انتمائهم إلى منطقة معينة يجعلهم الأفضل على من عداهم، ويدفعهم ذلك للازدراء بأهل المناطق الأخرى، فيعتبرونهم أقل مرتبة ومكانة منهم، فيما تجنح مجتمعات أخرى نحو الحالة النرجسية اتكاءً على أصولها العرقية أو القومية أو الدينية.

لقد عاب القرآن الكريم على اليهود والنصارى ادّعاءهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنه لن يدخل الجنة سواهم، إن هذه الحالة النرجسية تكاد تتجسد في أتباع العديد من الأديان أو المذاهب، فكثيرًا ما تجد فئة من الفئات تعتبر نفسها الأعلى شأنًا لانتمائهم لذلك المذهب، أو تبنيهم لذلك المعتقد، فتجدهم يعتبرون أنفسهم خيرة الناس على العالمين.

إن مجرد الانتماء الاسمي لقومية أو دين أو معتقد معيّن لا يجعل من أحد أفضل

من الآخرين على نحو تلقائي. يقول تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[سورة البقرة، الآيتان: ١١١-١١٢].

ورد عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال: «بلغ شيعتنا ... إنا لا نغني عنهم من الله شيئًا إلا بعمل صالح»[١].

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تذهبن بكم المذاهب فوالله لا تنال ولايتنا إلا بالورع والاجتهاد في الدنيا»[٢].

إن الحالة النرجسية سواء كانت على مستوى الفرد، أو على مستوى الجماعة، هي حالة مرضية على المرء أن يكتشفها ويعالجها قبل أن تستفحل.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا وأن يمكننا من تجاوز سيئاتنا ونواقصنا.

---

(١) القاضي النعمان المغربي. دعائم الإسلام، ج ١، طبعة ١٣٨٣، (القاهرة ـ دار المعارف)، ص ٦٢.
(٢) تحف العقول. ص ٣٠٣.

احتكار إسرائيل للقدرة النووية

﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ على الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا﴾[سورة النساء، الآية:١٤١]

المبادئ الإلهية تربي المؤمنين بها على العزة والكرامة. فالأمة المؤمنة يجب أن تمتلك إرادتها الكاملة، وألّا تخضع لهيمنة الآخرين، وحين تفقد الأمة إرادتها ويمارس الآخرون الهيمنة عليها، فإنما يؤشر ذلك إلى خلل كبير تعيشه الأمة في داخل إيمانها، فلو كانت الأمة صادقة في التزامها مبادئ الإيمان، لما كانت في مثل هذه الحالة. إن أمتنا مطالبة على الدوام بأن تبحث عن تفجير قدراتها، وامتلاك قوتها، وألّا تقبل الخضوع لهيمنة أو نفوذ أجنبي، مهما بلغت قوة أعدائها.

إن آيات الكتاب الحكيم تربط بين مكانة الأمة من حيث العزة والكرامة، وبين إيمانها والتزامها منهج الله سبحانه وتعالى، حيث جاء في الآية الكريمة: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾، ومعنى الآية الكريمة أنكم حينما تطبقون الإيمان على حقيقته وتلتزمون مبادئه، فإنكم ستكونون في المرتبة العليا، بمعنى غير خاضعين لهيمنة الآخرين، ولا تسيطر عليكم القوى المختلفة، وأنكم حتى لو واجهتم في وقت من الأوقات قوة ساحقة للعدو فإنها تبقى حالة مؤقتة، ما دمتم لا ترضون بها وتسعون لتجاوزها.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾، وفي ثالثة: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، هكذا تؤكد النصوص والروايات

على وجوب أن تكون الأمة الإسلامية في موقع العزة والكرامة، وألا تسمح بهيمنة الآخرين عليها، وتسلطهم على شؤونها وإرادتها.

من هنا حينما نجد الآن ما تعيشه الأمة الإسلامية من خضوع غالب بلدانها وشعوبها لهيمنة الأجانب ونفوذهم، فلا بُدّ وأن ذلك ناتج عن خلل كبير في واقع الأمة، فلو كانت الأمة ملتزمة المبادئ والقيم، وتعمل بما أمرها الله به لما أصبحت في مثل هذا الوضع، وحينما تسعى أجزاء من الأمة لتجاوز هذه الحالة ونراها تنجح في تحقيق ذلك، فهذا دليل على صحة هذه الحقيقة وعلى صواب هذا الكلام.

أمام عربدة إسرائيل

والسؤال الكبير هنا؛ كيف ترضى هذه الأمة الإسلامية الغنية بشريًا، والمترامية الأطراف جغرافيًا، وبمواردها الاقتصادية الضخمة أن تجرح كبرياءها وتهيمن على إرادتها أمة صغيرة قليلة العدد، كما نراها الآن أمام عربدة الكيان الصهيوني؟

إن هذه الحالة تكشف عن خلل فظيع تعيشه هذه الأمة، فاليهود بأجمعهم لا يزيد تعدادهم عن ٢٢ مليون نسمه في العالم كله، فيما يتجاوز تعداد الأمة الإسلامية على مليار وأربعمائة مليون مسلم!، فبالله عليكم كيف لعشرين مليون أن يمارسوا هذه العجرفة في ساحة هذه الأمة الطويلة العريضة؟.

يقوم اليهود بتجميع شذّاذهم من مختلف مناطق العالم، فيجيئون بهم إلى أرض فلسطين، ويغتصبون ديار المسلمين، ويحتلون مقدساتهم كالمسجد الأقصى، أولى القبلتين وثالث الحرمين، ويسفكون الدماء، ويهجرون الناس، ويهلكون الحرث والنسل، ويمارسون هيمنتهم في المنطقة كلها.

المسألة لم تعد اليوم مسألة كيان غاصب قد زرع في قلب المنطقة العربية والإسلامية وانتهى الأمر، بل الأدهى من ذلك أن هذا الكيان الغاصب المزروع قسرًا بات يمارس هيمنته علينا، ويجعل إرادته هي النافذة على المنطقة كلها، بزعمه أنه صاحب القوة

التي لا تقهر، ويصر على أن يكون متفوقًا في قدراته العسكرية والتكنولوجية، بحيث تكون جميع شعوب هذه الأمة تحت هيمنة الإرادة الصهيونية. إن هذه الأمة الكبيرة يجب أن ترفض رفضًا قاطعًا هذه الهيمنة من هذا الكيان، بأي شكل كان وعلى أي نحو من الأنحاء.

تفرد إسرائيل بالقدرة النووية

إن سبل ومظاهر الهيمنة الصهيونية باتت لا تخطئها العين. فإسرائيل التي تمتلك الطاقة النووية منذ بداية تأسيسها، ولديها ترسانة عسكرية نووية رهيبة تعرف عنها الدوائر الاستخباراتية والعسكرية في العالم، لكنهم يغضون الطرف عنها وكأنهم لا يعلمون ولا يدرون، بل ويرفضون حتى مجرد الحديث أو النقاش تجاه الملف النووي الإسرائيلي، علمًا بأن إسرائيل لم توقع على المعاهدة النووية، ولا على اتفاقية حضر انتشار الأسلحة النووية.

في مقابل ذلك يبقى محل شك أي بلد عربي أو إسلامي إذا ما حاول أن يمتلك التكنولوجيا النووية، حتى لو أعطى كل التطمينات بأن برنامجه سلمي، وأن برنامجه تحت إشراف وكالة الطاقة النووية. إن هذا التصرف يجيز لإسرائيل ويفسح المجال أمامها لمواجهة وتعطيل أي مسعى لإنشاء برنامج نووي عربي أو إسلامي.

وبالعودة إلى التاريخ الحديث نتذكر كيف حصل العراق من الاتحاد السوفيتي على أول مفاعل نووي سنة ١٩٦٨، ومنذ سنة ١٩٧٥ زودت فرنسا العراق بمفاعلين يعملان باليورانيوم المخصب، وأطلق على أكبرهما اسم تموز واحد، أما الثاني فكان يستخدم مفاعلًا تجريبيًا. ووقع العراق عام ١٩٧٧ برتوكول تعاون نووي مع إيطاليا يهدف إلى التدريب وأعمال الصيانة، كما تعاونت فرنسا مع العراق في إنشاء المفاعل النووي، لكن جميع ذلك لم يمنع إسرائيل من أن تقوم بنسف هذا المفاعل النووي العراقي في حزيران سنة ١٩٨١ على مشهد ومرأى من العالم كله، فقد قصفت

المقاتلات الإسرائيلية المفاعل النووي العراقي الذي أشيد بتعاون أروبي غربي، لا لشيء سوى رفضها قيام قوة نووية في المنطقة حتى تبقى هي الأقوى.

كما شنّت إسرائيل حملة على الحكومة الألمانية حينما وافقت على مساعدة مصر في إنشاء برنامج نووي، وقامت بعدها المخابرات الإسرائيلية باغتيال بعض العلماء المصريين المتخصصين في مجالات الذرة والفيزياء النووية، لأن لهم بحوثًا ونشاطًا في المجال النووي، سعيًا منها لوأد أي مشروع نووي عربي.

وعلى غرار ذلك حينما وصلت أخبار إلى إسرائيل بأن سورية تفكر أو تعمل على إنشاء مفاعل نووي، قررت أن تشن غارة وتقصف تلك المفاعلات النووية التي كانت تحت الإنشاء في أغسطس ٢٠٠٧، وكان ذلك على مرأى العالم ومشهد منه. وتكرر ذات الأمر مع ليبيا حينما أسست برنامجًا نوويًا فاشتدت عليها الضغوط الدولية إلى أن تنازل المقبور القذافي عن مشروع البرنامج النووي، وبذلك كسب رضا أمريكا والغرب عنه. ونتابع هذه الأيام تصاعد التهديدات الإسرائيلية لإيران وأنها بصدد شن غارات جوية ضد مفاعلات إيران النووية. هكذا تسعى إسرائيل إلى أن تكون هي القوة النووية الوحيدة في الشرق الأوسط لكي تهيمن على شؤون هذه المنطقة.

العدّ التنازلي للهيمنة الإسرائيلية

ويبقى السؤال، هل تستطيع إسرائيل مواصلة عجرفتها وعنجهيتها إلى الأخير؟ حقيقة الأمر، لقد استطاعت إسرائيل فرض هيمنتها على دول المنطقة؛ لأن الإرادة التي كانت تواجهها من الأمتين العربية والإسلامية كانت هشة ضعيفة، لكننا نعتقد أن الزمن تغير، وأن الأوضاع تغيرت، إسرائيل لن تعود بعد اليوم القوة التي لا تقهر، ولن تعود القوة التي لا توازى، لقد انتبهت الشعوب وامتلكت إرادتها، وإن كان بشكل تدريجي في بعض أجزاء هذه الأمة.

لقد رأينا كيف عجزت إسرائيل عن كسر إرادة الفلسطينيين المحاصرين في غزة،

فقد صمدوا رغم كل الحصار وكل الهيمنة، وكل وسائل الضغط العسكرية بمختلف الطرق، التي شملت الاغتيالات، وشن الغارات، والحصار الاقتصادي، لكنهم صمدوا أمام ذلك. كما رأينا صمود اللبنانيين المقاومين الشرفاء، رغم وقوف العالم كله بالضد منهم دعمًا لإسرائيل، كما نجد الآن إصرار الجمهورية الإسلامية في إيران على حقها في إكمال برنامجها النووي، وتواجه في سبيل ذلك الغطرسة الصهيونية المدعومة بغطرسة غربية.

إن جميع ذلك يجعلنا نزداد أملًا وتفاؤلًا بأن القوة الصهيونية بدأت عدها التنازلي، وأن هيمنة أمريكا والغرب بدأت تنحسر وتزول عن هذا العالم، كما سنرى بحول الله تعالى وإذنه كيف أن هذه التهديدات الإسرائيلية والغربية ليست سوى حملة إعلامية.

إن شعوب المنطقة مصرة على انتزاع حريتها، وعلى أن تعيش العزة والكرامة التي أرادها الإسلام لها، مهما فعل الأعداء. نعم، قد تواجه الشعوب المزيد من الصعوبات والنكسات والضغوط، لكن الأهم في الأمر ألّا تفقد إرادتها وعزمها وتصميمها، وهذا ما نأمله من القوى المقاومة لهذا العدوان الإسرائيلي والهيمنة الغربية، ومع تحرك الشعوب العربية في أكثر من بلد ستكون الفرصة متاحة على نحو أفضل لتعزيز إرادة المقاومة والممانعة والتحدي.

هذا ما نرجوه ونأمله، ونسأل الله تعالى النصر للإسلام والمسلمين وأن يدفع كيد الأعداء الحاقدين.

الخطبة الأولى

العطاء وآفة المن

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:٢٦٢]

إن بذل الإنسان الجهد والمال لقضاء حاجات الآخرين يعد نعمة كبيرة يهبها الله إياه، لا يفسدها سوى (المنّ) والشعور بالاستعلاء على المحتاجين. فالله الذي يعطي كل شيء من المال والقدرة والجاه، ولولا عطاء الله للإنسان لما استطاع أن يعطي أحدًا مثقال ذرة، وبذلك وجب عليه شكر الله؛ لأنه سبحانه وفقه لتبوأ مكانة المعطين، بخلاف الكثيرين الذي رزقهم الله من فضله لكنهم استسلموا لسيطرة الشح والبخل على نفوسهم.

من هنا إذا رأى الفرد نفسه وقد تسامت على هذا الشح، وأعطت مما أعطاها الله، فتلك نعمة تستحق الشكر. غير أن ما يجري في بعض الأحيان أن يصاب المرء المعطي بآفة الشعور بالاستعلاء وإشعار الآخرين بالحاجة، وذلك انطلاقًا من شعوره بأنه أعلى منهم، وأن له فضلًا عليهم، إلى درجة يشعرهم بالذل و(المنّ) والفضل عليهم.

ومعنى (المَنّ) لغة هو النعمة الثقيلة، لكنه وصف يطلق اصطلاحًا على التحدث عن إعطاء الآخرين. فأنْ يعطي المرء شيئا لأحد المحتاجين، فيتحدث عن ذلك العطاء مما يُشعر المستعطي بالدونية فذلك هو المَنّ. فلا بُدّ من التحصن ضد هذه الآفة من خلال التخلق بالأخلاق والتربية الإسلامية، ووفقًا للتعبير القرآني ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ

أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، و﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعم كل خير وكل ما ينفع الناس في حياتهم الدنيوية والأخروية، غير أن دقة التعبير القرآني تظهر من خلال المقطع الآخر في الآية الذي جاء فيه: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾، والحرف (ثم) تفيد التراخي وليس الفورية، ومعنى ذلك أن الإنسان المعطي قد يمنّ بالعطاء فور القيام به، وقد يكون بعد تقديم العطاء بزمن، وتشير الآية الكريمة إلى أن المن خصلة منبوذة، فإذا أعطى المرء شيئا للآخرين فعليه ألّا يمن عليهم ولا يعيّر الآخرين بمعروفه إليهم، وفي ذلك أجر كبير من الله ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

المنّ إهانة وأذى

إن تذكير المحتاجين بالأفضال والعطايا التي نمنحها إياهم ينطوي على جرح صارخ لكرامتهم. فالإنسان لا يريد أن يشعر بالضعف، ولا شئ أقسى على الناس من تذكيرهم بحالات ضعفهم، فتلك مما تسبّب أذى وضررًا نفسيًا بالغًا، حتى إن أغلب الناس لو خيروا بين مصلحة يعطوها وبين حفظ كرامتهم فإنهم سيختارون الأمر الثاني. يقول تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾، ومقتضى الآية الكريمة أن يعتذر المرء عن العطاء خير من أن يعطي ثم يمنّ على الآخرين.

ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾، فالصدقة لها أجر كبير عند الله لا ينبغي أن يضيع ويمحق عبر ممارسة المن والإيذاء لمن أعطيت، وفي آية أخرى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ أي لا تمن على الناس من منطلق استكثارك ما أعطيت لهم.

وورد عن رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: ـ ومنهم ـ المنّان الذي لا يعطي شيئًا إلا منَّه»[1].

كما ورد عن النبي الأكرم ﷺ: «من اصطنع إلى أخيه معروفًا فمن به عليه حبط

(١) صحيح مسلم ج ١، ص ٧١.

عمله»[١]، أي كما لو أنه لم يفعل ولم يعطَ شيئًا. ولذلك على المرء أن يتجنب هذه الآفة وألّا يتحدث عما قدم وفعل للآخرين.

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «المن يهدم الصنيعة»[٢]، وينطوي الحديث على تشبيه بليغ يصور صنيعة الخير بالصرح المشيد غير أنها عرضة للهدم والتدمير نتيجة (المن).

وعنه عليه السلام في وصيته لعبدالله بن جندب «وإن كانت لك يد عند إنسان فلا تفسدها بكثرة المن والذكر لها، ولكن أتبعها بأفضل منها فإن ذلك أجمل بك في أخلاقك، وأوجب للثواب في آخرتك»[٣].

لا تتحدث عن ما أعطيت

هناك بعض الناس اعتادوا على الحديث عن كل عطاء ومعروف أسدوه للآخرين، وهذا ما يجعل عطاءهم كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف. وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أحيوا المعروف بإماتته فإن المنة تهدم الصنيعة»، وفي المقابل يحث على ذكر محاسن صنائع الآخرين بحقنا، يقول عليه السلام: «إذا صنع إليك معروف فاذكره وإذا صنعت معروفًا فانسه»[٤].

ولعلّ أسوأ أنواع المنّ هو المنّ على الأقرباء المحيطين، فقد يصل مستوى اللؤم لدى بعض الناس أن يمنَّ بما يعطي حتى لزوجته وأولاده، فيعيّرهم بما يعطيه لهم، وذلك غاية اللؤم؛ لأن النفقة على العيال واجبة أولًا، وثانيًا لأنه إنما يعطيهم مما أعطاه الله، أما الأمر الثالث؛ فحينما تمنّ على عيالك تجرح مشاعرهم وهم يعيشون تحت كنفك، في حين بإمكان غيرهم أن يبتعد عنك بمجرد تجرعه مرارة المنّ من قبلك.

---

(١) وسائل الشيعة. ج٩، ص٤٥٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٧١.

(٣) تحف العقول، ص ٣٠٥.

(٤) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ١٥٣٩.

وفي خدمة الزوجة لزوجها أجر عظيم وهو داخل في باب الجهاد كما ورد في الحديث «جهاد المرأة حسن التبعل»، لكنها إذا أتبعت ذلك بالمنّ على زوجها فقد نسفت كل ثوابها، وكذلك الأمر بالنسبة للأولاد.

المنّ بالعبادة والتديّن:

إن على المرء أن يراقب نفسه ويتوقى الوقوع في حالة (المنّ)؛ لأنها يمكن أن تمتد حتى إلى علاقته بالله تعالى. فآفة المن يمكن أن تدفع المرء للجرأة على ربّ العالمين، بحيث يمنّ على الله بأعماله وعباداته من حج وصلاة وصوم!. وقليل من التفكر للإنسان يدرك به أنه لو جمع كل صنيع الخير فلن يوازي ذلك واحدة من أنعم الله عليه، لذلك يتحدث القرآن الكريم عن أولئك الذين كانوا يمنون على رسول الله ﷺ إسلامهم بالقول: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، من هنا على المؤمن أن يتعود دائمًا الشكر حينما يتوفق لعبادة سيما الصلاة، إن سجدة الشكر ليست جزءا من الصلاة، ولا هي واجبة، ولكن يستحسن التعود عليها حتى يتعود شكر الله تعالى على توفيقه له لأداء هذه الفريضة، وهكذا الأمر بإزاء كل عبادة وكما ورد في ما حكاه الله تعالى على لسان عباده المؤمنين: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

لا ينبغي لأي إنسان كان أن يمن بعطائه على غيره، حتى الحاكم لا يليق به ممارسة (المن) على رعيته. وهذا ما يلفت إليه أمير المؤمنين واليه على مصر مالك الأشتر بقوله: «إياك والمنّ على رعيتك بإحسان، فإن المن يبطل الإحسان»، فلا ينبغي للحاكم أن يمن على الناس بما يصنع لهم فهو لم يعطهم من ماله، وما قام به إنما هو واجبه تجاههم ووظيفته المناطة به، والأنكى أن (المنّ) يثير المزيد من الاستياء لدى الشعب.

وينسحب ذات الأمر على الناشطين العاملين في خدمة مجتمعهم فهم أولى الناس بالنأي عن المن على مجتمعهم.

التخفيّ بالعطاء

وعلى النقيض من ذلك تشجع التعاليم الإسلامية على عمل الخير سرًا، وأن نقدم الصدقة والخير للناس دون أن يتعرفوا علينا، ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»[١]، وجاء في رواية أخرى « سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله:... ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله»[٢] ذلك حتى لا يشعر الفقير والمحتاج بالضعف أمامك.

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام: «يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي بابًا بابًا، فيقرعه ثم يناول من كان يخرج إليه، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيرًا لئلا يعرفه»[٣].

عن محمد بن إسحاق إنه كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معاشهم، فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به بالليل[٤].

عن هشام بن سالم قال: كان أبو عبد الله جعفر الصادق عليه السلام إذا اعتم وذهب من الليل شطره أخذ جرابًا فيه خبز ولحم والدراهم فحمله على عنقه ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه، فلما مضى أبو عبد الله فقدوا ذا فعلموا أنه كان أبا عبد الله عليه السلام »[٥].

إن على الإنسان أن يتعود تقديم العطاء للجميع، فيما يتوجب عليه في ذات الوقت أن يبتعد عن عادة المنّ على من أعطي.

---

(١) المستدرك على الصحيحين، ج١، ص١٢٤.
(٢) بحار الأنوار. ج ٧١، ص ٣٥٤.
(٣) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٨٩.
(٤) بحار الأنوار، ج ٤٦، ص ٨٨.
(٥) الكافي. ج٤، ص٨.

الهمّ الوطني والمشاريع الخاصة

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[سورة صّ، الآية:٢٤]

إن للشراكة على المستوى الفردي أو المجتمعي مقتضيات ينبغي أن يراعيها جميع الأطراف فيما بينهم. ولا يجوز لأي منهم أن يجور فيها على حق الآخرين، سيّان في هذا الأمر الشركاء في العمل والتجارة أو شركاء الوطن.

إن الله سبحانه وتعالى يبارك الشراكة بين الناس، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ: «يد الله مع الجماعة»[١]، وإنما تقدمت المجتمعات المتحضرة بتوجهها للعمل الجمعي في العلم والاقتصاد وفي مختلف المجالات. من هنا ينبغي تشجيع قيام الشراكات بين أبناء المجتمع على مختلف الصّعد الاجتماعية والاستثمارية، وذلك بنشر ثقافة العمل الجمعي والالتزام بالأحكام الشرعية للشراكة، وفي مقدمتها عدم الجور على حق الشريك، فقد ورد عن رسول الله ﷺ القول: «يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا»[٢].

حينما يعيش جمع من البشر في بلد من البلدان فإنهم شركاء في هذا الوطن، بغض

(١) صحيح الترمذي، حديث ٢١٦٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٢٤.

النظر عن اختلاف مشاربهم وقومياتهم ومذاهبهم. فقد يكون هؤلاء الناس متمايزين عرقيًا، قوميًا، مذهبيًا، وهذا التنوع في المجتمعات البشرية أمر طبيعي تبعًا لقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾، ولكن ما ينبغي أن يكون حاضرًا هو الوفاء بمقتضيات الشراكة الوطنية. فإذا ما وجد أي طرف من الأطراف أنه أكثر عددًا أو مالًا أو غير ذلك من مقومات القوة، فإن ذلك لا يبرر له أن يعتدي على حق بقية الأطراف.

مقتضيات الشراكة الوطنية

يختلف الناس في قومياتهم وأعراقهم ولغاتهم وأديانهم في مختلف البلدان المتحضرة، لكنهم مع ذلك يلتزمون مقتضيات الشراكة الوطنية، فهناك دستور قائم يوضح الحقوق لكل أبناء الوطن على حدٍّ سواء، لذلك يعيشون حياة الاستقرار، وينعمون بالتقدم.

إن مشكلتنا نحن العرب والمسلمين أن معظم أوطاننا لا زالت تعاني من الخلل في العلاقة بين الأطراف المشتركة في وطن واحد، هذا الخلل هو الذي عوق التنمية والتقدم في أوطاننا. إذ كثيرًا ما تجد هيمنة طرف على مقدرات الوطن، وكأن الوطن له وحده لأنه يمثل الأكثرية، أو لأن السلطة بيده!. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا؛ أنه وبناءً على التسليم بمنطق الأكثرية والأقلية، فهل يجيز تمثيل طرف من الأطراف للأكثرية أن يعتدي على حقوق الأقلية؟!. وعلى غرار ذلك قد توجد في بعض البلاد أحيانًا أقلية تقبض بتلابيب الحكم على حساب الأكثرية، فكلاهما وجهان لعملة واحدة.

إن غياب الشراكة الحقيقية بين أطياف أي وطن نذير ببروز الأخطار، ومن بين أبرز تلك الأخطار:

أولًا: الاضطراب وفقدان الأمن والاستقرار

إن من الصعب تصور بقاء طرف خاضعًا للحيف والظلم إلى ما لا نهاية. فطبيعة

الإنسان تأبى البقاء طويلًا في ظل حقوق منقوصة، حتى الحيوان حينما يُعتدى عليه، ويُحشر في زاوية، فإنه يستنفر للدفاع عن نفسه، وهكذا سائر الأحياء أعطاهم الله سبحانه وتعالى غريزة الدفاع عن الذات. ثم إن الأفرد في مختلف المجتمعات ليسوا سواء في التفكير والوعي والحكمة، فهناك من يقاوم الجور بالحكمة، وهناك من لا يمتلك الحكمة، وقد يسيطر عليه التطرف فيندفع ويتحمس لرفع الظلم عن نفسه ومجتمعه، ربما على نحو غير محسوب. والمحصلة أن تعيش المجتمعات في اضطراب دائم، وتبرز المشاكل والاضطرابات في المجتمعات غالبًا بسبب وجود هذه المشاعر والمظاهر. والوفاء بمقتضيات الشراكة الوطنية هو الذي يجنب الأوطان الاضطرابات وفقدان الأمن والاستقرار.

ثانيًا: إتاحة الفرصة للعدو الخارجي والمستبد الداخلي

إن غياب الانسجام بين فئات أي وطن من الأوطان، يشكل فرصة سانحة لتدخل الأعداء في شؤونه. فالأعداء الخارجيون يلعبون لعبتهم، عبر إيهام كل طرف بأنهم يتعاطفون معه، ويساعدونه ضد الطرف الآخر، وهم في واقع الأمر لا يهمهم أي من هذه الفئات بقدر ما تهمهم مصالحهم وتحقيق أهدافهم. ولعل الأجواء السياسية في العراق مع قرب انسحاب القوات الأمريكية من هناك تكشف لنا الكثير، فلا يكاد يوجد طيف عراقي إلا ويشعر بخطر الطرف الآخر عليه، هذا ما يتحدث عنه السياسيون العراقيون من مختلف الأطراف، حتى لو لم يفصح بعضهم.

فالمعادلة القائمة في العراق في الوقت الراهن، هي أن وجود القوات الأمريكية بات يمثل ضمانة لحماية الأطراف من بعضها بعضًا! فالأكراد يخافون على أنفسهم من العرب، والشيعة يخافون من السنة، والسنة يخشون الشيعة وهكذا. وحده احترام مقتضيات الشراكة الوطنية والعيش المشترك، هو ما يضمن لجميع الأطراف مصالحهم وأمنهم على نحو سليم واضح، فلا يحتاجون للأجنبي ولا يتيحون الفرصة له للتدخل بينهم.

وعلى غرار ما سبق، يستفيد المستبد الداخلي أيما استفادة من اختلاف الأطراف مع بعضها. وفي بعض الأحيان يشجع الخلافات والمناوشات الداخلية، حتى يشعر الجميع بأن الحكومة المستبدة تمثل ضمانة لحمايته من الفئات الأخرى، فينشغل الناس حينها عن الاستبداد الداخلي بخلافاتهم الجانبية، وهم في واقع الأمر جميعًا يعيشون تحت ظل الاستبداد. من هنا، فالسني ليس خطرًا على الشيعي، والمسيحي ليس خطرًا على المسلم والعكس كذلك، وهكذا في بقية التنوعات، وإنما الاستبداد الداخلي والهيمنة الأجنبية هما الخطر الحقيقي على الجميع.

ثالثًا: نمو المشاريع السياسية الخاصة

إن هيمنة طرف من الأطراف في أي وطن، وغياب البيئة الملائمة للعيش المشترك، يفتح الباب واسعًا أمام المشاريع السياسية الخاصة لكل طيف من الأطياف. فانشغال كل جماعة بالتفكير بوضعها الخاص سيغيب حتمًا الهم الوطني العام. ذلك لأن الشيعة سينشغلون حينها في وضعهم وحقوقهم ومستقبلهم، والسنة كذلك، ومثلهم الأكراد والمسيحيون، ويبقى السؤال حينها؛ من سيفكر في الشأن العام؟ ومن سيحمل الهم الوطني؟ هناك مصالح مشتركة للوطن هي موضع حاجة جميع المواطنين بغض النظر عن توجهاتهم، فإذا انشغلت كل طائفة بمشروعها وهمّها الخاص، فسيتبع ذلك حتمًا غياب الهمّ الوطني والمصلحة الوطنية العامة، وفي ذلك ضرر كبير على مستقبل الأوطان والشعوب.

المحاصصة نظام سيء:

ويمكننا القول إن أسوأ ما يمكن أن يقاد إليه أي وطن متنوع إثنيًا ودينيًا هو قيام نظام المحاصصة الطائفية. ولقد رأينا كيف ترك الاستعمار خلفه أنظمة قوامها نظام للمحاصصة الطائفية كما نرى في لبنان، وما يجري في العراق حيث يسعى الأعداء لتعزيز تلك الحالة، وهذا ما ينذر بمضاعفات وخيمة، حتى وإن رأى بعض الأطراف

بأن المحاصصة تلبي طموحاته مرحليًا، تعويضًا عن فترة الاستبداد السابقة. غير أن المهم هنا أن نظام المحاصصة نظام سيئ، وإنما تتقدم الأوطان إذا ساد أبناءها همٌّ وطني واحد، ونظر الجميع إلى الوطن بعين واحدة، تمامًا كركاب السفينة أو الطائرة، فلا ينبغي لهم إلا أن يفكروا في مصلحتهم المشتركة، لأن أي خلل يحدث في هذه المركبة ينذر بخطر فادح على الجميع، وهكذا الحال بالنسبة لسفينة الأوطان، فأيُّ ضرر يصيب البلاد فسيتضرر الجميع.

إننا متفائلون بنمو الوعي الوطني الذي شقّ طريقه أخيرًا في منطقتنا العربية. فقد رأينا كيف أن الناس تحركوا في تونس من دون تصنيفات ضيقة، والتفوا حول همهم العام، وتكرر الحال كذلك في ثورة الشعب المصري، ومناطق أخرى مختلفة. هذا الوعي الوطني هو ما ينبغي أن يُنمّى ويشجّع، ولا ينبغي بأي حال أن نتجه لمشاريع خاصة كطوائف أو قوميات أو قبائل، فإن ذلك ليس في مصلحة أوطاننا.

نسأل الله تعالى أن يديم علينا نعمة الأمن والأمان والاستقرار، وأن يمنع عنا كيد الأعداء، وأن يحمينا من سلبيات أنفسنا.

إحياء عاشوراء

الخطبة الأولى

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم. قال: تلك المجالس أحبها فأحيوا أمرنا رحم الله من أحيا أمرنا»[1].

وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه قال: «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب»[2].

يشكل موسم عاشوراء محطة هامة لإحياء أمر أهل البيت، وإظهار المودة للقربى التي أمر الله تعالى بها، وجعلها أجرًا للرسالة فقال عزّ من قائل: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾. هذا الإحياء يشكل مظهرًا من مظاهر تعظيم شعائر الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وتختلف أشكال تعظيمها وتجسيدها باختلاف الأزمان والعصور.

كما يتجلى في هذا الموسم تأكيد الولاء لأهل بيت الرحمة، وإحياء أمرهم، وما أمرهم إلا أمر الدين والقيم والمبادئ، فأهل البيت ليست لهم أغراض خاصة، فالإمام الحسين لم يتحرك من أجل طلب سلطة أو منصب أو مطمع، وقد قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر» ونحن إذ

(١) جامع أحاديث الشيعة، ج ١٢، ص ٦٣٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ١، ص ١٩٩.

نشكر الله تعالى على أن بلغنا لهذا الموسم، فإننا نسأل الله أن يوفقنا لإحياء هذه المناسبة على خير وجه، بما يعود علينا وعلى مجتمعنا ووطننا بكل خير. إن موسمًا ثريًا كعاشوراء ينبغي يكون مصداقًا حقيقًا لإحياء قيم وثقافة آل بيت النبي.

وقد وردت عن أئمة آل البيت جملة من المرويات التي تحث باتجاه إحياء هذه المناسبة العظيمة. فقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ﵇ أنه قال للفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدثون؟ قال: نعم. قال: تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا». وورد عن الإمام علي بن موسى الرضا ﵇ أنه قال: «من جلس مجلسًا يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

ويشكل عاشوراء كذلك مناسبة هامة تبرز خلالها أهمية الجهد الأهلي والمبادرات التطوعية. فالمطلوب من كل مؤمن الاهتمام بإنجاح هذا الموسم، فإحياء مناسبة عاشوراء لا تعتمد ـ كما هو معروف ـ على جهد حكومي رسمي في أي بلد من البلدان، وإنما يقع جلّ الجهد على العمل الأهلي وتنافس الناس على إحياء هذا الموسم العظيم.

من هنا يجدر بكل واحد منا الالتفات إلى عدة أمور:

أولًا: التفكير وإبداء الرأي

إن لكل إنسان قدراته الخاصة والمستقلة على التفكير والإبداع وتقديم الاقتراحات، لأجل الوصول إلى مستوى إحياء أفضل لهذا الموسم. لذلك على كل واحد منا ألّا يبخل عن تقديم أفضل ما لديه من أفكار واقتراحات للمساهمة في تطوير سبل إحياء هذه المناسبة العظيمة.

ثانيًا: العطاء من المال والوقت والجهد

لا ينبغي لأي واحد خلال هذه المناسبة أن يلعب دور المستهلك أو المتفرج من

دون عطاء. إن على كل إنسان أن يسعى للبذل في هذا الموسم، والبذل فيه مخلوف، وما أعظم البذل في إحياء قضية أبي عبدالله الحسين. على المرء أن يبذل من ماله وجهده ووقته لإحياء هذه المناسبة، وذلك من خلال التواجد في التجمعات، وحضور المآتم، ومواكب العزاء، ولا ينبغي الاكتفاء بمتابعة المجالس عبر القنوات الفضائية، فإنها وإن كانت مفيدة إلا أن الفائدة الأعظم تكون في الحضور والمشاركة؛ لأن ذلك هو ما يظهر الشعيرة بأكمل وجه ويتيح للمرء الإستفادة منها.

ثالثًا: حماية أجواء الاحتفاء من أي شوائب

إن إحياء مناسبة عاشوراء تعكس في حقيقتها أحد أوجه مجتمعنا ومذهبنا. لذلك علينا أن نظهر هذه المناسبة على أكمل صورة مشرقة، فينبغي أن يكون لكل واحد منا دور وجهد في رعاية وحماية هذه الأجواء، حتى يتم إحياء وإقامة هذه المناسبة، بالطريقة السليمة والمشرقة التي أمرنا بها أهل البيت ﷺ حين قالوا: «كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا».

رابعًا: توجيه الأبناء وتقويم سلوكهم

ينبغي أن نستفيد من هذه المناسبة في استيعاب أبناء مجتمعنا وتقويم سلوكياتهم وأخلاقهم. فلا بُدّ من التأكيد وحث الأبناء على الالتزام بالمبادئ والقيم؛ ذلك لأننا نعيش في عصر يتعرض فيه أبناؤنا لغزو ثقافي إعلامي، يستهدف إفساد سلوكهم وأخلاقهم، وهذا الموسم يشكل أفضل مناسبة لمعالجة هذا الأمر، فإن قلوب الشباب وقلوب الناس تهفو لذكر أبي عبدالله الحسين. يأتي الناس طوعًا كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساء إلى مجالس أبي عبدالله الحسين، وإلى مواكب العزاء، وتلك فرصة مهمة ينبغي أن نستفيد خلالها من حضور أبناء المجتمع بكافة شرائحه وأطيافه في التوجيه إلى الدين وإلى الخلق القويم.

هناك مسؤولية خاصة تقع على القائمين على مواكب العزاء التي تكتظ بحشود من المشاركين الشباب. فعلى الأخوة القائمين على هذه المواكب وبدعم من المجتمع، أن يستثمروا هذه العاطفة الجياشة، في استقطاب الشباب وإصلاح أي خلل أو أي ظاهرة سلبية نراها خطرًا على مجتمعنا.

في مواكب العزاء ينبغي التأكيد على حضور صلاة الجماعة، والالتزام الديني، والتأكيد على مسألة العفة، وعدم الوقوع في أجواء الشهوات والأهواء التي تحرض عليها مختلف الوسائل والأساليب الإعلامية والتقنية الحديثة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه المناسبة علينا مناسبة خير وبركة، وزيادة في محبة أهل البيت، وتثبيتًا لمشاعر الولاء في القلوب والنفوس، والتزامًا بالسير على نهج أبي عبدالله الحسين نهج العزة والكرامة، نهج الحرية والالتزام بالدين، والسعي من أجل الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثبتنا الله وإياكم على ولاية أهل البيت وجعلنا من أنصار الحسين عليه السلام ووفقنا وإياكم لإحياء هذه المناسبة على أكمل وجه.

العنف منزلق خطير

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾[سورة المائدة، الآية: ٣٢].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا»(١).

وعنه ﷺ: «أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء»(٢).

وعنه ﷺ: «لا يحولنَّ بين أحدكم وبين الجنة كفٌّ من دم أصابه»(٣).

وعنه ﷺ: «من شرك في دم حرام بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله»(٤).

وعنه ﷺ: «لزوال الدنيا جميعًا أهون على الله من دم يسفك بغير حق»(٥).

وهناك حادثة وقعت في عهد الرسول ﷺ تكشف عن مدى اهتمام الإسلام بالحياة،

---

(١) صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣٥.

(٢) صحيح مسلم، ج ٥، ص ١٠٧.

(٣) كنز العمال، ج ١٥، ص ٢٧.

(٤) كنز العمال، ج ١٥، ص ٣١.

(٥) كنز العمال، ج ١٥، ص ٣٢.

فقد وُجد رجل مقتول من قبيلة جهينة ولا يعلم قاتله، فغضب رسول الله ﷺ لذلك، فأمر باجتماع المسلمين في المسجد، وصعد فيهم خطيبًا قائلًا: «قتيل بين المسلمين لا يدرى من قتله والذي بعثني بالحق لو أن أهل السماء والأرض شركوا في دم امرئ مسلم ورضوا به لأكبهم الله على مناخرهم في النار»(١).

وورد في الحديث أن رسول الله ﷺ بعدما انتهى من أعمال منى وقف في الناس خطيبًا وقال: «أيها الناس أيّ يوم أعظم حرمة ؟ قال المسلمون: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة ؟ قالوا: هذا الشهر، قال: فأيّ بلد أعظم حرمة ؟ قالوا هذا البلد، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا»(٢).

ومع هذا التأكيد الكبير في الإسلام على حرمة الدماء، كيف أصبح الدم المسلم رخيصًا في أوساط المسلمين، وكيف خضبت معظم ساحات البلاد الإسلامية بلون الدماء القانية، فهناك سفك للدماء على يد السلطات الحاكمة في أكثر من بلد إسلامي، وهناك توجهات ترفع شعارات الدين تستبيح الدماء، وتمارس الإرهاب، وتقوم بالتفجيرات والاغتيالات.

لقد فجع مجتمعنا في القطيف هذه الأيام بإراقة دماء أربعة من شبابنا وأبنائنا الأعزاء برصاص غادر، كما أصيب عدد من الجرحى، مما أدى إلى تشنج الأوضاع، وهياج المشاعر، وإذ نعزي عوائل الشهداء بفقد أبنائهم وعموم المجتمع المكلوم. فإننا نحذر من هذا الانزلاق الخطير نحو هاوية العنف وسفك الدماء.

ويهمني من منطلق الشعور بالمسؤولية، والحرص على مصلحة المجتمع والوطن، أن أؤكد على الامور التالية:

---

(١) الكافي، ج ٧، ص ٢٧٢- ٢٧٣.

(٢) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٩١.

أولًا: أن تقوم قيادة البلاد بمبادرة طيبة تنفس بها الاحتقان، وتضمد الجراح، وتفوت الفرصة على المغرضين، وتستوعب هؤلاء المواطنين الذين لا يطلبون شيئًا يعسر على الدولة، ولا يريدون إلا التمتع بحقوق المواطنة المشروعة، ورفع أي تمييز أو حيف بحقهم.

إن كلمة حانية من قيادة البلاد، ومعالجة سريعة لبعض المشكلات، واهتمامًا تنمويًا جادًا بالمنطقة وأبنائها، سيكون له أكبر الأثر في النفوس، ويساعد العقلاء والمصلحين في المجتمع على النجاح في دعوتهم للهدوء والوئام.

أما ترك العنان للتعبئة الطائفية، والدخول في معادلة ردود الأفعال، والاقتصار على المعالجة الأمنية، فإن ذلك هو ما يريده أعداء الوطن، وما يجب أن نحذر منه جميعًا حكومة وشعبًا، فالاضطرابات وانفلات الأمن ضرر على المواطنين وعلى الدولة، وخسارة للوطن، نسأل الله تعالى أن يحمي بلادنا ومجتمعنا من هذا المنزلق الخطير.

ثانيًا: لا بُدّ من تأكيد الانضباط في أوساط أفراد وأجهزة الأمن العاملة في المنطقة، بمنع حصول أي إساءة تستفزّ المواطنين، والأهم من ذلك عدم الاستجابة لما قد يواجههم من الاستفزاز في غمرة أجواء الانفعال والحماس. فلا يصل الأمر إلى سفك الدماء. ومن المهم جدًا التحقيق في الحوادث الدامية التي وقعت ومحاسبة المسؤولين عن وقوعها.

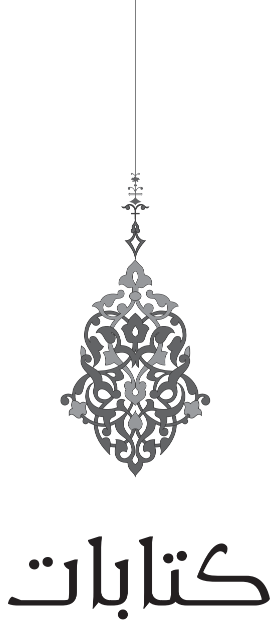
ثالثًا: أتوجه إلى شبابنا الأعزاء للتأكيد على ما ورد في بيان علماء القطيف الصادر يوم أمس الخميس ٢٨ ذو الحجة من الالتزام بالوسائل السلمية في التعبير عن الرأي والمطالبة بالحقوق، وعدم الانجرار إلى أي شكل من أشكال العنف.

شبابنا الأعزاء.. إن الشعوب العربية تفاخر اليوم وفي موسم الربيع العربي بنهجها السلمي، كما رأينا في تونس ومصر واليمن والبحرين، حيث لم يواجه الجمهور عنف السلطات بعنف مضاد. فاحذروا أيها الشباب الأعزاء أيّ دعوة باتجاه مظاهر العنف،

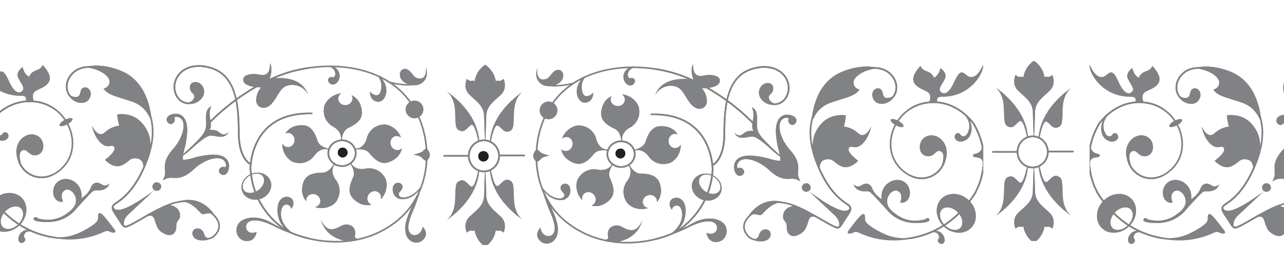
ولا تُستدرجوا للعنف، ولا تسمحوا لمندسين أن يشوهوا حراككم بممارسات عنفية، وكونوا كما عهدناكم أبناءً بررة لمدرسة أهل البيت.

ضعوا نصب أعينكم ما قاله أول شهيد حسيني وهو مسلم بن عقيل، الذي امتنع عن استخدام العنف ضد عبيدالله بن زياد، وكانت الظروف مهيأة له، كما تسمعونه في السيرة الحسينية، لكنه استحضر قول رسول الله ﷺ: الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن.

حفظكم الله يا شبابنا الأعزاء وكل شباب الوطن من كل مكروه، وحقق آمالنا وآمالكم في العيش بأمنٍ وأمان وكرامة في وطننا الغالي العزيز.



كتابات



ثائر من أجل الدين[1]

كيف انحدرت الأمة الإسلامية من قمة الجبل وتهاوت في قعر الوادي؟

كيف غادرت موقع الصدارة لتصبح في حضيض التخلف والانحطاط؟

كيف سلبت قدرة النصر ومُنيت بالهزيمة والانهيار؟

ألم يكن في الأمة من يعي؟

ألم يكن في الأمة من يقاوم ويتحدّى؟

ألم يكن في الأمة من يواجه مسيرة التخلف والانهزام؟

هل نحن خير أمة أخرجت للناس؟

هل نحن الأمة الوسط الشاهدة على العالم؟

هل نحن الأعلون؟

هذه التساؤلات وعشرات أمثالها ترتسم أمام كل مسلم يؤلمه واقع التخلف المعاش وتزدحم في ذهنه.

وإذا لم يتوفر المسلم الناشئ على إجابات سليمة وصحيحة فقد تقوده علامات الاستفهام هذه إلى حالة الضياع والكفر بالمبادئ والقيم الإسلامية.

(١) محمد العوامي. ثائر من أجل الدين، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ، دار الجزيرة للنشر ـ لندن.

كما حصل ذلك بالفعل لكثير من أبناء الأمة المعاصرين، الذين صاروا فريسة سهلة لتيارات الإلحاد والانحراف.

ومن أهم المصادر والمراجع الرئيسة التي يجب دراستها لتقويم وضع الأمة، والحصول على إجابات دقيقة لأسباب هزيمتها وتخلفها، هو التاريخ الحديث للأمة.

فغالباً ما يجتر كتّابنا ويكرر خطباؤنا قضايا التاريخ القديم، أي القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإسلام، ولكنهم يتهيبون الحديث والبحث عمّا تلاه من العهود والقرون.

ومع اعترافنا بأهمية العهود الأولى من تاريخ الإسلام ففيها أرسيت معالم الدين وتوضحت مناهجه.. وضمنها عاش نبينا الأعظم محمد ﷺ وقادتنا الأئمة الهداة.. مع تحفظاتنا وملاحظاتنا على بعض الأساليب والمعالجات التي يتم بها عرض تلك الفترة التاريخية المهمة.. إلا أننا هنا وفي هذه العجالة نود أن نشير ونؤكد على ضرورة المتابعة لأحداث التاريخ إلى يومنا هذا، وعدم الاكتفاء بالعهود الأولى.

إن التاريخ المعاصر له تأثير قريب ومباشر على واقعنا المعاش، وستعطينا دراسته كثيرًا من الإجابات على ما يدور في أذهاننا من تساؤلات.

فمن خلاله نرى بوضوح كيف قسمت بلادنا الإسلامية وتحول الوطن الإسلامي الواحد إلى أكثر من أربعين دولة.

وسيكشف لنا التاريخ الحديث أسباب وعوامل قيام هذه الحكومات الفاسدة الهزيلة في بلادنا..

وسينبئنا التاريخ عن بطولات المقاومة والجهاد للمخلصين من أبناء الأمة الذين رفضوا الخضوع لواقع التخلف والتبعية والفساد.

فهذا الواقع السئ الذي نعيشه الآن لم يحصل فجأة، ولا استكمل سيطرته بهدوء وسلام.. بل كان هناك صراع، وكانت مقاومة، لكنها ونتيجة لعدم التكافؤ في القوة والقدرة فقد فرض الواقع نفسه، وثبت أقدامه، بينما كانت الآلام والمآسي من نصيب

المجاهدين الواعين، فاستقبلوها برحابة صدر، واحتسبوها عند الله.. هدفهم كان رضا الله، وتطبيق فريضة الجهاد، وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أما النصر فبيد الله يعطيه من يشاء، ويحبسه عمن يشاء، حسبما تقتضيه حكمته، وينسجم مع سننه في خلقه.

ونحن مطالبون بدراسة هذا الجانب الهام من تاريخنا المعاصر على الخصوص..

وهو الجانب الذي يكشف عن مقاومة الأمة لهيمنة واقع التخلف والفساد.. وكيف أن المخلصين المؤمنين لم ترعبهم قوة الطغاة والعملاء ومن خلفهم المستكبرين الأعداء.. ولا انهاروا أمام بريق الحضارة المادية الغازية.. بل تصدوا بما أتاهم الله من قوة وقدرة ليشقوا للأجيال القادمة طريق الثورة والجهاد.

وبالطبع فإن الواقع المنتصر انتقم من أولئك المجاهدين الذي قاوموا زحفه على الأمة. وذلك باغتيال شخصياتهم المعنوية ومحو أسمائهم ومواقفهم من ذاكرة الشعوب وإلغاء دورهم في سجلات التاريخ.. بل وتشويه سمعتهم وإلصاق أبشع التهم والصفات بشخصياتهم..

ومن النجوم المتألقة في سماء هؤلاء المجاهدين الواعين سماحة آية الله «الشيخ محمد النمر» من علماء المنطقة الشرقية في الجزيرة العربية.

كان كفيف البصر ولكنه نافذ البصيرة..

وكان متبحراً في علم الأديان والأبدان، فإلى جانب فقهه في الشريعة كان فطناً في معالجة كثير من أمراض الجسد عبر الحماية والعقاقير والأعشاب.

وإلى جانب نشاطه الجماهيري، كان يعمل لتربية الموجهين والعلماء، حتى تخرج على يديه لفيف من أولي العلم والفضل.

ومع نبوغه العلمي في الفقه والأصول والمنطق، كان ذا قريحة سيالة في الأدب والشعر..

إلى كثير من الخصائص والملكات التي صنعت منه شخصية فريدة عظيمة تستحق الدراسة والبحث..

ما أحوجنا إلى مراجعة حياة هذا الشيخ الثائر لنستلهم منها روح المقاومة والصمود، ولتكون رمزاً ونبراساً لجماهيرنا في نضالها الرسالي ضد الفساد والطغيان.. ولنؤدي لهذا الشيخ المجاهد بعض ما له على الأمة من واجب الوفاء والتقدير..

وهذا الكتيب الجميل محاولة طيبة في هذا المجال.. لا يسعني إلا أن أقدم خالص تقديري وشكري لمؤلفه الأخ المجاهد، راجياً له التوفيق والتقدم، وأن يتبع هذه المبادرة بمحاولات كتابية أخرى تستهدف تكريس خط الجهاد في الأمة، وإحياء رموز المقاومة والنضال.

كما أهيب بجميع الأدباء والواعين من أبناء الأمة أن يتحملوا مسؤوليتهم الرسالية، وأن يوجهوا أدبهم وأقلامهم إلى ما يخدم مسيرة الثورة والتغيير، حتى تتمكن شعوبنا من تحقيق أهدافها المقدسة في ظل حكم إسلامي أصيل وما ذلك على الله ببعيد.

حسن الصفار

٣ شعبان ١٤٠٧هـ

تعزية بوفاة العلامة الشيخ حمد الجاسر[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

فقدت الأمة العربية والإسلامية ودنيا المعرفة والأدب، عالماً باحثاً محققاً هو العلامة الشيخ: حمد الجاسر (رحمه الله) بعد أن ناهز من العمر التسعين عاماً، قضاها في خدمة العلم والأدب.

كان أنموذجاً للطموح والجدّ والاجتهاد العلمي حتى الأيام الأخيرة من حياته، عاكفاً على البحث والكتابة والتحقيق.

وقد حفظ تاريخ الجزيرة العربية بأطرافها المختلفة، فصنّف حول جغرافيتها وأنسابها وقبائلها وتاريخها، حتى أصبح مرجعاً معتمداً في هذه الحقول، إضافة إلى عطائه الأدبي والثقافي الواسع.

وكان داعيةً للتقارب الإسلامي والوحدة الوطنية، عبر انفتاحه على جميع مناطق البلاد، وتواصله مع العلماء والأدباء من مختلف المذاهب والمدارس، وإدانته للأفكار والآراء الخاطئة التي تصنع الحواجز بين أبناء الأمة الواحدة، وتضعف التماسك والانسجام في صفوف الشعب الواحد.

(١) www.saffar.org

وإذ نتقدم إلى أسرة الفقيد وأبناء شعبنا العزيز والأمة العربية والإسلامية جمعاء بأحر التعازي، لندعو الله تعالى له بالرحمة والمغفرة، وأن يتعمق ويتكرس نهجه العلمي الوحدوي على مستوى الوطن والأمة.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

حسن الصفار

١٧ جمادى الآخرة ١٤٢١هـ

٧

التبرع بالدم[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

البذل والعطاء والتضحية عنوان أساس لنهضة الإمام الحسين عليه السلام، وإحياء ذكرى الثورة الحسينية لا يتحقق إلا بالتزام قيمها الخالدة، والتأسي بأخلاق أبطالها الشهداء.

والتبرع بالدم هو من أفضل مصاديق الاحتفاء الرسالي في هذا العصر بعاشوراء الإمام الحسين عليه السلام.

فهو إعلان عن الاستعداد للتضحية، ومواساة لنزف الدماء الطاهرة في كربلاء، وخدمة إنسانية لإنقاذ ومساعدة المرضى المحتاجين، وتسجيل حضور للقضية الحسينية بصيغة حضارية يفهمها الجميع.

وإنني آمل أن يكون يوم عاشوراء يوماً عالمياً للتبرع بالدم في كل أنحاء الكرة الأرضية، ببركة ذكرى شهادة أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

وأهيب بجميع الإخوة المؤمنين، والأخوات المؤمنات، للتفاعل مع هذا المشروع الإنساني الحسيني، والعمل من أجل إنجاحه وتطوره.

وسلام الله على سيد الشهداء، ورمز التضحية والفداء الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه المستشهدين بين يديه.

حسن الصفار

محرم ١٤٢٣هـ

(١) حملة الحسين عليه السلام للتبرع بالدم، صندوق النعيم الخيري في البحرين١٤٢٣هـ.

بيان حول آداب زيارة الرسول الأكرم ﷺ وأئمة البقيع عليهم السلام[1]

أكد جمع من علماء الشيعة البارزين في المملكة العربية السعودية على ضرورة التزام الزائرين لمسجد رسول الله ﷺ، ولقبره الشريف، وقبور أهل البيت عليهم السلام في البقيع، بتعاليم الإسلام وآداب الزيارة، للحفاظ على أجواء العبادة والقداسة والهدوء والسكينة في تلك البقاع المباركة.

ووقع البيان الذي صدر لهذا الغرض بتاريخ ٨ شعبان ١٤٢٤هـ كبار علماء الشيعة في القطيف والأحساء والمدينة المنورة، وهذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

وبعد

نوجه أنظار أبنائنا وإخواننا المؤمنين الزائرين لمسجد رسول الله ﷺ ولقبره الشريف وقبور أئمة أهل البيت عليهم السلام في البقيع الغرقد إلى ضرورة مراعاة الأمور التالية:

أولاً: الالتزام بتعاليم الإسلام وأحكامه في الستر والعفاف وغض البصر عما

(1) نشر على www.saffar.org

يحرم، فإن الزيارة مستحبة، بينما رعاية هذه الأحكام الإسلامية واجب، ومخالفتها حرام موجب للإثم والفساد، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾[سورة النور، الآيتان: ٣٠-٣١].

وقد جاء عن رسول الله ﷺ: «من ملأ عينيه من امرأة حراماً حشاهما الله يوم القيامة بمسامير من نار»، وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه عن جده رسول الله ﷺ أنه «نهى أن تتزين المرأة لغير زوجها فإن فعلت كان حقاً على الله أن يحرقها بالنار».

لذلك يجب على الآباء والأمهات الاهتمام بسلوك أبنائهم وبناتهم، فإن بعض العناصر السيئة قد تستغل مثل هذه الظروف لتلويث تلك الأجواء الطاهرة ببعض السلوكيات المخالفة للتعاليم والأحكام الدينية.

ثانياً: ينبغي أداء مراسيم زيارة رسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين عليهم السلام بهدوء وسكينة ووقار، كما ورد في أكثر من حديث حول آداب الزيارة لمراقد الأئمة عليهم السلام، ويلزم مراعاة الأجواء العامة، واجتناب ما قد يؤدي إلى ردود فعل سلبية، وتكريس نظرة خاطئة تجاه أتباع أهل البيت عليهم السلام.

وقد وردت عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام روايات كثيرة تؤكد على حسن الأخلاق والحفاظ على السمعة الحسنة. كالحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «معاشر الشيعة كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم، وكفوها عن الفضول وقبيح القول».

وعنه عليه السلام: «رحم الله من استجر مودة الناس إلى نفسه وإلينا، بأن يظهر لهم ما يعرفون ويكفّ عنهم ما ينكرون».

ثالثاً: إن الحوار والنقاش في المسائل المختلف عليها بين المذاهب أمر جيد في

الوقت والمكان المناسب، بين العلماء والباحثين، أما الجدال في مثل هذه الأماكن العامة، فهو لا يوصل إلى نتيجة مفيدة، بل قد يؤدي إلى المشاحنة والانفعال، والتأثير على الأجواء الروحية المباركة التي يجب أن تسود في تلك البقاع المقدسة. فينبغي الحذر من الاستدراج لمثل هذه الحالات.

روي عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام أنه قال لعلي بن يقطين: «مُرْ أصحابك أن يكفوا ألسنتهم ويدعوا الخصومة في الدين ويجتهدوا في عبادة الله عز وجل».

إن الأمة الإسلامية تمر الآن بظروف خطيرة حساسة، تستوجب توثيق عرى الوحدة بين المسلمين، ورصّ صفوفهم، وحماية الأمن والاستقرار في أوطانهم، وتفويت الفرصة على أي جاهل أو مغرض يسعى لإثارة الفتن والخلافات.

نسأل الله تعالى أن يحفظ بلادنا وجميع بلاد المسلمين من المكاره والأخطار، وأن يجمع كلمة المسلمين على التقوى إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

٨ شعبان ١٤٢٤هـ

- السيد طاهر السيد هاشم السلمان ـ الأحساء.
- الشيخ محمد علي العمري ـ المدينة المنورة.
- الشيخ محمد الشيخ عبدالله اللويم ـ قاضي محكمة الأوقاف والمواريث بالنيابة ـ الأحساء.
- الشيخ عبدالله الخنيزي ـ قاضي محكمة الأوقاف والمواريث ـ القطيف.
- السيد علي السيد ناصر السلمان ـ الدمام.
- الشيخ حسن موسى الصفار ـ القطيف.
- السيد محمد علي السيد هاشم العلي ـ الأحساء.
- الشيخ فوزي محمد تقي السيف ـ القطيف.
- الشيخ حسن الشيخ باقر بوخمسين ـ الأحساء.
- الشيخ صالح محمد صالح الجدعان ـ المدينة المنورة.

حول مناهج التعليم الديني في المملكة[1]

كمجتمع مسلم نحرص على تعليم أبنائنا مبادئ الإسلام وأحكامه، خاصة وأننا نعيش تحدي الحفاظ على هويتنا الحضارية وقيمنا الدينية، في وجه هذا الطوفان الإعلامي والثقافي المتعدد الاتجاهات. كما أن العائلة لم تعد متفرغة كثيراً لتوفير التوجيه والتعليم الديني للأبناء، وبهذا تتيح المناهج الدراسية أفضل الفرص لتلبية حاجة أبنائها إلى التوجيه والتعليم الديني.

لكن النقاش هو في اختيار المادة الدينية التي تقدمها المقررات الدراسية، وفي أسلوب العرض والطرح.

وليس صحيحًا ما تثيره بعض الجهات من اتهام نيات ومقاصد كل المطالبين بإصلاح وتعديل مقررات التربية الدينية، بأنهم أقل حرصًا على الدين، أو أنهم يستجيبون لضغوط الخارج ويتفاعلون معها.

إن الاتهام سلاح العاجز عن تقديم الرأي الأفضل، وهو وسيلة لإثارة المشاعر والعواطف، وقد يكون محاولة للحفاظ على المكاسب وفرص النفوذ، تحت شعارات الدفاع عن العقيدة والحرص على الدين.

لقد احتكرت الشأن الديني عندنا في المملكة في التعليم وسائر المجالات مدرسة معينة، نحترم آراءها وتوجهاتها، ونقدر سعيها وجهدها في تأكيد وتكريس الحالة الدينية

---

(١) نشر على www.saffar.org

في بلادنا، لكنّ هناك ملاحظتين أساسيتين في مجال التعليم:

الأولى: أخذ متغيرات الحياة والتطور الاجتماعي بعين الاعتبار في اختيار المادة الدينية وأسلوب عرضها. فالجيل الحاضر من أبنائنا يعيش عالمًا وظرفاً يختلف عن العصر الذي عاش فيه الشيخ ابن تيمية أو الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولو كانا معاصرين لركزت دعوتهما أو أطروحتهما على قضايا أخرى تتناسب ومشكلات هذا العصر.

صحيح أن ثوابت الدين لا تتغير، لكنها محدودة، وليست محل نقاش إلا في أسلوب العرض، وقد يبالغ البعض بحشر بعض الجزئيات والتفاصيل العقدية في مجال الثوابت وهو منهجية خاطئة، كما أن درجة التركيز على أي ثابت قد تتغير من عصر لآخر.

فأنبياء الله ورسله أعرف منا وأحرص على ثوابت الدين، لكن القرآن الكريم يحدثنا عن تنوع في الطرح والتركيز يختلف من نبي لآخر، حسب ظروف أزمنتهم ومجتمعاتهم.

فلا نجد فيما يقصه القرآن الكريم من سيرة نبي الله موسى عليه السلام تركيزاً على مسألة عبادة الأصنام، كما هو الحال في سيرة نبي الله إبراهيم عليه السلام، بل إن مواجهة طغيان فرعون كانت هي محل التركيز.

كما يبرز القرآن الكريم تركيز نبي الله شعيب عليه السلام على الشأن الاقتصادي، ونبي الله لوط عليه السلام على الفساد الأخلاقي.. وهكذا..

والثانية: مراعاة وحدة الأمة الإسلامية بشكل عام، والوحدة الوطنية في المملكة بشكل خاص، فمن الواضح أن هناك تنوعاً في المذاهب والاجتهادات الدينية لدى شعب المملكة وشعوب الأمة.

وإذا كانت هذه المدرسة السلفية تمثل الرأي والمذهب الرسمي في المملكة، لكنها لا يصح أن تستخدم الإمكانات وتوظف نفوذها للإساءة إلى أتباع بقية المذاهب من المواطنين.

إن المقررات الدراسية الدينية في المملكة ليس فقط تتجاهل آراء بقية المذاهب، بل تكيل لها الطعن والتجريح، وتصفها بالشرك والكفر والإلحاد والبدعة والضلال وما أشبه من النعوت.

وكمثال بسيط، فإن شعوب العالم الإسلامي قاطبة وحكوماتهم ومعهم قسم من المواطنين السعوديين يحتفلون بمولد رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول من كل عام، كمظهر لتعظيم رسول الله ﷺ وتجديد ذكرى سيرته العطرة، ولهم اجتهادهم وأدلتهم. لكن مقرر التوحيد للصف الثالث ثانوي القسم الشرعي يقول في صفحة ١٢٦: «الاحتفال بمناسبة المولد النبوي هو تشبه بالنصارى.. فيحتفل جهلة المسلمين أو العلماء المضلون.. ويحضر جموع من دهماء الناس وعوامهم.. ولا يخلو من الشركيات والمنكرات.. وقد يكون فيها اختلاط الرجال والنساء مما يسبب الفتنة ويجر إلى الوقوع في الفواحش.. وهو بدعة أحدثها البطالون وشهوة نفس اغتنى بها الأكالون».

ومثل هذا الأسلوب من الطرح مخالف لأخلاق الإسلام في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن.

وهو يقحم أبناءنا منذ نعومة أظافرهم وحداثة سنهم في معارك مذهبية، وصراعات كلامية طائفية تصنع الحواجز فيما بينهم.

وقد يحدث ردّ فعل لدى الجيل الناشئ تجاه الدين بشكل عام.

ويدفع العوائل من أتباع بقية المذاهب لتحصين أبنائها من تأثيرات هذا المنهج ويثير مشاعر الاستياء والغضب في أوساط هؤلاء المواطنين، الذين يجبر ابناؤهم على تعلم سبّ مذاهبهم، والطعن في علمائهم ورموزهم.

وذلك مضرّ بالوحدة الوطنية، ومعوّق لرصّ صفوف الأمة أمام التحديات والأخطار.

جدول خلاصة كتاب الفوائد الفقهية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحبه الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى قيام يوم الدين.

وبعد

إن العمل من أجل وحدة الأمة الإسلامية وتعزيز تماسكها وتلاحمها هو من أهم الفرائض والواجبات، خاصة في هذا الزمن العصيب، الذي تراجعت فيه مكانة الأمة على المستوى العالمي، وأصبحت دولها تصنف ضمن خانة الدول النامية، أو العالم الثالث، وعادة ما تحتل أواخر الدرجات ضمن أي تقرير دولي لرصد مسيرة التقدم العلمي، والتنمية الاجتماعية.

وإذا كانت الوحدة مطلوبة على كل الصُّعد والمستويات، فإنها أكثر إلحاحاً وضرورة على الصعيد الديني، ذلك ان العامل الديني هو من أعمق العوامل وأشدها تأثيرًا على نفس الإنسان وسلوكه.

فالقيم الدينية الصحيحة حين تأخذ موقعها في نفوس أبناء المجتمع وأفكارهم، تدفعهم إلى أعلى درجات التماسك والتلاحم، وتصنع منهم أفضل واقع وحدوي،

---

(١) الدكتور عمر عبدالله كامل. جدول خلاصة الفوائد الفقهية.

وتمنحهم القدرة على تجاوز عوامل التجزئة والنزاع.

وهذا ما حصل بالفعل عند انبثاق نور الإسلام، ودخول القبائل العربية إلى رحابه، حيث نقلهم من حالة التشرذم والاحتراب إلى آفاق الأخوة والتآلف، يقول تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٣].

وقد عبر القرآن الكريم عن المستوى الرفيع لوحدتهم وتماسكهم بأنهم: ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾[سورة الصف، الآية: ٤].

كما وصف رسول الله ﷺ تلك الدرجة العالية التي بلغوها من التوحد والتضامن، بأنهم أصبحوا كجسدٍ واحد، جاء في صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[١].

هذا هو العطاء الطبيعي للقيم الدينية الصحيحة التي تزرع في النفس روح المحبة للآخرين واحترامهم، وتربى على أخلاقيات التعاون وخدمة المصلحة العامة، وتحصّن الإنسان عن التأثير السلبي للعصبيات العنصرية والقومية والقبلية والفئوية.

وكما أن الدين بقيمه وتعاليمه الصافية يكون مصدراً لأرقى حالات الوحدة والانسجام في الأمة، فإنه عندما تتعرض قيمه ومفاهيمه للتحريف والتزييف، يساء استخدامه كأشد معول للتفرقة والخصومة والنزاع، وطالما استغلت الأديان في تمزيق الشعوب، واشعال الفتن والحروب، حين يتخذ البعض من الدين غطاءً لنزعة الهيمنة والاستبداد، ويحتكر لنفسه حق فهم الدين وتفسيره، وفقًا لتوجهاته السياسية والفكرية، قامعاً كل الآراء الأخرى، ومصادراً حريات معتنقيها، الذين سيضطرون للدفاع عن حقوقهم، ونصرة آرائهم ومذاهبهم في تفسير الدين وفهمه، مما يقود الأمة

(١) صحيح مسلم. حديث رقم ٢٥٨٦.

إلى حالة الفتن المذهبية، والصراع الداخلي، وعادة ما تكون الخصومات الدينية في المجتمعات هي الأكثر حدة وعنفاً.

وقد حذّر القرآن الكريم من استخدام الدين أداة للفرقة والنزاع يقول تعالى: ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[سورة الروم، الآيتان:٣١-٣٢]، ويقول تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[سورة الشورى، الآية:١٣].

إن تعدد الآراء والاجتهادات في إطار الدين هو أمر طبيعي لا مناص من حدوثه وحصوله، فالدين مجموعة من النصوص المنقولة، يستخدم العلماء والفقهاء عقولهم لفهمها وإدراكها، ولأنهم بشر يتفاوتون في مستوياتهم العلمية، ومداركهم الفكرية، ويتنوعون في بيئاتهم وتجاربهم، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك التفاوت والتنوع على أفهامهم وتفسيراتهم للنص الديني، فضلًا عن إمكانية اختلافهم في اثبات صدور ذلك النص، بالنسبة لما عدا القرآن الكريم؛ لأنه قطعي الصدور.

لكن تعدد الآراء واختلاف الاجتهادات لا يؤدي بالضرورة إلى النزاع والخصام، بل يثري حركة المعرفة والاجتهاد، ويشجع التنافس العلمي الايجابي، ويتيح أمام الأمة أكثر من خيار شرعي في التعامل مع قضايا الحياة، على ضوء مختلف الاجتهادات.

وقد عاش أئمة الدين وفقهاء الأمة في العصور السابقة مع بعضهم بعضًا، يتواصلون علمياً ومعرفياً، يتتلمذ بعضهم على بعض، ويحاور بعضهم بعضًا، ويأخذون عن بعضهم بعضًا، ويتبادلون الاحترام والمودة.

حتى جاء جيل من الأتباع لأولئك الفقهاء، ينقصهم الإخلاص للدين، والتخلق بآدابه، والوعي بمصلحة الأمة، فحولوا انتماءهم لأولئك الأئمة الأعلام إلى عصبية مذهبية، وتكتل فئوي، وانحياز طائفي.

فذاقت الأمة وبال الفتن والنزاعات المذهبية، مما بدد شملها، ومزق وحدتها، وخاصة في عصرنا الحاضر، حيث جنح التطرف والغلو ببعض الفئات إلى تكفير

مخالفيها من المسلمين، واتهامهم بالشرك والضلال والابتداع.

تجاه هذا التطرف الخطير على وحدة الأمة واستقرارها، كان لا بُدّ من دور للواعين المصلحين، للتذكير بفريضة الوحدة الواجبة، وللتأكيد على احترام كل المذاهب الإسلامية، وحرية الانتماء اليها، وأن تعدد المذاهب الفقهية والمدارس الفكرية، أمر مشروع وقديم الوجود في تاريخ المسلمين، وهو لا يبرر النزاع والخلاف، ولا ينبغي أن يؤثر على علاقات الأخوة والمواطنة بين أبناء الأمة.

وممن انبرى بتوفيق الله تعالى للقيام بدور إصلاحي وحدوي الفاضل الكريم الدكتور الشيخ عمر عبدالله كامل حفظه الله ورعاه، حيث كتب وألف عدداً من البحوث والمؤلفات القيمة التي تخدم هذا الهدف النبيل.

ويأتي إعداده وإصداره لهذا الكتاب العلمي (جدول خلاصة كتاب الفوائد الفقهية) كمصداق جديد لمساعيه الخيرة في تأكيد وحدة الأمة، واحترام مذاهبها وأئمة دينها.

وقد اعتمد في وضع هذه الجداول لمسائل الفقه على ضوء كتاب (الفوائد الفقهية في مسائل الخلاف بين مذهبي الشافعية والزيدية) للعلامة الأجل السيد حسن بن أحمد عبدالباري الأهدل، وألحق به آراء بقية المذاهب الإسلامية، وقد طلب مني اضافة رأي المذهب الجعفري إكمالًا لهذا الجهد المبارك، وليكون أنموذجاً للاعتراف والاحترام المتبادل بين المذاهب الإسلامية.

فاستعنت بالله تعالى، ثم بعدد من الأخوة الفضلاء المشتغلين بالدراسة والبحث في الفقه الجعفري، لاستخراج الرأي الفقهي المشهور لدى علماء الشيعة، في كل مسألة من المسائل المدرجة في هذه الجداول، علماً بأن بعض المسائل هي مورد اختلاف بين فقهاء المذهب الجعفري، لكن طبيعة الجداول لا تسمح بالإشارة لكل الآراء، لذلك اكتفينا بذكر الرأي المشهور، اعتمادًا على مجموعة من المصادر الفقهية المعتمدة لدى المذهب، أثبتناها لتكون ملحقاً لفهرست المصادر والمراجع آخر الكتاب.

وإنني إذ أبارك للأخ الفاضل الدكتور الشيخ عمر عبدالله كامل هذا الإنجاز العلمي الرائع، الذي يخدم وحدة الأمة كما يخدم علم الفقه، لأرجو الله تعالى أن يمتعه بالعمر المديد والصحة الوافرة، والنشاط الدائم من أجل الدين والأمة، وأن يكثّر في رجال المسلمين أمثاله من الواعين المصلحين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

المملكة العربية السعودية ـ القطيف

٢٥/ ١٢/ ١٤٢٤هـ

٧

بيان جمع من علماء الشيعة في المملكة العربية السعودية بمناسبة ذكرى الأربعين[1]

بمناسبة ذكرى أربعين الإمام الحسين عليه السلام أصدر جمع من علماء الشيعة في المملكة العربية السعودية البيان التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أورد الشيخ الصدوق في عيون الأخبار بسنده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: «رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: فكيف يحيي أمركم؟ قال عليه السلام: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا».

نعزي إخواننا المؤمنين بذكرى أربعين شهادة الإمام الحسين عليه السلام، وبقية المناسبات الدينية، ونهيب بهم لإحياء ذكر أهل البيت عليهم السلام بحضور المجالس التي هي في واقعها مدارس تربوية لتبيين مبادئ الدين وأخلاق الإسلام وسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الهداة عليهم أفضل الصلاة والسلام، والمشاركة في مراسيم العزاء التي تكرس الولاء

(١) نشر على www.saffar.org

والانشداد لأهل البيت ﷺ في نفوس أبنائنا وشبابنا.

كما ننصح المؤمنين بالابتعاد عن الممارسات التي تشوّه الوجه المشرق للشعائر الحسينية كالتطبير، وخاصة في بلادنا وحيث تتجه الأنظار للتعرف على مذهب أهل البيت وممارسات أتباعهم، مما يوجب علينا تقديم الصورة الناصعة لنهج أهل البيت ﷺ، ولا شك أن ممارسة التطبير لا تساعد على ذلك بل تعوقه وتعطي الذريعة للمتعصبين لتشويه المذهب والتنفير منه.

لذلك نؤكد على جميع المؤمنين الابتعاد عن ذلك وتوعية من حولهم بسلبيات هذه الممارسة وخاصة في بلادنا.

نسأل الله تعالى الثبات على الدين والولاء لمحمد وآله الطاهرين، وأن يحمي بلادنا وبلاد المسلمين من الأخطار والفتن.

والحمد لله ربّ العالمين.

١٩ صفر ١٤٢٧هـ

١. السيد علي السيد ناصر السلمان ـ الدمام.

٢. الشيخ محمد علي العمري ـ المدينة المنورة.

٣. الشيخ حسن موسى الصفار ـ القطيف.

٤. الشيخ حسن محمد النمر ـ الدمام.

٥. الشيخ عبدالكريم كاظم الحبيل ـ تاروت.

٦. الشيخ حسين صالح العايش ـ الأحساء.

٧. السيد هاشم الشخص ـ الأحساء.

٨. الشيخ عبدالله أحمد اليوسف ـ القطيف.

٩. الشيخ فهد إبراهيم أبوالعصاري ـ المدينة المنورة.

استبدال الصراع بالتنافس[1]

لقد أدرك الإسلام روح التطلع للبروز والتزعم القيادي لدى الأفراد والجماعات، فحاول توجيه الأمر بآليةٍ بديلة عن الصراع، وهي التنافس الشريف أو الصراع الإيجابي.

فمن حقك أن تصارع الآخرين كي تكون الأحسن، وأن تبارزهم كي تكون الأجدر في ساحة عملك ونشاطك، نعم من حقك أن تثبت نفسك، ومن حق أي جماعة أن تتولى الزمام والمبادرة والقيادة وتمتلك القلوب، وتسيطر على المشاعر ويشار إليها بالبنان، ولكن يجب أن يكون طريقها إلى ذلك هو الصراع الإيجابي (التنافس) الذي يحافظ على الآخرين أقوياء محاولًا أن يكون الأقوى، بل يرى الآخرين حافزًا يدفعه إلى العطاء الأكثر والعمل الأكمل.

إن ثمة فوارق حقيقية يجب الالتفات إليها لتميز الاختلاف بين الصراع والتقاتل وبين التنافس الإيجابي:

١. ففي أجواء التنافس الإيجابي تتوجه الطاقات والإمكانات لبناء الذات، فتتفجر القدرات، وتبرز الكفاءات، ويصبح الإبداع هو السلاح المشهور، والتطوير هو الشعار المرفوع، أمام منافس كريم يعبّر عن نفسه أيضًا بالعطاء، ويعلو موقعه الذي هو فيه.

فتكون المنافسة مدعاة للمزيد من الجهد والتطوير، وبناء الذات والقدرات في

---

(١) نشر على www.saffar.org

الأفراد والجماعات على حدٍّ سواء.

بينما يصبح السلاح الأمثل في الصراع السلبي هو المزيد من الهدم والتخريب والإضعاف للآخر، فلا تتوجه الطاقات لبناء الذات بقدر توجهها لتحطيم الآخر.

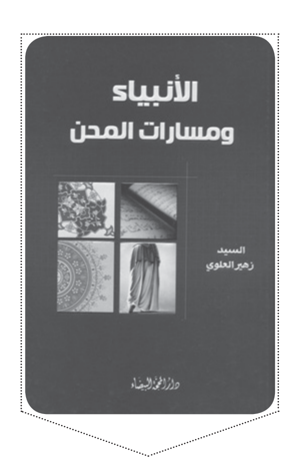
٢. وفي التنافس الشريف، يصبح وجود الآخر ضرورة ملحّة لا يستغنى عنها، فيبذل كل طرف من الأطراف جهده للحفاظ على خصمه في ساحه المنافسة الشريفة، والسبب يعود إلى اعتقاد كل طرف من الأطراف أن الآخر هو حافز حقيقي لكفاءاته وقدراته، والحوافز كما المشجعات مهمه جدًّا لمن يعرف قدرها وأثرها الطيب.

٣. وفي التنافس الشريف، ينشط المرء وتنشط الجماعة والقلب طاهر، مليء بالمحبة والود، وبالرحمة والحنان، فلا أحقاد ولا ضغائن ولامكائد، والهدف كله أن نأتي الله يوم القيامة بقلوب صافية معافاة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّـهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أما في الصراع السلبي فالضمير منعدم، والقلب مريض، وأسلحة الشيطان وخبثه في المواجهة من مكر وخداع وافتراء وتشويه... إلى آخر القائمة فيسود القلب ويذهب صفاء الإيمان.

٤. وفي التنافس يصبح للعمل والنشاط والأهداف المرفوعة لدى الأطراف قدسية اجتماعية، وقبول عام، بل التنافس يحفز المجتمع للتبني والمشاركة، فيرفع همته للأهداف، ويفخر بالنشاط، ويتمني لو كان منهم بل لا يتردد إن وجد سبيلًا..

لكن الأمر مختلف تمامًا حين الصراعات، إذ لا تبقى للأهداف قدسية تذكر، باعتبار أن كل طرف منهم لم يسلم من حقد الآخر وافتراءاته وتصيده للأخطاء وتضخيمها، ذاك إن لم يصل إلى التشكيك في الدين والعقيدة، وهذا الأمر يؤدي بطبيعة الحال إلى فقدان الثقة الاجتماعية، ونفور المجتمع من كلا الطرفين المتصارعين، خصوصًا إذا تحرك العامل الإعلامي العالمي الذي يحاول النيل من المتدينين بالاتهامات والافتراءات الرخيصة، والسعي الحثيث لعزلهم عن الجماهير والحيلولة دون تبني الجماهير لأفكارهم وآراءهم بتشويههم وتسليط الضوء على عيوبهم وخلافاتهم.



الأنبياء ومسارات المحن[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

كلما تقدمت البشرية ماديًا اشتدت حاجتها إلى القيم الروحية والأخلاقية، ذلك أن المكاسب المادية تفرز وتنتج مضاعفات نفسية وسلوكية، والعلاج ليس بإيقاف مسيرة التقدم المادي، وإنما مواكبته بتقدم روحي وأخلاقي مناسب.

وأزمة البشرية اليوم تكمن في تجاهل هذه الحقيقة، فأصبحت المجتمعات المادية تعاني من فقر وخواء روحي وأخلاقي، تفاقمت بسببه الأزمات النفسية والاجتماعية والسلوكية، فازدادت نسبة الأمراض العصبية، وتصاعدت أرقام الجريمة والعدوان، واتسعت رقعة الشقاء والتعاسة لإنسان الأرض.

وما انتشار طاعون العصر الذي هو مرض المناعة المعروف بالإيدز إلا مظهر من مظاهر شقاء الإنسان، في ظل حضارة المادة الفارغة من القيم والالتزام الأخلاقي، ومن أواخر أخبار هذا الطاعون ما تناقلته الصحف من أن مدينة (سان فرانسيسكو) في الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت الحداد يوم ٨/ ١/ ١٩٩٣م، ونكست الأعلام

---

(١) السيد زهير العلوي، دار المحجة البيضاء، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م، بيروت.

بعد وفاة الضحية رقم عشرة آلاف لمرض نقص المناعة المكتسبة (إيدز) في المدينة! وأصبحت بذلك المدينة الثالثة في عدد ضحايا (الإيدز) بعد نيويورك، التي أعلنت وفاة ٣٠٧٧٢ ضحية! ولوس أنجلس فقدت ١٢٢١٣ ضحية![١]

أما الإحصائيات والأرقام التي تتحدث عن آلام الفقر والجوع في هذا العالم فمحزنة ومخزية جداً للحضارة السائدة، التي تحتكر فيها الثروات والقدرات والإمكانات فئة محدودة من أبناء البشر، بينما يعيش الأغلبية حالة مزرية من الحرمان والفقر.

يقول أحد التقارير الواردة في هذا المجال:

لقد أنتج العالم من الأغذية خلال السنوات العشرين الماضية أكثر مما استهلك، ومع ذلك فهناك نحو ٧٨٠ مليون إنسان محرومين من الحصول على غذاء كافٍ.

هذا الواقع أكده المؤتمر الدولي المعني بالتغذية الذي بدأ أعماله أمس في روما في حضور ممثلي ١٨٢ دولة.

إن هناك ١٩٠ مليون طفل يعانون نقص العناصر الغذائية المهمة في الطعام، مما يسبب العمى والتخلف العقلي والوفاة.

إلى ذلك تتسع ظاهرة الإفراط في استهلاك الطعام التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض السمنة والقلب والأوعية الدموية والسكري[٢].

هذا فضلاً عن الحروب والنزاعات الدموية المرعبة التي تعم الكثير من أرجاء العالم، وتغذيها مصانع الأسلحة بوسائل الفتك والدمار...

ولسنا الآن بصدد استعراض مشاكل الإنسانية وأزماتها وآلامها، فهناك بحوث متخصصة تقدم الكثير من الحقائق والإحصائيات والأرقام في هذا المجال، لكنّا نريد التأكيد على أن العلاج والحل يكمن في توجه البشرية واهتمامها بالجانب الروحي

---

(١) جريدة السفير ٩/ ١/ ١٩٩٣م.

(٢) جريدة الحياة ٦/ ١١/ ١٩٩٢.

والأخلاقي، وإلا فالاعتماد على التكنولوجيا والعلم فقط، لن يؤدي إلا إلى تفاقم المشاكل والأزمات.

وأكبر دليل على ذلك أن كثيرًا من رواد العلوم وكبار المخترعين والمكتشفين الماديين، لم يكونوا في حالة نفسية وسلوكية جيدة رغم تفوقهم العلمي.

ونستشهد هنا بـ (ألبرت اينشتاين) الرجل الذي وضع النظرية النسبية، فقد صدر عن حياته أخيراً كتاب جديد، ألفه الكاتبان البريطانيان (روجر هايفيلد/ بول كارتر) ويؤكد هذا الكتاب على أن (اينشتاين) كان فاشلاً في حياته الخاصة، وكان زير نساء شرساً قاسياً مع أطفاله، وأباً لابنة غير شرعية لم يرها ولا اعترف بها تدعى (ليزريل).

وتكشف وثائق ومستندات بينها رسائل شخصية ضمن العائلة: أن زواج اينشتاين الأول من (ميليفا مريك) أدى إلى الطلاق بسبب علاقة سرية ربطته بقريبته (إلسا).

وتشير الرسائل إلى شراسة اينشتاين حيال زوجته (ميليفا) أثناء فراقهما، مما أصابها بانهيار عصبي لم تشف منه حتى وفاتها.

وتنسحب تلك الشراسة على معاملته مع ولديه (هاز ألبرت) الولد البكر وكان في الخامسة عشرة من عمره عندما غادر والده المنزل العائلي، و(ادوارد الأصغر) الذي أصيب بالخبال بعد طلاق أبويه، وأمضى حياته في عيادة سويسرية للأمراض العصبية، فلم يزره والده مرة[1].

فالعلم وحده لا يكفي لترشيد حياة الإنسان وإسعادها، بل لا بُدّ من نبع روحي يرتوي منه، ليطمئن قلبه بذكر الله، ويستقيم سلوكه بتعاليم الدين.

وهنا يأتي دور الأنبياء والرسل الذين يمثلون ينابيع الهداية والإرشاد المتدفقة بإذن الله تعالى في حياة البشر، لتروي ظمأهم الروحي، وتسقي نوازع الخير في نفوسهم.

لكن إنسان اليوم ـ غالباً ـ لا يعرف قدر أنبياء الله العظام، ولا يدرك خطورة الدور

---

(١) جريدة الحياة ٢ أغسطس ١٩٩٣.

الذي جاؤوا ليؤدونه في حياة الناس، وكما قال الله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[سورة يس، الآية ٣٠].

إن دراسة حياة الأنبياء والرسل عليهم سلام الله يعني الالتفات إلى جانب القيم والمثل، والاهتمام بمصادر الثروة الروحية للبشر، كما يعتبر دعوة ودفعاً للتأسي بحياتهم، والالتزام بتوجيهاتهم وتعاليمهم الخيرة.

وهذا الكتاب الجميل الماثل بين يدي القارئ، هو لقطات مشرقة من حياة أنبياء الله العظام، تناولها المؤلف بشيء من التفصيل والتحليل، واستنتاج الدروس والرؤى والعبر.

والمؤلف شاب نشأ في طاعة الله، وهو سليل عائلة هاشمية كريمة، وقد وفقه الله تعالى لسلوك طريق طلب العلم الديني، نسأل الله تعالى له دوام التوفيق والنجاح.

وقد أعجبني من كتابه حسن اختياره لهذا الموضوع، واجتهاده في الرجوع إلى العديد من المصادر والمراجع، إضافة إلى سلاسة أسلوبه، وجميل التفاتاته التوجيهية.

أرجو أن يستمر السيد المؤلف حفظه الله في متابعة بحوثه حول بقية الأنبياء، ليقدم للجيل الناشئ سلسلة أو موسوعة متكاملة عن تاريخ الأنبياء والرسل.

شكر الله سعيه، ونفع القراء بكتابه، ووفقه إلى المزيد من التقدم والعطاء في مختلف الميادين فالله ولي التوفيق والحمد.

حسن الصفار

٩/ ٦/ ١٤١٤هـ

٢٢/ ١١/ ١٩٩٣م



أفئدة بلا عواطف[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

كنت أعرف على المستوى النظري أهمية إشباع الجانب العاطفي من شخصية الإنسان، لكنني ومن خلال عملي الاجتماعي، أدركت عمق هذه الحاجة، ومدى خطورة النتائج التي تترتب على الإهمال العاطفي في الحياة العائلية، ولعلي لست مبالغاً حين أقول إن معظم المشاكل الأسرية، وحالات الانحراف السلوكي ناتجة عن فراغ عاطفي، وقصور أو تقصير في إشباع هذه الحاجة.

فقد تابعت معالجة بعض المشاكل العائلية لأفراد ينتمون إلى عوائل تتمتع بإمكانيات مادية كبيرة، تعيش في بيوت فارهة هي أشبه بالقصور، وتحت تصرف أبنائها أغلى السيارات، وعندهم الخدم والحشم، وتتوفر لهم فرص التعليم العالي، ولا ينقص أفراد تلك العائلة أي شيء على المستوى المادي.

لكنهم يفقدون الشعور بالسعادة والراحة في علاقاتهم الداخلية، حيث يعيش كل واحد منهم عالمه الذاتي الخاص، بعيداً عن أسرته، فالأب منشغل بإدارة ثروته، والأم مستغرقة في اهتماماتها الخاصة، والأولاد متروكون كل حسب محيط صداقاته وهوياته.

---

(١) مريم محمد العيد. أفئدة بلا عواطف، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ ـ دار أطياف للنشر والتوزيع ـ السعودية القطيف .

يجمعهم بيت واحد كأجسام، لكنهم بعيدون عن بعضهم في الأرواح والاهتمامات، تماماً كما يجمع الفندق بين نزلائه المختلفين الذين لا علاقة لأحد منهم بالآخر.

ثم لا يلبث هذا الجفاء والجفاف في أجواء هذه العوائل حتى يتحول إلى أرضية تعزز المشاكل والخلافات فيما بينهم، وقد تدفع بعضهم للانتقام من بعض.

وفي اتجاه آخر قد يدفع هذا الجوع الروحي العاطفي إلى الوقوع في مهاوي الرذيلة والفساد. فكم اطلعت على حالات مؤسفة لزوجات أو أزواج أو أولاد من ذكور وإناث، قد وقعوا في حبائل الشيطان فأدمنوا المخدرات، أو تورطوا في علاقات غير مشروعة، وسلوك غير سويّ، بحثاً عمّا يفقدونه من حب وحنان، أو ردّ فعل لذلك الفراغ.

إن كلاً من الزوجين يحتاج إلى مشاعر الودّ، ومظاهر الحب، ودفء العلاقة مع الآخر، وكذلك يحتاج الأبناء إلى احتضان عاطفي، وإلى أن يُغمروا بالمحبة والحنان من قبل الوالدين.

وحين لا يتوفر القدر الكافي من الحب والعطف في الإطار العائلي، تكون أبواب التأثير الخارجي المشبوه مشرعة مفتوحة.

وهذا ما تعاني منه مجتمعاتنا الحاضرة، التي تكثر فيها مشاكل الخلاف العائلي والانحراف السلوكي.

وهذا الكتاب القيّم بين أيدي القراء الأعزاء يُعنى بمعالجة هذه المشكلة الخطيرة، ويسلّط الأضواء على أسبابها وأعراضها ونتائجها، كما يقدّم البرامج والتوصيات من أجل الوقاية والعلاج.

إنه بحث تربوي اجتماعي، بلغة واضحة، وأسلوب شيّق، يستند في المفاهيم والمبادئ إلى نصوص الدين وتعاليمه، ويعتمد في التحليل والمعالجة نتائج البحوث العلمية في التربية والاجتماع، ويلامس الواقع الاجتماعي عبر الشواهد والأرقام.

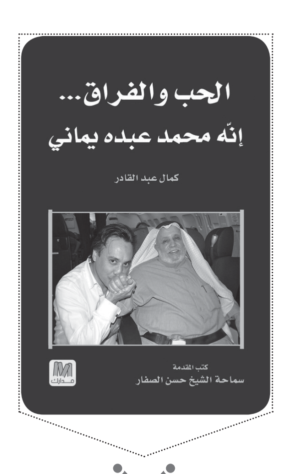
وإني إذ أبارك لمؤلفته الفاضلة مريم بنت محمد العيد باكورة إنتاجها في الكتابة والتأليف، لا يسعني إلا أن أشيد بدورها الرسالي في نشر الثقافة والمعرفة ونشاطها الاجتماعي من خلال مركز الأسرة في القطيف، أسأل الله تعالى لها المزيد من التوفيق في خدمة الدين والمجتمع، وأن يكثّر الله أمثالها من الناشطات في العمل الثقافي الاجتماعي، لتأخذ المرأة دورها المطلوب في الإصلاح والتنمية.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

١٠ جمادى الأولى ١٤٣٠هـ

٥ مايو ٢٠٠٩م.



٧

تقديم لكتاب

الحب والفراق[1]

حينما ترزء بفقد عزيز رسّخت محبته ومكانته في قلبك مشاهد ومواقف نبيلة، فإن استجابة وجدانك ومشاعرك لتحدي ألم المصاب بفقده تأخذ منحيين: الأول منهما الشعور بالحزن والأسى؛ لأن الموت قد أحدث فراقاً أبدياً بينك وبين من تحب، وهذا ما يواجهه المؤمن بالتسليم لقضاء الله تعالى وقدره، وطلب المثوبة بالصبر والاسترجاع كما أمر الله سبحانه بقوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

أما المنحى الثاني فهو استعادة شريط الذكريات، والعودة إلى أعماق الذاكرة والوجدان، وفتح أرشيف الصور والمشاهد المختزنة، التي جمعتك بالفقيد الراحل للتطواف بها، والوقوف أمامها، تعويضاً عما تشعر به من غياب وفراق.

وهذا ما عشته حين بلغني نبأ وفاة الحبيب العزيز الدكتور الشيخ محمد عبده يماني رحمه الله.

فقد ربطتني به علاقة محبة وتقدير، وتشاور وتعاون على البر والتقوى، في إطار تعزيز روح الإخاء والتقارب بين أبناء الأمة والوطن، ونشر ثقافة التسامح والاعتدال بين شرائح المجتمع.

---

(١) كمال عبدالقادر. الحب والفراق... إنه محمد عبده يماني، الطبعة الأولى ٢٠١١م، دار مدارك للنشر ـ بيروت.

وخلال هذه العلاقة الطيبة التي دامت خمسة عشر عاماً، وجدت في تعامله الصدق والإخلاص والأدب الجم، وتوخي الحكمة في كل حركة وموقف.

ولست الآن بصدد الكتابة عن شخصيته، أو الحديث عن صفاته، وخدماته للدين والوطن، فإن سيرته وإنجازاته هي خير كتابة وحديث عنه.

وقد أشار عدد من الكتّاب ورجالات العلم والفكر في تأبينهم له إلى بعض ما يتحلى به من سمات الخير والفضل، ومكارم الخلاق والشيم.

لكنني أحببت التقاط بعض الصور والمشاهد التي استعادتها الذاكرة في غمرة الحزن والأسى، عندما تلقيت نبأ وفاته الأليم.

وحين أطلعني الأخ الفاضل الأستاذ كمال عبدالقادر على السيرة الذاتية التي كتبها للدكتور محمد عبده يماني، من خلال مذكرات نشرها عنه في صحيفة المدينة سنة ١٤١٤هـ، وجدتها فرصة سانحة لتسجيل انطباعاتي وذكرياتي عن شخصيته الكريمة.

شاكراً للأخ العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر أن منحني شرف التقديم لهذه الصفحات المشرقة بنور تجربة إنسانية وطنية رائدة.

اللقاء الأول:

كنت مشتاقاً للتعرف على الدكتور محمد عبده يماني لما سمعت عن شخصيته الفاضلة، ولقراءتي بعض كتاباته، وخاصة كتابه الأشهر والأكثر انتشاراً (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ) حيث نفذت الطبعة الأولى منه سنة ١٤١٠هـ، قبل أن يمضي على صدورها شهر واحد، كما جاء في مقدمة الطبعة الثانية، ثم تعددت طبعات الكتاب وبين يدي منها الطبعة العاشرة لسنة ٢٠٠٦م، ولعل طبعات أخرى قد صدرت بعدها.

كنت ابحث عن طريق يوصلني إليه، بعد عودتي إلى الوطن سنة ١٤١٥هـ، وحين توفقت لحج بيت الله الحرام، وزرت العالم الجليل السيد محمد بن علوي المالكي

رحمه الله بمكة المكرمة، طلبت منه عنوان الدكتور يماني، فبادر للاتصال به، وحدثه عن رغبتي في زيارته، فحيّا ورحب، واتفقنا على موعد اللقاء بعد أيام الحج.

كان اللقاء به في منزله بجدة عصر يوم الرابع عشر من ذي الحجة سنة ١٤١٥هـ، وشاركني في اللقاء الأخ العزيز الشيخ حسين رمضان القريش، فاستقبلنا ببشاشة وترحاب، وابتدأت الحديث بالإشادة بكتابه (علموا أولادكم محبة آل بيت النبي ﷺ)، فاستلم دفة الحديث، شاكراً لله تعالى على توفيقه له في تأليف هذا الكتاب، وعلى سعة انتشاره وعظيم استقبال الناس له، مؤكداً أن ذلك من بركة الله لأهل البيت عليهم السلام.

وأخبرني أن له كتاباً سيصدر بعنوان (إنها فاطمة الزهراء)، وأنه خلال تأليفه للكتاب تم العثور على (دار السيدة خديجة أم المؤمنين)، وهي تقع بزقاق الحجر بمكة المكرمة، ويقال له زقاق العطارين، وتعرف بمولد فاطمة، ولم تعد هذه الدار معروفة اليوم، فقد اختفت في باطن الأرض وانهالت عليها الأنقاض، وصادف أثناء الحفريات حول الحرم المكي في إطار التوسعة أن كشفت أجزاء منها، وتم التعرف عليها وتحديدها بدقة، ثم أرانا صوراً عن تلك الدار المباركة، مضيفاً إن اكتشافها في هذا الوقت من توفيق الله تعالى، حيث سيكتب عنها وينشر صورها في الكتاب، وقد طبع الكتاب سنة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م مزيناً بتلك الصور.

واسترسل رحمه الله في الحديث بألم وأسى عن ضياع معالم وآثار عهد النبوة، بسبب الإهمال والآراء المتشددة التي تمنع من إحياء تلك المعالم والآثار، حتى لا تكون ذريعة إلى التبرك والتوسل المحظور حسب رأيها.

ثم تحادثنا عمّا يعانيه الوطن والأمة من ضعف التواصل بل القطيعة بين أتباع المذاهب والاتجاهات المختلفة، وما ينتجه ذلك من سوء الظنون، وعدم وضوح صورة كل فئة أمام الأخرى، مما يوجد أرضية للفتن والنزاعات والصراعات، وأن على الواعين المخلصين السعي لتجاوز هذه الحواجز المفتعلة بين أبناء الوطن الواحد والأمة الواحدة.

وأبدى رحمه الله استعداده للتواصل والتعاون من أجل نشر روح المحبة والتسامح، وتقوية عرى الإخاء والمودة بين أبناء الوطن والأمة.

خرجت من اللقاء معه، ونفسي يملؤها السرور والتفاؤل، بوجود مثل هذا الرجل في ساحتنا الوطنية، ممن تعقد عليهم الآمال بتخطي واقع الجفاء والفتور في العلاقات بين أطراف المجتمع، وصنع أرضية جديدة تنمو فيها بذور المحبة والثقة والعمل المشترك، لخدمة المصالح العليا للدين والوطن.

وبحمد الله تعالى، كان ذلك اللقاء المبارك بداية تواصل لم ينقطع، حيث لا يكاد يمر عام لا تتكرر فيه اللقاءات كلما توفقت لحج أو عمرة، أو قصدت جدة لمشاركة اجتماعية أو ثقافية. وتفضّل بدعوتي أكثر من مرة في بيته العامر، بحضور نخبة من الشخصيات الاجتماعية والأدبية، كما كان يلبي معظم الدعوات التي حضرتها في مجالس جدة العامرة، ويضفي بحضوره على تلك اللقاءات بهجة وإفادة بمداخلاته القيمة، وتعليقاته الظريفة، وأخص بالذكر مجلس الشيخ عبدالمقصود خوجة، وأثنينيته الأدبية العريقة، ومجلس الأستاذ محمد سعيد طيب واهتماماته الإصلاحية الوطنية.

واغتنم رحمه الله فرصة زيارته للدمام لإلقاء محاضرة عن حقوق الإنسان بدعوة من فرع هيئة حقوق الإنسان، ليشرفني بزيارته للقطيف ظهر يوم الأربعاء ١٩ ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ١٧ ديسمبر ٢٠٠٨م، حيث دعوت على شرفه نخبة من الأدباء والمثقفين في المنطقة، ليشاركوني الاحتفاء بزيارته الكريمة، وتخللت اللقاء كلمات ترحيب بمعاليه، كما ألقى كلمة جميلة تناولت الهمّ الوطني والإسلامي العام.

في الحوار الوطني:

كان الدكتور يماني متفاعلاً ومتفائلاً جداً بانطلاقة الحوار الوطني؛ لأنه كان يرى فيه مؤشراً للاعتراف بالتعددية المذهبية والفكرية، يتجاوز بالوطن هيمنة فكر واتجاه آحادي، لا يرى لغيره شرعية وجود، أو حق تعبير عن رأي، كما كان يجده فرصة لظهور

وتشجيع توجهات الاعتدال والتسامح في وسط كل الأطراف، مما يهيئ لتواصل وتعاون يكبح جماح التشدد والتطرف.

رأيته في الحوار الوطني الأول الذي انعقد في الرياض بتاريخ (١٥-١٨ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ الموافق١٥-١٨ يونيو ٢٠٠٣م)، يشارك بحيوية وسعادة بالغة، وقد قال لي: إن بعض من تراهم معنا في جلسات الحوار كان يتأثم من إلقاء تحية الإسلام على كثير من الحاضرين، ويرفض أن يجمعه معهم سقف واحد، لأنه يشكك في ديانتهم، ويراهم مشركين أو مبتدعة أو علمانيين مناوئين للدين، إن هذا اللقاء يمثل تطوراً كبيراً، إذا أحدث تغييراً في عقليات وسلوكيات المشاركين، ولم يكن مجرد استجابة صورية تكتيكية.

مضيفاً: علينا أن ننطلق من التفاؤل وحسن الظن، وأن نعين القيادة السياسية على إنجاح هذا التوجه.

أما في الحوار الوطني الثاني الذي انعقد في مكة المكرمة بتاريخ ٤-٨ ذي القعدة ١٤٢٤هـ الموافق٢٧-٣١ ديسمبر ٢٠٠٣م فقد كان الدكتور يماني في قمة السعادة والتفاؤل، حيث نجح في إقناع السيد محمد بن علوي المالكي بالمشاركة، بعد أن كان متردداً، حتى إنه طلب مني أن أتحدث معه لتشجيعه على المشاركة.

كان الدكتور يماني مرتاحاً جداً لحضور هذه النخبة الوطنية الواسعة المتنوعة الاتجاهات، ومغتبطاً بمستوى الصراحة التي سادت أجواء المؤتمر في مناقشة قضية (الغلو والاعتدال).

ولا أنسى له ذلك الموقف النبيل حينما التقى المشاركون في الحوار خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله في الرياض (كان وقتها ولياً للعهد) حيث تحدث بعض المشاركين في اللقاء، حسب جدول أعدته إدارة المؤتمر، ولما انتهت كلمات المتحدثين، وحان وقت حديث الملك عبدالله، توجه الدكتور يماني للملك ملتمساً إتاحة الفرصة لكلمة من السيد محمد بن علوي المالكي، فوافق الملك على طلبه،

وكان على السيد المالكي أن ينهض ليقف أمام مكبّر الصوت، لكن الدكتور يماني بادر للطلب بأن يؤتى بمكبّر الصوت للسيد المالكي، حتى يتحدث وهو جالس في مكانه، فكانت التفاتة احترام وتقدير تنم عن شهامة وعمق أدب ووفاء.

مؤتمر إسلامي في طهران:

تلقيت دعوة للمشاركة في مؤتمر يقيمه مركز الدراسات والبحوث التابع لوزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية بتاريخ ٢٨ ـ ٢٩ شوال ١٤٢٤هـ الموافق ٢٢-٢٣ ديسمبر ٢٠٠٣م تحت عنوان (العالم الإسلامي التحديات والفرص) وقد أسعدني حين شاركت في المؤتمر حضور الدكتور محمد عبده يماني، الذي كان مهتماً بالتعرف على طبيعة الأوضاع في إيران، وعلى التوجهات السياسية والثقافية السائدة لدى الشعب الإيراني، وكان يتحدث أن زيارته لإيران تحقق رغبة عميقة في نفسه للاطلاع عن قرب على أوضاع الشعب الإيراني، بعد كل التطورات التي حصلت منذ قيام الجمهورية الإسلامية، مشيراً إلى أن الإعلام المسيّس يمنع من رؤية الأمور على حقيقتها.

كان حريصاً على متابعة جلسات المؤتمر، وقد ترأس إحدى الجلسات مفتتحاً بكلمة قيّمة، عما يواجه العالم الإسلامي من تحديات خطيرة تستوجب التقارب والتعاون بين حكومات الدول الإسلامية، وبين الجهات والمؤسسات العلمية والأهلية في ساحة الأمة.

وكان مهتماً بالتعرف على الشخصيات الإيرانية العلمية والفكرية، واغتنام أي فرصة للحديث معها في مختلف شؤون وقضايا الأمة.

ولاحظت الحفاوة التي أحاطته بها إدارة المؤتمر، وما كان يبديه العلماء والمفكرون من احترام لشخصيته، واهتمام بمناقشاته وملاحظاته، وبدا لي أنه كان مرتاحاً جداً لزيارته لإيران، وللحصيلة التي خرج بها من الأفكار والانطباعات.

كان الدكتور يماني ذا شخصية جذابة مؤثرة، يحب الآخرين، فتنفذ إلى قلوبهم محبته، ويحترم الناس فيبادلونه الاحترام والتقدير، يتحدث عن آرائه بثقة وتواضع، ويتعامل مع الأمور ببصيرة وحكمة، لا يبخل بمشورته على أحد، ولا يضن بجاهه وشفاعته، يحرص على المشاركة في أي مناسبة خير يدعى إليها، رغم متاعبه الصحية.

حقًا، إن حياته وسيرته منارة إصلاح تستضيء بها أجيال الأمة والوطن.

ومن حق هذه الأجيال أن تتعرف على جوانب سيرة هذا الرجل، وآفاق اهتماماته وإنجازاته، وتلبية لنداء هذا الحق، وانطلاقاً من واجب الوفاء، بادر أخونا العزيز الأستاذ كمال عبدالقادر لإعداد هذه السيرة الذاتية، ومن أولى منه بهذه المبادرة، وقد كان على صلة وثيقة بهذه الشخصية الكريمة، وتفيأ ظلال رعايتها ردحاً من الزمن، واجتذبته إليها صفات الخير، ومواقف الإخلاص، ومكارم الأخلاق العالية، فاندفع للكتابة عنها بقلم الحب والوفاء.

أسأل الله تعالى أن يجعل في قراءة سيرة هذا الرجل خيراً ومنفعة كما كانت حياته مليئة بالخير والنفع.

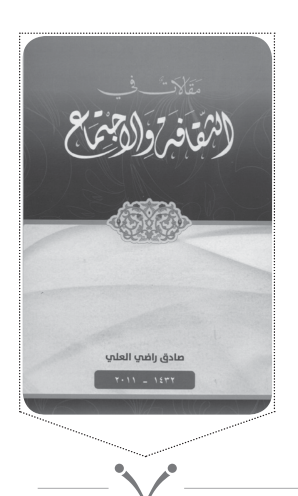
وجزى الله الأستاذ كمال عبدالقادر خير جزاء الأوفياء المخلصين.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

١٣ ربيع الأول١٤٣٢هـ

١٦ فبراير ٢٠١١م



مقالات في الثقافة والاجتماع[1]

مجالات المشاركة في الشأن العام وصناعة المستقبل مفتوحة أمام جيل الشباب في المجتمعات المتقدمة، في مختلف ميادين الحياة، وما على الشاب هناك إلا أن يختار طريقه ويحدّد توجهاته.

فإن كان له طموح علمي فإن أبواب الجامعات مشرعة أمامه، ومراكز الأبحاث ترحب به، وبراءات الاختراع تنتظر إبداعاته وابتكاراته، والشركات والمؤسسات تتنافس على جذبه.

وإن كان له تطلع اقتصادي فإن الأنظمة والقوانين تخدمه، والفرص متاحة له بحدود جده واجتهاده.

وإذا كانت له ميول سياسية واجتماعية فهناك أحزاب ومنظمات بإمكانه أن ينتمي إليها، لصقل شخصيته وتنمية قدراته القيادية، وإثراء تجربته العملية.

ويمكن له أن يتدرج ويتقدم في مسار العمل السياسي ليصل إلى أعلى مواقع السلطة والقرار.

وحين تكون للشاب اهتمامات ثقافية فكرية، فإن آفاق النشاط المعرفي رحبة واسعة، لا تحدها قيود ولا حدود.

---

(١) صادق راضي العلي. مقالات في الثقافة والاجتماع، الطبعة: الأولى ١٤٣٢ هـ -٢٠١١م.

لهذا كله يبدع الشباب في تلك المجتمعات، ويحققون الإنجازات، وتتواصل مسيرة التقدم والتطور في تلك البلدان.

أما في مجتمعات العالم الثالث فإن طريق الشباب للحياة تزدحم فيه العوائق والعقبات، بدءاً من تعسّر فرص التعليم الجامعي، في كثير من الأحيان، مروراً بصعوبات الحصول على مجال العمل والكسب، وانتهاءً بمخاطر التدخل في الشأن السياسي.

وعلى الصعيد الاجتماعي لا تزال الثقافة السائدة تفضي إلى تهميش الشباب، وتحول بينهم وبين أخذ دور المبادرة والتأثير في الشأن العام. فهم لا يزالون صغاراً مراهقين طائشين في نظر الكبار المهيمنين المسيطرين.

وحتى على الصعيد العائلي يعاني بعض الشباب من القهر ومصادرة الحرية في خصوصيات حياته، كاختيار الزوج، أو تبني بعض الأفكار والقناعات.

إن واقع الحصار والتهميش الذي يعيشه الشباب في مجتمعاتنا، هو المسؤول عن وأد كفاءاتهم ومواهبهم، وهو ما يزرع في نفوسهم الإحباط واليأس، فتندفع شريحة منهم نحو المخدرات والإجرام، وشريحة نحو التطرف والعنف.

إن على الحكومات أن تعيد النظر في سياساتها تجاه شعوبها، وخاصة شريحة الشباب، حتى لا تندفع الأمور نحو الانفجار والدمار.

وعلى قادة المجتمع بذل الاهتمام الجاد لتشجيع الشباب وتحفيز طاقاتهم وقدراتهم، وإزالة العوائق عن طريق مشاركتهم في الحياة العامة، وصناعة المستقبل.

ولا بُدّ أن نتوجه للشباب أنفسهم، فنقول لهم: إن عليكم أن تعرفوا قدر أنفسكم، وأهمية المرحلة التي تعيشونها من العمر، وألّا تستسلموا لظروف التهميش والتجاهل، وانتزعوا دوركم بكفاءاتكم ومبادراتكم.

انفضوا عن إرادتكم غبار الكسل والتواني، واطردوا من نفوسكم داء اليأس

والقنوط، واستنفروا طاقاتكم لكسب العلم والمعرفة، وشمروا عن سواعدكم لممارسة الفاعلية والنشاط.

مرحباً بكل شاب يتحسس مسؤوليته في المجتمع، ويبادر للاهتمام بالشأن العام في الوطن.

من هذا المنطلق يسعدني الاستجابة لطلب الأخ العزيز الأستاذ صادق العلي بالتقديم لكتابه الجميل، فقد تعرفت على الأخ صادق منذ سنوات، ووجدت فيه أنموذجاً للشباب الصالح الذي تعقد عليه الآمال، فهو يتدفق حيوية ونشاطًا، ويسعى لكسب الثقافة والمعرفة، ويشارك في الفعاليات المختلفة، ويحرص على صحبة العلماء والمثقفين، لقد تربى في أحضان عائلة طيبة تقيم البرامج الدينية، وتستضيف العلماء والخطباء، فترعرع في أجواء الخير والصلاح، والتزم نهج عائلته في خدمة الدين والمجتمع.

وبين يدي القراء الكرام مجموعة من المقالات التي كتبها في مناسبات مختلفة، ونشرها على صفحات الإنترنت، وهي تكشف عن اهتماماته الاجتماعية والثقافية، أحب أن يجمعها بين دفتي كتاب يقدمه لأبناء جيله من الشباب، تحفيزاً لهم على الفاعلية والعطاء، وعلى المشاركة في الشأن العام.

أسال الله تعالى له التوفيق والاجتهاد في تطوير ذاته، وتنمية كفاءته، وأن يكون من قادة الخير والإصلاح في المجتمع.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

١٥ صفر ١٤٣٢هـ

١٩ يناير ٢٠١١م

الشيخ الصفار ينعى العلامة الشيخ محمد علي العمري (1327 - 1432هـ)[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

بعد عمر مديد حافل بالطاعات والخيرات وخدمة الدين والمجتمع، التحق بالرفيق الأعلى العالم الرباني آية الله الشيخ محمد علي العمري، رحمه الله، الذي كان أباً رحيماً، ومرشداً حكيماً للمؤمنين في المدينة المنورة، وكان مناراً ومقصداً لجميع الزائرين لحرم رسول الله ﷺ وأئمة البقيع عليهم السلام من المؤمنين من مختلف بقاع العالم.

وقد تحمل في عمره الشريف الكثير من المحن والآلام، وصبر على الأذى في جنب الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم، فسجّل بسيرته النقية، وصموده الإيماني، صفحة مشرقة من الإخلاص لله تعالى، والولاء لرسوله الكريم ﷺ ولعترته الطاهرة عليهم السلام.

فهنيئاً له ما منّ الله به عليه في الدنيا من توفيق عظيم، وأخلاق سامية، ومحبة راسخة في قلوب المؤمنين، ونسأله تعالى أن يمنّ عليه في الآخرة برفيع الدرجة وعالي المقام، وواسع الرحمة والرضوان.

إن فقده مصيبة عظيمة، وخسارة كبيرة، ولوعة أليمة في نفوس عارفيه ومحبيه.

---

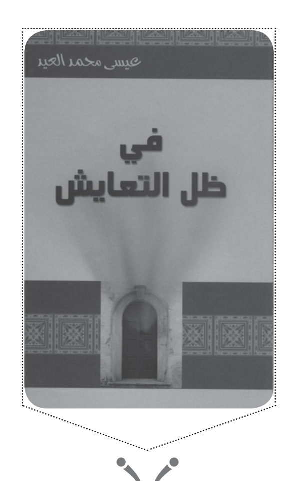
(١) نشر على www.saffar.org. توفي الشيخ العمري في ١٩ صفر ١٤٣٢هـ.

لذا أتقدم بأحر التعازي للمراجع العظام، والحوزات العلمية، ولأهالي المدينة المنورة، ولأسرته الكريمة، وخاصة نجله المفضال العلامة الشيخ كاظم العمري حفظه الله تعالى، وجعله خير خلف لخير سلف، يلوذ به المؤمنون، وتستمر به مسيرة الخير والصلاح.

و إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

حسن الصفار

١٩ صفر ١٤٣٢هـ



تقديم لكتاب

في ظل التعايش[1]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

لن تقلع مسيرة مجتمع نحو التنمية والتقدم ما لم يكن معافى في علاقاته البينية، ذلك أن سوء العلاقة بين مكونات المجتمع وطوائفه وشرائحه، تصرف اهتمامات أبنائه عن البناء، وتشغلهم بمعارك النزاع والصراع الداخلي، حيث يتوهّم كل طرف بأن الطرف الآخر ضده وعدو له، ويغفلون عن العدو المشترك وهو التخلف التنموي.

إن معظم مجتمعات الدول النامية أو العالم الثالث، يعانون من التخلف في مختلف مجالات حياتهم السياسية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية، كما تؤكد ذلك تقارير الأمم المتحدة للتنمية كل عام. وهم بحاجة ماسّة للتحرك باتجاه النهضة والإصلاح والتطوير.

لكن الصراعات الإثنية من قومية ودينية ومذهبية تستهلك جهودهم، وتمنعهم من التعاون والتكاتف لبناء أوطانهم، وإنجاز التنمية لشعوبهم.

من هنا تأتي أولوية الاهتمام بإصلاح العلاقات بين فئات المجتمع، ومعالجة ما تعتريها من علل وأسقام.

---

(١) عيسى محمد العيد. في ظل التعايش، الطبعة الأولى ٢٠١٢م، أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف..

والقاعدة التي يجب الانطلاق منها في صنع العلاقات السليمة بين مكونات المجتمع هي قبول التعايش، على أساس من الاحترام المتبادل، والاعتراف بالشراكة الوطنية.

إن العقل والشرع يدعمان هذه القاعدة ـ التعايش ـ ويؤيدانها؛ لأن أي فئة لا يحق لها أن تلغي الفئة الأخرى، فالوجود منحة الله تعالى لخلقه، والحياة نعمة منه تعالى على الجميع، وثروات الكون وخيراته مسخّرة لكل بني آدم، فلا يحق لأحد أن يستأثر بذلك خلافاً لإرادة الله وحكمته.

يقول تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾[سورة الرحمن: الآية١٠].

ويقول تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾ [سورة الجاثية: الآية١٣].

ويقول تعالى: ﴿كُلّاً نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [سورة الإسراء: الآية٢٠].

وقد أمر الله تعالى أنبياءه بقبول التعايش مع غير المؤمنين برسالاتهم، ونهاهم عن ممارسة أي إكراه أو فرض على الآخرين يقول تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[سورة البقرة: الآية٢٥٦].

ويقول تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: الآية٩٩].

ويقول تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾[سورة الغاشية: الآيتان٢١ -٢٢].

ولكن قاعدة التعايش مع ثبوت أدلتها الدينية والعقلية، ومع وضوح نتائجها الإيجابية في حياة مختلف الأمم والشعوب، إلا أنها لا تزال محلّ أخذ ورد ونقاش وجدال في بعض مجتمعاتنا الإسلامية على مستوى القبول الفكري والتطبيق العلمي.

وذلك لأن تاريخ هذه المجتمعات اتسم في مجمله بسياسة الفرض والقهر، وأنتج ثقافة تشرع الهيمنة والاستبداد، وتدفع باتجاه الاختلاف والنزاع.

إن واجب الواعين من أبناء هذه المجتمعات أن يهتموا بنشر ثقافة التعايش، وأن يقبل الناس بعضهم بعضاً على اختلاف انتماءاتهم العرقية والدينية؛ لأن البديل عن ذلك هو التنافر والنزاع والاحتراب، مما يعوّق التنمية ويهدد أمن الوطن واستقراره.

وهذه الصفحات بين يدي القارئ الكريم، هي مجموعة مقالات كتبها الأخ الأستاذ عيسى العيد، ونشرها في بعض الصحف والمواقع الإلكترونية، تهتم بمعالجة موضوع التعايش ونشر ثقافة الحوار والتسامح.

والكاتب الكريم واحد من شبابنا الأعزاء الذين انخرطوا في مسيرة الإصلاح وخدمة المجتمع، والتحق منذ نعومة أظفاره بأجواء العمل الديني والنشاط الثقافي، وكتابته عن التعايش والتسامح تواكب نشاطه العملي في المشاركة في جهود الانفتاح والتواصل مع مختلف فئات المجتمع، ومكونات النسيج الوطني.

أسأل الله تعالى له التوفيق ومواصلة طريق العمل لخدمة المجتمع والوطن.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

٤ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ

الموافق ٩ مايو ٢٠١١م

آل سيف ظاهرة متميزة في المجتمع القطيفي

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

حين نستعرض اهتمامات الحاج محمد تقي آل سيف رحمه الله، ونقرأ شخصيته ضمن عصره، وضمن الشريحة التي ينتمي إليها، نجد أنه من الظواهر الفريدة المتميزة في مجتمعنا القطيفي.

فهو ينتمي إلى شريحة رجال الأعمال، وإلى الوسط الديني التقليدي، حيث كان الركود والجمود سائدًا في تلك الأجواء، ولم يكن هناك فاعلية وحراك اجتماعي.

لكن الحاج محمد تقي تجاوز باهتماماته سقف شريحته ووسطه الديني، وكان يقوم بأدوار نوعية متميزة، ويبشر بأفكار واهتمامات لم تكن متداولة آنذاك.

وأحاول من خلال هذه السطور المتواضعة الإشارة إلى بعض اهتماماته وتوجهاته، وفاءً لذكراه، وأداءً لبعض حقه، ومساهمة في توثيق هذه الحقبة من تاريخ مجتمع المنطقة.

الدعوة إلى العمل والتحرك:

كان الجمود والركود هو الحالة السائدة في الوسط الديني الاجتماعي، وكانت تعززه مجموعة هائلة من الأفكار السلبية التبريرية. كالفهم الخطأ لفكرة انتظار الفرج، والتزام التقية، والتحلي بالصبر، والابتعاد عن السياسة، وأن الله كتب على المؤمنين

أن يكونوا مظلومين مستضعفين، واختيار الانكفاء والانطواء حذرًا من حب السمعة والبروز، والتشكيك في جدوائية التحرك، وعدم إلقاء النفس في التهلكة، وأن شروط وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير متوفرة.. إلى ما هنالك من الأفكار السلبية، التي تشكل عائقًا ذاتيًا، يشلّ الحركة، ويبرر التقاعس، ويقمع أي توجه للفاعلية.

إلى جانب ذلك هناك منظومة من الأعراف والتقاليد تحمي نفوذ القوى التقليدية في المجتمع، فلا مجال للتحرك إلا بإذنهم وتحت سقف هيمنتهم، وأي تجاوز لهم يُنظر إليه بشك وريب، ويواجه بمقاطعة وحصار.

في هذا الوسط كان الحاج محمد تقي آل سيف داعية تمرد على هذا الوضع، وكان يصرخ عاليًا ضد الركود والجمود، ويدفع باتجاه الحركة والنشاط.

لم يكن خطيبًا ولا كاتبًا ليوظّف منبره وقلمه في الدعوة إلى الفاعلية، لكنه كان دائم الحديث في مجالسه ولقاءاته حول هذا الموضوع. وكان حريصًا على جمع المعلومات وحفظ القصص والأحداث التي يستشهد بها في مجالسه لتأكيد ضرورة العمل والتحرك، وللتنديد بحالة الجمود والتقاعس، وكثيرًا ما يتكئ في حديثه على ذكر نماذج من عمل الآخرين وفاعليتهم، من أتباع الديانات والمذاهب والتيارات الأخرى، ليرسم أمام مستمعيه سؤاله العريض: لماذا لا نعمل كالآخرين؟

من جانب آخر، فإنه يتحدث عن سوء الواقع الاجتماعي، وخطورة التحديات التي تواجه الحالة الدينية، ليستثير الغيرة الدينية في النفوس.

كما يشيد بدور المؤمنين العاملين في الساحات الأخرى، وينقل قصص وأخبار العلماء المصلحين، والفعاليات الاجتماعية في البلدان الأخرى.

وكان أكثر ما يكون جرأة في طرحه هذا أمام المراجع والعلماء، حيث يحملهم القسط الأكبر من المسؤولية، وخاصة حينما يزور بلدًا ويرى ضعف الحالة الدينية فيه،

فإنه يشدّ الرحال إلى النجف الأشرف، ويلتقي المراجع والعلماء ليحدثهم بالتفصيل عن مشاهداته، ويطلب إليهم بإلحاح أن يتحملوا المسؤولية تجاه ذلك.

ويكاد يكون هذا الموضوع هو الهمّ الحاضر غالبًا في مجلسه الدائم الانعقاد كل ليلة بتاروت.

وما يعطي المصداقية لطرحه هو مبادراته العملية وفق قدراته وإمكاناته للتحرك من أجل خدمة قضايا الدين والمجتمع.

فهو في طليعة وجهاء البلد المهتمين بالتواصل مع الدولة، للمطالبة بتلبية حاجات المواطنين، واستكمال الخدمات ومشاريع التنمية.

وهو من المبادرين للمساهمة في إقامة المساجد والحسينيات والمؤسسات الدينية والاجتماعية، ومن الداعمين لمختلف الأنشطة الثقافية والدينية.

التواصل مع العاملين ومساندتهم:

كان التصدي وتحمل المسؤولية هو المعيار الأول لديه لتقويم الشخصيات الدينية والاجتماعية، فأحبهم إلى نفسه وأفضلهم مكانة عنده هو الأكثر تصديًا لقضايا الدين والمجتمع.

إنه يصنف الشخصيات إلى صنفين:

- صنف يحترمه الناس لانتمائه العائلي، أو لسمعته العلمية، أو لثروته ومنصبه، وهذه المقاييس لا تعني شيئًا مهمًا عند الحاج محمد تقي آل سيف، ولا تجعله مهتمًا بمثل هذه الشخصيات إلا ضمن مقتضيات المجاملة والعلاقات العامة.
- أما الصنف الآخر فهم الذين يكابدون عناء العمل والتحرك، ويحملون راية الإصلاح والنهوض، ويجاهدون بألسنتهم وأقلامهم وجاههم ومواقفهم لخدمة قضايا الدين والأمة.

هذا الصنف من الرجال هم الذين يبحث عنهم وينجذب إليهم، ويحبهم من أعماق قلبه، ويدعمهم بكل ما أوتي من قوة، ويقف إلى جانبهم فيما يتعرضون له من ضغوط.

وحين يزور أي بلد يفتش عن هؤلاء الأشخاص، ولا تحول بينه وبينهم الشائعات المغرضة، والإشكالات المصطنعة التي عادة ما يثيرها المتقاعسون ضد العاملين المصلحين.

إنه لا يأبه كثيرًا للخلافات والصراعات الدائرة في مختلف الأوساط الدينية والاجتماعية، بل يرى أنها ربما تكون مفتعلة من قبل الأعداء، أو ناتجة عن الحسد وتضارب المصالح.

وكان رحمه الله يسعى لتطويق بعض هذه الخلافات والصراعات، بنقل الصورة الإيجابية عن كل طرف للآخر، ودعوة الجميع لحسن الظن، والتبيّن تجاه الشائعات، والحذر من المندسّين الذين يصطادون في الماء العكر.

لذلك كانت شبكة علاقاته مع المراجع والعلماء والشخصيات الفاعلة تجمع الأضداد والمتناقضات، وقد يشد الرحال ويقطع المسافات البعيدة للتعرف على عالم مصلح سمع عن نشاطه، أو للاطلاع على تجربة مؤسسة دينية اجتماعية بلغه خبر عنها.

ويمكن القول إنه كان على صلة وعلاقة بمعظم مراجع الدين والعلماء المتصدين في العراق وإيران ولبنان والهند وباكستان ودول الخليج.

نشر المعرفة والوعي:

كان له اهتمام كبير بنشر الثقافة والوعي، لإدراكه بأن الجهل هو سبب التخلف الأساس، وأن المعرفة والوعي هو طريق النهوض، ورغم أنه لا ينتمي إلى شريحة المنتجين للمعرفة، كالعلماء والخطباء والمؤلفين، إلا أنه كان يقوم بدور الجسر والوسيط بين مجتمعه وبين مصادر المعرفة والوعي. حيث كان يقوم بدعوة العلماء والخطباء الواعين إلى المنطقة ويستضيفهم، ويهيئ لهم مجالس الخطابة والإرشاد،

كما كان يهتم بالمساهمة في طباعة الكتب ودعم نشرها وتوزيعها.

ومن هذا المنطلق كان يشجع على طلب العلم الديني، ويتبنى مساعدة الطلبة، وخاصة من أبناء أسرته حيث كان يتكفل باحتياجاتهم، وكان بوده أن يتوجه كل أبنائه لدراسة العلوم الدينية، ودفعهم إلى ذلك، وهيأ لهم كل الأسباب والظروف المساعدة، وقد أقر الله عينه باستمرار بعضهم في هذا الطريق، وتبوأوا رتبة عالية من العلم والفضل، كنجله الفاضل الدكتور توفيق السيف، الذي قطع شوطاً في الدراسات الدينية الحوزوية، ثم واصل دراسته الأكاديمية، وحصل على ماجستير الفلسفة في الشريعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية في لندن، وشهادة الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة وستمنستر في لندن، ودراساته وأبحاثه تدل على مستوى علمي رصين.

ونجله الآخر سماحة الشيخ فوزي آل سيف، وهو في الطليعة من فضلاء المنطقة، حيث أنهى دراسة المقدمات والسطوح العالية، وحضر لسنوات بحوث الخارج في الحوزة العملية بقم، ثم آب إلى وطنه ليرعى أول حوزة علمية في القطيف، أستاذاً للدراسات العليا، إلى جانب كونه خطيباً لامعاً، ومؤلفاً قديراً صدرت له مجموعة من الكتب القيمة.

والنجل الثالث سماحة الشيخ محمود آل سيف الذي جمع بين الاهتمام العلمي، والاجتهاد في التبليغ، والتواصل مع المؤسسات والأنشطة الدينية في أنحاء مختلفة من العالم، بالتنسيق مع المرجعية الدينية. إضافة إلى خدمة المنبر الحسيني، وتأليف الكتب النافعة.

لقد كان الحاج محمد تقي آل سيف رحمه الله يعيش هم الخدمة للدين والمجتمع طوال حياته، ومنحه الله تعالى التوفيق لإنجاز خدمات كثيرة، وتقديم جهود كبيرة، ومن أجلى مصاديق هذا التوفيق الإلهي، هو ذريته الصالحة، وأبناؤه الأفاضل الذين يحيون ذكره بدورهم الديني ونشاطهم الاجتماعي، وعطائهم العلمي.

والمصداق الآخر هو الوقف الذي خصصه للإنفاق على طلبة العلوم الدينية، ونشر معارف أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، مما يؤكد تمسكه باهتماماته الإصلاحية، وحرصه على خدمتها في حياته وبعد وفاته.

نسأل الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته، وأن يرفع درجاته في الجنة، وأن يوفق أبناءه الأفاضل لبذل المزيد من الجهود في خدمة الدين والمجتمع.

والحمد لله ربِّ العالمين.

حسن الصفار

٢٧ جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ

٣٠ مايو ٢٠١١م



تقديم لكتاب

قضايا الدين والمجتمع.. رؤى وقراءات[1]

حين ينتهل الإنسان من معين المعارف الدينية، وينتمي إلى سلك حملة العلم الشرعي، فإنه يتحمل مسؤولية نشر العلم والمعرفة، وواجب التعليم والإرشاد.

وهو مطالب أمام الله سبحانه وتعالى ببث ما تعلمه في أوساط المجتمع، وسيحاسب يوم القيامة عن التقصير في القيام بهذه المهمة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[سورة البقرة، الآية: ١٥٩]، وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله يسأل العبد عن فضل علمه كما يسأله عن فضل ماله». وعنه ﷺ: «من كتم علماً ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار».

وهناك علاقة وثيقة بين بذل العلم للناس وبين تقدم مستوى العالم في معرفته وعلمه، فمن يبخل بالعطاء العلمي، يتوقف عن النمو والتقدم، ويصيبه الركود الفكري، ويتراجع مستواه. وهذا أمر محسوس، فإن ممارسة التعليم، والتصدي للدور المعرفي، يعني استمرار الحركة العلمية في ذهن الإنسان، ومتابعة الانشغال بالبحث والنظر، والاجتهاد في أساليب إيصال الفكرة للمتلقين، والإجابة عن تساؤلاتهم واعتراضاتهم، مما يعمق القدرة العلمية، والكفاءة المعرفية، ويفتح أمام الذهن آفاقاً

---

(١) الشيخ صادق بن أحمد الرواغة، قضايا الدين والمجتمع رؤى وقراءات، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ، أطياف للنشر والتوزيع ـ القطيف ـ السعودية.

وأبواباً جديدة في العلم والمعرفة.

وهذا ما تشير إليه النصوص الشريفة من تبيين أثر العطاء على تعميق العلم والمعرفة. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «العلم يزكو على الإنفاق».

كما أن العالم حين يبذل علمه للناس، فإنه يصبح قريباً منهم، وتتعزز مكانته ودوره في أوساطهم، فيكون أقدر على خدمة الدين، والارتقاء بشأن المجتمع.

وفي هذا العصر تواجه مجتمعاتنا تحديات خطيرة، تستهدف قيمها الأخلاقية، ومبادئها الدينية، في ظل ثقافة العولمة المادية، كما تعاني مجتمعاتنا الكثير من المشاكل في داخلها، كضعف الفاعلية والإنتاج، وداء الاختلاف والتفرق، وانتشار الأفكار السلبية، والعادات الضارة.

مما يضاعف المسؤولية على علماء الدين ليضاعفوا جهدهم، وليرفعوا من مستوى فاعليتهم ونشاطهم، في بث الوعي والمعرفة، وإرشاد الناس إلى ما يصلح أمور دينهم ودنياهم.

وقد أصبحت الفرص متاحة، والآفاق مفتوحة، والظروف مساعدة، أكثر من أي وقت مضى، وإذا كانت هناك بعض الصعوبات والعوائق فهي في الحدود المقبولة، التي يواجهها أي نشاط في مختلف مجالات الحياة.

كان مجتمعنا في الماضي يشكو من قلة العلماء، وضعف الإقبال على طلب العلم الديني، لكن الصحوة الدينية التي هبت على مجتمعنا وسائر مجتمعات الأمة، تجاوزت بالمجتمع ذلك الواقع، فأصبح لدينا في كل قرية أو مدينة عشرات من المنتمين إلى هذا السلك المبارك، وما يحتاجه المجتمع اليوم هو التفعيل الأفضل لدور هؤلاء العلماء والخطباء وطلاب العلوم الشرعية.

وإذ نفخر بالنماذج المتصدية للقيام بالمسؤولية والواجب الديني الاجتماعي، فإننا نأمل مضاعفة الجهد والنشاط، وشمولية حالة الفاعلية والتصدي لجميع أبناء هذا

الصنف من الشرعيين، مع السعي لأكبر قدر من التنسيق والتعاون فيما بينهم، لحفظ الوحدة الإيمانية والاجتماعية.

وممن يُفخر بدوره الديني والاجتماعي أخونا العزيز الفاضل سماحة الشيخ صادق رواغة أدام الله تأييده وتوفيقه، حيث يقيم صلاة الجماعة، ويخطب في المصلين، ويمارس الخطابة الحسينية، ويقوم بالتدريس لمجاميع من الشباب، ويؤدي المهام الدينية المتعارفة، مع التحلي بحسن الأخلاق، واستقامة السلوك، والاتزان والانفتاح في علاقاته الاجتماعية.

وها هو يشهر سلاح القلم للانتصار لقيم الهداية والصلاح، وبث الوعي والمعرفة، وكنت أطّلع على بعض مقالاته التي يدوّن فيها خطبه ومحاضراته، فيلفت نظري حسن اختياره للموضوعات التي يتناولها، بما يلامس حاجة المجتمع وقضاياه، وكذلك أسلوب المعالجة والطرح، بما يجمع بين عمق المضمون ووضوح التعبير، وإذ أبارك له جمع هذه المقالات وإصدارها ضمن دفتي هذا الكتاب، لأرجو أن يكون ذلك فاتحة خير لنشاط متواصل منه في مجال الكتابة والتأليف.

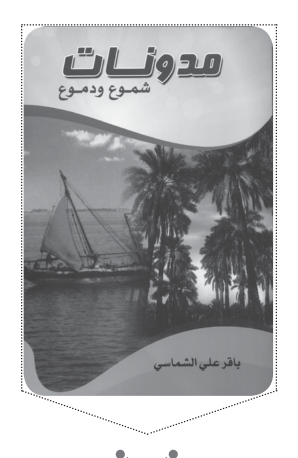
كما آمل أن يكون دافعاً ومحفزاً لسائر أبناء سلك العلوم الدينية، للاهتمام بتوظيف أقلامهم في حركة الثقافة والفكر، خدمة للدين والمجتمع.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن موسى الصفار

١٧ رجب ١٤٣٢هـ

١٩ يونيو ٢٠١١م



مدونات شموع ودموع[1]

الحراك السياسي في كل مجتمع هو مؤشر وعي ودليل عافية وحيوية؛ لأن المجتمع الراكد سياسياً هو مجتمع مستسلم خانع، ينقصه الوعي بذاته وواقعه، أو يفتقد التطلع وإرادة التقدم، فيعيش اللامبالاة، ويتنازل عن شروط إنسانيته وممارسة حقوقه المشروعة.

فالشأن السياسي يمسّ مختلف جوانب حياة المجتمع، ويؤثر في جميع مجالات شؤونه؛ لأن السياسية هي التي تُدير وتقود الحياة. فالصحة والتعليم والاقتصاد والإعلام والثقافة وسائر الأمور، كل شؤونها تخضع للقرار السياسي وتتأثر به.

وكما يقول الدكتور حسن صعب: «فقد تمسّ سلطة التقرير السياسي مصير ينبوع من الماء في حديقة المنزل، كما تمسّ مصير ينبوع الحياة في نفس الإنسان، وقد تتعلق بها حياة الطيور كما تتعلق بها حياة الأمة بكاملها».

والحراك السياسي يعني تفاعل المجتمع إيجابياً مع الواقع السياسي الذي يعيشه، ضمن موقف القبول أو الرفض، والتأييد أو المعارضة، بغرض المشاركة والتأثير في القرار.

وتعاني المجتمعات التقليدية من مشكلة احتكار الشأن السياسي في دائرة ضيقة،

---

(١) باقر علي الشماسي. مدونات شموع ودموع، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف.

تتمثل في النخبة الحاكمة، التي قد تتلخص في فرد أو عدة أفراد، وحين يتجرأ أحد من أبناء الشعب للإدلاء برأي سياسي مخالف، أو اتخاذ موقف معارض، فإنه يعرّض حياته ومصالحه للخطر.

ومن الطبيعي أن تترعرع في هذه المجتمعات المقموعة ثقافة تدفع نحو الانكفاء والسكون والاستسلام، حذراً من تبعات الانخراط في الشأن السياسي، وقد تأخذ صبغة دينية للتبرير، أو انطلاقاً من سياسة التجهيل والتضليل.

لكن المجتمعات قد لا تعدم أفراداً واعين يتخطون حاجز الخوف والرهبة، ويتجاوزون ضحالة الوعي والإدراك، فيبادرون إلى اقتحام حقل السياسة، متحدين ألغام خطره المرعبة. وحين يصمدون ويقدمون التضحيات، فإن رقعة الحراك السياسي تتسع، وينمو الوعي والشعور بالمسؤولية الاجتماعية.

ومن ميزات مجتمعنا القطيفي المعاصر انبثاق طليعة واعية من أبنائه تهتم بالشأن السياسي، وتتصدى لممارسته في الإطار السلمي، مما أوجد حراكاً سياسياً لا زال مستمراً منذ ما يزيد على نصف قرن من الزمن.

حيث تشكلت في المجتمع تجمعات سياسية، ذات توجهات مختلفة، قامت بأنشطة إعلامية وثقافية واجتماعية في المسار السياسي، داخل البلد وخارجه.

وقد انعكس هذا النشاط السياسي على واقع المجتمع، حيث تتجلى بعض مظاهره في انتشار الوعي الوطني، ونمو الفاعلية الاجتماعية، وتعزيز مكانة المجتمع في محيطه، ومعالجة بعض ما يعاني من مشكلات.

في المقابل كانت هناك بعض الخسائر والتضحيات، حيث سقط عدد من الشهداء، واستضافت غياهب السجون عدداً كبيراً من الناشطين، وعانى البعض صعوبات الغربة والهجرة، وتحمّل كثيرون مختلف الضغوط والمشاكل.

لكن هذا الحراك السياسي في المنطقة يفتقد التوثيق والرصد التاريخي، بسبب ما

يكتنفه من الملابسات والحساسيات.

ويتحمل الرواد والناشطون السياسيون مسؤولية كبرى في تسجيل تجارب عملهم النضالي، وتوثيق حراكهم السياسي، لتستفيد منه الأجيال الصاعدة.

من هنا تبدو القيمة الحقيقية لكتابات الأستاذ المناضل باقر الشماسي، حيث يقدم للجيل الجديد شيئاً من تجربته النضالية، ويوثق بعض أحداث الحراك السياسي في المنطقة.

والأستاذ باقر الشماسي من الناشطين السياسيين الأوائل الذين تحملوا عناء السجون، وواجهوا مختلف الضغوط والصعوبات، بسبب تعبيرهم عن آرائهم السياسية، ونشاطهم في الدفاع عن الحريات وحقوق الإنسان.

ولا يزال مهموماً بقضايا المجتمع والوطن، كما يتجلى ذلك في كتاباته التي ينشرها عبر المواقع الإلكترونية، وقد جمع معظمها بين دفتي هذا الكتاب الجميل.

ويمتاز الأخ أبو سلام بتواضعه الجم، وحرصه على التواصل مع مختلف فئات المجتمع، وتفاعله الإيجابي في مناقشة القضايا الوطنية في مختلف اللقاءات والمنتديات التي يحضرها، وطالما أصغيت إلى مداخلاته وحديثه حين يسعدنا بحضوره في مجلسنا الليلي في بعض الأمسيات، فيعجبني منه اهتمامه بحديث الآخرين، وتقديره لآراء الشباب، وصراحته في إبداء رأيه بثقة وهدوء.

وذلك ما سيلمسه القارئ عند اطلاعه على مواضيع هذا الكتاب الشيّق، حيث يعبّر الأستاذ الشماسي عن آرائه في مختلف المواضيع والقضايا السياسية والثقافية والاجتماعية، ولك أن تتفق أو تختلف معه في هذا الرأي أو ذاك، في إطار التثاقف، واحترام الرأي الآخر.

شكراً لأبي سلام على عطائه لمجتمعه ووطنه، ووفقه الله لمزيد من العطاء.

وأرجو أن يكون هذا الكتاب محفزاً وباعثاً لسائر زملائه ورفاقه من الناشطين

السياسيين لتوثيق مسيرتهم وتجربتهم النضالية، بما يثري الحراك السياسي في المجتمع، ويراكم التجارب والخبرات، ويساعد في كتابة التاريخ السياسي للمجتمع، ورصد خلفيات الأحداث والتطورات.

حسن بن موسى الصفار
١٩ يوليو ٢٠١١م
١٨ شعبان ١٤٣٢هـ




تقديم لكتاب

خطباء العوامية من الماضيين[1]

الخطباء الحسينيون يمثلون صوت النهضة الحسينية، الذي يصك مسامع الأجيال على امتداد التاريخ.

فهم الذين يخلّدون هذه الذكرى العظيمة بنقل أحداث عاشوراء، ويحيون النفوس بما تضمنته من مواقف التضحية والفداء، ويفجّرون المشاعر والعواطف بتصوير مشاهد المآسي والآلام التي حلّت بأهل بيت الرسالة صلوات الله وسلامه عليهم.

وعبر منابر الخطباء الحسينيين تعززت مسيرة الولاء والمودة للعترة الطاهرة، وتواصلت عرى الارتباط والانشداد بسيرة الأئمة الأطهار.

وكلما كان الخطيب أكثر وعياً ومعرفة بفكر أهل البيت وأمرهم، كان أقدر على إحيائه، وأقرب إلى أن يشمله دعاء الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام: «رحم الله من أحيا أمرنا» وحيث أجاب عن سؤال: «كيف يحيي أمركم» بقوله عليه السلام: «يتعلم علومنا وينشرها بين الناس فإن الناس لو عرفوا محاسن كلامنا لاتبعونا».

إن شرف الخدمة للحسين عليه السلام لا يناله إلا من كان مخلصاً لله في أدائه لهذه الخدمة المباركة، ملتزماً هدي أهل البيت عليهم السلام في سلوكه وتعامله مع الناس، هنالك تخرج موعظته من قلبه بصدق، فتقع في القلوب موقع التأثير والقبول.

---

(١) عبد القادر الشيخ علي أبو المكارم. خطباء العوامية من الماضين، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ.

رحم الله خطباءنا الصالحين الماضين الذين أحيوا أمر الحسين في مجتمعاتهم وعصورهم، وأيّد الله خطباءنا الرساليين المعاصرين ليقوموا بالواجب الملقى على عواتقهم في هذا الواقع الذي تحيطه أخطر التحديات.

ووفق الله المجتمع لأداء الشعائر الدينية والحسينية على خير وجه وأكمل صورة تناسب تطورات العصر والحياة.

وجزى الله العبد الصالح الحاج عبد القادر أبو المكارم خير الجزاء لاهتمامه بإحياء ذكرى الخطباء الحسينيين في بلده (العوامية)، فقد اجتهد في جمع المعلومات عن حياتهم، تخليداً لذكراهم، ووفاءً لحقهم، وتحفيزاً للاقتداء بهم.

وقد أحسن صنعاً حين أضاف إلى تراجم الخطباء تراجم الخطيبات الحسينيات، فهن كأشقائهن من الخطباء أحرزن شرف الخدمة الحسينية، وقمن بدور إحياء الشعائر الحسينية، كما أضاف ـ شكر الله سعيه ـ تراجم قراء السيرة الحسينية في مجالس العزاء.

بارك الله لأبي عدنان هذا العمل التوثيقي الرائع، وحشره يوم القيامة مع الحسين عليه السلام وأنصار الحسين عليه السلام وخدام الحسين عليه السلام، ووفقه الله للمزيد من العطاء والإنتاج في خدمة الدين والمعرفة.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن بن موسى الصفار

٢٠ شوال ١٤٣٢هـ

١٨ سبتمبر٢٠١١م

٧

نداء حول الأحداث الأليمة في البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين، وصحبه الطيبين.

لقد هالنا وأذهلنا ما يحدث في مملكة البحرين من سفك للدماء، وهتك للحرمات، وترويع للناس تنقله مختلف الشاشات الفضائية.

إنني أناشد قادة دول مجلس التعاون الخليجي المبادرة للدعوة إلى حقن الدماء، وإيقاف العنف في البحرين، وبذل قصارى الجهد للمساعدة في معالجة الأزمة القائمة هناك، بالاتجاه نحو الحوار والحلّ السياسي، لتحقيق المصالحة الوطنية، وضمان الأمن والاستقرار، ذلك أن اعتماد الحل الأمني، واستخدام القوة، وإرسال الجيوش لا يزيد الأمر إلا تعقيدًا.

كما أدعو جميع القوى الواعية في منطقتنا الخليجية، من منظمات المجتمع المدني والدعاة وعلماء الدين والمثقفين والناشطين السياسيين لبذل جهودهم في دفع الساحة البحرينية نحو الحوار والمصالحة، وتضميد الجراحات النازفة، بعيدًا عن الاصطفاف المذهبي، والشحن الطائفي، الذي يشكّل خطرًا على وحدة مجتمعاتنا وأمن أوطاننا، ولا يفيد إلا القوى الأجنبية الطامعة.

وأقدم أحر التعازي لعوائل الشهداء، وخالص الدعوات لشفاء الجرحى. وأسأل

الله تعالى أن يفرّج عن أهالي البحرين كربهم، ويجمع شملهم، ويعينهم على إصلاح أمورهم، ويبعد الشر وكيد الأعداء عنهم إنه جواد كريم.

حسن الصفار

١١ ربيع الآخر ١٤٣٢هـ

الموافق ١٦ مارس ٢٠١١م

علماء القطيف: مطالبة بالحقوق وتهدئة للشارع

أصدر جمع من علماء الدين بالقطيف يمثلون مختلف الأطياف الفكرية والمرجعية بياناً أكدوا فيه السعي لمعالجة قضايا المجتمع ومطالبة المسؤولين بتوفية الحقوق، في الوقت الذي دعوا فيه الشباب وأبناء المجتمع، إلى تهدئة الشارع وإتاحة الفرصة لمتابعة القضايا المطلوبة مع المسؤولين وفيما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإننا في الوقت الذي نؤكد فيه مطالبتنا المسؤولين بمعالجة القضايا وتوفية الحقوق المشروعة التي طرحها نخبة من شباب المجتمع في لقائهم سمو أمير المنطقة ونائبه، وفي خطابهم المرفوع بهذا الشأن، فإننا نرجو من إخواننا وأبنائنا الأحبة الأعزاء شاكرين جهود الجميع التروي والتأني وإعطاء الجهود المبذولة من قبل الجميع في تحقيق المطالب المنشودة للطائفة وتهدئة الشارع من أجل التعاون الأخوي للوصول إلى إنجاز مطالبنا الحقة بالطرق المتاحة، والله ولي التوفيق، والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

في ١٧/ ٥/ ١٤٣٢هـ

أسماء الموقعين وهم:

الشيخ عبد الله الخنيزي، السيد منير الخباز، الشيخ حسن الصفار، الشيخ غالب حسن آل حماد، الشيخ عبد الكريم الحبيل، الشيخ يوسف سلمان المهدي، الشيخ علي المحسن، الشيخ منصور الجشي، الشيخ حسين قريش، الشيخ غازي الشبيب، الشيخ حسن الخويلدي، الشيخ عبد الله الحمالي، الشيخ محمد سعيد المناميين، الشيخ عبد العظيم مشيخص، الشيخ حسام سلاط، الشيخ حسين صويلح، الشيخ محمد عبيدان، السيد حيدر العوامي، الشيخ جعفر آل ربح، الشيخ جواد جضر، الشيخ عبد الله اليوسف، الشيخ محسن المعلم، الشيخ عباس سباع، الشيخ علي المعلم، الشيخ مالك الميلاد، الشيخ فؤاد عبد الكريم المتروك، الشيخ شاكر أحمد الناصر، الشيخ محمد حسن العليوات، الشيخ محمد علي العبد العال، السيد كامل الحسن، الشيخ زكي آل سيف، الشيخ سعيد العوى، الشيخ حسين البدر، الشيخ عادل الاسود، الشيخ مهدي المصلي، الشيخ محمد المدلوح.



تقديم لكتاب

نظرية المعرفة على ضوء كتاب فلسفتنا[1]

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين.

تمثل شخصية الإمام السيد محمد باقر الصدر أفضل أنموذج للفقيه المسلم المعاصر، حيث قدّم تجربة رائدة في الجمع بين الأصالة والمعاصرة، وفي تحمل مسؤولية الدعوة والدفاع عن مصالح الدين والأمة.

فقد استوعب قيم الدين ومفاهيمه وتشريعاته، بقدرة اجتهادية فائقة، وعلى مستوى الاستنباط وتكوين الرأي في المسألة الفكرية والفقهية.

كما انفتح على تطورات الحياة، وقرأ التيارات الفكرية المعاصرة، في عمقها الفلسفي، ومناهجها الاجتماعية والاقتصادية، ودرسها دراسة دقيقة واعية.

واستطاع أن يكشف مواقع الضعف والخلل في تلك التوجهات، وأنها عاجزة عن تحقيق ما يصبو إليه الإنسان من معرفة حقيقية، ونظام اجتماعي صالح.

وفي مقابل عجز تلك المذاهب الفلسفية المادية، والمدارس الاقتصادية الوضعية من رأسمالية وماركسية، قدّم الإمام الصدر رؤية الإسلام الواضحة في منهجية المعرفة، وإدارة الاجتماع البشري، وتنظيم الشأن الاقتصادي.

---

(١) الشيخ حسن الراضي. نظرية المعرفة على ضوء كتاب «فلسفتنا»، الطبعة الأولى ٢٠١١م، (بيروت: دار المحجة البيضاء).

فكان كتاباه العظيمان (فلسفتنا) و(اقتصادنا) أهم استجابة معرفية إسلامية للتحديات الحضارية المعاصرة، من الغرب الرأسمالي، والشرق الماركسي. أبانت للمفكرين الآخرين عمق الفكر الإسلامي بصلابته العلمية، وقدرته على مواجهة أصعب التساؤلات وأعقد الإشكالات.

كما وجدت الساحة الإسلامية في كتابي «فلسفتنا» و«اقتصادنا» ما كانت تبحث عنه وتحتاج إليه من مضمون علمي فكري، يساعدها على الثبات والصمود في وجه الحضارة المادية الزاحفة، المدججة بالقوة العسكرية، والتقدم الصناعي، والتطور التكنولوجي.

فقد تسلل الشعور بالضعف والهزيمة إلى مساحة كبيرة من ساحة الأمة، وظن البعض أن هذا العصر سيشهد نهاية الفكر الديني بشكل عام، والفكر الإسلامي بشكل خاص.

لكن الروح الإسلامية المتجذرة في أعماق النفوس، وما ينطوي عليه الإسلام من قوة الحق كدين إلهي، والدور الذي قام به العلماء المجاهدون، كل ذلك أدّى إلى قلب المعادلة، وتغيير موازين القوة لصالح الإسلام العزيز.

ويأتي السيد الشهيد الصدر في الطليعة من العلماء الربانيين المجاهدين، حيث أمدّ الأمة بعطائه العلمي المميّز، الذي ألهمها الثبات والصمود، وتجاوز بالفكر الإسلامي مرحلة الدفاع إلى مستوى الهجوم الكاسح على مواقع الفكر الآخر.

وشاء الله تعالى لهذا الفقيه المجدد، أن يكتب بمواقفه الرسالية، وبدمه الزكي، ملحمة أخرى للثبات والمقاومة، تتوج ملاحمه الفكرية العلمية الرائدة.

لقد مضى أكثر من نصف قرن على صدور كتابي «فلسفتنا» و «اقتصادنا»، وحصلت تطورات فكرية وسياسية واجتماعية كبيرة على الساحة العالمية، لكن الكتابين لا زالا في موقع الصدارة، بل إن التطورات المختلفة جاءت مؤكدة وداعمة لما أورده الشهيد

الصدر من نقد متين للمذاهب المادية، فقد تهاوت صروح الماركسية، وتصاعدت أزمات الرأسمالية، واستعادت الأمة الإسلامية ثقتها بدينها، وتألق الإسلام كمشروع حضاري واعد.

وبين يدي القارئ الكريم جهد معرفي مبارك، قدمه أحد تلامذة الشهيد الصدر، المنتهلين من نمير علمه، الذين منحهم الله تعالى فرصة وشرف الاقتراب من شخصيته الفريدة، ومعايشة خصائصه الأخلاقية العالية.

إنه الأخ العزيز العلامة الشيخ حسن الراضي حفظه الله تعالى، الذي يقدم في هذا الكتاب قبسات من فكر الشهيد الصدر، ضمن دراسة موضوعية تحليلية لأبعاد الصراع الفكري بين التيارات والمذاهب الفلسفية المادية، وبين الفكر والفلسفة الإسلامية، على ضوء كتاب «فلسفتنا».

وتتميز هذه الدراسة بوضوح التعبير، وحسن الأسلوب، ورشاقة العرض. توّجها الشيخ المؤلف بكتابة سطور مضيئة عن حياة الإمام الشهيد الصدر، رضوان الله تعالى عليه، موثّقاً فيها بعض صور ومشاهد علاقته بالسيد الشهيد، بعبارات وجدانية صادقة، نابعة من أعماق قلبه، تعكس مدى حبه وعشقه وإخلاصه للأستاذ الكبير.

لقد أنعم الله تعالى على أخي العلامة الشيخ حسن الراضي بنعم عظيمة كثيرة، في طليعتها فرصة القرب من العلماء الصالحين المصلحين، والتزود من فيض علمهم، واقتباس مكارم أخلاقهم، والتعرف على خصوصيات حياتهم، كالشهيدين السيد محمد باقر الصدر والسيد محمد باقر الحكيم.

وقد رأى هؤلاء العلماء في الشيخ الراضي سمة التقوى والصلاح، والطيب والاستقامة، فأولوه ثقتهم، واعتمدوا عليه في أداء بعض مهامهم الخاصة، التي لا يقوم بها إلا ثقة مخلص مستعد للبذل والتضحية.

ومن خلال معرفتي بالشيخ الراضي منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، لمست

انعكاس تربية أولئك العلماء الربانيين على شخصيته وسيرته، فهو حريص على التزام نهج التقوى، حذر من الوقوع في مزالق الأهواء والخلافات والصراعات، مهتم بخدمة الدين والمجتمع، قريب من الناس بتواضعه وأخلاقه، داعم ومشجع لجهود الإصلاح ومواقف المصلحين.

أسأل الله تعالى له المزيد من التوفيق والتسديد، وأن ينفع بكتابه هذا، ويجعله في سجل أعماله وميزان حسناته، إنه تعالى ولي التوفيق.

والحمد لله ربّ العالمين.

حسن الصفار

١٢ محرم الحرام ١٤٣٢هـ

٧

بيان حول التداعيات والأحداث بالقطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

قال عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

إن هذه الأحداث الأليمة تستدعي أن نخاطب أبناءنا وإخواننا الأعزاء بعدة قضايا مهمة:

الأولى: إننا ما زلنا نؤكد بإصرار على تلبية المطالب المشروعة للمجتمع وأهمها رفع التمييز الطائفي بكل أشكاله، وإزالة مفارز التفتيش المحيطة بالمنطقة التي قامت باستفزاز أهالي المنطقة بصورة سيئة.

الثانية: إن الدماء الزاكية التي أهدرت في هذه الأيام غالية علينا جميعاً؛ ولذلك فنحن نتقدم بالعزاء لذوي الشهداء وعوائلهم المثكولة والمجتمع القطيفي وفي نفس الوقت نحن نطالب بتفعيل لجنة تحقيق محايدة في الكشف عمَّن وراء هذه الجريمة، كما نطالب الدولة بالتأكيد على انضباط الأجهزة الأمنية كي لا تتكرر هذه الحوادث المدانة.

الثالثة: إن المطالبة بالحقوق حق مشروع لكل مجتمع بالأساليب السلمية

ونحن واثقون بأن أبناءنا الأعزاء يرفضون ظاهرة العنف واستخدام القوة ويتمسكون بالأساليب الحضارية المثمرة، فإن استخدام العنف هو منهج مرفوض وخطر عظيم فإن للدم حرمة شرعية مغلظة.

الرابعة: إن ذكرى عاشوراء الحزينة تمر علينا وتجمعنا تحت ظلال الحسين عليه السلام وتفرض علينا أن نبعد الشعائر الحسينية من مجالس ومواكب عن الأحداث السياسية الجارية بالفعل من أجل أن يمارس الجميع حريتهم في إقامة الشعائر دون قلق ولا حرج.

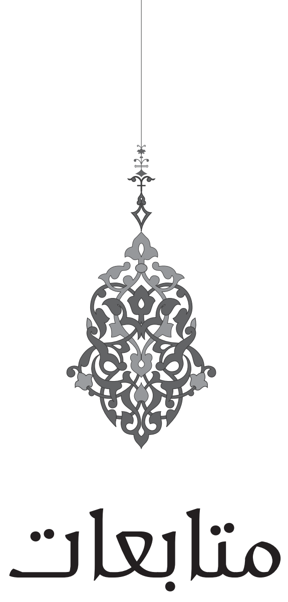
وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى أن يجنب بلادنا الفتن والمكاره وأن يحميها من كل شرٍّ وسوء.

الخميس ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٢هـ

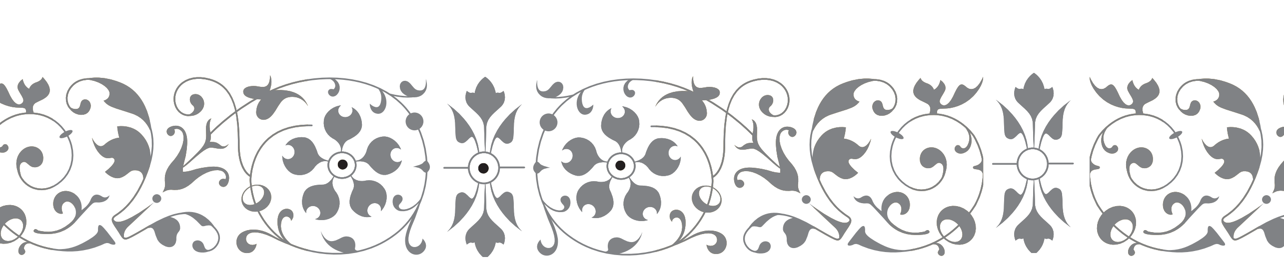
الموافق٢٤ نوفمبر٢٠١١م

أسماء الموقعين وهم:

- **الشيخ عبدالله الخنيزي.**
- **الشيخ حسن الصفار.**
- **السيد منير الخباز.**
- **الشيخ عبدالكريم الحبيل.**
- **الشيخ منصور الجشي.**



متابعات





كان أنموذجًا للعلاقة الإيجابية بين العلماء:

٧

الشيخ الصفار يستعرض جانبًا من سيرة الشيخ المعتوق

إن العلاقة الإيجابية في أوساط علماء الدين قوة للحالة الدينية وتعزيز لوحدة المجتمع. حول هذه الفكرة تركز خطاب الشيخ حسن الصفار في مجلس تأبين العلامة الراحل الشيخ محمد تقي المعتوق (١٣٣٦هـ-١٤٣٢هـ) ليلة الاثنين ٢ شعبان ١٤٣٢هـ الموافق ٤/ ٧/ ٢٠١١م في جامع المصطفى بالقطيف.

حيث قال الشيخ الصفار: إن المفترض أن تكون شريحة العلماء وطلاب العلوم الدينية أنموذجًا في العلاقات البينية السليمة لشرائح المجتمع الأخرى، فهم العارفون بالقيم الإلهية والتعاليم الشرعية، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ كما أنهم القدوة لسائر الناس من خلال التزامهم وسلوكهم، كما يقول الإمام علي ﴿عليه السلام﴾: «من نصّب نفسه للناس إمامًا فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه للناس بسيرته قبل تأديبه بلسانه، فمعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم».

وأشار الشيخ الصفار إلى أن وجود حالة سلبية في العلاقات البينية داخل أوساط المنتمين إلى السلك العلمائي، تنتج أضرارًا بالغة، حيث تهزّ ثقة الناس بالعلماء، وتضعف مصداقيتهم، وتمزّق وحدة المجتمع؛ لأن الدين سيصبح سلاحًا في تلك المعارك البينية، وتعطي الفرصة للأعداء للتشهير والتهريج.

وأكد الشيخ الصفار أنه ليس المطلوب توحّد الآراء الفكرية والفقهية، ولا

التوجهات الاجتماعية والسياسية، ولا الانتماءات المرجعية بين جميع العلماء والطلبة، فذلك شرط تعجيزي، ما دام باب الاجتهاد مفتوحًا، ووصاية أي طرف على الآخر غير مقبولة. لكن هناك مساحةً أكبر من الاتفاق، ومصالح عليا مشتركة في خدمة الدين والمجتمع.

وقدم الشيخ الصفار مشروعًا واقعيًا لتعزيز العلاقات الإيجابية، وتحقيق التعاون في الوسط العلمائي يتضمن ثلاث نقاط:

١. قبول ثقافة الاختلاف والحوار العلمي والتنافس الإيجابي، بعيدًا عن الكراهية والعداء.

٢. وجود أطر للتلاقي والتعاون بين أبناء الصنف على مستوى كل مدينة وقرية، ثم على مستوى المنطقة والبلاد.

٣. نشر النماذج الإيجابية وترويج سيرتها الصالحة.

وضمن هذا السياق استعرض الشيخ الصفار جانبًا من سيرة الفقيد الراحل الشيخ محمد تقي المعتوق، ذاكرًا بعض القصص والشواهد ضمن العناوين التالية:

١. انفتاحه وتواصله مع جميع المرجعيات الدينية والتوجهات في الساحة الشيعية، ورفضه لأي موقف سلبي من أي جهة.

٢. إشادته في مجالسه وحديثه بالمراجع والعلماء وذكر قصصهم حيث يشكل أثرى ذاكرة تختزن الكثير من القصص النافعة المفيدة.

٣. رعايته لطلاب العلوم الدينية وتفقده لأحوالهم وإبداء الاحترام لهم، وتشجيعهم، والثناء على الناشطين منهم.

وطالب الشيخ الصفار بنشر سيرة الشيخ الفقيد، والترويج لهذا الجانب المشرق من أخلاقياته بالخصوص، ليكون قدوة وأسوة للسائرين في طريق العلم والتبليغ الديني.



٧

القاضي الدكتور الغيث في ضيافة الشيخ الصفار

استضاف سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلسه بالقطيف فضيلة الدكتور الشيخ عيسى بن عبدالله الغيث القاضي بوزارة العدل في الرياض وذلك مساء يوم الجمعة ليلة السبت ٤ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ٨/ ١/ ٢٠١١م.

وقد حضر اللقاء حشد كبير من المواطنين السنة والشيعة من الدمام والقطيف، من بينهم عدد من العلماء والمثقفين والإعلاميين.

وبعد تلاوة عاطرة لآيات من الذكر الحكيم ألقى الشيخ الصفار الكلمة الترحيبية التالية:

كلمة الشيخ الصفار

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين.

فضيلة الأخ الدكتور الشيخ عيسى الغيث

المشائخ الفضلاء الحضور الأعزاء: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

باسمكم جميعًا أرحب بضيفنا الكريم فضيلة الدكتور الشيخ عيسى الغيث، وهو المعروف بكتاباته ومواقفه الجريئة في تبيين ما يعتقد أنه الحق، له آراء جريئة في المجال الفقهي والمجال الاجتماعي، وهو قاضٍ في المحكمة الجزائية في الرياض، ومستشار لوزير العدل، وله مقال أسبوعي في جريدة الرياض، ولطالما كانت مقالاته سببًا لحراك ثقافي معرفي؛ لأنه لا يتقيد بما هو سائد ومشهور، وإنما يعتمد على اجتهاده وما يرى أنه مصلحة لدينه ولمجتمعه، فأهلًا وسهلًا به، وأهلًا وسهلًا بكم جميعًا.

لا أريد الإطالة في التقديم، لكني أحب الإشارة إلى ما تضمنته أحاديث كثيرة وردت عن رسول الله ﷺ وعن أئمة أهل البيت عليهم السلام وعن الصحابة الكرام رضي الله عنهم، تؤكد وتشجع أهمية التواصل والتزاور بين الناس، فقد أورد المتقي الهندي في كنز العمال عن انس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أي عبد زار أخًا له في الله نودي أن طبت وطابت لك الجنة»[1]، وفيه أيضًا عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الزائر أخاه المسلم أعظم أجرًا من المزور»[2]، ففضيلة الشيخ ثوابه في هذه الزيارة أكبر وأعظم من ثوابنا.

وفي بحار الأنوار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الزيارة تنبت المودة»[3].

وما أحوجنا في كل زمان ومكان إلى التواصل والتزاور، وخاصة في ظل الظروف الحاضرة التي تعيشها أمتنا وأوطاننا، حيث نرى تكالب الأعداء، وسعيهم الدائب لتفتيت وتمزيق أوصال أمتنا العربية الإسلامية، ونحن الآن على مقربة من الاستفتاء في السودان الذي خطط له لكي يؤدي إلى انقسام السودان[4]، كما أننا نلحظ ما يدور في اليمن، ونلحظ النزاعات والصراعات في طول العالم الإسلامي وعرضه، وأسوأ

(١) كنز العمال ج٩، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ص٦ حديث٢٤٦٥٩.

(٢) كنز العمال ج٩، ص٨ حديث٢٤٦٦٥.

(٣) بحار الأنوار ج٧١، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ص٣٥٥.

(٤) جرى الاستفتاء في الفترة من ٩ – ١٥ يناير ٢٠١١ حول ما إذا كان سكان جنوب السودان يرغبون بالبقاء بدولة واحدة مع السودان أو الانفصال بدولة مستقلة وأعلنت نتيجة الاستفتاء في ٧ فبراير ٢٠١١ وكانت نتيجتها موافقة أغلبية المصوتين على الانفصال بنسبة بلغت ٩٨,٨٣٪.

تلك الصراعات والنزاعات ما كان يأخذ عنوانًا دينيًا؛ لأنه يكون أكثر إيلامًا، وأكثر إيقاعًا وشدة على هذه الأمة.

نحن بحاجة للتزاور لنتعرف على بعضنا بعضًا عن قرب، وليس من خلال الإشاعات والتعبئة المضادة، ومن خلال النقولات غير الموثقة، كما أننا بحاجة إلى التزاور لكسر الحواجز النفسية، إذ إن أغلب المشاكل ليست بسبب الخلاف الفكري أو العقدي، فهو أمر مألوف وقديم في تاريخ الأمة، وتاريخ المجتمعات البشرية، وقد قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[سورة هود، الآية: ١١٨].

التنوع الديني وألوان التنوع أمر قائم في المجتمعات، لكن لا ينبغي أن يكون سببًا للعداء، أو سببًا للتحريض على الكراهية، المشكلة أن هناك حواجز نفسية تصنع بين الناس، اللقاءات تكسر هذه الحواجز، وتجعل الناس أقرب إلى بعضهم بعضًا.

لسنا معنيين كثيرًا بالجدل العقدي والمذهبي، فقد صرفت أمتنا فيه جهودًا كبيرة طوال أربعة عشر قرنًا من الزمن، وهناك تراث كبير من الجدل العقدي، علماء كل مذهب وأتباع كل مذهب قالوا ما عندهم، فإلى متى نبقى في هذا الجدل؟

الحوار المذهبي له أطره العلمية بين النخب العلمية، وفي وقته المناسب، وأمام هذه التحديات الكبيرة نحن بحاجة إلى توثيق عرى الصلة والتلاحم بيننا، حتى نخدم واقعنا، ونصلح أمورنا، ونواجه التحديات الخطيرة.

من هذا المنطلق تأتي زيارة فضيلة الشيخ الدكتور عيسى الغيث، ونشكره شكرًا جزيلًا على هذه الزيارة، جاء إلى الدمام للمشاركة في برنامج تلفزيوني، فوجدتها فرصة طيبة لكي أطلب منه تشريفنا بالزيارة، فلبى الدعوة، ونأمل أن نسمع منه ما يفيدنا، وما يتيح المجال لحوار يخدم ثوابتنا الدينية والوطنية، ويتجاوز بنا الخلافات.

لا بديل لنا عن التلاقي والتواصل، قد تحصل مشاكل من هنا وهناك، قد تحصل نكسات، قد يعترض هذا الطرف أو ذاك الطرف، في وسط السنة من يعترض على

التواصل، وفي وسط الشيعة قد يكون هناك من يعترض على التواصل، لكن العقلاء يرون أن هذا هو الخيار السليم، والطريق المناسب، ولا بُدّ أن نسلكه ونسير فيه، بغض النظر عن النتائج، لأن التواصل قيمة بحد ذاته، وليس مجرد وسيلة للوصول إلى هدف، وإنما هو قيمة إسلامية وحضارية.

وننتظر حديث فضيلته، ونسأل الله التوفيق وأن يشملنا في هذا اللقاء برحمته وفضله والحمدلله ربّ العالمين.

ثم تحدث الدكتور الغيث، شاكرًا للشيخ الصفار دعوته وحفاوته، وللحاضرين اهتمامهم واحتفاءهم بالكلمة التالية:

كلمة الدكتور الشيخ عيسى الغيث

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

أيها الأخوة، أيها الأحبة، إنني في هذا المساء أشكر كل فرد منكم على أن أكرمني بهذا الحضور، ولكل واحد منكم حق له علي أن أزوره في بيته، مقابل هذه الزيارة في هذا المساء، وأطلب من كل واحد منكم أن يعذرني عن التقصير، الشيخ حسن الصفار حفظه الله اتصل بي ودائمًا هو السباق بالخيرات، وإلا فإن هناك واجبًا علي وحقًا للشيخ حسن والشيخ فيصل العوامي أيضًا أن أستجيب لوعد سابق بالزيارة، وكنت أتمنى أن أبادر بالزيارة قبل الاتصال، ولكن هؤلاء هم الكرماء السابقون بالخيرات، مهما حاولنا أن نسبقهم، بكل صراحة ووضوح الشيخ حسن الصفار ليس شيخًا لكم وحدكم بل شيخ لنا جميعًا، وأنا استفدت منه وقرأت له.

أيها الإخوة:

الواحد منا كثيرًا ما يكون في فكره شيء يود أن يطرحه، ولكن يخشى من أن تكون هناك تساؤلات سلبية أو مفاهيم غير مقبولة، وهنا يأتي الشرك من عدمه، على الواحد منا ألا يعبد إلا الله، ولا يخاف إلا الله، وكما أن فعل العبادة من أجل الناس رياء فإن تركها من أجل الناس شرك.

ولذا هناك سلامة في المنهج ومنهج للسلامة، وغالب الناس عندهم منهج السلامة، ما يحتاج نتكلم، ما نحتاج نستجيب، ما نحتاج ننقد ذواتنا، وهذا فيه راحة من عدم الإشكالات والتساؤلات والنقد ونحو ذلك، ولكن سلامة المنهج مقدمة على منهج السلامة، الواحد منا في حياته ما خلق إلا للعبادة ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[سورة الذاريات، الآية ٥٦] العبادة تقوم على العزيمة وليس فقط على الرخصة، وحتى في الرخصة أجر، لذا الواحد منا لا بُدّ أن يتحمل ما يأتيه في هذا السبيل، ولكن لله الحمد في هذا الزمان، وفي هذا الانفتاح المعلوماتي، من الناس من استفاد منه إيجابيًا في الوحدة الفكرية والتعاون والتقارب، وهناك من استغل هذه الوسائل المعلوماتية في مزيد من الشقاق والافتراق، ولا أحب أن أزيد على ما قاله الشيخ في كلمته وأنا معه ليس مئة بالمئة بل مئتين بالمئة، وهكذا يجب أن نكون، ولكن كثيرًا ما نشكو من الفرق بين ما نفكر فيه وما ننطق به.

يجب أن نحسن الظن بالجميع، يجب على الواحد أن يقول ما يعتقده ولا يخاف إلا الله، ولا يخشى إلا من الله، ويسعى في طريقه في هذا السبيل.

في اعتقادي هناك اختلاف بين أبناء البشر، بينك وبين ابنك اختلافات، بل وبينك وبين نفسك اختلافات، بين اللحظة والأخرى قد تغير رأيك، قد تغير ملابسك، قد تغير كلماتك، قد تغير اجتهاداتك، فلماذا الواحد منا يجيز لنفسه أن يختلف مع نفسه في بعض آرائه بين ساعة وأخرى، وأن يختلف بينه وبين ابنه، وبين أخيه، ولا يرضى أن يختلف مع الآخرين، ويريد من الآخرين أن يكونوا مثله مئة بالمئة، الله عز وجل

لو أرادنا أن نكون فئة واحدة وشخصًا واحدًا برأي واحد لما خلقنا، لذا خلقنا الله من أجل أن نختلف اختلاف تعاون ونمو وتنوع، لا تضاد، لذا كل ما حصل في التاريخ الإسلامي والجغرافية الإسلامية ليس بسبب الدين، وأن أستغل الدين لهذا السبب، هي مطامع دنيوية، وأسباب دنيوية تلبس ملابس الدين من أجل ذلك، وهذا منذ قرون، ولذا لا بُدّ من أن نطهر الدين من المكاسب الدنيوية التي تريد هذا الأمر.

على كل حال، الحديث يطول ولا أحب أن أنقص من الوقت لأني رجوت من الشيخ حسن أن يكون الوقت كله أو غالبه للأسئلة، والحوارات أفضل من التلقي، لأننا من أجل ألّا ننقاد أن يكون هناك حوار متبادل، فهذا هو الهدف الأسمى ولكم بالغ التحية وأسمى التقدير.

مداخلة الدكتور توفيق السيف:

البارحة تشرفت بخدمة الدكتور الشيخ الغيث في ندوة في التلفزيون، وتفضل وعرض الكثير من الأفكار المثيرة للاهتمام وخاصة في التعامل مع الشباب، وتمنيت أن هذه الجلسة ستكون في نفس الاتجاه لأني أظن أن النقاش حول مشكلاتنا الواقعية قد يكون أنفع من النقاش في القضايا الطائفية، في اعتقادي أن هنالك ثلاث مستويات للخلاف سواء في القضايا المذهبية أو القضايا السياسية.

المستوى الأول: الخلاف على قضايا علمية، الأفكار التي تتضمنها هذه الطائفة أو المذهب هي أفكار علمية، في هذا المستوى الاتفاق ليس مطلوبًا، بالعكس الاختلاف هو الأفضل؛ لأن الاختلاف هو الذي يطوّر العلم، وهو الذي يثير الأسئلة الجديدة التي تأتي بعلم جديد.

المستوى الثاني: مستوى تضارب المصالح، من الواضح أن كل جماعة وطائفة وتيار هو دائرة مصالح، سواء عرف نفسه على هذا النحو أو لم يعرف، ولكن هو دائرة مصالح، وقصدي دائرة مصالح ليس بالمعنى السلبي، ولكن قصدي أنها شيء ينجذب

إليه الناس وينتمون إليه، لأنهم يجدون أنفسهم من خلاله، فدور المصالح في العادة إما في حالة تضاد، أو في حالة تشابه، المصالح الأكثر اقترابًا في العناصر المصلحية تتشابه، والأبعد تتنافر، وهذا شيء معروف في الدراسات الاجتماعية، في هذا المجال نحتاج إلى نقاش و إلى جدل، ولكن ليس على أساس علمي باستدعاء عناصر العلم، وإنما بالتأكيد على عناصر المصلحة، بأن نقول من مصلحتنا أن نقترب، لأن التنافر ليس أمرًا طيبًا، سواء كنا نتفق في الأفكار أو لا نتفق، فنحن نحتاج إلى أن نقترب.

المستوى الثالث: مستوى الحكم، في اعتقادي أن المشكلات الطائفية في أي بلد لا يمكن حلها بواسطة زعماء المجتمع، ولا بواسطة المفكرين، ولا بواسطة علماء الدين، إنما يحلها السياسيون الذين يملكون القرار السياسي، ورأيت مشكلة لبنان على سبيل المثال الحرب الأهلية حلت وانتهت في اتفاق الطائف الذي كان اتفاقًا بين زعماء السياسة، ولم يكن بينهم لا مفكر ولا عالم، وكذلك الحرب والنزاع السياسي في العراق، حل بسبب اتفاق سياسي، وليس باتفاق العلماء ولا المفكرين، لذلك في مستوى الحكم نحن نحتاج إلى صاحب الحكم، صاحب القرار السياسي، الذي يتدخل إذا وجد أن النزاعات الطائفية أو السياسية قد تؤدي إلى خراب البلد.

أظن أن المستوى الذي وصلنا إليه في النزاع ليس فقط بين الشيعة والسنة، بل وحتى بين تيارات في داخل الشيعة، وتيارات في داخل السنة، يحتاج إلى قرار سياسي، القرار السياسي ليس بالضرورة قمعًا، أحيانًا يكون عملًا استيعابيًا واحتوائيًا، وأحيانًا يكون ردعيًا، وأنا لا أؤمن بفكرة الردع في السياسة، وإنما أؤمن بفكرة الاستيعاب والاحتواء، وأظن أن هذا هو الذي يجب أن يكون موضوع القرار السياسي.

تعقيب الدكتور الغيث:

لو تسمح لي بتعليق فضيلة الدكتور فيما يتعلق بالموضوع السياسي، أنا أسلم لكم في جميع ذلك، ولكن إذا كان العالم والمفكر والمثقف بينهم تفاهم إيجابي، سوف يشجع السياسي أو أحيانًا يحرج السياسي ويدفعه إلى مزيد من الخطوات الإيجابية،

في حين أن هذا التنافر السلبي بين القواعد، وخصوصًا إذا تبناه بعض الرموز أو المرجعيات الفكرية أو الثقافية سوف يكون مبررًا للسياسة لعدم الاقتراب لحلّ هذه المسائل. أنا أعتقد أن ما تحت القرار السياسي هو الذي يمهد القرار السياسي الإيجابي أو السلبي على هذا النحو.

منير النمر من جريدة الرياض:

كيف ينظر فضيلة الشيخ للكثير من مثيري الفتن على شبكة الإنترنت على وجه التحديد من الطرفين الشيعة والسنة لإثارة الفتن الطائفية؟

الدكتور الغيث:

فيما يتعلق بموضوع الإنترنت في اعتقادي أن هذه الإثارات هي من أحد شخصين، إما شخص ليس من هذه الطائفة أو الأخرى يريد إثارة الفتنة، أو شخص سفيه أو مراهق، بغض النظر عن عمره أو مرتبته العلمية؛ لأن موضوع السفه والمراهقة تكون حتى للكبار سنًا أو حتى مرتبة أو رتبة، العبرة بالحق في مثل هذه الحالات.

التطرف موجود في كل زمان ومكان، وفي كل طائفة ومذهب، قد تختلف مع الواحد فقهيًا في مسألة جزئية فيقلبها من اختلاف فقهي إلى مفاصلة عقدية، ثم إلى تكفير ثم إلى استتابة، وبعد ذلك إلى عملية يسمونها استشهادية فيها التقرب إلى الله والإسراع إلى الجنة، وهذا أمر معروف في الحقيقة، فالتطرف موجود ولا يسلم منه أحد، ويجب ألّا نعطي هؤلاء المتطرفين الفرصة بأن نتحدث عنهم، فالأفضل أن يتركوا وأن يرد على باطلهم دون ذكر أسمائهم كي لا يشجعوا أو يشجع غيرهم.

حقوق المرأة:

وفي رد له عن سؤال من الأستاذ منصور سلاط حول واقع حقوق المرأة في المملكة. أجاب الدكتور الغيث:

فيما يتعلق بموضوع المرأة، المرأة نصف المجتمع في العدد وفي القيمة كما نلحظ الآن، كلما جئنا في مؤتمرات عالمية يقال هذا مؤتمر عن المرأة، نقول نحن عندنا في الإسلام المرأة لها حقوق، وإذا قلنا الطفل، الطفل له حقوق، العمال لهم حقوق، أين هذه الحقوق؟!

الحقوق مقرة قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة و نحن لم نطبقها، فنحن نقول إن الظلم يقع على الأطفال وعلى المرأة وعلى الكبير وعلى الصغير وعلى جميع الأجناس، ولكن الأهم أن الواحد منا لا يظلم نفسه ويساعد على ظلم نفسه، وإنما يسعى جاهدًا في هذا الأمر، وأنا من الذين يسعون جاهدين فيما يكتبه وفيما يقوله بالمطالبة وحماية حقوق المرأة، ولكن من المعروف أن مجتمعنا لا يبادر في مثل هذا الموضوع، بل إذا حصلت مبادرات، إذا بالبعض لديهم مشاريع ممانعات ومعارضات .

وبالفعل المرأة عندنا مظلومة في الكثير من الجهات، ومن المفارقات الغريبة في مجتمعنا أننا نلاحظ في بعض الدول المجتمع يريد حقوقًا معينة والسياسي لا يريد، و في مجتمعنا قد يكون السياسي يريد الحقوق للمرأة والمجتمع لا يريد، فأصبحت المعادلة مقلوبة.

الشيخ عبدالله اليوسف:

باعتبارك صاحب رأي وليس باعتبارك مسؤولًا في وزارة العدل.

بالنسبة لتقنين الأحكام، من الملاحظ الآن في كثير من الدول الإسلامية هو تقنين عملية الأحكام، بحيث إن القاضي يكون عنده مدونة أحكام و الناس يعرفون ما هي عقوبات كثير من الأمور، الملاحظ في بلادنا لا يوجد تقنين للأحكام وإنما هو اجتهاد القاضي، ولذلك نلاحظ تفاوتًا كبيرًا في الأحكام.

الشيخ الغيث:

فيما يتعلق بموضوع التقنين أنا معك، التقنين فيما يتعلق بالحق المدني وفيما يتعلق

بالجزاءات والعمال هذه أمرها سهل، حتى في الأحوال الشخصية قد يكون تقنين عام وتؤخذ في الاعتبار التقانين الجزئية، وقد صدر قرار من هيئة كبار العلماء في الموافقة على التقنين، وتعرفون قبل سنوات طويلة لم يوافق على التقنين، الآن وافقوا بالأغلبية، فهل نحتاج إلى دورة زمنية جديدة، وكثيرًا ما أقول كم هي الدورة الزمنية لتغيير الآراء وإعطاء الحقوق؟!

الحق تأخذه بعد عشر سنوات هو حقك لماذا تأخرت في إعطائه، والشيء الحرام قبل عشر سنوات وصار حلالًا إذًا لماذا لم يصبح حلالًا من البداية؟!

إذا لم يكن محرمًا لذاته إنما محرم لغيره، وعلى هذا الأساس صدر قرار من هيئة كبار العلماء الآن وهناك إجراءات و إخراج مدونات، وبما أنني قاضٍ جزائي منذ أكثر من ١٥ سنة ألحظ أن هناك تفاوتًا في الأحكام، ولكن حتى مع وجود القانون أو ما يسمى بالمدونات سوف يبقى الاختلاف، ولكن يبقى الاختلاف ضيقًا بين حدٍّ أدنى وحدٍّ أعلى، المشكلة معروفة مسلم بوجودها، هناك سعي في حلها، ولكن الإشكالية أننا نعقِّد بعض الأمور وهناك من يقف في مثل هذه المسائل.

الشيخ فيصل العوامي:

أخص الدكتور بإثارة هذا التساؤل، أولًا: لما عرفناه عنه من جرأة في عرضه لأفكاره التي تتضمن نقدًا لبعض المسلمات الشائعة في الوسط الديني، ومداخلته هي التي لفتت انتباهي في مركز الحوار قبل أشهر، كما لفت انتباه الأستاذ الشيخ زكي الميلاد؛ لأنها كانت مداخلة في غاية الجرأة والمتانة والقوة، وكانت تحفر في مسلمات على الأرض التي تتبنى تلك المسلمات.

إننا كطائفة في هذه البلاد الطيبة، وكمجتمع، نعتقد أن جذر المشكلة التي نعانيها يعود إلى الخط السلفي المتشدد هذه جزئية، الجزئية الثانية هي التحالف بين الإرادة السياسية والخط السلفي.

في السنوات المتأخرة لاحظنا أمرين، الأول: حصول تحولات داخل الخط السلفي نفسه، وبدأت تتكون انتقادات وتصورات جديدة، وهذه التصورات متوجهة خصيصًا لنقد حالة التشدد في الوسط السلفي.

الأمر الآخر: تنامي الاعتراض عند الكثير من القطاعات والشرائح على المستوى الوطني ضد الخط السلفي، اعتراضات صريحة نجدها في وسائل الإعلام المحلي، وهذه التساؤلات والنقد الداخلي والخارجي ورّث عندنا حالة من التفاؤل والأمل، أنه هل هذا الأمر سينتهي إلى حلحلة الكثير من العقد الموجودة في هذه البلاد، وهناك جزء منها عقد ترتبط بنا كطائفة، ما هو تصورك لهذا الموضوع باعتبارك أحد النقاد من داخل هذا الخط؟

الشيخ الغيث:

أخي الكريم، أولًا من الواجب الشرعي أن يكون النقد الذاتي من كل فئة من داخل فئتها، وليس من المقبول ولا يكون من المروءة أن ننقد الآخر ونترك أنفسنا.

أهل السنة ليسوا شيئًا واحدًا، كما هو الشيعة، نحن نقول السلفية المتشددة أو الخط السلفي المتشدد، إذا كان وصف التشدد للخط السلفي كله بالتأكيد هذا غير مراد عند الشيخ فيصل، هو يقصد الجزء المتشدد من التيار السلفي، على هذا الأساس في كل تيار وكل مذهب هناك تشدد.

أنا أقول يجب أن نتحمل ما يأتي، وأن نبادر بأنفسنا في النقد الذاتي الحكيم المتوازن، من جهتي في عام ١٤٣١هـ نشرت في الصحف السعودية أكثر من مئة مقال أغلبها نقد ذاتي، مثلًا: موضوع الاختلاط موضوع فقهي، تجد البعض مجرد أن تختلف معه في مسألة فقهية يصيرها مسألة عقدية ويكفرك، وعلى هذا الأساس لا بُدّ من التحمل ولا بُدّ أيضًا ألّا نخلط الأطياف.

ألّا نحمل تيارًا معينًا كامل المسؤولية، التشدد موجود منذ عقود قريبة، بعد ما جاءت

كثير من الأفكار والتيارات والحزبيات وجعلت الاختلافات خلافات، والتنوعات تضادات، وأيضًا أضيفت القداسة على كثير من هذه الأمور.

ما علاقة وجود مشاكل في إيران بأن تنقل إلى بلاد عربية؟ بمعنى يأتي فلان ويقول السنة في إيران ظلموا، يا أخي إذا كان أبو جيرانك ظلم ابنه تضرب أنت ابنك؟

هذا غير منطقي حينما أبو الجيران يحرق بيته أنت تحرق بيتك؟

قبل عقود كانت الخلافات بين المذاهب الفقهية حتى عند أهل السنة أشد مما هو موجود الآن بين السنة والشيعة، كان لا يتزوج الحنبلي الشافعية ولا العكس، وأربع جماعات في المسجد الحرام، وأمور كثيرة جدًا، الوحدة السياسية جاءت بأثر إيجابي على هذا النحو إلى حد كبير. المتشددون من ضمن التيار السلفي هم الأقلية ولكن إذا جئت في فصل فيه أربعون طالبًا واحد مشاغب تسمع صوت المشاغب، وأصبح المدرس يراعي هذا المشاغب، والإدارة تحاول أن تضع الخطط لمكافحة هذا المشاغب، هنا الإشكالية نحن لا نحكم على هذه الأغلبية.

في اعتقادي أن غالب الناس في بيئتنا وأنا أعيش فيما بينهم ليس عندهم هذه الإشكاليات، هناك المشاكسون الغوغائيون، هم الذين يثيرون هذه الأمور، ويحسبون أنفسهم يتقربون إلى الله بمثل هذه المسائل، كما نلحظ الآن إرهابيين يفجرون داخل مدننا ويغتالون الناس، ويسعون جاهدين في الكثير من الأمور، ولا يخفاكم مثل هذا الأمر، لذا نصيحتي أن نهون الأمور، ونتفاءل فيها، ولا نستسلم لها، هناك مقاومة من أجل توسعة المسعى للحجيج، الآن جزاهم الله خيرًا وسعوا المسعى، كأن الناس يحتاجون في مرحلة من المراحل إلى أن يقهروا لمصلحتهم.

يجب أن نسعى جاهدين بأن يكون هناك تحالف بين الوسطيين في جميع الفئات والبلدان، على المعتدلين المتسامحين ألا يقبلوا للمتطرفين أن يثيروا البلابل في ما بينهم، هؤلاء الأقلية لن يكون لهم صوت، نطرح الآن مسائل فقهية لا أحد كان يقبل أن يقول بها، ولكن رفعنا سقف الحرية، والسياسي ما عنده مانع، بل السياسي يتلقى

الكثير من الضغوط لماذا فتحتم المجال لهؤلاء؟ المتشدد أجاز لنفسه نقد السياسي ونقد الفئة المختلف معها وحتى من داخل تياره، ما الذي أجاز لنفسك أن تنقد الآخرين وتكفر الآخرين وتحرِّم على الآخرين أن ينقدونك؟.

مداخلات وأسئلة كثيرة:

امتد اللقاء لأكثر من ساعتين، وتعددت المداخلات وتنوعت مواضيعها، حيث كانت هناك مداخلة من الشيخ محمد سعيد خميس، ومداخلة من الأستاذ باقر الشماسي، ومداخلة من السيد عقيل الحاجي عن موضوع منع المواطنين الشيعة من صلاة الجماعة في الخبر، ومداخلة من الأستاذ علي الشريمي من المدينة المنورة.

وكان صدر الضيف الكريم رحبًا لاستقبال المداخلات، وأجاب عن الكثير منها بشفافية وصراحة كانت محلّ تقدير الجميع.

وختم اللقاء سماحة الشيخ حسن الصفار بشكر الضيف الكريم فضيلة الدكتور الشيخ عيسى الغيث، وشكر جميع المداخلين والحاضرين.

من الحاضرين في اللقاء:

الشيخ فيصل العوامي، الشيخ محمد سعيد الخميس، الشيخ عبدالله اليوسف، الشيخ صادق الرواغة، الشيخ جواد الخليفة، الشيخ حسين الراضي، الشيخ عبدالله المسلم، الشيخ حسين الصويلح، الشيخ حسين الرمضان، الشيخ عبدالرضا الحمود، الشيخ محمد الجيراني، الشيخ عباس الموسى، الشيخ جعفر البناوي، الدكتور توفيق السيف، الدكتور حسن البريكي، الدكتور عبدالعلي البحارنة، المهندس نبيه البراهيم، المهندس عبدالشهيد السني، المهندس علي الملا، الحاج عبدالجبار بو مره، الحاج فؤاد بو مره، الحاج عبدالجبار الحمود، الحاج سعيد المقابي، الحاج عبد رب الرسول شهاب، الأستاذ مطر النجيدي، الأستاذ سطام الخالدي، الأستاذ زكي ابو السعود، الأستاذ محمد مهدي عبد رب النبي، الأستاذ منصور سلاط، السيد محمد الصناع.

كما حضر من الكتّاب والإعلاميين كل من الأساتذة:

خالد الخليفة، محمد الشيوخ، منير النمر، ميثم الجشي، فاضل العماني، محمد الغانم، باقر الشماسي، وليد سليس، عبد الله العوشن، علي الشريمي، علي البحراني، زهير عبدالجبار، علي الغراش، حسن الشهري.





أمسية رائعة بدون إثارة[1]

عبدالباقي البصاري

تشرفت ومثلي كثير بالأمسية الحوارية الرائعة التي تمت في مجلس الشيخ حسن الصفار مساء الجمعة الفائت ٤ صفر ١٤٣٢هـ والتي كان فارسها فضيلة الدكتور الشيخ عيسى الغيث القاضي بالمحكمة الجزائية بالرياض، وللمعلومية فإنه بالإضافة إلى منصبه القضائي والاستشاري في وزارة العدل، فهو أيضًا مثقف وصاحب رأي في اختصاصه، يعلنه بكل جرأة وصراحة، مما جعل المتشددين من التيار السلفي الذي ينتمي إليه هو نفسه يصطدمون معه، ويصدرون عليه البيانات والمقالات التحريضية والتشكيكية كعادتهم فيمن يختلفون معه، إلا أن ما يميز آراء الدكتور الغيث أنها مؤصلة شرعًا، ومنطلقاتها موثقة دينيًا، ولا يستطع الطرف الآخر نقضها بالحجة، ولقد رأينا ذلك عندما احتدم الجدل حول الاختلاط في جامعة الملك عبدا لله إبان افتتاحها قبل أكثر من عام بإصداره رد علمي موثق دينيًا حول ذلك الموضوع مؤيدًا فيه المشروع.

بعد هذه المقدمة أعود للأمسية وكما قلت الرائعة التي لم نسمع فيها من فضيلته إلا كل خير، فأشار منذ البداية بأن حضوره شخصي بحت، وليس له أي طابع رسمي، وإنما من محبته للشيخ الصفار وتأثره به كما قال لبى دعوة الشيخ، وقال إنه يعتبر نفسه في وطنه وبين أهله في القطيف، ورغم المداخلات والأسئلة التي دارت بينه

---

(١) شبكة راصد الإخبارية.

وبين الحضور إلا أنه لم يدخل نفسه في حوار مذهبي أو طائفي، بل كان مشجعًا على التحاور والتلاقي، وناصحًا باستمرار اللقاء بالمسؤولين، وإيصال المطالب بالشكل المعتاد والمتعارف عليه في البلد، ومبشرًا بمستقبل أفضل للمنطقة، وخصوصًا فيما يتعلق بمحكمة الأوقاف فإنه متفائل بحل مرضٍ وقريب، كما حاور سكان الخبر حول موضوع المسجد ووجه لهم النصائح فيما يجب عليهم القيام به، ومبديًا استعداده لتقديم المشورة لهم.

أعتقد أن زيارة هذه الشخصية الدينية السنية البارزة والمهمة هذه المرة لسماحة الشيخ حسن لن تكون مثيرة لأحد، ولن يصدر حولها أحد بيانًا كما أعتقد وأتمنى، لأن الضيف هذه المرة لم يترك مجالًا للإثارة، ولا للجدل العقيم، بل كان رجلًا شفافًا وصادقًا فيما يقول، وامتاز حديثه بالحميمية والتلقائية، وهو خير مثال لمدّ الجسور والتواصل بين مكونات المجتمع السعودي وبالذات بين السنة والشيعة؛ لأنه شيخ سلفي ومن عمق المؤسسة الدينية، فشكرًا لفضيلته على هذه الزيارة الكريمة، وشكرًا للشيخ حسن على هذه الأمسية، ونقول له استمر في مشروعك التواصلي مع الآخر فهو صحيح بلا جدل.



٧

سماحة الشيخ يُناقش مراجعة التراث في منتدى الثلاثاء[1]

في حضور نوعي ومكثف، استضاف منتدى الثلاثاء الثقافي بالقطيف في أسبوعيته مساء الثلاثاء الموافق ٤/ ١١/ ١٤٢٣هـ سماحة الشيخ حسن موسى الصفار الذي حاضر حول مراجعة التراث، وهو الموضوع الذي يشغل حاليًا العديد من المثقفين والعلماء، وخاصة في الظروف الحالية التي تمر بها المجتمعات الإسلامية. تحدث مدير الندوة في البداية الأستاذ ذاكر احبيل عضو هيئة تحرير مجلة الكلمة حول أبعاد موضوع مراجعة التراث، وقدم المحاضر الذي افتتح حديثه بتحديد مفهوم مراجعة التراث وتعريفه، وانتقل بعد ذلك للحديث حول دواعي ومبررات البحث في موضوع مراجعة التراث، وحددها بالباعث العقلي، وعلاقة التراث بواقع الأمة، والمسؤولية الدينية التي تحث على الاجتهاد والتجديد، وأخيرًا المواجهة الفعلية مع الحضارة الغربية.

ثم عرج على الحديث حول مناطق المراجعة وأولوياتها ولخّصها في الجوانب التالية:

- قضايا حقوق الإنسان التي غيبت بسبب سيادة ثقافة التسلط من ناحية، والخضوع من ناحية أخرى، التي نشأت بسبب العلاقة غير المتوازنة بين القوى الفاعلة في المجتمع، كعلاقة السياسي بالديني، وعلاقة الرجل بالمرأة، مما أفرز حالة من

(١) منتدى الثلاثاء الثقافي. http: //www.thulatha.com

اللاتوازن في هذه العلاقات.

- وقضايا العلاقة مع الآخر التي نتجت بسبب التعبئة ضد أصحاب المعتقد والدين الآخر، وكذلك في التعبئة الداخلية بين طوائف المسلمين أنفسهم.
- وقضايا التوازن في دور الإنسان الدنيوي والأخروي، حيث إن هنالك جهدًا ثقافيًا محمومًا يدفع باتجاه التنطع والاتجاه للآخرة على حساب الدور المطلوب من الإنسان المسلم في شهادته على عصره.

وعالج الشيخ الصفار في حديثه أيضًا منهجية مراجعة التراث، من خلال غربلة النصوص الدينية، وتحقيقها ضمن منهجية جريئة ومتزنة، عبر تدقيق النصوص المنقولة، بهدف إثبات النص تمامًا كما فعل المحققون السابقون في العصور الإسلامية، الذين مارسوا التجميع والتحقيق، واستعرض تجربتي البخاري عند السنة والكليني عند الشيعة، اللذين قاما بجمع النصوص الدينية وتصحيح ما اعتقدا به من نصوص مثبتة، ودعا إلى استمرارية هذه الحالة في مختلف العصور.

كما أوضح كذلك أهمية فهم النص الديني وتفسيره بما يتلاءم مع مقاصد الشريعة وأهداف الرسالة الإلهية، وأشار أيضًا إلى ضرورة تحديد الأولويات وتزاحمها في الواقع المعاش، وتأثير ذلك في استلهام المعاني السامية للنصوص الدينية. وتحدث أخيرًا حول آليات مراجعة التراث، فحدده في ضرورة وجود جهود علمية متخصصة، تستلزمها إمكانات مناسبة، وإشاعة أجواء حرية الفكر والرأي، لإتاحة الفرصة للتجديد والتغيير.

وأكد في نهاية حديثه على أهمية وجود العناصر الجريئة التي يمكن أن تساهم في فتح الباب أمام المراجعة الموضوعية للتراث.

مشاركات الجمهور:

تطرق المشاركون في الندوة بعد ذلك إلى العديد من القضايا والتعقيبات حول محاور المحاضرة، ومن أبرزها أن إشاعة أجواء الحرية الفكرية تعتبر ضرورة لفسح المجال

أمام مراجعة التراث وتطويره، بما يتلاءم مع حاجات المجتمع الثقافية والسياسية، وأن الثقافة السائدة بما تحتويه من مضامين تراثية تعزز حالة التقوقع والتطرف، بدلًا من الانفتاح والتطوير، وسببها يعود إلى أن التاريخ كتب من قبل الأقوياء والمنتصرين الذين تمصلحوا من سيادة مثل هذه الأفكار، وقاوموا محاولات المراجعة والتجديد لكتابة التاريخ والتراث.

وتحدث أحد المعقبين عن نتائج حالة الخلط بين الحدث التاريخي والنص الديني، وانعكاس ذلك على تداخل المفاهيم وتعارضها، فالنقاش التاريخي يتحول إلى تشكيك في المعتقد، ودعا إلى قيام علماء الدين بدورهم المهم في نشر الوعي وسط الناس، وكذلك في السعي إلى ممارسة التجديد والاجتهاد.

كما دعا أحد المعلقين أيضًا إلى ضرورة بلورة رؤية ونظرية متكاملة للتعامل مع التراث، انطلاقًا من أن الخلل ليس في ذات التراث بمقدار ما هو في فهم الناس له وتعلقهم به.

وأشار معقب آخر إلى أن المناداة بتجديد التراث قد تكون تعبيرًا عن حالة القلق التي يعيشها البعض، واستشهد بغياب المناصرين عند حدوث ردات أفعال من قبل المعارضين لذلك.

وأكد أحد المعقبين على أن الإقصاء السياسي والفكري كان ولا يزال قائمًا في تاريخنا الإسلامي، ودعا إلى التمييز بين ما هو نص وما هو تراث أو معرفة دينية، عبر إعادة قراءة التراث بصورة موضوعية، وضمن منهجية معرفية، وذلك باعتبار التاريخ وأحداثه احد المكونات الرئيسة للتراث والثقافة.

وطالب أحد المعقبين بالدعوة إلى إخراج نص المعصوم من التراث بصفته نصًا خالدًا متعاليًا على الزمان والمكان، أما التراث فلا خلود له، وأشار إلى ضرورة عدم اعتبار التراث عبئًا على المجتمع، فهنالك تزامن تاريخي بين أزمة الواقع ومراجعة التراث بحثًا عن حل لهذه الأزمات.



٧

صالح كامل: الشيعة والسنة أبناء وطن واحد ونرفض محاولات النيل من وحدتهم

أبدى رجل الأعمال الشيخ صالح كامل سعادته من الحوار الوطني الذي أزال الكثير من الجدر والحواجز التي كانت تحيط ببعض الفئات، أو التي كانت تفصل بعض الفئات عن بعضها، مبيناً أن الشيعة والسنة أبناء وطن واحد، وأنه لا فرق بين سني وشيعي ولا بين حنبلي وحنفي وشافعي فـ «كلنا في النهاية نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، وكلنا أبناء هذا البلد الطيب الطاهر مهبط الوحي»، رافضًا أن يفرض أحدٌ على أحد رأيًا بعينه ويدّعي صحته والآخر (غلط)، مضيفًا أن هذا الشيء ليس ممكنًا ولا يمكن أن يستمر، «وقد جربنا هذا الأسلوب لسنوات طويلة واتضح خطأ ذلك والحمد لله»، مبديًا رغبته كلما زار المنطقة الشرقية اللقاء مع سماحة الشيخ حسن الصفار ورجالات القطيف الذين تربطه ببعضهم علاقات جيدة.

جاء ذلك خلال جلسة استضافه فيها مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار جمعت بعض العلماء ورجال الأعمال وبعض المثقفين يوم السبت ٢٨/ ٤/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢/ ٤/ ٢٠١١م.

وقد بدأ الشيخ محمد الصفار الجلسة بكلمة ترحيبية طلب خلالها من الشيخ صالح كامل أن يتحدث بشيء من تجربته الإدارية الاقتصادية، لنقل هذه التجربة بين الأجيال، ولفتح أبواب الاستفادة المتبادلة بين رجال الأعمال في عموم الوطن.

من جانبهم أبدى الحضور ارتياحهم لما طرحه الشيخ صالح كامل مشددين على الدعوة لوحدة هذا الوطن، ونبذ الطائفية والوقوف أمام لغة التخوين التي تسود بعض الساحات اليوم.

أما عن مشاركة المرأة في الانتخابات البلدية التي تناولها الأستاذ زكي أبو السعود، فقال الضيف إنه تفاجأ حيث كان يتوقع أن يعطى حق التصويت للمرأة، فلدينا من النساء نماذج مشرفة جدًا في كل المناطق.

وعن السعودة قال: بصراحة بدأنا في موضوع السعودة بعاطفة ولم نبدأها بعقل، فقط لأنه سعودي لازم نوجد له عمل، وهذا خلق مشكلة؛ لأن هذا الشاب شعر أنه متميز، وأنه مفروض عليّ فأصبح (يتدلع)، متبعًا كلامه بأن الحل يكمن في تغيير ثقافة المجتمع بالنسبة لكافة المهن، بحيث لا يرى العامل في مهنته أي عيب يعير به.

وعن موضوع التأشيرات والاستثمار الأجنبي الذي طرحه رجل الأعمال محمد الديمي قال: الحقيقة هذا من المواضيع المهمة جدًا، وقد دعونا وزير العمل الجديد في مجلس الغرف وجلسنا معه حوالي ٣ ساعات والحضور حوالي ٧٠ أو ٨٠ رجل أعمال، واستمع لكل ملاحظاتنا، وقال أعطوني اقتراحاتكم وإن شاء الله سأنفذها، وفعلًا أتينا بشركة استشارية وعقدت حوالي ٥٠ ورشة عمل مع اللجان الوطنية، ومع بعض الغرف التجارية، وطلعت بدراسة هي اليوم على مكتب معالي وزير العمل.

وعن الاستثمار الأجنبي قال إن من شروط منظمة التجارة العالمية أنك لا تمنع أحدًا من الاستثمار، فلذا كان علينا ان نستعد لهذه المسألة.

وعن عتب الأستاذ فؤاد نصر الله لغياب الأقلام المسؤولة هذه الأيام ونحن نسمع ونرى من يخوّن ويطعن في ولاء قسم من المواطنين في وطنيتهم، قال معاليه: أنا شخصيًا لا أفرق بين شيعي وسني ولي صداقات سواء في المملكة أو خارجها، لا أفرق بين أصدقائي، ولا أقبل بالتشكيك في ولاء إخوتنا الشيعة في المملكة، ولا بُدّ من مكافحة الكتابات التي تتحدث عن غير ذلك.

وعن طلب أحد الحاضرين بإيجاد استثمارات في محافظة القطيف وفتح فروع للشركات الكبرى فعسى أن يخفف الانتعاش الاقتصادي من الاحتقان الموجود في الشارع، قال الشيخ صالح كامل:

نحن أنشأنا في جدة مركزًا اسمه مركز تنمية الأعمال، مهمته إما مشاريع جديدة، أو مشاريع ناجحة تحتاج إلى انتشار، أو مشاريع متعثرة ينبغي إعادة شغلها، هذا المركز أنشأنا له شركة ذات رأس مال ب٢٠٠ مليون ريال، مهمتها دراسة هذه الفرص والحصول على كل الرخص وتهيئتها للانطلاق، ثم الترويج لها أو التنفيذ والترويج.







٧

الشيخ الصفار يلتقي الأمير سلمان ووزير التربية والتعليم

قام سماحة الشيخ حسن الصفار بزيارة لصاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة الرياض صباح يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٣ يناير ٢٠١١م لتهنئته بالسلامة والعودة إلى الوطن في أعقاب رحلته العلاجية، وكان برفقة الشيخ الصفار الدكتور توفيق السيف والمهندس جعفر الشايب والأستاذ كمال المزعل، حيث استقبلهم سمو الأمير في مكتبه بإمارة الرياض، كما التقى الشيخ الصفار صاحب السمو الأمير فيصل بن عبدالله بن محمد آل سعود وزير التربية والتعليم في مكتبه بالوزارة ظهر يوم الأحد ٢٧ محرم ١٤٣٢هـ الموافق ٢ يناير ٢٠١١م وكان برفقة الشيخ الصفار في اللقاء الدكتور توفيق السيف والمهندس جعفر الشايب والأستاذ ماجد عبد العال والأستاذ مهدي بن أحمد آل شنر والأستاذ كمال المزعل.

وقد تحدث الشيخ الصفار لسمو الأمير وزير التربية والتعليم عن الآمال المعقودة على الوزارة لتربية النشء على الحوار وقبول الآخر، وتحقيق الاندماج الوطني، وتحصين الجيل الجديد من سلبيات الخلاف والنزاع المذهبي، وشكى الشيخ الصفار لسمو الأمير الوزير معاناة قسم من الطلاب وأهاليهم من بعض الإشكاليات الطائفية، مستعرضًا ما حدث للأستاذ (فوزي شنر)، مطالبًا سموه بالتدخل لمعالجة الموضوع، حيث وعد بذلك مشكورًا.

وقد استضاف نائب وزير التربية والتعليم الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر الشيخ الصفار والإخوة الذين معه ظهر يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٢هـ في منزله حيث دار معه الحديث عن تفعيل مركز الحوار الوطني وتنقية أجواء التربية والتعليم من التأثيرات الطائفية.

وفي مساء يوم الأحد ٢٧ محرم ١٤٣٢هـ حضر الشيخ الصفار أحدية الدكتور راشد المبارك حيث كان ضيف الندوة الدكتور توفيق السيف الذي ألقى محاضرة تحت عنوان «المواطنة» حضرها جمع كبير من المثقفين والأكاديميين، وأدارها الدكتور يحيى أبو الخير، واستمرت الندوة لأكثر من ساعتين ونصف، لما صاحبها من نقاشات ومداخلات قيمة.

وزار الشيخ الصفار والإخوة الذين معه صباح يوم الاثنين ٢٨ محرم ١٤٣٢هـ دارة الملك عبدالعزيز بدعوة من صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز أمير منطقة الرياض، حيث كان في استقبالهم الدكتور ناصر بن محمد الجهيمي نائب الأمين العام، ورافقهم في جولة على أقسام الدار، واطلعوا على ما تقوم به من دور حضاري في توثيق تاريخ البلاد، وتوفير أدوات البحث للعلماء والباحثين.



٧

وفد مهرجان «واحتنا فرحانة» يزور الشيخ الصفار

زار وفد مهرجان القطيف (واحتنا فرحانة) يوم السبت ٢٥/ ١/ ١٤٣٢هـ الشيخ حسن الصفار للاطمئنان على صحته وإطلاعه على منجزات المهرجان الأول، وذلك ضمن سلسلة الزيارات للمهرجانات ورجال الدين.

وألقى الشيخ الصفار كلمة في الوفد الذي زاره في مكتبه في القطيف شدد فيها على دور التنمية الاجتماعية وكونها مهمة منوطة بجميع أطياف المجتمع (فالعالم اليوم لا يصغي للضعفاء البائسين البكائين).

وأشار إلى أن المجتمع يحتاج لروح العمل الجمعي المؤسساتي، مرحبًا بالمهرجان وسائر المهرجانات معتبرًا إياها ميدانًا لتنمية القوة الاجتماعية وإظهارها للعالم أجمع، كما تعد منبرًا لنشر ثقافة المنطقة وتاريخها وحضارتها.

واعتبر الشيخ الصفار أنّ العمل في المجالات الاجتماعية المختلفة ومنها المهرجانات خطوة في الطريق الصحيح، تظهر وجه القطيف الحقيقي في وجه جميع المشككين، ووسيلة للتقارب مع المجتمعات الأخرى.

وتابع بأن الأعمال الاجتماعية لا تحتاج بالضرورة لأخذ شرعيتها من رجال الدين، فالعمل الاجتماعي الصالح يفرض نفسه، وهناك جهات اجتماعية أسست واستمرت استنادًا إلى جهود أبناء المجتمع.

وأشار إلى أن دور العلماء يجب ألّا ينحصر في المنبر والخطب الدينية وتأليف الكتب، بل التوجه كذلك للعمل الاجتماعي، من خلال دعم المهرجانات في المنطقة وغيرها من الفعاليات الاجتماعية النافعة.

وخاطب الشيخ أعضاء الوفد بالقول «لا تحملوا هاجس دعم المشايخ في عملكم الاجتماعي، فالعالم أحيانًا يأخذ شرعيته من العمل الاجتماعي، فمجتمعنا وصل لمرحلة من النضج لكي يقيم العلماء من خلال مواقفهم وعملهم الاجتماعي».

وتكون الوفد الزائر من رئيس مهرجان القطيف الأستاذ عبد رب الرسول الخميس بالإضافة لرئيس اللجنة المالية ومسؤولي لجنة العلاقات العامة ومسؤول كوادر المهرجان ومسؤولي الكرنفال والمسرح وعدد من ممثلي اللجنة الإعلامية بشقيها النسائي والرجالي.







في استقباله لمجلس إدارة جمعية تاروت الخيرية

الشيخ الصفار: على الجمعيات الخيرية تأهيل الأسر الفقيرة لتجاوز الفقر

استقبل سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الجمعة ٢٥ محرم ١٤٣٢هـ في مجلسه وفدًا من جمعية تاروت الخيرية للخدمات الاجتماعية.

وقد تألف وفد الجمعية من أعضاء مجلس الإدارة المنتخب حديثًا وعدد من الأعضاء المتطوعين. وقد تقدم الوفد رئيس مجلس الإدارة الحاج حسين المشور ونائبه المهندس محمد النابود والأمين العام حكيم آل درويش وأمين الصندوق زكي آل مطر ومقرر لجنة العلاقات العامة والإعلام أكرم الحجاج ومقرر لجنة التكافل الاجتماعي حسن المرهون ومقرر لجنة تحسين المساكن الأستاذ إبراهيم الأبيض ومقرر لجنة التدريب والتأهيل الأستاذ عبدالمنعم الصادق ومقرر لجنة العمال والمرافق العامة الحاج هلال آل فردان ومقرر لجنة ذوي الاحتياجات الخاصة الخطيب شفيق آل سيف والباحثان الاجتماعيان الأستاذ جعفر آل أمين ومحمد الصيرفي.

وقد قدم رئيس مجلس الإدارة الحاج المشور نيابة عن أعضاء المجلس لسماحة الشيخ الصفار الدعاء بدوام الصحة والعافية والتهاني بسلامة الوصول إلى أرض الوطن بعد زيارة عمل وعلاج للولايات المتحدة الأمريكية في شهر ذي الحجة المنصرم وزيارة الجمهورية العربية السورية الشقيقة مطلع شهر محرم. وفي المقابل قدم سماحته جزيل الشكر والامتنان لهذه المشاعر الطيبة وللبادرة الطيبة من أعضاء

المجلس بالزيارة.

وقد دعا المشور سماحة الشيخ حفظه الله خلال اللقاء لإلقاء كلمة إرشادية لأعضاء مجلس الإدارة.

وقد استهل سماحته كلمته بتقديم التباريك لتشكيل المجلس الجديد لجمعية تاروت الخيرية نهاية العام الفائت ١٤٣١هـ متمنيًا لأعضائه كل التوفيق والنجاح والسداد. وأشار سماحته إلى أن أعضاء مجلس إدارة الجمعية أصبحوا بانتخابهم من قبل المجتمع نوابًا تحال إليهم مسؤولية التصدي للمشاكل التي تواجهها بعض فئات المجتمع من الفقر والجوع والعوز ونقص الأموال.

وأشار سماحته إلى قول رسول الله ﷺ: «ليس المؤمِنُ الذي يشبَعُ وجارُه جائِعٌ» وقوله الشريف: «ما آمن بي من بات شبعانَ وجارُه جائعٌ بجنبِه وهو يعلمُ به».

وأوضح سماحته بأن خدمة الناس والعمل على قضاء حوائجهم واجب كفائي في الشريعة الإسلامية، إن قام بها البعض سقطت عن البعض الآخر. فلا يمكن أن يتبنى كل أفراد المجتمع مسؤولية العمل الاجتماعي وإلا فلن يكون هناك من يتبنى مسؤولية العمل في المجالات الأخرى كالمجال الصناعي والتجاري والفكري.

وتمنى سماحته من إدارة الجمعية أن تقوم برصد مشاريعها الخيرية وتوثيقها وتقديمها بشكل جذاب إلى الناس وتسويقها حتى تلقى دعمًا من عامة الأهالي، واحتضانًا من خاصة المجتمع، داعيًا في نفس الوقت إلى استثمار كل قناة وطريقة تأتي بالخير الوفير للجمعية، مؤكدًا على ضرورة العمل على زيادة موارد الجمعية المالية بالطرق القانونية أقصى ما يمكن.

وفي هذا الصدد دعا سماحته إلى الاستفادة من خبرات الجمعيات الخيرية الأخرى وتجاربها في محافظة القطيف وخارجها لإيجاد مصادر إيراد إضافية لصندوق الجمعية، متطرقًا إلى الخبرة الجيدة للجمعيات التي تتبع جمعيات البر بالمنطقة

الوسطى، وتجربتها الفريدة في الدخول في شتى المجالات الإقتصادية والرياضية من أجل زيادة دخلها.

وشدد سماحته على ضرورة أن تولي الجمعيات الخيرية وخصوصًا جمعية تاروت الخيرية أهمية بالغة لمشاريع الإسكان الأهلي، نظرًا لأهمية هذه المشاريع في إيواء الأسر ضعيفة الحال التي لا تملك مسكنًا أو التي تسكن بيوت الصفيح أو البيوت الطينية الآيلة للسقوط، مشيرًا إلى أن مشاريع الإسكان الأهلي بدأت تنمو في مختلف أرجاء الوطن خصوصًا في المنطقة الشرقية التي عانت طويلًا من ظاهرة بيوت الصفيح، مؤكدًا أن هذه المشاريع لا زالت تحتاج إلى تكاتف الجمعيات الخيرية من أجل تنميتها وتوسيع رقعتها لإسكان من تبقى من الأسر المحتاجة وأسر الأيتام التي لا مسكن لها أو تسكن بيوت الصفيح.

وذكر سماحته للحضور تأثره قبل أيام بقراءة خبر نشر في جريدة اليوم المحلية عن مشروع الإسكان الأهلي بتاروت المؤلف من ٧ شقق سكنية الذي وصل إلى مرحلة متقدمة في البناء، حيث تمنى سماحته أن يكون مشروع الإسكان الأهلي باكورة لمشاريع الإسكان الأهلية والخيرية القادمة بمحافظة القطيف، وإن كانت مساحة البناء أو الأرض محدودة، متمنيًا أن يتكرر هذا المشروع في تاروت وأن يصبح مشروع الإسكان الأهلي في المستقبل كبيرًا في بنائه ومساحة أرضه وكثيرًا في وحداته السكنية. وقد استعرض التجربة الفريدة التي قامت بها أسرة الجبر بالأحساء التي عملت على بناء ٣٦٠ وحدة سكنية للأسر المحتاجة في محافظة الأحساء.

كما حث سماحته مجلس إدارة الجمعية إلى استجلاب الدعم الرسمي والاستعانة بالموارد المالية المتاحة من قبل الدولة عبر الوزارات ذات العلاقة والدوائر الحكومية المعنية، كالإعانات الإضافية التي يمكن أن تقدمها وزارة الشؤون الاجتماعية، أو البنوك الأهلية، أو الشركات والمؤسسات التي تعمل في سلك الدولة في مختلف المديريات والهيئات الحكومية.

وتطرق سماحته إلى ضرورة رفع مستوى مشاركة الأهالي في دعم أنشطة الجمعية الخيرية المختلفة، مشجعًا أعضاء المجلس والمتطوعين والباحثين الاجتماعيين إلى رفع مستوى الوعي الاجتماعي بالنشاط التطوعي والمسؤوليات الاجتماعية في نفوس أبناء المجتمع، والعمل على نشر ثقافة العطاء والبذل بين الأفراد والتجمعات حتى يبقى للجمعية رصيدها الاجتماعي المحفز، ودخلها المالي الوفير، مؤكدًا أن ذلك يساعد الجمعية على تحجيم الفقر في المنطقة.

ودعا سماحته مجلس إدارة الجمعية للتخطيط لتأهيل الأسر المعوزة للخروج من حالة الفقر نهائيًا، مؤكدًا أن الأسر الفقيرة ليست محكومة أن تعيش فقيرة كل السنين، إذ لا بُدّ من وضع خطة لرفع حالة الفقر والعوز عن الأسر عن طريق التأهيل المناسب.

وتمنى سماحته في ختام حديثه أن تكون إدارة الجمعية الحالية في موقع المسؤولية كإدارة واعدة ومجدة إن شاء الله.

وقدم رئيس مجلس الإدارة الحاج المشور جزيل الشكر وموفور الامتنان لكلمة سماحة الشيخ وإرشاداته القيمة.



في استقباله لفتيات «نادي خطوة واعدة»

٧

الشيخ الصفار: التحدي يفجر مواهب الإنسان فلا تتهيبوا المشاكل[1]

نظم القسم النسائي بمكتب الشيخ حسن الصفار مع إدارة نادي (نحو خطوة واعدة) التابع لمنتدى مركز الأسرة بالقطيف لقاءً مع سماحة الشيخ حسن الصفار الخميس بتاريخ ٣٠/ ١/ ١٤٣٢هـ.

والتقى خلاله ٢٥ فتاة من المرحلة الثانوية والجامعة وهن المنتسبات إلى برنامج (نحو خطوة واعدة).

وعرفت مسؤوولة البرنامج افتخار آل دهنيم بالقائمات على البرنامج وهن زهراء بو حليقة ومليحة الجشي، كما عرفت بالبرنامج الذي يكون صباح كل خميس، ويستهدف فتيات مرحلة الثانوية والجامعة، والذي يقدم مجموعة من ورش العمل مثل القيادة الناجحة، والمحاور الناجح، والعمل التطوعي، وفن اختيار الشريك وغيرها من ورش العمل.

وبعنوان كيف نواجه التحديات ابتدأ سماحة الشيخ اللقاء بالآية القرآنية ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾، وقال: «إن الإسلام ليس طقوسًا وشعائر، لكنه قيم ومنهجية في التفكير، فالإنسان الذي يصلي ويصوم ولا يعرف قيم

(١) شبكة التوافق الإخبارية .

ومنهجية الإسلام في التعامل مع الحياة، لا يمكن أن نطلق عليه مسلمًا حقيقيًا».

وأضاف «الإنسان في هذه الحياة يود أن يكون طريقه مفروشًا بالرياحين، لكن هذا مخالف لطبيعة الإنسان في هذه الحياة، فالإنسان عنده طاقات لا تتفجر إلا بالتحديات، فالحاجة أم الاختراع، لو لم يواجه الإنسان البرد لم يفكر في وسائل التدفئة، ولو لم يتعرض للحر لم يفكر في وسائل التبريد، ولو لم يتعرض للمرض لم يصل إلى الدواء المفيد، فالتحدي هو الذي يفجر مواهب الإنسان، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾».

كيف نواجه التحديات؟

وبيّن سماحته أن المشكلة ليست شرًا بل قد تكون طريقًا للتقدم، هذا ما قاله الإمام الصادق عليه السلام: «المصائب منح من الله»، ضاربًا مثلًا بالسيدة زينب وكيف كان جوابها لابن زياد عندما سألها: كيف رأيت صنع الله بأخيك الحسين؟ لم تعدد السيدة زينب قتل الأحبة والسبي بل قالت: «ما رأيت إلا جميلًا»؛ لأنها تنظر إلى هذه الأحداث بأنها امتحان وابتلاء من الله، هذه النظرة هي التي جعلت ذكرى عاشوراء تغطي الآفاق.

ووجه سماحة الشيخ الفتيات إلى الاستعداد نفسيًا لمواجهة العصر المتغير، فالذين يعتقدون أن حياتهم دائمًا مريحة، هؤلاء ينهزمون أمام المشاكل، مدللًا على ذلك بأمثلة عن الشباب الذين ينحرفون عن الطريق الصحيح، والبعض يتوجه للمخدرات، والبعض الآخر يتوجه للانتحار، وبعضهم يصاب بالأمراض النفسية كل ذلك من أجل الهروب من المشاكل.

وبعث سماحة الشيخ في الفتيات روح الأمل والتفاؤل، وطمأنتهم قائلًا: إن مجتمعنا مهما كانت الصعوبات فيه كثيرة لكنها أقل بكثير من المشاكل التي تصاب بها المجتمعات الأخرى، حتى في أمريكا من السذاجة أن نعتقد أن الناس مرتاحون فيها، بل فيها مشاكل وتحديات يواجهونها، فلا يوجد أي مجتمع يعيش الرخاء، فيجب أن نشعر بالتفاؤل والأمل ووجود الأجواء الدينية هي التي تبعث على الأمل.

الشيخ الصفار: يجب تطوير الأنظمة لمساعدة المرأة العاملة في القطاع الطبي[1]

أكد الشيخ حسن الصفار في لقاء نظمه مكتبه الأربعاء بتاريخ ٦ صفر ١٤٣٢هـ بعنوان (المرأة وتحديات العمل في الوظائف الطبية) بحضور أكثر من ٣٦ طبيبة وممرضة وطالبة في مختلف المجالات الصحية على حسن التعامل مع المرضى.

وأشار إلى أن الحالة النفسية للمريض تتأثر بطريقة تعامل الطبيب أو الممرض، لافتًا إلى أن المريض عندما يتلقى احترامًا وحسن تعامل حتى لو كان منزعجًا فإن ذلك يساعد كثيرًا في تغلبه على المرض.

وحذر من عدم التهاون في هذا الشأن مستشهدًا بحديث رسول الله : «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم الحاج، والمحارب والمريض» حيث يتوجب على الطبيبات والممرضات تهيئة أنفسهن لكثير من الحالات فالدواء الذي يقدم جزء وحسن التعامل جزء آخر لا يقل أهمية عنه.

وأوضح الشيخ الصفار الفوائد والمنافع التي تنعكس على المرأة العاملة حيث تساعدها على صقل شخصيتها لمواجهة التحديات، وانعكاسها على تربيتها لأبنائها نظرًا لاحتكاكها بالمجتمع الذي يكسبها الخبرات والتجارب.

---

(١) شبكة راصد الإخبارية.

وقال بالرغم من أنها حينما لا تعمل تكون أكثر من نصف طاقات العمل معطلة ومشلولة إلا إنها بدورها العائلي تقوم بدور تربوي وإنساني كبير.

وأكدً أنه ينبغي للقوانين والأنظمة أن تساعد المرأة العاملة حتى توفق بين العائلة والعمل، حيث أنها غير منصفة للمرأة في كثير من الأحيان، كما يجب على المجتمع تهيئة الجو المناسب الذي من شأنه دعمها كعمل مؤسسات احتضان الأطفال فترة انشغالها عن أبنائها.

وأشار الشيخ الصفار إلى التحديات التي يضعها العمل أمام المرأة خصوصًا في تعاملها مع الجنس الآخر، حيث إن المجتمع يعيش حالة انتقالية بعد حالة الكبت التي كان فيها، فقد ساهم الانفتاح في نقلهم لمجتمع آخر.

وأبدى استغرابه من شعور المرأة في الدول الأخرى بالأمان في عملها أكثر من الدولة التي يفترض أن عدد المؤسسات الدينية والمساجد يسهم في ضبط السلوك في المجتمع.

منوها إلى أن المرأة العاملة لا بُدّ أن تكون أكثر رصانة ورزانة؛ لأنها هي المتضررة حينما تتخطى حدود العفة والطهارة، إذ ينبغي لها ألا تنخدع ببعض الممارسات التي تصدر من شباب كثيرين ممن يعيشون حالة غير سوية.

في ختام اللقاء تم وضع بعض المقترحات التي من شأنها أن تسهم في حل العديد من المشاكل التي تعترض القطاع الطبي منها: طرح هذه المشكلات على مجلس الشورى، تأسيس لجنة أو جمعية تهتم بالمتابعة والتصدي للأمور المتعلقة بهذا الجانب، تسليط الضوء على هذه المشكلات من خلال تشجيع الصحفيين في تولي هذا الأمر وعمل التقارير والتحقيقات اللازمة، تحصيل الدعم من جمعية حقوق الإنسان إضافة إلى عقد لقاءات دورية أخرى.



ويزور جمعية الرميلة الخيرية

الشيخ الصفار يدعو المجتمع إلى التسلح بالثقافة الحقوقية

استضافت بلدة الرميلة بالأحساء يوم الخميس الماضي الموافق ١٣/ ٠١/ ٢٠١١م سماحة الشيخ حسن الصفار (حفظه الله) ضمن زيارته للأحساء، حيث زار فيها مكتب الشيخ عبدالله الجزيري بالعمران، وبلدة الرميلة وبلدة الشعبة، وفي معرض زيارته للرميلة صباحًا افتتح سماحة الشيخ الصفار زيارته لجمعية الرميلة الخيرية واطّلع من خلالها على نشاطات الجمعية وما تقدمه للمجتمع من خدمات اجتماعية فاعلة عن طريق اللجان الموجود فيها.

وألقى الشيخ الصفار كلمة لأعضاء الجمعية والسادة الحضور بعنوان (العمل التطوعي).

وتطرق سماحة الشيخ في معرض حديثه بقوله إن الإنسان عندما يخدم مجتمعه ظاهرًا هو يعطي للآخرين؛ لأنه يعطي من وقته وماله وجهده للآخرين، ولكن في الواقع هو يعطي لنفسه، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾.

وقسّم الشيخ الصفار نتائج العمل التطوعي إلى ثلاث نقاط:

أولًا: العمل التطوعي يُحدث عند الإنسان راحة نفسية لا مثيل لها

فحينما يُنقذ الإنسان غريقًا، وعندما يغيّر حالة أسرة فقيرة، وعندما يُقدم خدمة من

الخدمات للآخرين، في أعماق نفسه يشعر بلذة وراحة وارتياح كبير، وهذا جانب يتحسسه كل إنسان سوي؛ لأن الإنسان السوي في فطرته يشعر بارتياح عندما يُقدم أي خدمة للآخرين.

ثانيًا: العمل التطوعي يصقل مواهب الإنسان

في هذه النقطة أشار سماحة الشيخ إلى أن الفرد في المجتمع عندما ينتمي إلى جمعية خيرية، أو إلى نادٍ رياضي، أو إلى أي لجنة من اللجان في مجال العمل الاجتماعي، فإن انتمائه لها سوف يدفعه إلى تطوير نفسه وتفجير طاقاته ومواهبه، فيتعلم كيف يتواصل مع الآخرين، وكيف يقنع الآخرين، وكيف يخطط، وكيف يفكر، لأن العمل التطوعي يُفجر طاقات الإنسان ومواهبه، واستشهد في حديثه ببعض الشخصيات البارزة في العالم، وكيف أنهم عندما كانوا في بدايات انطلاقتهم ينتمون إلى لجان تطوعية ومؤسسات اجتماعية، وشيئًا فشيئًا تبلورت شخصياتهم وتفجرت طاقاتهم بالخبرة والتواصل، حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عطاء وتقدم.

الثالث: أن الإنسان جزء من مجتمعه وحينما يقوى المجتمع تقوى أجزاؤه

تحدث الشيخ الصفار في هذه النقطة بقوله: إن الإنسان إذا انتمى إلى مؤسسة تطوعية تقوم على خدمة المجتمع، فإنه يقوى بقوة مجتمعه؛ لأنه كلما قوي المجتمع قوي الفرد، لأن قوة المجتمع في الواقع هي قوة للفرد؛ لأن الشخص الذي ينتمي إلى مجتمع قوي يشعر بالقوة، وكذلك الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع ضعيف يشعر بالضعف والهوان، لذلك فإن العمل التطوعي وإن كان يبدوا للإنسان أنه خدمة للمجتمع، وباعتباره جزءًا من هذا المجتمع، فهو يخدم المظلة التي يستظل بها، والشجرة التي يستفيد منها، ويعيش في ظلها الوارف.

والأهم من كل ذلك بالنسبة لنا كمؤمنين ومسلمين، والكلام للشيخ الصفار: أن العمل التطوعي في خدمة الناس هو من أهم وسائل التقرب إلى الله سبحانه وتعالى،

فنحن نعرف كيف نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بصلاة النافلة وبالعبادة مع مالها من الأهمية، ولكن لو رجعنا إلى النصوص الشرعية لرأينا أنّ خدمة الناس من أجلى مصاديق التقرب إلى الله عزّ وجلّ، حيث ورد في الرواية المروية عن الإمام الباقر ﷺ التي يقول فيها: «لأن أعول أهل بيت من المسلمين أشبع جوعتهم وأكسو عورتهم وأكفّ وجوههم عن النّاس أحبُّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة حتّى انتهى إلى عشر وعشر وعشر ومثلها حتّى انتهى إلى سبعين»، وروايات كثيرة حول فضل خدمة الناس وخاصة المحتاجين للخدمة من المجتمع.

وقدّم سماحة الشيخ شكره لمسؤولي الجمعية وأهالي البلدة على إنشاء الجمعية الخيرية، وبارك لهم ذلك، متمنيًا لهم الكثير من التقدم والتطوير، وقال: إن بامكان أهالي البلدة أن يقدموا الكثير من النشاطات والفعاليات والخدمات تحت مظلة الجمعية الخيرية، وذلك أن الجمعية تعتبر فرصة لنموالطاقات وصقل المواهب وعلو الهمة لأبناء المجتمع.

وأضاف الشيخ الصفار بقوله: إنّ الجمعية كإطار تعتمد على من يعمل فيها، فإذا كان من يعمل في الجمعية أشخاص جادون ومخلصون يستطيعون أن يحولوا الجمعية إلى قيادة وإدارة للمجتمع، بحيث تصبح رافعة للنشاط الاجتماعي، وفي تحسين شؤون المجتمع والوطن. وهذا يحتاج إلى التفاف أبناء البلد حول الجمعية ورفدها بالطاقات، وإلى الجدية من قبل الأعضاء في الجمعية، والحمد لله من خلال ما سمعت من شروحات رأيت في وجوههم الإخلاص والحماس والجدية، وأنا متفائل جدًا لهذه المؤسسة المباركة بالتقدم السريع؛ لأنها إن شاء الله سوف تبدأ من حيث انتهى الآخرون، لذلك أدعو المسؤولين إلى الاستفادة من تجارب الجمعيات الخيرية الأخرى.

وختم الشيخ الصفار حديثه بدعوة الجميع إلى علو الهمة؛ لأن علو الهمة من الإيمان، ودعا المجتمع إلى الاستفادة من دعم المؤسسات الحكومية، (وحث أبناء

البلد إلى المزيد من النشاط والتواصل مع جميع الجمعيات والمؤسسات والشركات الموجودة في جميع المناطق).

كما شارك سماحة الشيخ الصفار جموع المصلين في جامع الإمام الحسين صلاة الظهرين بإمامة الشيخ عبدالله الأحمد.

الثقافة الحقوقية

وكان لسماحة الشيخ الصفار لقاء مع مجموعة من العلماء والمثقفين على مستوى المنطقة بعنوان (الثقافة الحقوقية) في الرميلة حضرها لفيف من العلماء والمهتمين بالشأن العام من منطقة الأحساء.

افتتح اللقاء الأستاذ عيسى العبدالكريم بكلمة جاء فيها:

انطلاقًا من الحرص على حقوق الإنسان وكرامته الدينية والوطنية، وتأكيدًا على الاهتمام بحقوق وواجبات كل مواطن في هذا البلد الكبير، وحرصًا على تحقيق اللُحمة الوطنية بين أبناء الوطن الواحد، والعمل على نبذ الطائفية والمذهبية المقيتة، من خلال نشر ثقافة حقوق الإنسان والدفاع عنها، وحرصًا على مصالح الناس، والقيام بما يضمن الإعداد والتكوين ورعاية الإنسان، وتسهيل معالجة وحماية حقوقه والمحافظة عليها، مع العمل على ترسيخ القيم الإنسانية واستيعابها في الأذهان، والعمل بها من أجل حياة مستقرة وعيش هانئ سعيد، يسود فيه العدل والمساواة، وتزدهر فيه الحرية والكرامة والتسامح والحوار والاحترام المتبادل.

ومن هذا المنطلق يسرنا ويشرفنا أن نتناول هذا الموضوع الهام مع سماحة العلامة الشيخ حسن بن موسى الصفار (حفظه لله) تحت عنوان (الثقافة الحقوقية)، وسماحة الشيخ الصفار غني عن التعريف، فهو العالم والمفكر والناشط المرجو في هذا العصر، الذي يُعبّر عن آرائه وأفكاره بكل صدق وشفافية، وبكل جرأة، يجسدها من خلال أعماله ومؤسساته الاجتماعية والوطنية، فهو رائد العمل الاجتماعي، وصاحب

المبادرات التي لا تكل ولا تهدأ، فليتفضل مشكورًا...

وقد بدأ الشيخ الصفار حديثه بتفسير الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ﴾ مشيرًا إلى أن المجتمع الإيماني يتصف بسمة الدفاع عن حقوقه والانتصار لكرامته، ولا يصح أن يتصف بقبول الظلم والسكوت على مصادرة الحقوق، وتناول الشيخ الصفار مسألة شمولية الحقوق فهي لا تقتصر على ما يرتبط بعلاقة المواطن مع أجهزة الدولة، بل تشمل الحقوق في الإطار العائلي والعلاقات الاجتماعية.

ودعا العلماء والخطباء إلى تعريف الناس بحقوقهم، وألّا يقتصروا في توجيههم لطرح حقوق الله فقط، فهي على أهميتها لا تنفصل عن مراعاة حقوق الناس، وخصص الشيخ الصفار جزءًا واسعًا من حديثه لتشجيع الناس على الاستفادة من الفرص المتاحة قانونيًا وإعلاميًا وسياسيًا لتعزيز وضمان حقوقهم كمواطنين، والمطالبة بالخدمات لمناطقهم، ومنع أي تجاوز على حرياتهم الدينية والإنسانية، وردّ على الذين يشككون في جدوى السعي والمطالبة بأنها لا شك خير من التقاعس والسكوت، كما أن الإصرار والاستمرار على المطالبة يحرج الطرف الآخر، وقد يلزمه بالاستجابة، مستشهدًا بكلام أمير المؤمنين عليه السلام: «لَا يُدْرَكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ».

وكانت مداخلات الجمهور ثرية جدًا تدفع للإسهام بشكل مباشر في تفعيل الحالة الحقوقية للمجتمع والعمل على تطبيقها في الحياة العامة.

شارك في المداخلات كل من:

الأستاذ صادق الرمضان، الشيخ حسن بوخمسين، الأستاذ سلمان الحجي، الأستاذ جعفر السلطان والأستاذ عبدالله الشايب.

كما حضر اللقاء أصحاب الفضيلة: الشيخ جواد الخليفة، الشيخ حسن بوخمسين، الشيخ حسين الرمضان، الشيخ عبد الله الأحمد، والشيخ يوسف العبدالله.


الثقافة الحقوقية
مع فضيلة الشيخ حسن الصفار
حفظه الله
الأحساء - الرميلة - الخميس الموافق ١٣ / ١ / ٢٠١١ م







دعا رجال الأعمال لدعم البرامج الشبابية ودعا الشباب للاجتهاد العلمي والعمل التطوعي

الشيخ الصفار في ضيافة قرية الشعبة بالاحساء

استضافت قرية الشعبة في الأحساء سماحة الشيخ حسن الصفار ليلة الجمعة ١٠ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ١٤/ ١/ ٢٠١١م، في ندوة بعنوان «الشباب وأهمية استغلال الوقت» في مجلس الشعبة العام (الحسينية الجنوبية) قدم للندوة وأدارها الأستاذ أحمد حبيب الصالح وحضرها حشد كبير من الأهالي وخاصة من شريحة الشباب.

وتحدث سماحة الشيخ الصفار ضمن محاور الندوة عن أهمية مرحلة الشباب، وضرورة أن يستفيد الشاب منها لصناعة مستقبل أفضل، وذلك بالاجتهاد في الدراسة وتحصيل العلم، وبالتثقيف الذاتي وكسب الوعي والمعرفة، وفي تنمية القدرات وبناء الكفاءات، مركزًا على الدور الاجتماعي، بأن يأخذ الشباب دور الريادة في العمل التطوعي لخدمة مجتمعهم.

وحذر الشيخ الصفار الشباب من الاستجابة للإغراءات الشهوانية، التي تنزلق بالشباب نحو هاوية الشقاء، كما أكد على ضرورة حسن الاختيار لثلة الأقران، حتى لا يقع الشاب ضحية ثلل فاسدة.

ودعا الشيخ الصفار العائلة للاهتمام بأبنائها؛ لأن انشغال الوالدين عن رعاية الأبناء وتوجيههم والانفتاح عليهم غالبًا ما يكون سببًا لضياع الأبناء.

كما أهاب الشيخ الصفار برجالات المجتمع لدعم برامج تستوعب الشباب، وقيام

مؤسسات تحتضنهم، كالأندية الرياضية واللجان الدينية والثقافية.

وأجاب الشيخ الصفار عن كثير من الأسئلة التي وجهت إليه حول موضوع الندوة، حيث امتد وقت الندوة لما يقارب الساعتين، وحضرها عدد من المشايخ الفضلاء، منهم: الشيخ محمد القطان، الشيخ محمد سعود الحمضة، الشيخ حسن بو خمسين، الشيخ محمد عبدالرزاق الصالح، الشيخ عبدالخالق الحاجي، الشيخ توفيق بو خضر.

وفي نهاية اللقاء قدم الأستاذ أحمد هلال البوحسن عن الأهالي درعًا تذكاريًا لسماحة الشيخ الصفار تكريمًا واحتفاءً بزيارته للبلدة.







٧

الشيخ العطية يتحدث عن تجربته في الحوار والعلاقة مع الآخر

بحضور نخبة من رجالات الدين والمثقفين والناشطين الذين اكتظ بهم مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار قال الشيخ محمد عطية: «إن الحوار والتواصل مع الآخر هو خيارنا الذي اخترناه لحل مشاكلنا وتعزيز وحدتنا والدفاع عن معتقداتنا وخدمة أبناء مجتمعنا».

مضيفًا، إن السعي إلى التعايش مع أبناء وطننا فيه الخير الكثير والمكاسب الكبيرة على المستوى الاجتماعي والوطني.

ونوّه العطية في ثنايا الندوة التي أقيمت مساء الأربعاء ١٦ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠/١/٢٠١١م في محافظة القطيف إلى أن الحوار هو أنجع الوسائل لحل المشكلات البينية ودفع الشبهات ودحض الافتراءات ومنع العنف والحدّ من سيطرة الفكر الأحادي.

مؤكدًا، على ضرورة التمسك بالحوار الذي يمكننا من التعايش سويًا، داعيًا لتجنب الجدال الذي يسجل فيه كل طرف نقاطًا على الآخر.

وإن الحوار الذي ننشده لا يؤدي بنا إلى التنازل عن ثوابتنا، وإنما هو لخلق مساحة مشتركة مع الآخر، على حدِّ تعبير العطية.

وقال الشيخ العطية المقيم في جدة منذ عقدين من الزمن «من خلال التجربة أدركنا بأن الحوار مع أبناء وطننا هو السبيل الأمثل للتعاون وتجسيد الوحدة الوطنية على الأرض».

مشيرًا، إلى أن الكثير من المنتديات والصوالين الثقافية في جدة ومكة والمدينة تواقة لاستضافة الشيعة، للتعرف على آرائهم حول الإشكالات المثارة حولهم، ولترسيخ الوجود الوطني لكافة الطوائف والمذاهب.

مطالبًا المجتمع السعودي بقبول التعددية الفكرية والمذهبية، قائلًا: «طالما أننا نعيش في وطن واحد فلا خيار لنا إلا أن نقبل بعضنا بعضًا وأن نتعايش سويًا مهما كانت درجة الاختلاف بيننا».

شيعة جدة مع نهج الحوار والانفتاح

وأشار العطية ضمن كلمته إلى أن الاتجاه العام والغالب لدى شيعة جدة اليوم، هو الدفع باتجاه الحوار لحل مشاكلنا، وتعزيز وحدتنا، والدفاع عن معتقداتنا، وإن المشاركة في برامج الحوار الوطني هي استجابة فعلية لنداء الوطن الذي يدعونا لأن نقول ما لدينا بصراحة تامة، وبشفافية مطلقة، ليسمع الجميع ما نقوله دون خوف وخشية.

ونوّه العطية بدور الشيخ الصفار قائلًا: «إن الشيخ الصفار لم يقصّر معنا وقدم العون والخدمة لنا وأسدانا بالنصائح الثمينة لمواجهة المشكلات التي تعترينا، ونيابة عني وعن أهل جدة أقدم الشكر الجزيل لسماحته على ما بذله من جهود مثمنة، ونصائح ثمينة، ولا أغفل عن توجيه الشكر أيضًا لكل من ساندنا وتواصل معنا من الإخوة المهتمين بخدمة المجتمع».

مضيفًا، يكفي الشيخ الصفار فخرًا أنه وضع أرجلنا على الخطوة الأولى للحوار، ونقلنا من دائرة التقوقع داخل المجتمع الواحد إلى الحوار مع الآخر، فكان له الفضل

في تجسير العلاقة مع مجموعة من النخب الكريمة، من أساتذة الجامعات والأطباء والشعراء والأدباء والعلماء والكتاب في المنطقة الغربية.

وأكد العطية على أننا بالحوار أجبنا عن الكثير من الشبهات، وعززنا العلاقة مع إخواننا المواطنين، وصرنا نستقبل التعازي من بعض إخواننا السلفيين في مصاب الإمام الحسين، وهذه بعض ثمار التواصل والانفتاح.

ومن خلال تداخلنا مع إخواننا السنة لمسنا رغبة حقيقية وصادقة من أكثرهم في مدّ جسور التواصل معنا، ولا بُدّ لنا من استثمار هذه الفرصة في إيضاح صورتنا الحقيقية، بحسب العطية.

وقال العطية: إن إخواننا السنة في المملكة يعتبون علينا ويطالبوننا بالتواجد الدائم في منتدياتهم، ليسمعوا آراءنا، ووجهات نظرنا حول الكثير من القضايا والإثارات، لذا ينبغي أن نسجل حضورنا في تلك المحافل، إن كنا نريد فعلًا خدمة مذهبنا وطائفتنا ودحض تلك الافتراءات.

وأشار العطية في محاضرته إلى أن التعددية المذهبية في المملكة أضحت في أروقة الحوار الوطني والمنتديات الأهلية سمة بارزة، على عكس ما كان عليه الحال قبل تدشين مشروع الحوارالوطني من قبل خادم الحرمين الشريفين.

الحوار ليس عصًا سحرية لحل كافة المشكلات

إن الحوار ليس عصًا سحرية لحل جميع مشاكلنا العالقة، كما أنه ليس وسيلة لإضاعة الحقوق أو التخلي عن الثوابت كما يتصور البعض، وهذا ما أكد عليه خادم الحرمين الشريفين (أعاده الله إلى ربوع الوطن سالمًا) بعدما أسس مركز الحوار الوطني حيث قال: إنه لم يكن يريد من خلاله حل المشاكل كلها، وإنما وضع الخطوة الأولى لحل مشكلة كبيرة أهم عناوينها القطيعة بين أبناء الوطن الواحد، بحسب العطية.

مضيفًا، لا ينبغي تحميل منتهجي الحوار أشياء فوق طاقتهم، كما لا ينبغي التخلي

عن الحوار حين العجز في حلّ المشكلات لأن الحوار قيمة بحدّ ذاته.

وأشاد الشيخ العطية بالمنتديات الثقافية التي تبنت ترسيخ فكرة الحوار، وإشراك المختلفين فكريًا ومذهبيًا ومناطقيًا، كمنتدى المكية للمهندس سامي عنقاوي، واثنينة معالي الشيخ عبد المقصود خوجة الشهيرة، وكذلك ملتقى معالي الشيخ الدكتور محمد عبده يماني رحمه الله.

وقال: «صحيح أن الحوار الوطني الذي احتضن كافة المكونات المذهبية تم في أروقة المؤتمر، إلا أنه ساهم بشكل ملحوظ في شيوع ثقافة الحوار بين المختلفين في المملكة، حتى باتت الملتقيات الثقافية الأهلية كمنتدى الروضة في جدة تحرص على ضم ومشاركة أتباع جميع المذاهب في المملكة».

وذكر العطية «إن مؤتمر الحوار الوطني يُعدّ فرصة تاريخية لا ينبغي تفويتها، كي لا يكون مكاننا شاغرًا، بل علينا استغلال هذه الفرصة لإيصال ما لدينا إلى القاضي والوزير والموظف والمسؤول، وإذا كنا لا نستطيع الوصول لصاحب الشأن فإن المشاركة ستمكننا من إيصال ما نريده إليه».

مضيفًا، «إن دول العالم التي تقدمت فيها الحريات لا زالت تتجدد فيها الأزمات مع أن الحوار يحتل فيها مكانة راقية، فالحوار ليس هو سبب أزمات تلك الدول ولا ينبغي التعامل معه بهذه الصورة».

انفتاح الشيعة على السلفيين حفزهم على الحضور في مجالسهم

وأشاد العطية بمشروع الحوار الوطني والجهود التي يبذلها الشيعة في سياق تجسير العلاقة قائلًا: إن تلك الجهود شجعت العديد من الشخصيات السنية السلفية على التواصل مع الشخصيات الشيعية، والحضور في مجالسهم في القطيف والأحساء والمدينة وجدة وغيرها.

وقال «لو افترضنا جدلًا بأن الحوار لم يحقق لنا في الوقت الراهن أية مكاسب ولكنه

سيحقق للأجيال اللاحقة بعضًا منها، فلا ينبغي التوقف عنه، بل ينبغي الاستمرار فيه والصبر على نتائجه وآثاره المرجوة».

وذكر العطية، إنه لمس من خلال مشاركته في الحوار الوطني الأخير في جدة الذي كان بعنوان (القبلية والمناطقية والتصنيفات الفكرية أثرها على الوحدة) تجسيدًا رائعًا للوحدة الوطنية، وذلك حينما آثر الأستاذ محمود الصباغ بدوره لي لأتم مداخلتي التي لم أستطع إكمالها بسبب الخلل الذي تم في التوقيت الممنوح لي أثناء مداخلتي، حيث قال: أنا أتبرع بوقتي للعطية تضامنًا مع الوحدة الوطنية والمذهبية، وقد أشارت صحيفة عكاظ لهذه الحادثة.

ويعلق العطية قائلًا: إن مثل هذه الدلائل تبين لنا بأن هناك فرصة كبيرة لتجسيد الوحدة والتعايش على الأرض، فلا ينبغي تفويت هذه الفرصة الذهبية، وأن معظم الشيعة اللذين شاركوا في جلسات الحوار الوطني تركزت مشاركاتهم على حقوق الطائفة وعلى الأخوة الوطنية.

منوّهًا، إلى أن بعض إخواننا السنة ومنهم سلفيون ينزعجون حينما نزورهم في مجالسهم وبيوتهم بدون زينا الديني، وكانوا يطالبونا بأن نلبس زينا الديني ليكون وجودنا طبيعيًا بينهم، وهذا ما حدث لي شخصيًا حينما زرت زملاء سلفيين في مواقع عملهم سبق وأن شاركوا معنا في أكثر من محفل ومنتدى.

بعض الكتب المسيئة للشيعة هي رد فعل على الإساءات

وأشار العطية إلى أن بعض ردات فعل إخواننا السنة المتمثل في إصدار بعض الكتب المسيئة للشيعة، جاءت كرد فعل لسلوك بعض الشيعي المسيئين لرموز السنة، التي تهاجم أئمة المذاهب السنية، منوّهًا أننا ندعو للألفة ونؤكد على التعايش والوحدة واحترام رموز إخواننا السنة مهما اختلفوا معنا.

وأسف الشيخ العطية لبروز الدعوات المنادية بالحوار الشيعي الشيعي في بعض

الأزمات، والتي لا تتجسد على الأرض قائلًا: «هناك دعوات قدمت لتأسيس مجلس شيعي ولكن سرعان ما تلاشت تلك الدعوات بعد هدوء الأزمات»، مضيفًا «نحن الآن في أمسّ الحاجة إلى أن نتحد فيما بيننا لنكون صورة طيبة لانتمائنا لأهل البيت».

ودعا العطية أصحاب المنابر الشيعية قائلًا: «أدعو الكتّاب والمؤلفين وأصحاب المنابر واليوتيوبات ووسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمكتوبة أن يجعلوا قضايانا وطنية، وأن يطالبوا بها من منظار وطني لا بمنظار طائفي، إننا مواطنون علينا واجبات، ولنا حقوق، فلنطالب بحقوقنا ضمن المنظومة الوطنية».

المداخلات:

١- الكاتب والباحث خالد النزر

وفي مداخلته يرى الباحث التاريخي خالد النزر أنه من الأفضل للشيعة أن يبرزوا للآخرين كما هم قائلًا: «ليس من صالحهم الادّعاء بأنهم يمثلون وحدة واحدة والحال هو خلاف ذلك».

٢- رئيس المجلس البلدي جعفر الشايب

وقال رئيس مجلس البلدي جعفر الشايب «من خلال علاقاتنا مع الناشطين والمثقفين في أنحاء مختلفة من البلاد نلحظ أن هنالك استعدادًا كبيرًا للانفتاح على الشيعة وأن أكثر من زاروا القطيف يثنون على ما شاهدوه من فعاليات وأنشطة وانفتاح ورغبة في التواصل من قبل الشيعة مع الآخر».

مضيفًا، إن هذا التحول نحو الانفتاح لم يأت من فراغ وانما جاء نتيجة جهود كبيرة بذلت في هذا المجال، وأن سماحة الشيخ حسن الصفار هو رائد منهج التواصل والانفتاح، والداعم الأول لكل تلك المبادرات والجهود.

ولفت الشايب إلى أن نهج التواصل والانفتاح على الآخر في بداياته رافقته حالات من التشكيك والتخوف والقلق ولكن الوضع اليوم تغير، مشيرًا إلى أن التفاعل الشعبي

مع مختلف مبادرات التواصل والانفتاح التي يقوم بها الشيعة تؤكد سلامة هذا النهج.

وقال الشايب «إن أغلب الشخصيات الاجتماعية والثقافية والوطنية في المملكة يثمنون مبادرات وجهود الشيخ الصفار التي تصبّ في اتجاه ترسيخ الوحدة ومدّ جسور التواصل مع كافة أبناء الوطن الواحد.

وإن مساعي التواصل مع الشخصيات السلفية في المملكة ستخفف من حدة المواقف المتشنجة تجاه الشيعة إذا استمر التواصل، بحسب الشايب.

وثمن المهندس الشايب الأنشطة التي يقوم بها سماحة الشيخ محمد العطية في جدة، داعيًا إلى مأسسة هذه الأنشطة ليكون أثرها أكبر في تعزيز الاندماج الوطني، ومدّ جسور التواصل مع كافة أبناء الوطن.

وطالب الشايب الكتّاب والمثقفين باقتراح موضوعات وطنية تلامس هموم المجتمع السعودي، لتناقش في أروقة الحوار الوطني بدلًا من القضايا الثانوية.

٣- الاعلامي فؤاد نصر الله

وأشار راعي ملتقى حوار الحضارات الإعلامي الأستاذ فؤاد نصر الله إلى وجود حالة من التململ من موضوعات الحوار الوطني، معللًا أن بعضها تحول إلى أشبه بالحوارات الجانبية، وبعيدة كل البعد عن الموضوعات الجادة التي تأسس من أجلها الحوار الوطني بقيادة خادم الحرمين الشريفين، الذي أكد على تعزيز الوحدة الوطنية وجمع كل المذاهب والتوجهات في لقاءات حميمية تضع الحلول المناسبة.

واتفق نصر الله ضمنيًا مع ما نوّه إليه الشيخ محمد العطية، مضيفًا أن مشروع الحوار الوطني خلق حراكًا اجتماعيًا وثقافيًا ووطنيًا هامًا وهو خطوة نحو التغير المرتقب، بإذن الله، مثنيًا على جهود سماحة الشيخ حسن الصفار في الدفع باتجاه الحوار الشيعي السني، واصفًا إياها بالخطوات الهامة والجريئة.

وطالب نصر الله التركيز على مشروع الحوار الشيعي الشيعي، معتقدًا أن اللحظة والظروف مؤاتية لذلك، داعيًا الاستفادة من تجربة المجلس الشيعي الأعلى في لبنان

الذي دعا إليه السيد المغيب موسى الصدر، مجددًا الدعوة لسماحة الشيخ الصفار باتجاه تأسيس مجلس شيعي يضم كافة المثقفين والعلماء والنشطاء في المنطقة.

إن ما يجري في الساحة، بحسب توصيف نصر الله، هو خلاف غير صحي وليس اختلافًا نابذًا الخلاف.

٤- الكاتب والباحث محمد الشيوخ

وقال الكاتب والباحث الاجتماعي محمد الشيوخ «إن الحوار الشيعي السلفي أو الحوار الشيعي السني ليس بديلًا عن الحوار الشيعي الشيعي كما أنه ليس بالضد منه أبدًا».

مشيدًا، بدور الشيخ محمد العطية الذي أصبح «ملاذًا» للطلبة والطالبات والموظفين الشيعة في محافظة جدة، والشيعة يثمنون لسماحته تصديه لمشاكلهم، وتفاعله مع قضاياهم، وملامسته لهمومهم.

ولفت الشيوخ قائلًا: «إننا ومن خلال قراءتنا لخطاب سماحة الشيخ حسن الصفار وتواصلنا الدائم معه، لم نلحظ أنه تخلى ولو للحظة واحدة عن هذا الهم، أو انكفأ عن هذا الدور، أو اكتفى بالحوار الشيعي السني، أو الشيعي السلفي، بل كان يحث ويدعو الجميع دائمًا لتعزيز حالة التواصل والتشاور والحوار الداخلي، وسيرته العملية هي خير برهان على ذلك».

وطالب الشيوخ بعدم اقتصار الحوار الوطني على النحب الفكرية والوطنية، قائلًا: «إن نخبة المجتمع السعودي تجاوزت مرحلة تلمس مكاسب الحوار وأهميته، ولا أظن أن هنالك مثقفًا سعوديًا واحدًا يرفض الحوار أو يتنكر لفوائده»، داعيًا إلى ضرورة تشجيع أبناء مجتمعنا في هذه المرحلة على الاندماج والانفتاح على محيطهم.

٥- سماحة الشيخ حسن الصفار

وأكد سماحة الشيخ حسن الصفار في مداخلته وقوفه إلى جانب كل المساعي

والجهود التي تبذل للحوار الداخلي، موضحًا أن الساحة لا زالت بحاجة إلى المزيد من النضج لتتجاوب كل الأطراف مع الجهود والمساعي المبذولة في هذا الاتجاه.

ودعا الصفار العلماء والفضلاء الذين يرون أنفسهم أكفأ من غيرهم في تبيين وجهة نظر المذهب وأقدر على الحوار مع الآخر، دعاهم إلى خدمة المذهب والطائفة من خلال الحوار والتواصل.

وقال الشيخ الصفار «لم يعد كافيًا للعالم الشيعي في هذا العصر وفي هذه الظروف الاكتفاء بدراسة العلوم الدينية في الحوزة العلمية، وإذا لم يطّلع رجل الدين على الآراء الموجودة في الساحة التي يعمل فيها، ولم ينفتح على العلوم الحديثة، لن يكون جديرًا بالقيام بدوره الاجتماعي والتوعوي على أكمل وجه».

وفي الوقت الذي طالب العلماء بالانفتاح على الآخرين لما له من الأثر الكبير في خدمة الشيعة، قال الصفار: «إنني أثمن أدوار الآخرين المختلفة في خدمة الطائفة، وكذلك أقدر وجهات النظر المتباينة»، داعيًا لأن يكون التقدير والاحترام هو سيد الموقف بين طلبة العلم.

ونوّه الصفار، إلى أن رجل الدين المنفتح على فكر وثقافة الآخر سيكون فكره أكثر سعة ونضجًا.

وأشار الصفار إلى أن أئمة أهل البيت وصحبهم الكرام انفتحوا على الملاحدة والزنادقة، وكانوا يناقشونهم ويحاورونهم دون خشية ووجل، وهكذا الحال بالنسبة لكبار علمائنا، وهذا هو الوضع الطبيعي.

قوة مذهبنا تظهر في دعوته للانفتاح

وقال الشيخ الصفار: «الذين يطالبون دعاة التواصل والحوار بالإنجازات، ينبغي مساءلتهم عن منجزاتهم وما الذي جناه المجتمع من الانطواء والانكفاء».

وعلّق الصفار على الذين يرون الانطواء سبيلًا إلى الحصانة، وأن الانفتاح قد

يفقدهم ثوابتهم، علق قائلًا: إن هذا الطرح ينم عن ضعف ثقة بالذات والمذهب.

مضيفًا، إن قوة مذهبنا تظهر في دعوته للانفتاح والحوار مع الآخر وليس العكس، والمنتمي للتشيع لا يتوجس ولا يرتاب من الحوار والانفتاح والتواصل مع الآخر، بل لا تراوده مثل هذه الهواجس أبدًا.

وناشد الصفار المتوجسين من الانفتاح بالقول عليهم أن يدركوا جيدًا أن التواصل مع الآخر يعدّ فرصة ثمينة، ويعبر عن قوة، وأن بعض كبار علمائنا درسوا عند علماء السنة كالشيخ المفيد، بل أن الذي سماه بالمفيد هو أستاذه السني، كما ورد في سيرته وترجمته، كما ان المرجع السيستاني حفظه الله هو الآخر ذكر في أحد لقاءاته أنه درس عند الشيخ الرواي من علماء السنة.

الشيخ العطية أضحى أكثر قدرة على خدمة مذهبه ووطنه

وأشاد الشيخ الصفار بمواقف الشيخ محمد العطية وأدواره وانفتاحه قائلًا: «بعد أن انفتح الشيخ على الآخرين ارتقت طروحاته، وأصبح أوسع إدراكًا وفهمًا لحاجات الناس، وأكثر قدرة على خدمة مذهبه وأبناء طائفته ووطنه».

وفيما يتعلق بالحوار حتى مع المتشددين قال الصفار: «إن التواصل معهم بغية تغيير وجهة نظرهم، وإزالة الالتباس من أذهانهم حيال المذهب وأتباعه أمر مطلوب، وهو ما يجب أن يحصل أيضًا».

وفي ختام مداخلته أثنى الشيخ الصفار على جهود الشيخ محمد العطية قائلًا: «المجتمع بحاجة إلى رجالات دين أمثال الشيخ العطية ليقوموا بأدوارهم، ويتحملوا مسؤولياتهم في كل مناطق المملكة، ليخدموا طائفتهم ومذهبهم ووطنهم، من خلال مدّ جسور العلاقة مع الآخر، سيما أن الآخر لديه الرغبة في الانفتاح والتواصل».

٦- الشيخ حسين الراضي

وفي مداخلته قال الشيخ حسين الراضي: «هنالك مواطنون سعودين كثر لايعرفون

عن إخوانهم الشيعة السعودين شيئًا، وهم متعطشون لمعرفتنا، ولا سبيل لتعريفهم بأنفسنا إلا بالحوار، ولقد التقيت فضلاء من القصيم في الحرم المكي وبادروني بالسؤال عن الشيعة ومصادرهم ومؤلفاتهم وكتبهم معتقداتهم».

مضيفًا، ينبغي الانفتاح على إخواننا السنة والحوار معهم، ونحن نمقت الخلاف الشيعي السني خصوصًا إذا كان مصدره العلماء.

وقال الراضي: «ينبغي لنا أن نقدم مدرستنا وفكرنا للآخر بما يتناسب مع أخلاقياتنا وأظن أن بعض الهفوات في داخل المدرسة تضر بصورة التشيع».

وعطفًا على ما تفضل به سماحة الشيخ حسن الصفار وتأكيدًا لكلامه قال الشيخ الراضي، إن علماءنا الكبار على مرّ التاريخ كانوا غير منكفئين، بل كانوا منفتحين على الآخر، إلى درجة أنهم يستدلون بروايات أهل السنة في بعض مباحثهم، كالمحقق صاحب الشرائع الذي كان يقدم استدلالاته ببعض روايات أهل السنة ويأخذ بمضامينها أيضًا.

وفي ختام اللقاء الذي أداره الأستاذ زكي البحارنة، والذي أكد فيه جميع المشاركين على أهمية الحوار والانفتاح والتعايش وتعزيز الوحدة والطنية، قدم الشيخ محمد عطية شكره الجزيل للشيخ حسن الصفار قائلًا: إن سماحته كان سباقًا في الاهتمام بقضايانا ومساعدتنا ولم نجد منه إلا الخير، داعيًا له بالصحة والمزيد من التوفيق.

يشار إلى أن الشيخ محمد العطية من مواليد القطيف، زاوج بين الدراسة الأكاديمية والحوزوية، وهو حاصل على عدة إجازات من المراجع الكرام، وبالإضافة إلى ذلك هو عضو في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، وقد شارك مؤخرًا في لقاء الحوار الوطني الذي عقد في جدة يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٢-٢٣/ ١/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٨-٢٩/ ١٢/ ٢٠١٠م.









٧

القرضاوي: تربطني بالصفار علاقة طيبة

أبان العلامة الشيخ يوسف القرضاوي أن بينه وبين الشيخ حسن الصفار علاقة طيبة، ومراسلات.

جاء ذلك ضمن لقاء أجرته معه جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م، وقد سُئِلَ عن علاقته بالمشايخ في السعودية، وعن علاقته بالشيخ سلمان العودة، والشيخ حسن الصفار.

وقد أجاب عن الأخير بقوله: «بيني وبينه علاقة طيبة، والتقيت به مؤخرًا في قطر، وأرسلت إليه رسالة شكر عندما استنكر موقف الرجل الكويتي الذي تجرأ على السيدة عائشة رضي الله عنها».

وفي جواب الشيخ القرضاوي إشارة إلى لقائه سماحة الشيخ الصفار في قطر، عندما زارها الشيخ الصفار مشاركًا في مؤتمر الاجتهاد في الخطاب الإسلامي «نحو خطاب إنساني متجدد» الذي نظمته كلية الدراسات الإسلامية بمؤسسة قطر بالاشتراك مع جامعة قطر يومي الأحد والاثنين ١٢-١٣/ ٥/ ١٤٣١هـ الموافق ٢٥-٢٦/ ٤/ ٢٠١٠م، وكانت كلمة سماحة الشيخ الصفار بعنوان: تجديد خطاب الوحدة.

كما أن به إشارة إلى الرسالة التي أرسلها شاكرًا له على موقفه من الفتنة، موضحًا أنه: «وقد سرّنا والله ما اطلعنا عليه من تصريحاتكم الرصينة، تعليقًا على ما قام به من لا خلاق له»، خاتمًا «فشكر الله لكم، وجزاكم خيرًا».

وفيما يلي نص رسالة الشيخ القرضاوي:



٣ شوال ١٤٣١هـ
١٢ سبتمبر ٢٠١٠م

سماحة الشيخ الأخ الكريم العالم الجليل حسن الصفار حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

أرجو أن تكونوا والأسرة الكريمة ومن تحبون بخير وعافية في دينكم ودنياكم.

وقد سرنا والله ما اطلعنا عليه من تصريحاتكم الرصينة، تعليقا على ما قام به مَن لا خلاق له، من الإساءة إلى خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، بالإساءة إلى أم المؤمنين عائشة أحب زوجاته إليه بعد خديجة رضي الله عنها في بلاد الغرب، في الوقت الذي تحظر فيه المآذن، ويمنع فيه النقاب، بعد منع الحجاب، ويراد أن يحرق المصحف، ويساء إلى نبي الإسلام، وإلى عقيدة المسلمين، وبدل أن يقوم المسلمون بالتعريف بدينهم ونبيهم وبيته وآله وصحبه، قاموا بعمل - كما وصفتموه - مشبوه، غاية في القبح والمهانة.

وإن التقريب بين الفرق الإسلامية يحتاج إلى مثل ما قمتم به، يحتاج إلى الأفعال لا الأقوال، وإلى المواقف الجادة لا إلى المجاملات على حساب الحق، وإلى أن يقوم عقلاء كل قوم برد سفهائهم إلى جادة الصواب.

فشكر الله لكم، وجزاكم خيرا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يوسف القرضاوي

يوسف القرضاوي

رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

٧

الشيخ الصفار: وجود المريض بين عائلته هو الأفضل والتنويم في المستشفى عند الحاجة

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في اللقاء الذي نظمته إدارة مستشفى القطيف المركزي بالتعاون مع ٢٠ لجنة ومؤسسة اجتماعية من مختلف مناطق المحافظة.

أقيم اللقاء الصحي الاجتماعي الأول في قاعة المحاضرات بالمستشفى. وهدف اللقاء كما جاء في تقرير نشرته جريدة اليوم (١٣/ ٣/ ١٤٣٢هـ) إلى تفعيل الشراكة بين المؤسسات الحكومية والاجتماعية وتعريف المجتمع المحلي ببرنامج الزيارات المنزلية «الطب المنزلي» ولتوضيح البرنامج الذي يطبقه المستشفى منذ شعبان العام الماضي.

وقد شكر الشيخ الصفار في مداخلته إدارة المستشفى لاهتمامها ببرنامج الطب المنزلي، ولعقد اللقاء مع الفاعليات الاجتماعية، داعيًا إلى توعية العوائل والأسر بأن تحرص على رعاية مرضاها، وألّا تلقي العبء على المستشفيات بإبقاء المريض فيها إلا بما تدعو إليه الحاجة، لأن وجود المريض بين عائلته أفضل له من الناحية النفسية، وأبعد عما قد يحدث في المستشفى من انتقال العدوى عبر الجراثيم والميكروبات، ولأن ذلك يعزز حالة التراحم والتعاطف الأسري.

أما إذا اقتضت حالة المريض التنويم في المستشفى فذلك ما ينبغي المبادرة إليه.

كما دعا الشيخ الصفار إلى تفعيل العلاقة بين المؤسسات الصحية والفاعليات

الاجتماعية لدعم برامج المستشفى، ولمعالجة ما قد يجده الأهالي من ملاحظات وثغرات في أداء المؤسسات الصحية.

وقال مدير مستشفى القطيف المركزي الدكتور كامل العباد إن برنامج الزيارات المنزلية باشر عمله بمريض واحد منذ انطلاقته في العام ١٤٣٠هـ وبدأ يتوسع إلى أن وصل العدد اليوم إلى ١٢٠ مريضًا من مختلف مناطق المحافظة، منوّهًا إلى أن البرنامج شارك فيه عند انطلاقته ٦ مختصين واليوم ارتفع إلى١٢ مختصًا بينهم طبيب.

وقال الدكتور حسن الفرج المدير الطبي بالمستشفى: إن الطموح في هذه الشراكة كبير جدًا ونحن واثقون من مؤسساتنا في تفعيل وإنجاح البرنامج، منوّهًا إلى أهميته لكونه يقوم بتقديم الرعاية الصحية الشاملة والمستمرة بجودة متكاملة للمريض في مكان إقامته، في إطار القيم الإسلامية والعادات والتقاليد المحلية، من خلال فريق صحي مدرب لتكون جزءًا مكملًا للرعاية الصحية.

وركز الفرج على عملية الجودة في تقديم الخدمات الطبية للمستفيدين، وتقديم الراحة لهم، مبينًا أن البرنامج يخدم عددًا كبيرًا ومتنوعًا من الحالات المرضية، بينهم كبار سن، ومن يصعب عليهم القدوم للمستشفى، والمصابون بأمراض مزمنة وغيرها.

وأوصى المجتمعون بتشكيل لجنة مشتركة تضم في عضويتها أعضاء من الجمعيات الخيرية بالمحافظة وتدريبها لتتحقق الشراكة الاجتماعية بين البرنامج والمجتمع.

وشارك في اللقاء ١٤جمعية خيرية، وشخصيات اجتماعية، ومدير مستشفى صفوى العام، ومدير مستشفى عنك، وعدة جهات ولجان ومؤسسات فاعلة في المجتمع بلغ عددها ٨ لجان.

في زيارته لمركز زهور المستقبل للتدريب والتأهيل

٧

الشيخ الصفار: مساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة من أصدق وأجلّ أعمال الخير

استقبل مركز زهور المستقبل لتدريب وتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة من البنين والبنات، بجمعية تاروت الخيرية للخدمات الاجتماعية، عصر يوم الثلاثاء ١٢ ربيع الأول ١٤٣٢هـ سماحة الشيخ حسن الصفار بمقر المركز ببلدة الربيعية بجزيرة تاروت، بحضور أعضاء وعضوات المركز.

وقد استهل اللقاء بتوجيه مقرر لجنة ذوي الاحتياجات الخاصة شفيق آل سيف عن أنشطة المركز، وما يحويه من أقسام وفصول، وما يقدمه من خدمات تعليمية للطلاب والطالبات في الفترتين الصباحية والمسائية، مشيرًا إلى أن المركز يقدم الرعاية الاجتماعية والأكاديمية صباحًا ودروس تقوية عصرًا. كما تحدث آل سيف عن برنامج صعوبات التعلم الذي يقدمه المركز لفئة الطلاب الذي يعانون من صعوبات في النطق والتعلم.

ثم ألقى سماحة الشيخ حسن الصفار حفظه الله كلمة توجه فيها بالشكر الجزيل للدور الكبير الذي يضطلع به المركز، والجهد المبارك الذي يبذله منسوبوه من أعضاء وعضوات الإدارة، والمعلمين والمعلمات في تدريب ذوي الاحتياجات الخاصة من الجنسين، من أبناء جزيرة تاروت وخارجها، والذي له أثر طيب في تشجيع ثقافة العمل الخيري، خصوصًا فيما يتعلق بخدمة فئة أبناء الإعاقات وذوي الاحتياجات الخاصة.

وأشار سماحته إلى طبيعة ابتلاء مجتمعنا بالمصابين بالإعاقات والأمراض، وأن

عمل المركز يكرس مفهوم الصبر على الابتلاء، وتطوير القدرات، وتقديم ما يمكن تقديمه للأسر المبتلاة بهذه الفئة من الأبناء. وذكر بأن أعمال الخير آفاقها متنوعة، مؤكدًا أن مساعدة هذه الشريحة من أصدق أعمال الخير، وليس فقط مساعدة الفقراء والمعوزين.

وتحدث سماحته عن ضرورة استجلاب الدعم من الجهات الرسمية في الدولة فيما يتعلق بمنشآت المعاقين، مشيرًا إلى أنه زار شخصيًا مجمع الأمير سلطان بن عبد العزيز لتأهيل المعاقين بالدمام، والتقى مدير المجمع الدكتور عبد الله بن رشيدان المغامس الذي أوضح بأن كلفة تأسيس هذا المشروع الضخم كان من الدولة بالدرجة الأولى، ومن دعم أهل الخير ورجال الأعمال بدرجة ثانية.

وأهاب بكل القائمين على المركز بتوصيل رسالتهم التعليمية إلى أقصى مدى، مشجعًا إياهم بنقل صوت المركز إلى المجتمع في المناسبات العامة، وبذل الجهد في التواصل مع أهل الخير ورجال الأعمال، لدعم المركز وتقديم ما يمكن تقديمه .

وأشاد سماحته بمدير المركز الخطيب شفيق آل سيف وتواصله الطيب والمستمر حتى وفقنا الله لزيارة المركز. وتمنى سماحته بتخصيص يوم من أيام عشرة المحرم لجمع التبرعات لصالح ذوي الاحتياجات الخاصة أسوة ببقية المشاريع واللجان الاجتماعية العاملة بالجمعيات الخيرية.

جال سماحته مع أعضاء مجلس الإدارة ومنسوبي ومنسوبات المركز على أقسام المركز، حيث تعرف على الفصول التعليمية ملتقطًا بعض الصور التذكارية مع الطلاب.

وختم سماحته زيارته الطيبة بتدوين كلمة شكر وتقدير في دفتر زيارات ضيوف المركز، ومتمنيًا لمركز زهور المستقبل لتأهيل ذوي الاحتياجات الخاصة كل التوفيق والنجاح في مسيرته الخيرية والخدمية.

الشيخ الصفار: تسمية المسجد جامعًا لأنه يجمع الناس على المحبة والخير[1]

بحضور سماحة السيد علي السيد ناصرالسلمان والشيخ حسن الصفار والشيخ فوزي السيف والشيخ يوسف المهدي وجمع من العلماء والمثقفين والناشطين ورجالات المجتمع بالمنطقة افتتح مساء الأربعاء ١٩/ ٣/ ١٤٣٢هـ في مدينة سيهات جامع الرسول الأعظم الواقع بحي غرناطة تبركًا بذكرى ميلاد منقذ البشرية النبي الأكرم ﷺ وحفيده الإمام الصادق عليه السلام.

وبدأ الحفل بآيات من الذكر الحكيم، تلتها قصيدة للشاعر حسين الشافعي، بعدها ألقى قيُّوم الجامع الحاج محمد أحمد اليوسف كلمة إدارة الجامع، بعد ذلك قدم الأديب الشاعر السيد هاشم الشخص مقطوعتين شعريتين.

وصل بعدها إلى محطة الكلمة الطيبة مع الشيخ حسن الصفار الذي تحدث عن أهمية المساجد وانعكاس دورها على المجتمع، مشيرًا سماحته إلى أن تسمية الجامع جاءت من جمعه للناس واحتضانهم، وبث الأخلاق والمبادئ والمثل التي جاء بها الرسول الأكرم وآل بيته الأئمة الأطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

كما امتدح سماحته إمام الجامع الشيخ جعفر داوود الذي عرف عنه قدرته على

(١) شبكة راصد الإخبارية.

استقطاب الشباب من خلال عمله بمركز الشباب المسلم بأمريكا، ودوره في العناية والاهتمام بأبنائنا الطلبة المبتعثين هناك، متمنيًا له التوفيق والسداد وأن يلتف المؤمنون حوله، والاستفادة من علمه ليحقق الجامع أهدافه وتطلعات المؤمنين.

قدمت بعدها فرقة الإمام الحسن بالقطيف أنشودة رائعة في حق الرسول الأعظم . لتأتي بعدها لحظة الوفاء لثلاثة من الرواد من أبناء سيهات الذين ساهموا في خلق ثقافة دينية وأخلاقية من خلال المسجد والمنبر الحسيني فكانت البداية مع الشيخ محمد علي بن الشيخ عبد المجيد الشيخ جعفر إمام وخطيب جامع الإمام المهدي عجل الله فرجه.

كما شمل التكريم السيد مرتضى شبر من خطباء المنبر الحسيني في سيهات.

وشمل التكريم أيضًا رائد المنبر الحسيني في سيهات الملا أحمد خميس إمام وخطيب مسجد الإمام علي.

وقد تشرف الجميع بتسلّم الدروع التذكارية من يد سماحة السيد علي السيد ناصر السلمان الذي أشاد بالمكرمين الثلاثة ودورهم الريادي في نشر علوم أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، وهي لفتة كريمة من القائمين على التكريم، وشرف أن ينتخب لتكريم هؤلاء الرواد.

هذا وقد أقيم على هامش الاحتفال معرض منبر وخطيب الذي يُعرِّف بسير خطباء المنبر الحسيني بسيهات ونتاجهم الثقافي والأدبي، كما يؤرخ لتاريخ الحسينيات وأبرز نشاطاتها وخطبائها فكان المعرض إضافة ثرية لبرنامج الافتتاح.

الشيخ الصفار يناقش هموم وتحديات الابتعاث[1]

(لا شك أن الابتعاث حلم جميل طالما راود أبناءنا وبناتنا.. بل راودنا نحن أيضا آباء وأمهات...)

بهذه الكلمة افتتحت نائبة مديرة منتدى النور الثقافي النسائي كلمتها الترحيبية بسماحة الشيخ حسن الصفار في اللقاء الأول للمبتعثات الذي أقامه المنتدى مساء السبت الموافق ٢٣ من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٢هـ.

وقد ألقى الشيخ كلمته التي ركز فيها على أهمية دور المرأة في المرحلة المقبلة التي تشهد تحولات كبيرة، وإصلاحات واسعة على مستوى العالم العربي بشكل خاص، الأمر الذي سينعكس على مجتمعاتنا، وستتحمل المرأة جانبًا كبيرًا منه، وهذا الدور يتطلب منها الاستعداد للمرحلة الجديدة.

وأكد سماحته أن على أبنائنا وبناتنا المبتعثين أن يتهيأوا لمستقبل أفضل.

وحول الهموم والتحديات التي تواجه المبتعثين والمبتعثات بشكل خاص، أوضح الشيخ الصفار أن أبرز هذه التحديات تتلخص في:

١. صدمة الانتقال إلى عالم جديد: فالطالب والطالبة اللذان كانا يعيشان ضمن

---

(١) اللقاء الأول للمبتعثات بمنتدى النور الثقافي النسائي بصفوى.

أجواء محافظة، فجأة ينتقلان إلى عالم من الحريات واللاقيود قد يصاب المبتعث فيها بالصدمة والانبهار، بل قد تصل إلى الانهيار التام للقيم والتقاليد ، والعاقل هو من يستحضرعقله وتفكيره ليرى نقاط القوة فيستفيد منها، وفي نفس الوقت عليه أن ينبذ نقاط الضعف ويتجنبها، و يحولها إلى ما يصقل شخصيته، ويستنهض حالة التحدي وقوة الإرادة لديه.

وأشار سماحة الشيخ أن في الغرب درجة من المحافظة على القيم والقوانين الأخلاقية، تفوق ما هو عندنا في الدول العربية، كالتحرش الذي يعتبر هناك جريمة كبرى مهما انخفضت درجته، ومن كانت لديه القابلية على الانجراف في بلد الابتعاث فهو قابل للانجراف في وطنه، والعكس صحيح، بالنسبة للشاب والشابة ذوي الطبيعة المحافظة، وهذا ما يجب أن نراهن عليه.

وأضاف سماحته إن نسبة الالتزام والانضباط عند بناتنا أكثر من الشباب، بل وأكثر قوة في مواجهة تحدي الغربة والمغريات والظروف الصعبة، وهذا عن تجربة حقيقية نقلتها الكثير من المبتعثات، مما يدل على أصالة التربية في مجتمعاتنا.

وأوضح الشيخ الصفار: إن المرأة في مجتمعنا تتحرك من جانبها الأنثوي، وتغفل الجانب الإنساني في علاقتها مع الرجل، وهذا سببه الظروف والأجواء المجتمعية وبالأخص الفصل الكامل بين الجنسين. مما يشعر المرأة بالحاجة للاعتماد على الرجل، والقلق الدائم في حال كونها وحدها، بينما في المجتمعات التي لا يوجد فيها هذا الفصل بين الجنسين، فإن المرأة تتحرك من خلال إنسانيتها، وليس من خلال أنوثتها، فهي أكثر قدرة في الاعتماد على نفسها.

٢. تحدي العلاقات الاجتماعية: وقد تحدث الشيخ تحت هذا العنوان عن مبادرات جيدة تقوم بها المبتعثات في مقر الابتعاث، ونتوقع منهن المزيد من الاهتمام ببنات المجتمع، والتواصل معهن بالخير، وعقد اللقاءات والجلسات، وقيام الفاعليات والأنشطة المختلفة، كنوع من التواصل

والحضور الاجتماعي مع بعضهن.

٣. تحدّي الانفتاح على المجتمع الأجنبي: وأوصى فيه سماحة الشيخ الصفار إلى ضرورة عدم الانكفاء على الذات، ومدّ جسور التعارف والعلاقات بالآخر في إطار المحافظة على القيم.

وقد توالت المداخلات على سماحته، من بينها تساؤل إحداهن عن البرنامج المقترح الذي ينبغي أن نهيئ به المبتعثات والمبتعثين الجدد؟ فأجاب الشيخ: بأنه من الأفضل أن يتم تعريفهم بقوانين وأنظمة البلد التي سيغادر إليها، والقيم السائدة فيها، وأن يستمعوا إلى تجارب أشخاص سبقوهم بالدراسة فيها، وحبذا الانتظام في ورش عمل ودورات في هذا المجال وخصوصًا في الأحكام الشرعية المتعلقة بهذا الجانب.

وعن كيفية التعامل مع الشاب الذي عاد إلى أهله بفكر جديد، وثقافة جديدة، ويحاول أن يفرضها على أهله ، ردّ الشيخ الصفار: إن علينا أن نفسح المجال لهؤلاء الشباب ونتقبل أفكارهم الجديدة والغريبة علينا ما دامت لا تتعارض مع الدين؛ لأنهم هم من سيقود شعلة التغيير في المستقبل.

وحول ما إذا كان الشيخ يؤيد استقرار الشاب بعد دراسته في بلاد الغربة؟ أجاب سماحة الشيخ: إنه إذا كان الاستقرار دون هدف ولا رغبة في النمو والتطوير فلا أؤيد، لكن إذا كانت رغبة الاستقرار مرتبطة بهدف النمو المعرفي أو العلمي أو الاقتصادي فما هو المانع في ذلك؟

وتساءلت إحدى الأمهات عن الكيفية التي يمكن بواسطتها تعويد فتياتنا على استحضار الجانب الإنساني عند تعاملها مع الرجل؟ فأوضح سماحته: بأن هذا الأمر خاضع للظروف والتقاليد الاجتماعية، ومع ذلك فإن الفتاة يمكنها أن تفرض احترامها على من تتعامل معه، ومنع الرجل من التمادي وتجاوز حدوده معها، ولهذا ينبغي لها أن تكون متنبهة جيدًا لمن يحاول الاستغلال والظهور بمظهر خادع، وقد رأينا نماذج مشرفة لنساء محترمات في مواقع الاختلاط توقف الرجل عند حدّه، ولا تسمح له بأن

يتمادى في سلوكه وحديثه معها.

وقد أوصى الشيخ الأمهات الحاضرات بضرورة التواصل مع أبنائهم المبتعثين والمبتعثات، لكي نبقي حلقة الضبط القيمي واللاأخلاقي حاضرة في نفس الطالب والطالبة، وهذا الأمر أصبح متوفرًا الآن في عصر التكنولوجيا والاتصالات على تنوع أشكالها وصورها.

وفي نهاية المداخلات تقدمت إدارة المنتدى بالشكر لسماحة الشيخ حسن الصفار على تشريفه للمنتدى وقبوله الدعوة على الرغم من مشاغله الكثيرة، وسلمت المديرة نسيمة السادة درعًا تكريميًا لسماحته، وملفًا تعريفيًا بأهم إنجازات المنتدى.

وقد أبدت الحاضرات ارتياحهن باللقاء، وأوضح بعضهن أن كلمة الشيخ أزاحت همًّا كبيرًا من القلق عن نفوسهن.

يذكر أن المنتدى استضاف في بداية اللقاء مبتعثة ومبتعثًا عن طريق برنامج المحادثة الصوتية سكاي بي skype في حوار مباشر عن أوضاعهما في بلد الابتعاث، والصعوبات التي واجهت كلًّا منهما في بداية البعثة.



٧

الشيخ الصفار: النبي ﷺ صنع شراكة فعلية بين أبناء القبائل مقياسها الكفاءة

قال سماحة الشيخ حسن الصفار إن أرض الجزيرة العربية تحققت فيها أروع وحدة مجتمعية بين القبائل التي كانت تعيش الاحتراب وذلك على يد الرسول الأكرم ﷺ.. مشيرًا إلى أن المنهج الإلهي هو الذي حقق ذلك الانسجام ليؤكد أن «الوحدة المصطنعة لا تنجح».

جاء ذلك خلال لقاء مفتوح أقامه منتدى حوار الحضارات بمحافظة القطيف بإدارة الدكتور فؤاد السني، مساء الخميس ٢/ ٦/ ١٤٣٢هـ الموافق ٥/ ٥/ ٢٠١١م بعنوان (الاندماج الوطني) وحضره حشد كبير من مثقفي مختلف مناطق المملكة وبرعاية الإعلامي السعودي فؤاد نصرالله.

وأضاف الشيخ الصفار بأن الإسلام صنع هوية مشتركة، فقد كانت هناك هويات قبلية، ولم يلغ الإسلام تلك الهويات، ولم يطلب من أحد التنازل عن انتمائه، بل أوجد إطارًا جامعًا لكل تلك الهويات، هوية يعيش في ظلها الجميع قيمًا مشتركةً، وقانونًا واحدًا، ونظامًا للحقوق والواجبات يتساوى أمامه الجميع.

وذكر سماحته: أن الإسلام رسخ ثقافة الوحدة والتسامح، حيث ركز على المشترك الإنساني، فكلكم لآدم وآدم من تراب، والناس سواسية كأسنان المشط، ليؤكد نبذ كل ثقافة تثير العصبية، فليس منا من دعا إلى عصبية، وأشار إلى مسألة الشراكة الفعلية

ففي سيرة الرسول نجد أن السفراء والقضاة وأمراء الجيوش وولاة المناطق من كافة الانتماءات، والمقياس فيها هو الكفاءة.

وأكد أننا جميعًا نريد لبلادنا أن تعيش وحدة حقيقية بين كافة فئاتها، ولا يتحقق ذلك إلا إذا تساوى الجميع أمام قانون واحد، وحينما تكون الثقافة المنتجة عبر مناهج التربية والتعليم والمنابر الدينية ووسائل الإعلام ترسخ ثقافة التسامح التي تصون وحدة المجتمع.

مضيفًا «إذا كانت هناك فئات تشعر بالغبن فيجب أن يكون رد فعلها واعيًا، ولا يتحول مشروعها إلى مشروع خاص، ينحرف عن المشروع الوطني العام».

كما شارك في اللقاء كلٌّ من: الأستاذ محمد سعيد طيّب، الدكتور عبدالرحمن العصيل، الدكتور محمد العسكر، الأستاذ عقل الباهلي، الشيخ موسى أبو خمسين، المهندس منسي حسون، الأستاذ علي المستنير، الأستاذ حسن مطيع النخلي، الأستاذ زكي أبو السعود، امتثال ابوالسعود، عزيزة آل عبدالله، د. فوزية العيوني، ندى الزهيري.

حضر اللقاء جمع من رجال الدين والنخب المثقفة والناشطين، منهم: الدكتور توفيق السيف، الشيخ محمد آل عطية، السيد طاهر الشميمي، الشيخ حسين الصويلح، الشيخ محمد الصفار، الأستاذ علي الدميني، الدكتور عدنان الشخص، الشاعر محمد سعيد الخنيزي، سطام زيتون الخالدي، الحاج عبدالمحسن السلطان، د. حسن البريكي، د. محمد الفضل، السيد شرف السعيدي، منصورسلاط ، د. خديجة الربعان، المهندس سعيد الخباز.

العمل التطوعي ركيزة للمجتمع المتماسك[1]

سوسن البوسعيدية

لماذا العزوف عن العمل التطوعي، في الوقت الذي أصبحنا في حاجة ماسة اليه، وأصبح ضرورة اجتماعية لمدّ يد العون للآخرين؟ من الملاحظ أن فئة الشباب هم الأكثر عزوفًا عن ذلك، وأصبح التطوع منحصرًا على فئة بعينها ، فهل مرجع ذلك إلى الصعوبات والعراقيل التى تواجه المتطوع؟ أم أنها ترجع إلى انشغال الشباب بأمور أخرى يختلف العمل التطوعي من مجتمع إلى آخر باختلاف شكله واتجاهاته .

فالكثير منا لا يعرف معنى العمل التطوعي وأهميته كركيزة أساسية لبناء مجتمع متماسك اجتماعيًا، كما أنه دليل على تقدم الأمة واتساع ثقافتها ومدى الإدراك والوعي فيها ، كما أن فلسفة التطوع ذاتها تعكس روح الإسلام بما يحمله من معاني الخير والعمل الصالح والإنساني، وليس التطوع مجرد حب الظهور أو للوجاهة الاجتماعية.

وفي كتاب «العمل التطوعي في خدمة المجتمع» أشار المؤلف سماحة الشيخ حسن الصفار إلى أهمية العمل التطوعي، وكيفية تشجيع الناس عليه في مجتمعنا، ومردوده الإيجابي على الفرد والمجتمع، وما هي أسباب العزوف عن هذا العمل الخيِّر، وما هو وضع العمل التطوعي في المجتمعات الإسلامية، وهذه قراءة موجزة

---

(١) جريدة عمان العمانية الصادرة يوم السبت ١٤/ ٥/ ٢٠١١م الموافق ١١/ ٦/ ١٤٣٢هـ.
عرض لكتاب (العمل التطوعي في خدمة المجتمع) للشيخ الصفار.

لفصوله الثلاثة :

الفصل الأول: العمل التطوعي في خدمةالمجتمع :

لا شك في أن لكل إنسان مسؤولية تجاه شؤونه الخاصة، بعدها سيكون مسؤولًا عن عائلة يرعى شؤونها، ولأنه جزء من المجتمع فهومعني بالشأن العام: الاجتماعي المحلي، والإنساني العالمي. هذا ما يشيرإليه المؤلف، ويؤكد بأن الإنسان مؤهل وقادرللقيام بهذه المسؤوليات في دوائرها المتعددة، وهذا ما يثبته الواقع وتاريخ البشرية في الماضي والحاضر. ولكن لن يكون الإنسان كذلك إلا بالوعي والإدراك، والتحلي بإرادة التصدي، وبذل الجهد والنشاط.

ثم يشير المؤلف إلى أسباب العزوف عن العمل التطوعي التي يذكر منها: الاستغراق في الحالة الذاتية، وتعدد الاهتمامات والانشغالات، وذلك لتطور طبيعة الحياة العصرية، وأخيرًا العوائق التي تعترض العمل التطوعي سيما في مجتمعات العالم الثالث، كالقوانين غير المشجعة، والروتين، والمواقف السلبية من قبل بعض الناس تجاه العاملين في خدمة المجتمع.

ولكن يبقى للعمل التطوعي نتائج ومكاسب، إذا أدركها الإنسان استسهل كل الصعوبات، كما يؤكد على ذلك المؤلف، ويذكر من تلك النتائج والمكاسب:

- الراحة النفسية بقضاءحوائج الناس.
- تنمية القدرات الذهنية ومهارات ومؤهلات سلوكية تزيد من نقاط قوة الشخصية.
- اتساع دائرة العلاقات والحصول على مكانة اجتماعية.
- توفير ضمان مستقبلي للحالات الطارئة لأبناء المجتمع،
- الثواب العظيم من الله عزّ وجلّ.

ثم أشار المؤلف إلى ضعف الإقبال على العمل التطوعي في مجتمعاتنا، مقارنة بالدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية، التي بلغ عدد مؤسساتها الخيرية ٣٢٠٠٠ مؤسسة والمتطوعون ٣٠٪ من سكان أمريكا، حسب بعض الإحصائيات.

ويقول سماحته آسفًا: «يفترض أن تشهد مجتمعاتنا الإسلامية إقبالًا على العمل التطوعي الاجتماعي أكثرمن المجتمعات الغربية، لما في تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف من حث كبيرعلى نصرة المظلومين، ومساعدة الفقراء، وخدمة المحتاجين، حتى اعتبر القرآن الكريم ذلك مقياسًا لصدق التديّن».

مشيراً إلى قلة انضمام عناصر جديدة لإدارات المؤسسات الخيرية في مجتمعاتنا، ومن يحضر انتخابات الجمعيات الخيرية يلحظ ذلك، وكذلك ضعف رفد لجانها ومجالات عملها بالطاقات والكوادرالتي تطور مسيرة العمل.

رافضًا تعذر بعض الناس بانشغالاتهم الدراسية والعملية والعائلية، مؤكدًا أن الأمر يحتاج إلى الشعور بالمسؤولية، وطلب رضا الله وثوابه، وتنظيم الوقت، وإلا فإن العاملين فعلًا في المؤسسات الخيرية، ليسوا خالين من الالتزامات، ولا عاطلين عن العمل.

وفي الفصل الثاني من الكتاب الذي جاء بعنوان المجتمع واليتيم يقول سماحته:

من الأمور المهمة والملحة في مجتمعاتنا، رعاية الأيتام. ويوصي المؤلف كل يتيم بتقبل الأمر، والتسليم بقضاء الله وقدره، وألّا يشعر بالنقص في قيمته عند ربه، فاليتم لا يدل على الدونية، وضعة المقام عند الله، حيث يذكر التاريخ أن كثيرًا من أولياء الله الصالحين كانوا أيتامًا، وكفى بمحمد خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخرين، مثلًا.. وقد أشار المؤلف إلى أهمية كفالة اليتيم وعظيم ثوابها، كما ورد ذلك عن رسول الله وأئمة أهل البيت عليهم السلام. مشيرًا إلى دور لجان كافل اليتيم وأهميتها، حيث عملها مؤسسي ويلفت الآخرين لهذه الفئة من الناس ويشجع على رعايتهم، كما أن فيها طمأنة للأيتام بوجود من يتابع شؤونهم، كما يتوافر فيها الكفاءات وتبادل الخبرات. مذكرًاهذه

اللجان بالاهتمام برفع كفاءة الأيتام، وتقدمهم على صعيد التعليم وبناء القدرات والمهارات والتوجيه السلوكي.

وتكلم في الفصل الثالث عن التزويج والمساعدة على الزواج حيث يقول: لتوفير أجواء العفة والاحتشام، لصيانة أخلاق وأعراض المجتمع، يوجه الله تعالى المؤمنين إلى تزويج عزابهم، من الذكور والإناث ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ولأن من يريد تأسيس حياة عائلية في بداية مشواره يحتاج إلى دعم وعون مادي ومعنوي في غالب الأمر، فإن الله تعالى يوجه المجتمع إلى تزويج العزاب.

كما أنه يصح التزويج من الزكاة، وعن طريق البذل والصدقة، وهذه الموارد تحتاج إلى مؤسسة لتوجيه المصارف، مشيرًا إلى أهمية صندوق الزواج الخيري، لمساعدة المحتاجين للزواج، واعتبره أفضل أسلوب لتحقيق هذا الأمر، لما فيه من تنظيم، ودراسة حالة المحتاجين، بالإضافة إلى احتوائه على ميزات العمل الجماعي.

مؤكدًا على أهمية التفاعل والتجاوب مع هذا الصندوق وإيجاده في كل منطقة، لما في ذلك من مصلحة ومنفعة كبرى للمجتمع.

٧

الطائفية أفيون العرب[1]

حسين زين الدين

السياسة والدين مفردتان تتحكمان في المجتمعات الإنسانية، وخصوصًا حين توظف السياسة في استغلال الهويات الفرعية، لتكريس الشعور بالتفوق والتعالي عند فئة ما، والإحساس بالغبن والحرمان عند الفئة الأخرى. في هذا السياق، يندرج كتاب «الطائفية بين السياسة والدين» لرجل الدين السعودي الشيخ حسن الصفار. في مقدّمة كتابه الصادر عن «المركز الثقافي العربي»، يقول الصفار إنّ المشكلة الطائفية تجد وقودها في عنصرين رئيسين: سياسي وديني. يعتمد العنصر الأول على سياسة التمييز الطائفي بين المواطنين وتشجيع حالات الصراع المذهبي، بينما يتمثّل العنصر الآخر في نهج التعبئة المذهبية، والتحريض على الآخر.

ويرى الصفار أنّ الثقافة التعبوية كرست حالة من القطيعة والتباعد النفسي والعاطفي بين أتباع المذاهب المختلفة، فأصبحت كل طائفة كيانًا اجتماعيًا مستقلًا. ويبيِّن أنَّ الثقافة الدينية السائدة مشبَّعة في طرحها المذهبي، إلى درجة صارت تمتلك تراثًا ضخمًا من الجدل المذهبي الذي يبدو عصيًا على أي نقد ذاتي مفترض. يؤكّد الكتاب أنّ معظم القيادات السياسية في عالمنا العربي والإسلامي لا تحمل أكثر من

---

(١) جريدة الأخبار اللبنانية الصادرة يوم الجمعة ٢٧ أيار ٢٠١١م، العدد: ١٤٢١.
عرض لكتاب (الطائفية بين السياسة والدين) للشيخ الصفار.

همّ بقائها في سدة الحكم والنفوذ. هي لا تجد نفسها معنية بمشاريع التغيير والتطوير الحضاري. ويرى المؤلّف أن دعاة الوحدة والتقريب، صاروا كمن يسير عكس تيار العواطف والمشاعر، «ويواجهون اللعبة السياسية القذرة التي تريد تفتيت الأمة، وتمزيق وحدة أوطانها، منطلقين في دعوتهم من باعث ديني شرعي، ومن إخلاصهم واهتمامهم بمصلحة الإسلام والأمة، وإصلاح خلل العلاقة بين أتباع المذاهب».

في مقابل ذلك، يتحدث الصفار، الشيعيّ المذهب، عن ازدواجية الخطاب عند بعض النخب، موضحًا أن هذه الازدواجية تضعف صدقية اللقاءات الحوارية الوحدويّة. فقد استقرّ في أذهان الجماهير العربية انطباع سلبي عن اللقاءات والمؤتمرات التي تتكرر بنحو رتيب بين الزعماء والوزراء والعلماء والمثقفين، ثم تقف عند إصدار البيانات، من دون أن تحقق شيئًا من آمال الناس وتطلعاتهم.

رغم ذلك، يبدو الصفار في كتابه متفائلًا بأن تتجاوز الأمة العربية في هذا العصر حالات الصراعات المذهبية. وما يعزز تفاؤله أكثر «بروز المزيد من الأصوات التي تدعو إلى الحوار والتقارب بين أبناء الأمة، على اختلاف مذاهبهم من السنة والشيعة، وترفض منحى التكفير والتهريج وتبادل الاتهامات».



مكتب الشيخ الصفار يكرم منظمي ملتقى ذوي الاحتياجات الخاصة بالقطيف[1]

كرّم مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار الخميس ٢٩/ ٦/ ١٤٣٢هـ القائمين على تنظيم ملتقى ذوي الاحتياجات الخاصة الأول بالقطيف، الذي أقيم مؤخرًا برعاية محافظ القطيف عبد الله العثمان، وذلك على مدى يومين بعنوان (نحو شراكة مجتمعية فاعلة لتأهيل البيئة الآمنة لذوي الإعاقة)، بقاعة الملك عبد الله بن عبد العزيز الوطنية بالقديح.

وحضر حفل التكريم بالإضافة للشيخ حسن الصفار كل من مدير مكتب التربية والتعليم بالقطيف عبد الكريم العليط، ومدير مدرسة ذات الصواري بالقطيف الدكتور عباس الخاطر، بالإضافة للداعمين والمساهمين في إقامة الملتقى وعدد من معلمي التربية الخاصة المكرمين.

وألقى مدير اللجنة المنظمة للملتقى الدكتور عباس الخاطر كلمة بالمناسبة شكر من خلالها الشيخ الصفار والقائمين على التكريم، هذه المبادرة وإتاحة الفرصة لإبراز الدور الذي يقام لهذه الفئة من المجتمع.

وألقى الشيخ حسن الصفار كلمة أشاد فيها بإقامة مثل هذه الملتقيات، مشيرًا إلى أن ذوي الاحتياجات الخاصة هم جزء من مجتمعنا البشري، لكن الله سبحانه وتعالى

(١) شبكة التوافق الإخبارية.

ابتلاهم بهذا المرض وهو امتحان لهم في نفس الوقت، مضيفًا أن عددًا كبيرًا من العلماء والعباقرة هم كانوا من هذه الشريحة، لكن الإعاقة لم تمنعهم من التقدم والإبداع.

وأضاف الشيخ الصفار «في الماضي كانت بعض المجتمعات تتخلص من المعاق، ولاحقًا صاروا يعزلونه، وفي بعض المجتمعات يحتقرونه، حتى بعض الأسر تخفي معاقها خجلًا! لكن الآن ومع تطور العلم والثقافة صار الاهتمام بالمعاقين أكثر، فبالإضافة إلى النظرة الحانية عليهم، صاروا يدمجونهم في المجتمع كالمدارس العامة، ولهم قوانين ونظم خاصة، واهتمام بطاقاتهم. وأصبحت أوضاعهم تدرس وتبحث وذلك لكثرة المعاقين في العالم».

وشدد الصفار على أهمية إتاحة الفرصة لذوي الاحتياجات الخاصة للمشاركة والعطاء، تتجاوز مرحلة الإشفاق عليهم إلى مرحلة العطاء والإنجاز، فلا أحد يضمن ألّا يكون معاقًا، فهو قضاء وقدر.

وطالب الشيخ الصفار بإقامة لجان وملتقيات أخرى تهتم باحتياجات المجتمع، كلجنة تهتم بوضع السجناء في البلد.

وقال «إن وجود منظمات ترعى مثل هؤلاء الناس وتهتم بشأنهم، فهم إما أبرياء، أو اعتقلوا بسبب شبهة، وبعضهم قد يكون هو ربّ تلك الأسرة ومعيلهم، فتقوم هذه اللجان برعايتهم والاهتمام بهم وبأسرهم أيضًا».

كذلك طالب الصفار بالاهتمام بفئة الشباب وخصوصًا ونحن مقبلون على فترة الصيف، حيث تحدث فيها بعض الممارسات، ووجود مثل هذه الملتقيات التي تهتم بهم، وتحاول حل مشاكلهم بسبب فترة الفراغ التي ستنتج.

وألقي مدير مكتب التربية والتعليم بمحافظة القطيف الأستاذ عبد الكريم العليط كلمة شكر من خلالها للشيخ حسن الصفار اهتمامه بهذه الفئة والاعتناء بها، وبتكريم القائمين على الملتقى الأول بالقطيف.

٧

الصفّار يرصد حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي[1]

نايف كريري

صدر للباحث والمفكّر الشيخ حسن بن موسى الصفّار كتاب حمل عنوان «موقعية حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي»، في إضافة جديدة للصفار حول موضوع حقوق الإنسان الذي اهتم به وطرحه عبر عدد من كتبه السابقة.

والكتاب في أصله عبارة عن ورقة قدمها المؤلف للمؤتمر الثاني للهيئة العالمية للفقه الإسلامي المنعقد بعنوان «الفقه الإسلامي وتحديات العصر» في الفترة ١٥-١٦ ربيع الأول ١٤٣٠هـ بمدينة اسطنبول.

وتحدث المؤلف فيه عن ريادة القرآن الكريم في إعلان حقوق الإنسان، والتأسيس لمنظومة متكاملة من المبادئ والمفاهيم والإجراءات التي تقرر تلك الحقوق وتعزز تحقيقها وحمايتها، مستشهدًا بعدد من الآيات القرآنية، مستعرضًا نماذج من السنة النبوية في بعدها العملي المتمثل في الممارسة القيادية للرسول، حيث خلص المؤلف في نهايتها إلى أن سيرته تعدّ أفضل نموذج تطبيقي في تاريخ البشرية لمبادئ حقوق الإنسان.

---

(١) صحيفة المدينة الصادرة بتاريخ الأربعاء ٦/ ٧/ ١٤٣٢هـ - ٨/ ٦/ ٢٠١١م، العدد: ١٧٥٧٧.
عرض لكتاب (موقعية حقوق الإنسان في الفقه الإسلامي) للشيخ الصفار.

وفي محور «حقوق الإنسان في حياة الأمة» أشار المؤلف إلى الواقع السيئ للأمة الإسلامية، وانعكاس ذلك على الجانب الثقافي والمعرفي، وتأثير ذلك في الفقه الإسلامي، كتضخم أبواب العبادات في مقابل تقلص أبواب السياسات، وما يرتبط بالشؤون العامة للأمة، أو إلغائها من الدراسة والبحث الفقهي، أو خضوع بعض الفقهاء للواقع السياسي، وتشكل آرائهم الفقهية وفق هذا الواقع، ومثل لذلك ببعض ما جاء في كتاب الأحكام السلطانية للماوردي.

وعن أسباب القصور في الفقه الإسلامي تحدث المؤلف عن تأثير الجانب الذاتي وتسرب الذاتية في العمل الاجتهادي، وخصوصًا عند معالجة الواقع الاجتماعي، ناقلًا بتصرف ـ كما أشار ـ أربعة منابع لخطر الذاتية في الممارسة الاجتهادية، وذلك عن كتاب «اقتصادنا» للشهيد السيد محمد باقر الصدر، مشيرًا إلى تناول الشهيد المطهري هذه المشكلة في بحثه عن «الاجتهاد في الإسلام».

كما دعا المؤلف في كتابه للتنبيه إلى أن نقد الفقه الإسلامي ليس نقدًا للشريعة أو للدين ذاته، وإنما هو نقد لما استنبطه أو فهمه الفقيه، الذي هو جهد بشري يحتمل الصواب والخطأ. مشيرًا إلى أهمية ودور النقد في إثراء علم الفقه وأصوله، مؤكدًا عدم الاستهانة بجهود الفقهاء وإخلاصهم.

وفي المحور الأخير «حقوق الإنسان بين القرآن والفقه» خلص المؤلف إلى التفاوت الواضح والبون الشاسع بين مستوى الاهتمام القرآني بحقوق الإنسان وبين موقعتيها في الفقه الإسلامي، مرجعًا ذلك لخضوع نتائج العملية الاجتهادية للبيئة السياسية والثقافية في مجتمعات الأمة الخاضعة لواقع الاستبداد والتخلف، وإلى عدم مواكبة الفقه الإسلامي لتطور مسيرة حقوق الإنسان وتقدمها وتصاعد الاهتمام بها إعلاميًا وشعبيًا، حيث أشار المؤلف إلى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وملحقاته، التي لم تحظَ بدراسة علمية ناقدة تؤصل موادّه وفق موازين الفقه الإسلامي، وعدم تبني الفقهاء لحقوق الإنسان كعنوان لباب من أبواب الفقه، يبحثون فيه ما يرتبط

بجوانب هذه الحقوق من مسائل شرعية. مضيفًا بالإشارة إلى عدم مراجعة الفقهاء الفتاوى والآراء الفقهية التي يبدو منها التصادم مع ما أقرته المواثيق الدولية لحقوق الإنسان، على صعيد حرية المعتقد، والعلاقة مع الآخر الديني، وفي مجال الإدارة السياسية، وحول دور المرأة ومشاركتها العامة.

ونبّه المؤلف إلى عدم تجاهل بعض المبادرات التي قام بها بعض العلماء المفكرين، وانعقاد بعض المؤتمرات واللقاءات العلمية لمقاربة موضوع حقوق الإنسان على ضوء الشريعة الإسلامية والمهتمة بهذا الموضوع.

واتفق المؤلف في كتابه مع ما ذكره الشيخ حيدر حب الله في «فقه الجهاد في الإسلام» من أن الفقه الإسلامي، كسائر العلوم البشرية، يحتاج إلى إعادة هيكلة وتبويب كل فترة، لتستجيب لطبيعة التطورات من جهة، كما تدفع العلم نفسه نحو المزيد من الإنتاج. مشيدًا بالتجربة الرائدة للفقيه الراحل السيد محمد الشيرازي على هذا الصعيد، حيث أفرد في موسوعته الفقهية أجزاء لعناوين مستحدثة في البحث، مثل: فقه البيئة وفقه المرور وفقه العولمة وفقه الاجتماع وفقه السياسة وفقه الإدارة وغيرها.

وفي نهاية الكتاب تمنى المؤلف أن تضع الجهات العلمية والتعليمية والمراكز الدينية مقررًا لتدريس حقوق الإنسان ضمن برامجها الدراسية، وأن يشرع الفقهاء بتناول موضوع حقوق الإنسان في أبحاثهم العالية «بحث الخارج»، وأن تضم رسائلهم العملية فصلًا حول هذا الموضوع، وإعادة بحث المسائل الفقهية التي يبدو منها التعارض مع مواثيق حقوق الإنسان بجرأة وشجاعة، تلتزم ضوابط الشرع، وتتجاوز تحفظات الأجواء الفقهية السائدة والخاضعة لرأي السلف.



تم تكريمه في مكتب الشيخ الصفار

٧

الدكتور المحروس يتحدث عن حصوله على براءة اختراع باكتشافه الجديد[1]

قال الدكتور محمد المحروس الحائز مؤخرًا على براءة الاختراع في علوم الميكروبات الإكلينيكية وهندستها الجينية: إنه بدأ المشروع من خلال اكتشاف سلالة جديدة وهي سلالة تنتج مواد قاتلة للبكتيريا المغرضة وتحت ظروف قاسية جدًا، مضيفًا أنه اكتشف هذه السلالة بعد مسح الكثير من البكتيريا ومن مختلف الدول.

وقال المحروس خلال ندوة تكريمية أقامها له مكتب الشيخ حسن الصفار بالقطيف مساء الخميس ٢١ رجب ١٤٣٢هـ الموافق ٢٣ يونيو ٢٠١١م: «إن البروتين الجديد يمتاز بمقدرته على قتل البكتيريا العنقودية شديدة المقاومة للمضادات الحيوية الاعتيادية، إضافة لهذا فإن البروتين الجديد تفرزه بكتيريا من سلالة عنقودية جديدة، وأنه تمكن من تعريف جميع ما تحتويه من جينات وراثية».

وأكمل الدكتور المحروس القول: إن أساس البحث يرتكز على المُلاحظة في غرابة السلالة البكتيرية المسماة (السلالة العنقودية البكتيرية ٤٨٧) التي تفرز مادة نشطة ومانعة لنمو بعض الفصائل الممرضة خصوصًا تلك المسماة (السلالة العنقودية المكورة المقاومة للمضادات الحيوية) (MRSA)، حيث تكشف هذه المادة عن تأثيراتها (بعد إفرازها) فقط عند درجات حرارة تصل إلى ٥٥ مئوية.

---

(١) شبكة التوافق الإخبارية.

وتحدث المحروس عن المعاناة التي واجهته، وقلة الإمكانات في طريق تحقيق حلمه، إلا أن إصراره دفع به إلى تحقيق هذا الإنجاز، مؤكدًا على أن لدى كل إنسان طاقة إبداعية تحتاج إلى بعض الجهد في اكتشافها. مطالبًا بتشكيل مراكز بحثية متخصصة محلية، وتوفير الإمكانات التي تساعد الباحثين في التواجد في أوساط مجتمعهم ليسعدوا بخدمتهم.

وفي كلمة مقتضبة أشاد الشيخ حسن الصفار بالعلم الجديد الذي قدمه الدكتور المحروس، داعيًا له بالتوفيق والاستمرار في تقديم المزيد من الأبحاث والإبداعات لما يخدم البشرية.

ورأى الشيخ الصفار في أنموذج الدكتور المحروس دافعًا ومحفزًا لأبنائنا في خدمة البشرية عن طريق العلوم الطبيعية التي تحتاجها البشرية في كل مكان.

وكانت عدة مؤسسات علمية عالمية هنأت الدكتور آل محروس على حصوله على براءة اختراع لاكتشافه. كما قدمت جامعة مانشستر تهنئتها للباحث المتخصص في علوم الميكروبات الإكلينيكية وهندستها الجينية والأمراض المعدية على إنجازه، وقامت جامعة أوتاجو في نيوزلند وجامعة كينوز لاند في أستراليا بتهنئته.

يذكر أن آل محروس كرم في وقت سابق من قبل الملحقية الثقافية السعودية بالمملكة المتحدة وإيرلندا نظير جهوده العلمية. كما أن له باعًا طويلًا في مجال الاكتشافات وبراءات الاختراع في علوم الميكروبات الإكلينيكية وهندستها الجينية، وتم تكريمه مسبقًا من قبل مؤسسات علمية. والدكتور آل محروس حاصل على درجة الدكتوراه وعلى درجة عضو الهيئة الملكية البريطانية، ودرجة عالم إكلينيكي من الجمعية البريطانية للتخصصات الصحية، وعمل في مراكز أبحاث مُتعددة من ضمنها المستشفى الملكي بمانشستر، ودرس في جامعة مانشستر في مجال الجراثيم الإكلينيكية وهندستها الجينية.

وقد أدار الندوة الأستاذ عبدالله الثنيان وحضرها حشد من المستمعين والمستمعات.



كان خبيرًا في صناعة المحبة وإفاضتها على الناس

٧

الشيخ الصفار مؤبنًا الشيخ المعتوق

تحدث الشيخ حسن الصفار في مجلس عزاء الفقيد الراحل الحجة الشيخ محمد تقي المعتوق مساء يوم السبت ليلة الأحد ١ شعبان ١٤٣٢هـ الموافق ٣/ ٧/ ٢٠١١م في جامع المصطفى بحيّ التركية بالقطيف بحضور حشود من المعزين، مخصصًا حديثه بميزة عالية في شخصية الشيخ الفقيد، وهي بذل المحبة وإفاضتها على الناس من حوله، حيث كان مع جلالة قدره وكبر سنه، يتواضع للصغير والكبير، ويبدي الاحترام والتقدير للقريب والبعيد، ويتفقد كل من تعرّف عليه والتقى به، وكان مجلسه عامرًا بالزائرين من مختلف الطبقات والتوجهات، الذين يشدهم إليه إغداقه المحبة عليهم، والاسترسال في الحديث معهم، بتوضيح المعارف الدينية، ونقل القصص النافعة من تاريخ المجتمع، وسير المراجع والعلماء الأفذاذ، حيث كان الفقيد الراحل موسوعة من التاريخ والذكريات، وكان يتمتع بذاكرة حادّة لازمته إلى آخر عمره الذي قارب المئة عام.

وصنف الشيخ الصفار حالات علاقة الإنسان العاطفية مع محيطه الأسري والاجتماعي إلى ثلاثة أصناف:

١. الكراهية والعداء.

٢. البرود والجفاف.

٣. المحبة والمودة.

مشيرًا إلى مظاهر وآثار كل حالة من هذه الحالات الثلاث على شخصية الإنسان وأساليب تعامله وتعاطيه مع الآخرين.

واستشهد الشيخ الصفار بالكثير من النصوص الدينية التي توجه الإنسان إلى محبة الآخرين، وحسن العلاقة معهم، كقول رسول الله ﷺ: «رأس العقل بعد الإيمان بالله التحبب إلى الناس». وقول أمير المؤمنين علي ؑ: «أنفع الكنوز محبة القلوب».

وذكر الشيخ الصفار عددًا من الشواهد والقصص من سيرة الفقيد الراحل العلامة الشيخ محمد تقي المعتوق (١٣٣٦- ١٤٣٢هـ)، التي تؤكد أنه خبير بصناعة المحبة، واجتذاب القلوب، وأنه كان نبعًا فياضًا بالحب والحنان على من حوله، داعيًا الجميع للاقتداء بسيرته العطرة.

وكان الشيخ المعتوق قد التحق بالرفيق الأعلى يوم الأربعاء الماضي (٢٦ رجب ـ ٢٩ يونيو) وشيع مساء الخميس في موكب مهيب شاركت فيه مختلف شرائح المجتمع.



7

الشيخ الصفار: كيف نجذب القلوب لأهل البيت ﷺ؟

بدعوة من سماحة السيد محمد رضا السلمان إمام جامع الإمام الحسين بالمبرز شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في الاحتفال المقام في الجامع مساء يوم الأحد ١٥/ ٨/ ١٤٣٢هـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١١م.

وقد جاءت كلمة سماحة الشيخ الصفار حول واجب نشر محبة أهل البيت ، وعن الطرق الأفضل لجذب القلوب نحو أهل البيت.

وقد بدأ الحفل بقصيدة لسماحة السيد السلمان، ثم كلمة رحب فيها بسماحة الشيخ الصفار، جاء فيها: أترك المساحة لشيخنا الفاضل والمفكر المبدع الخطيب الذي لا يشقّ له غبار، لنستفيد من نفحاته.

وقد جاءت كلمة سماحته على محاور ثلاثة، محاولًا من خلالها الإجابة عن سؤال (كيف نحبب أهل البيت للناس؟)، طالب في المحور الأول أن يكون أتباع أهل البيت أنموذجًا جاذبًا للآخرين، وفي المحور الثاني تحدث عن نشر معارف أهل البيت بين الناس، وفي المحور الثالث أكد على حسن التخاطب والتعامل مع الآخرين.

هذا وقد بدأ الشيخ الصفار محاضرته بحمد الله وشكره على نعمة الولاء لأهل البيت ، مؤكدًا أن هناك فريضة موازية هي امتداد لفريضة المودة، وهي فريضة نشر محبة أهل البيت في المجتمع، إذ لا يكفي أن تكون محبًا لأهل البيت، وإنما عليك أن

تنشر محبتهم بين الناس.

وقال: النصوص الواردة عن أهل البيت، تشير إلى أن على الإنسان المؤمن أن يكسب محبة الآخرين إلى أهل البيت، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: «يا معشر الشيعة إنكم قد نسبتم إلينا، كونوا لنا زينًا، ولا تكونوا علينا شينًا»، وعنه (عليه السلام): «إياكم أن تعملوا عملا نعيّر به، فإن ولد السوء يعيّر والده بعمله»، وعن الإمام العسكري (عليه السلام): «اتقوا الله وكونوا زينا، ولا تكونوا شينا، جرّوا إلينا كلّ مودة وادفعوا عنا كل قبيح». ورواية أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام): «رحم الله عبدًا استجر مودة الناس إلى نفسه وإلينا»، وجاء في حديث آخر: «حببونا إلى الناس ولا تبغّضونا إليهم».

مشيرًا سماحته إلى أن النصوص كثيرة في هذا المجال، وهي تركز على أن الشيعي ينبغي أن يستقطب الآخرين إلى محبة أهل البيت، وفيها تحذير أيضًا من التسبب في تنفير الآخرين وابتعادهم عن أهل البيت.

وحول سؤال: كيف نحبب الناس لأهل البيت، قال سماحته: إن هناك عوامل ثلاثة، هي:

الشيعي النموذج

العامل الأول: أن يكون أتباع أهل البيت أنموذجًا مشرقًا جاذبًا، فالناس عقولهم في عيونهم، الناس ينظرون إلى النظريات والمدارس والعقائد من خلال الأتباع، فإذا كان الأتباع في وضع حسن وجاذب، انجذب الناس إليها، فسلوك أتباع أهل البيت وواقعهم كأفراد وكمجتمع يجب أن يكون في أفضل وضع، من حيث التلاحم الداخلي، والسلوك العام، وفي مختلف الجوانب والجهات، ونحن نعلم أن كثيرين قد أقبلوا على مدرسة أهل البيت من خلال ما رأوا من مواقف جهادية واستقامة والتزام عند أتباع هذه المدرسة.

نشر المعارف

العامل الثاني: نشر معارف أهل البيت، فالعالم يجهل أهل البيت، ونحن بحاجة إلى أن نكتب وننشر وننشئ فضائيات تخاطب العالم من خلال وعيهم ولغتهم وعقولهم لنعرفهم بأهل البيت وبمدرستهم.

لا ينبغي لنا أن نشعر بأننا قد أدينا الواجب إذ نحتفل بليلة النصف من شعبان، أو نحتفل بعاشوراء في داخل مجتمعنا ونؤوب إلى بيوتنا، ونستلقي على فرشنا، ونردد: الحمد لله، قمنا بالواجب تجاه أهل البيت، هذا جزء من الواجب وليس كل الواجب تجاه أهل البيت، فالواجب «حببونا إلى الناس» وانشروا علومنا بين الناس «فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»، إن إيصال فكر أهل البيت ومناهجهم ومعارفهم للعالم مسؤوليتنا جميعًا، ولن يسامحنا التاريخ إن قصّرنا في ذلك، فالناس بحاجة إلى هذا المعين النقي، ولهذه المعارف الربانية.

حسن التخاطب والتعامل

العامل الثالث: حسن التخاطب والتعامل مع الناس: فإن منهج القرآن التربوي يأمر الإنسان المسلم بأن يخاطب الآخرين بالخطاب الحسن ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، و﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، نحن مطالبون بالتخاطب مع الآخرين بالخطاب الإنساني والعلمي المعرفي، ولا يصح لنا أن نستجيب للمتطرفين الذين يحاولون جرنا إلى التطرف، لا يصح لنا أن نقع في الفخ؛ لأن «كل إناء بالذي فيه ينضح»، إذا كانوا يشتمون ويكفّرون فهذا ما في إنائهم، أما نحن فنغرف من إناء آخر، إناء مدرسة أهل البيت ، مدرسة القيم والأخلاق الرفيعة، مدرسة ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، لذلك ينبغي أن يكون خطابنا وأسلوبنا، كما كان أئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم الذين كان خطابهم وسلوكهم القرآن الكريم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾، وهذا ما يركز عليه

أهل البيت في حديثهم، يجب أن نوصل إلى الناس جواهر وثراء هذه المدرسة، وذلك لا يكون إلا بحسن التعامل مع الناس، والدفع بالتي هي أحسن.

وختم الشيخ الصفار حديثه بالإشارة إلى ما يجري في العالم، وكيف أن الشعوب في كل مكان تشعر بالظمأ، وتشعر بالمعاناة، وسياط الظلم أصبحت تتلوى على ظهور أبناء الشعوب في مختلف البقاع والأماكن، لذلك تتجه القلوب والعقول تطلعًا وبحثًا عن العدل والحرية والكرامة، وسيكون تحقيق ذلك على المستوى العالمي على يد المنقذ الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.







مكتب الشيخ الصفار يكرم منظمي مهرجان القراءة للطفل

كرّم مكتب سماحة الشيخ حسن الصفار مساء يوم الخميس ٢٠ شعبان ١٤٣٢هـ الموافق ٢١ يوليو ٢٠١١م القائمين على تنظيم مهرجان القراءة للطفل الأول بالقطيف، الذي أقامه نادي الطفل الثقافي بالقطيف، خلال شهر أبريل الماضي بالتعاون مع مدارس الخط الأهلية بالقطيف تحت شعار (الكتاب أمتع).

وبعد آيات عطرة من القرآن الكريم تحدث الأستاذ أمين الصفار نيابة عن نادي الطفل الثقافي بالقطيف، مقدمًا الشكر لسماحة الشيخ حسن الصفار والعاملين في مكتبه على احتفائهم بالمشاركين واستضافتهم لهذا الحفل، كما قدم شكره لمدارس الخط الأهلية بالقطيف على دعمها واستضافتها للمهرجان.

بعدها ألقى الأستاذ جعفر العيد كلمة مدارس الخط الأهلية قدم من خلالها الشكر لسماحة الشيخ حسن الصفار على اهتمامه وتكريمه للقائمين والمشاركين في المهرجان، مضيفًا أنه من دواعي سرورنا نحن في مدارس الخط الأهلية، أن نكرم اليوم مجموعة من شباب وشابات هذا الوطن، اجتمعوا ليقدموا خدمة وثقافة وعطاء متخصصًا للأطفال، بينما كان غيرهم لاهيًا في أمور أخرى.

بعدها تحدث راعي الحفل سماحة الشيخ حسن الصفار بكلمة موجزة تحدث من خلالها عن أهمية الاهتمام بالطفل مضيفًا «إن سنوات الطفل الأولى هي التي تؤسس

لبقية سنواته وحياته، فمن كان همّه الجيل الصاعد فعليه أن يهتم بهذه الفئة» وأضاف الشيخ الصفار إن البيت عندما يكون قواعده وبنيانه قويًا يكون البيت قويًا، والطفل أيضًا عندما يكون بنيانه وأساس تكوينه قويا تكون شخصيته قوية مستقيمة.

وأضاف الشيخ الصفار: إن هذا يتطلب منا جميعًا أن نعطيهم مفاتيح التقدم، فالمعرفة والثقافة هي سبيل الإنسان للتفوق والتقدم في هذه الحياة. وقال الشيخ الصفار: إنه وللأسف نقبل على التعليم فنتعامل معه باعتباره أمرًا نضطر إليه دون رغبة وحب، بل ونضع المبررات للهروب من المدرسة، وعندها كيف لنا أن نرى في هذا الطالب أن يكون متفوقًا ونابغة وهو لا يقبل على الدراسة بحب وشغف.

ولفت الشيخ الصفار إلى أن ما نلاحظه في مدارسنا وجامعاتنا هو أنها تخرج موظفين وليس علماء ومبدعين، عكس المجتمعات الأخرى، حيث يقبل الطلاب هناك على الدراسة بحب وبهدف التفوق. مؤكدًا أن الأحاديث التي تشجع على طلب العلم تريد الإنسان أن يكون مقبلًا على العلم باندفاع ذاتي، ورغبة وشوق، باعتباره قيمة وغاية، وليس مجرد وسيلة للوظيفة.

وأضاف سماحته ان الشعوب المتحضرة تهدف من خلال العلم إلى التقدم والتفوق، وقراءة الكتاب هي أولوية في هذا الجانب، لكونها تؤدي لزرع ثقافة حب التفوق والنجاح، مضيفًا أن العلماء تحدثوا عن أهمية وجود الكتاب والمكتبة في البيت، وهو ما يساعد الطفل على الإقبال عليه عندما يرى والديه يقرآن أمامه فيندفع إلى تقليدهم والتأسي بهم.

وختم الشيخ الصفار حديثه بشكر القائمين على المهرجان وعلى مبادرتهم التي تثلج الصدر، متمنيًا أن يكون المهرجان سنويًا، وأن يكون في مستوى متقدم. بعدها تفضل سماحته بتقديم الهدايا والدروع والشهادات للمشاركين في المهرجان الأول للقراءة للطفل بالقطيف.

٧

الشيخ الصفار قدوة في الحوار

ضمن مسابقة القدوة الحوارية التي أقامها منتدى الأحساء الثقافي الإلكتروني اختار المشارك (أحمد عبدالله) شخصية سماحة الشيخ حسن الصفار كشخصية حوارية قدوة للمحاورين.

وذكر أن سبب اختياره للشيخ الصفار لكونه خاض «نقاش قبل سنوات مع أحد الأخوة من الرياض بخصوص التشيع وذكر أكثر من مره أثناء الحديث الشيخ حسن الصفار»، وقال: «أنا أستغربت لماذا يخص الصفار بالذكر مع أن الساحة الشيعية عندنا بالمنطقة مليئة بالمفكرين والعلماء؟»

مؤكدًا: أنه بعد تفكير اكتشف أن «الشيخ حسن هو الوحيد في الساحة المتصدي لوسائل الإعلام.. أو حتى لا أظلم غيره.. هو أبرز علم من أبناء المنطقة الذي خاض الإعلام للدفاع عن الفكر الشيعي والمجتمع الشيعي بالمملكة... فلا غرابة أن لا يعرف أخواننا السنة بالمملكة إلا الشيخ حسن الصفار».

وأضاف: سعة ورحابة صدره.. احترامه للمؤالف والمخالف... تقبله النقد... واتساع أفقه وتنوع معارفه... ابتسامته العريضة وأريحيته... واحترامه لمجالس الحوار (لا يقاطع محاوره ويتكلم إن أعطي المجال له) صفات جعلت منه محببًا لدى كثير من وسائل الإعلام.

ثم ذكر نبذه من السيرة الذاتية للشيخ الصفار ومقتطفات من حوارته الصحفية

كحوار سماحته مع جريدة عكاظ وجريدة الدار الكويتية وموقع العربية نت، كما وضع روابط لحوارات تلفزيونية أجريت مع سماحته وهي حوار قناة الجزيرة وحوار قناة الوطن الكويتية وحوار قناة دليل.

خاتمًا عرضه بقوله: لاحظوا أخواني الكرام.... رغم حواراته العديدة مع مختلف وسائل الإعلام، ورغم تنوع الشخصيات المتحاورة معه، إلا أنه يطرح مطلبه بكل حرية وجرأة، ويواصل حواراته بدون أن يتنازل عن شيء من مبادئه وأفكاره هكذا يجب أن يكون المحاور وإلا فلا....

في الختام..

سبب اختياري لهذه الشخصية هو: تميزها في هذا المجال...

أكد أهمية التواصل والتعايش بين أبناء البلد الواحد

٧

شخصيات نسائية وأكاديمية يزرن القطيف ويلتقين أطفالها في «القرقعان»[1]

شددت نساء زرن محافظة القطيف مساء أول من أمس على أهمية التواصل الاجتماعي بين مناطق المملكة، الأمر الذي يترك أثرًا إيجابيًا وتعريفيًا بعادات وتقاليد كل منطقة، والوفد النسائي الذي دعته (لجنة التواصل الوطني) في محافظة القطيف شاركت فيه أكاديميات من مختلف مناطق المملكة.

وزارت النساء معالم المحافظة وشخصياتها، إذ التقت الشيخ حسن الصفار الذي ركز على أن التواصل يخلق مناخات إيجابية بين المواطنين، وينعكس على تفهم البعض للبعض الآخر، مشيرًا إلى أهمية قيمة التواصل كقيمة بحد ذاتها.

ورأت مشاركات في الزيارة بأن عمل المرأة الاجتماعي في محافظة القطيف مثال يحتذى به، ويمكن الاستفادة منه في بقية مناطق المملكة، كما أن هناك إيجابيات تتكشف حين يتم الالتحام بالمجتمع من الداخل وفي شكل معمق.

وشددت أكاديمية على أهمية رفع التقسيمات كافة وأسبابها كي تشعر الطالبة بأن كل زميلة لها من الطالبات أختها، ما يبعدهن عن التقسيمات الموجودة على أرض الواقع التي تحتاج لتضافر الجهود لرفعها، فـ(في النهاية جميعنا أبناء)، فيما أشارت

(١) جريدة الرياض الصادرة يوم الأربعاء ١٧ رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ١٧ اغسطس ٢٠١١م - العدد: ١٥٧٥٩.

مسؤولات في (لجنة التواصل الوطني) إلى أهمية الانفتاح والتواصل الذي لا بُدّ أن يتحول إلى عمل مشترك، الأمر الذي ينعكس على البنية الاجتماعية في المناطق كافة، كما أن التواصل يخلق مجالًا تتلاقح فيه الأفكار من طريق ويفضي لنتائج إيجابية وطيبة.

إلى ذلك اطّلعت النساء على الأعمال الشعبية في المحافظة، كما شاهدت عادة (القريقعان) التي يشارك فيها الأطفال في الخامس عشر من الشهر الفضيل من كل عام، ما جعلهن يشاهدن عادات المجتمع من قرب.

الصفار يدعو إلى «التوازن» بين الأمومة والنشاط الاجتماعي[1]

ياسمين الفردان

دعا الشيخ حسن الصفار، المرأة إلى التوازن بين الأمومة، والنشاط الاجتماعي، مؤكدًا أهمية دورها في المجتمع. وقال خلال استقباله ضيفات ملتقى «التواصل الوطني» مساء أول من أمس، خلال زيارتهن التعريفية إلى محافظة القطيف: «إن الأمومة أسمى وأهم وظيفة تقوم بها المرأة، لكن هذا لا يعني أن عليها أن تنحصر في هذا الدور، وتمتنع عن القيام بباقي الأدوار».

وطالب الصفار، المرأة بـ «انتزاع حقوقها». وأردف أنه «في عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، شاركت المرأة في المعارك، مثل معركة أحد، إلى جانب الرجل صفًا صفًا». وأضاف «كانت المرأة توصل أفكارها إلى الخلفاء والأمراء في بعض قراراتهم. ولم يجدوا في ذلك غضاضة»، معتبرًا سورة المجادلة «أكبر دليل على أهمية دور المرأة، إذ تتحدث السورة عن تلك التي تجادل الرسول ﷺ في أحد التشريعات».

وحول مشاركة المرأة في الانتخابات، قال بحضور الناشطة سمر بدوي، أولى المطالبات بحق المرأة المشاركة في الانتخابات ناخبة ومرشحة: «إن تكثيف مطالبة

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الخميس١٨ رمضان١٤٣٢هـ الموافق ١٨ أغسطس ٢٠١١م، العدد ١٧٦٦٧.

المرأة سيجدي نفعًا»، مبينًا أن «الكثير من المسؤولين على قناعة بضرورة تحقيق حقوقهن، لكن الأمر بحاجة إلى الوقت، وأن تكثيف مطالبات المرأة سيحقق مطالباتهن، ولو في المستقبل البعيد، لكون التاريخ لا يسير على وتيرة واحدة، ولا يقف عند مكان محدد»، لافتًا إلى أن «المجتمع يعيش صراعًا، فالبعض يتحفظ على مشاركة المرأة، والآخر يشجعها ويدفعها إلى الأمام»، مضيفًا أن «مشاركة المرأة وصوتها يعطي قوة للرأي المنفتح المُشجع».

وتضمن اللقاء الذي استمر زهاء ٩٠ دقيقة، مداخلات عدة، إذ وجهت الإعلامية تهاني الجهني، انتقادًا لبعض المحطات الفضائية المتطرفة مذهبيًا، التي «انتزعت الصورة الحقيقية لأبناء بعض المذاهب، وشوهت صورتهم، بخطابها المتطرف والمتعصب». وقال الصفار: «إن الأمر يُعدّ جرحًا أليمًا»، ناصحًا بـ «تقديم الخطاب المعتدل». وذكر «قرأت اليوم عن وجود ثلاثة آلاف موقع يساهم في ترويج المخدرات، وهذا الأمر لا يرضي الدول، ولا المواطنين، ويجب علينا خلق بدائل وتوعية الناس للانتباه من بعض خطابات التحريض، والاتجاه نحو الخطابات المعتدلة».

وشدد على ضرورة التواصل الوطني، الذي له «منافع تفوق الكثير من العبادات التنفلية». وذكر أن «التواصل الاجتماعي بين الناس لا يعدّ من الأمور المكملة، بل هو من الأساسيات». وأوضح أن «الأشخاص الذين يسيئون التعامل مع الآخرين، أو مع الأفراد الذين يحيطون بهم، لن يتقبل الله منهم باقي الأعمال». وأشار إلى أن نجاح علاقة الناس بالآخرين تعتمد على فهمهم للدين. وقال: «إن هذا الأمر يحتاج لمعرفة نوع نظرتنا للآخرين».

وأوضح أنه «ليس مطلوبًا منك أن تكون متفقًا مع من يتفق معك في الفكر والمذهب فقط»، مبينًا أن «بعض الفتن رسمت شرخًا في علاقات الناس مع بعضهم. وهذا الأمر يجب أن ينتبه له الجميع». واستشهد برأي دعاة ومشايخ حول دخول وقت الفجر، وأنه يختلف ١٧ دقيقة، وأنهم يرون أن تقويم أم القرى خاطئ، وعلى الإنسان ألّا يعتمد

عليه، وإنما يؤخر صلاته ١٧ دقيقة»، مبينًا أن «الأمر لا يخرج عن نطاق الاختلاف، ولا يجب أن يصل إلى حدّ الخلاف».

وذكر أنه «زارني طلاب مبتعثون قبل يومين، وشعرت بالخجل من نفسي، حين علمت منهم أن لديهم أصدقاء يهود ومسيحيين. فيما فشلنا نحن المسلمين في إيجاد بيئة متعايشة». وقال: «إن الاختلاف لا يمكن تلافيه، لكن علينا ألّا نحوله إلى قطيعة».

في زيارته لموكبي الرسول الأعظم والزينبي بتاروت

٧

الشيخ الصفار: أدعو الشباب لصناعة واقع جديد في مجتمعهم

بمناسبة وفاة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، زار سماحة الشيخ حسن الصفار موكبي الرسول الأعظم بحي الدشة، والموكب الزينبي بحي الحوامي بجزيرة تاروت، مساء يوم الأحد ٢١ رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ٢١ أغسطس ٢٠١١م.

وألقى سماحته كلمة مختصرة في كلا الموكبين عزّى من خلالها الجميع بناسبة استشهاد الإمام علي، وشكر القائمين على المواكب الحسينية لتفاعلهم وتفانيهم في خدمة أهل البيت ﴿عليهم السلام﴾، وشدد الشيخ الصفار بهذه المناسبة على أهمية أن نتوجه لوصايا الإمام علي وتوجيهاته، خصوصًا الشباب من هذه الأمة.

وحث الشيخ الصفار الشباب على أهمية الحضور والمواظبة على صلاة الجماعة؛ لأن هذا ما يسرّ أمير المؤمنين ، كذلك الالتزام بقراءة القرآن منطلقًا من قول أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾: «الله الله في القرآن، لا يسبقكم إلى العمل به غيركم» فالشباب وخاصة في هذا العصر ينبغي أن يكونوا حملة القرآن وأن يتدبروا في القرآن الكريم.

وطالب الشيخ الصفار الشباب بأن يصنعوا جوًّا جديدًا وحالة جديدة في المجتمع، تقوم على التماسك والتضامن وعلى الابتعاد عن أي خلاف أو صراع أو نزاع، فلا مانع من أن تتعدد الآراء وأن تتنوع المشاريع والأفكار، ولكن ينبغي أن يكون كل ذلك في ظل وحدة اجتماعية يُتبادل فيها الاحترام بين الجميع وتحفظ فيها الحقوق والحرمات.

ودعا الشيخ الصفار في ختام كلمته الشباب بألّا يتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالشاب المؤمن الذي جاء منشدًا إلى محبة أمير المؤمنين عليه أن يحمل لواء الدعوة إلى الخير وإلى الصلاح، وخاصة في أوساط الشباب، فلا يصح أن تتركوا هذه الشريحة المهمة من إخوانكم الشباب أن تصبح فريسة إلى المفاسد والانحرافات والضياع والى الكسل، فعلى كل واحد منكم أن يأخذ بأيدي إخوته أو أقربائه وزملائه الشباب إلى جادة الخير والصلاح، متمنيًا لهذه المواكب أن تكون مسيرة هدى ومسيرة صلاح في هذا المجتمع، حتى تكونوا جميعًا ممن تشملكم شفاعة أمير المؤمنين ومن الثابتين على محبته.





الشيخ الصفار: الراحل الشيرازي من أبرز أعلام التغيير في الأمة

وصف سماحة الشيخ حسن الصفار المرجع الراحل السيد محمد الحسيني الشيرازي بأنه من أبرز أعلام التغيير والإصلاح في الأمة الإسلامية، مشيدًا بريادية فكرة (اللا عنف) التي تبناها الراحل.

جاء ذلك ضمن حفل تأبيني أقيم الأربعاء ٢٢/ ١٠/ ١٤٣٢هـ وشارك فيه الشيخ الصفار والباحث الاجتماعي محمد الشيوخ بمسجد الرفعة في مدينة تاروت بمحافظة القطيف، تحت شعار (اللا عنف في فكر الإمام الشيرازي).

وقال الشيخ الصفار ضمن ندوة مفتوحة بأن المرجع الشيرازي عمل منذ وقت مبكر على تغيير الواقع المتخلف في الأمة، ولم يرضخ لمعادلات الأمر الواقع، رغم القسوة التي واجهها من البعض.

وأوضح بأن رواد التغيير في الأمة غالبًا ما يواجهون ثلاث عقبات رئيسة تكمن في: غياب الفهم لمشاريعهم، وتشبث أصحاب المصالح القائمة بالأمر الواقع، وأخيرًا عنف المناوئين.

وقال بأن الإمام الراحل عانى طيلة حياته من هذا الثالوث على حدِّ تعبيره.

ووصف الصفار نظرية (اللا عنف) التي تبناها المرجع الراحل بأنها من الأفكار الريادية التي كانت حينها كـ «السباحة عكس التيار» إبان فورة المدّ الثوري في المنطقة بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

وتابع بأن نظرية (اللا عنف) عند الشيرازي كانت ترشيدًا لحالة الاندفاع التي انتابت بعض التوجهات السياسية الغاضبة وإمكانية ميلها لاستخدام العنف ضد الأنظمة السياسية في المنطقة.

وأضاف بأن المرجع الراحل كان يدرك بأن العنف لا يؤدي إلى نتيجة، وأن تداعياته ستكون وخيمة على واقع الأمة.

وأضاف بأن الأيام أثبتت بأن الزمن يجري في صالح الأفكار الإصلاحية.

وأوضح الشيخ الصفار بأن نظرية (اللا عنف) في فكر الشيرازي لم تكن تعني الاستسلام والتراجع أو الخضوع، بل كانت قرينة بالتحرك نحو تعبئة طاقات الأمة ضد الاستبداد والظلم.

ومضى يقول بأن (اللا عنف) هو منهج في التغيير لا يتحقق إلا بعد نضال ثقافي وسياسي واجتماعي طويل، مضيفًا بأن هذا ما أثبتته ثورات الربيع العربي.

الندوة التي عقدت بمناسبة الذكرى العاشرة لرحيل الإمام الشيرازي، وقدمها الكاتب حسين العلق، شهدت سلسلة تساؤلات ومداخلات من الجمهور الذي ملأ قاعة المسجد.

إلى ذلك ألقى الباحث الاجتماعي محمد الشيوخ كلمة تأبينية في الحفل لفت فيها إلى تركيز الإمام الشيرازي ضمن نظرية على (اللا عنف) لسانًا وقلمًا وممارسة.

وأضاف الشيوخ ضمن سياق حديثه عن اللا عنف في فكر الإمام الشيرازي «أن من الأمور اللافتة في الثورات الأخيرة في العالم العربي انتهاجها سبيل اللا عنف مع قسوة الأنظمة فكان ذلك سرّ نجاحها».

وتابع الباحث بأن الإمام الراحل كان يرى بأن العنف مرفوض دينيًا وأخلاقيًا، وأنه منهج مدمّر ومنفّر، يصرف تعاطف الناس، ويؤلب العالم، ويسوغ للأنظمة المستبدة ممارسة العنف والقمع بحق الناس.

الحفل الذي حضرته شخصيات علمائية وكتاب ومثقفون من أرجاء المنطقة، شارك في التقديم له الكاتب الشاب محمد الصادق.



٧

الشيخ الصفار يتحدث عن القلق من الآخر في أحدية المبارك بالرياض

بدعوة من الدكتور راشد المبارك راعي ندوة الأحدية في الرياض كان سماحة الشيخ حسن الصفار ضيف الندوة مساء الأحد ٢٧/ ١٠/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥/ ٩/ ٢٠١١م، تحت عنوان (القلق من الآخر).

حيث تحدث سماحته عن الموضوع في ثلاثة محاور.

دار المحور الأول عن أهمية سلامة العلاقات البينية في المجتمع، وأنها أساس نهضة المجتمع وتقدمه، وحفظ أمنه واستقراره، فالمجتمع الإسلامي الأول انطلق من أرضية المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتنقية العلاقات بين الأوس والخزرج، وحين تجاوز المجتمع العربي حالة الخلاف والاحتراب أصبح مؤهلًا للنهضة والانطلاق، وحمل رسالة الإسلام.

والمجتمعات الأوربية حين تمردت على تخلفها، كانت بداية مشوارها إقرار وثيقة حقوق الإنسان في الثورة الفرنسية، التي تعنى بتصحيح مسار العلاقات بين الناس على أساس مبادئ العدالة والحرية والمساواة.

وعلى الصعيد الديني فإن علاقة الإنسان بالآخرين قضية أساس في الشرائع والأديان، فالإنسان ليس حرًا في شكل ونمط علاقاته مع الآخرين، حسب أهوائه ورغباته ومصالحه، إنما عليه أن يلتزم المبادئ العادلة، والأخلاق الكريمة، في تعاطيه مع القريبين والبعيدين، ويشير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ إلى أن مجال علاقات الناس مع بعضهم ساحة اختبار وافتتان.

وفي المحور الثاني تناول الشيخ الصفار حالة القلق والارتياب في العلاقات البينية، وأن مجتمعاتنا تعاني أزمة ثقة في العلاقة بين مكوناتها المتنوعة قوميًا أو مذهبيًا، حيث تتوجس كل طائفة الخوف والارتياب من الطائفة الأخرى، وخاصة على الصعيد المذهبي. هذا القلق الذي يؤسس لحالات من النزاع والصراع والذي انفجر في أكثر من منطقة من عالمنا العربي والإسلامي.

ولهذا القلق أسباب أهمها:

١. نداءات التاريخ والتأثر بأحداثه.
٢. التراث الثقافي المذهبي الذي يغذي الكراهية ويدفع للمواقف السلبية المتبادلة.
٣. خلل الواقع السياسي، حين لا تتحقق المواطنة ويسود العدل والمساواة بين المواطنين.
٤. العامل السياسي الذي يستفيد من انشغال المجتمعات بصراعاتها على حساب التنمية السياسية والاقتصادية.

وختم الشيخ الصفار حديثه بالمحور الثالث عن استشراف الحلول والمعالجات. وأن السكوت عن حالة القلق المتبادل، قد يوقع المجتمع في خطر انفجار الصراعات، فلا بُدّ من الاعتراف بوجود مشكلة في العلاقات البينية، والاهتمام بدراستها، ووضع الحلول والمعالجات قبل تفاقمها وانفجارها. ومن أهم عوامل احتواء هذه المشكلة ما يلي:

١. تحقيق المواطنة والمساواة.
٢. نشر ثقافة التسامح والتعايش والشراكة الوطنية.
٣. تجريم التحريض والتعبئة.
٤. تكثيف التواصل والانفتاح والتداخل في المصالح، والاتجاه نحو المشاريع الوطنية العامة.

ثم فتح مدير الندوة الدكتور يحيى أبو الخير مجال المداخلات، حيث شارك في المداخلات أكثر من خمسة عشر متحدثًا، تناولوا جوانب مما ورد في المحاضرة وأثاروا تساؤلات أجاب عنها الشيخ الصفار، وكان حضور الندوة حاشدًا ونوعيًا.



في ندوة نظمتها «أحدية المبارك» وشهدت حضورًا نوعيًا

٧

الصفار: لن يتقدم أي مجتمع إذا كانت العلاقة بين أفراده غير سوية[1]

قسّم الشيخ حسن الصفار محاضرته، التي نظمتها «أحدية المبارك» مساء الأحد الماضي، وأدارها الدكتور يحيى أبو الخير، وشهدت حضورًا نوعيًا، إلى ثلاثة محاور: سلامة العلاقات البينية في المجتمع، وحالة القلق والارتياب في العلاقات البينية، ثم استشراف الحلول والمعالجات على الصعيد الوطني.

وتحدث في المحور الأول عن الثورة الفرنسية وأثرها على العلاقات البينية، مشيرًا إلى أنها انطلقت «من مسألة الالتزام بحقوق الإنسان الذي كان دافعاً للتطور والتقدم».

وقال الصفار: «إن أي مجتمع لا يتقدم أو يتطور، إذا كانت العلاقات الداخلية بين أفراده غير سليمة»، مضيفًا أن النصوص الدينية «تؤكد على مسألة العلاقات وأنها لا تخضع للمزاجية والمصالح، وأنها حذرت من إيذاء المخالف في الدين كالذمي والمستأمن. فجعل الله ظلم الإنسان للإنسان ظلمًا غير مغفور، وظلم الإنسان لربه راجع إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

وأكد في المحور الثاني أن العلاقة تتأثر بحالة الانطباع عن الآخر، «وأن هذا الانطباع يقود إلى القطعية مع الآخر. إن في الدين حرصًا كبيرًا على تقديم حسن الظن،

(١) جريدة الحياة الصادرة يوم الثلاثاء، ٢٩/ ١٠/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٧ سبتمبر ٢٠١١م ـ العدد ١٧٧٠٧.

فقال علي بن أبي طالب ﵁: «سوء الظن يفسد الأمور ويدعو إلى الشرور».

وأضاف أن المجتمع المكون من شرائح متعددة في المذهب والتوجه والعقائد، «يحتاج إلى علاقة انسجام وقد تكون علاقة صراع أو قطيعة، فحالة القلق وحالة الارتياب يؤسسان لعلاقات غير سوية».

وانتقل المحاضر إلى المحور الثالث، استشراف الحلول والمعالجات، إذ أكد أن الانفصال «ليس حلًا كما حدث في السودان، في زمن جميعنا نبحث فيه عن الوحدة الإسلامية وتعاني بلداننا العربية من التقسيم، فحلّ الانفصال حلّ لا يقبل به عاقل؛ لأن المقسم لا يقسم والمجزأ لا يتجزأ، وكذلك حلّ الاحتراب الأهلي غير مقبول، وكذلك حلّ أن يستقل كل جزء بنفسه ليس حلًا مقبولًا، ولا المراهنة على إلغاء المكون الآخر.

واقترح الصفار عددًا من الحلول، منها: مناقشة الموضوع وعدم تجاهل مشاكلنا والتحدث عنها بكل جرأة، كما حدث في أزمة الفقر بالسعودية وتحدث عنها قائد البلاد خادم الحرمين الشريفين وأمر بإنشاء صندوق الفقر. فكان في الماضي من الصعب التحدث عن هذا الأمر. وكذلك من الصعب الحديث عن أمور التكفير والتشدد، فعلينا أن نكون واضحين وصريحين في كشف مواطن الصراع وعلاجها.

ثانيًا: معالجة الخلل القائم بين الفئات على المستوى الوطني، والعدل والمساواة بينهم في الحقوق والواجبات والقانون.

ثالثًا: نشر ثقافة التسامح والاحترام المتبادل أمام الثقافة التحريضية والتعبوية. رابعًا: تشجيع التواصل والتداخل في المشاريع الوطنية العامة والتفكير في الإصلاح على المستوى الوطني العام».

وفي المداخلات رد الصفار على أسئلة ومنها ما تطرقت إلى أن الشيعة لم يتوافقوا في أعيادهم مع السنة في السعودية، ومنها ما هو عن موقف الصفار وموقف مثقفي الشيعة الضعيف من الهجوم على المملكة بعد أحداث ١١ سبتمبر، فقال المحاضر:

«إن كلام السائل غير صحيح، فهناك أعياد فطر توافقت مع أعياد السنة في السعودية، وإن حدث اختلاف فمرد ذلك يعتمد على شروط الفقه الشيعي ومدى صحة ثبوت الهلال عندهم، فإذا توافرت شروط الفقه الشيعي فعيدنا مع الدولة».

وحول مسألة الدفاع عن المملكة، قال الصفار إن الموضوع «لا يحتاج مزايدات، وكل جهة تدافع بطريقتها، وليس شرطًا أن نظهرها، أو أن أتحدث بما فعلته تجاه واجب وطني، فالدفاع عن الوطن أمر واجب على الجميع وكل بحسبه».









الشيخ الصفار يهنئ الفائزين.. ويعتبر مقاطعة الانتخابات البلدية "رسالة"[1]

هنأ سماحة الشيخ حسن الصفار المرشحين الفائزين بعضوية المجالس البلدية في الانتخابات التي جرت الخميس ١/ ١١/ ١٤٣٢هـ متمنيًا في الوقت نفسه أن تكون رسالة المقاطعين للانتخابات قد وصلت للأجهزة المعنية.

وقال الشيخ الصفار خلال خطبة الجمعة (٢/ ١١/ ١٤٣٢هـ الموافق ٣٠/ ٩/ ٢٠١١م) في مدينة القطيف شرق السعودية بأن المرشحين الفائزين هم من الكفاءات الوطنية التي انبرت لخدمة مجتمعها في المجال البلدي«وهم بذلك يستحقون الشكر».

وأعرب عن أمله بأن يكون للأعضاء الجدد في المجالس البلدية دورًا نشطًا وانسجامًا بينيًا حتى يحققوا آمال وتطلعات ناخبيهم.

وفي إشارة إلى الأعضاء المنتخبين في القطيف قال الصفار «المجموعة التي فازت بعضوية المجلس هم من أبناء هذا المجتمع وإن شاء الله فيهم الخير والبركة».

ودعا الجميع إلى التعاطي «بروح رياضية» طبقًا للتقاليد الديمقراطية فمن يفوز بأصوات الناس يستحق تمثيلهم داعيًا إلى تهنئتهم والوقوف معهم.

---

(١) نشر على www.saffar.org

وأضاف بأن انتخابات المجلس البلدي لا تستحق بأن تكون سببًا لإثارة الحساسيات والمشاكل «فالمجلس يمثل جميع أهالي المنطقة ومن انتخبوا فيه هم من خيرة أبناء هذا المجتمع ونرجو لهم التوفيق».

ومضى يقول بأن عضوية المجلس البلدي لا تستوجب النزاع فهو ليس منصبًا كبيرًا، ولا توجد به امتيازات ولا رواتب تذكر «بل غالبًا ما ينتاب عضو المجلس المتاعب واللوم والمساءلة والعتاب».

وقدم الصفار شكره للفرق الانتخابية والمرشحين الذين لم يحالفهم الحظ في الوصول لعضوية المجلس داعيًا إياهم إلى خدمة المجتمع في المجالات المختلفة.

وفي السياق نفسه دعا الصفار الأجهزة المعنية إلى الالتفات إلى الرسالة التي أوصلها المقاطعون للعملية الانتخابية، بعد تقارير عن تدني نسبة الإقبال على التصويت في المملكة إلى عشرة بالمئة فقط.

وتابع بأن نسبة المشاركة المتدنية تكشف عن وجود مشكلة «فالعزوف عن الانتخابات قصد منه إيصال رسالة سياسية».

وقال بأن مظاهر العزوف بدت مبكرًا من خلال ضعف الإقبال على التسجيل في قيد الناخبين، وقلة المرشحين، ومقاطعة العديد من القوى، وأخيرًا ضعف الإقبال على التصويت.

ورغم عدم اتفاقه مع رأي المقاطعين اعتبر الصفار المقاطعة مؤشرًا على عدم تفاعل الناس، وأن الشعب غير راضٍ عن هذه الانتخابات؛ لأنها لا تمثل تطلعاتهم.

ودعا الشيخ إلى ضرورة تفهم الأجهزة المعنية رسالة المقاطعين، ومفادها أن هذه الانتخابات لا ترضي الناس ولا تمثل تطلعاتهم. وأضاف «ينبغي للجهات المعنية أن تفهم هذه الرسالة وأن تعالج هذا الأمر حتى تتسع رقعة المشاركة».

وكان الآلاف من الرجال السعوديين صوتوا الخميس في ثاني انتخابات تجري في

أنحاء البلاد في تاريخ المملكة.

ويدعو إلى مزيد من الإنفاق في أوجه الخير:

إلى ذلك دعا سماحة الشيخ الصفار إلى تكثيف الإنفاق على ما وصفها بمشاريع البنية التحية الثقافية والدينية والاجتماعية، سيما في هذه المرحلة التي تشهد انفتاحًا نسبيًا.

وقال بأن علينا العطاء والإنفاق للاستفادة من الفرص الراهنة في إكمال بنيتنا التحية، عبر بناء المساجد والمؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية.

وأضاف بأن الإنفاق أمر ضروري لصحة الإنسان النفسية والروحية، كما أنه أمر ضروري لصحة المجتمع الذي ينتمي إليه.

وتابع بأن اختزان الأموال دون إنفاقها في أوجه الخير والبر سيكون له أضرار كبيرة على شخصية الإنسان، وسبب للأمراض الروحية التي تضرب الجانب المعنوي للإنسان.

وقال بأن زيادة المال لا تعادل شيئًا في مقابل الإنفاق الذي يُكسب راحة النفس وحبّ الناس ورضا الربّ.

ومضى يقول «علينا أن نشكر من يعرض علينا المساهمة في المشروعات الخيرية تمامًا كما نفعل مع من يعرض علينا فرصًا استثمارية نادرة».

ودعا إلى أن يعوّد الإنسان نفسه الإنفاق، ويعطي بقدر استطاعته لأقربائه وأرحامه وجيرانه والمحتاجين، إلى جانب المشاريع الاجتماعية.

وحذر من أن شحة العطاء والإنفاق في المجتمع قد تؤدي لانحدار المجتمع وتدنى الحالة العامة فيه.

وتابع بأن آيات القران الكريم والمرويات التي تحث على الإنفاق في سبيل الله أكثر بكثير من الآيات التي تحث على العبادات.

الشيخ الصفار في لقائه بطالبات لجنة أنوار القرآن:

٧ الإنسان يصنع واقعه

التقى سماحة الشيخ حسن الصفار صباح يوم الأربعاء الموافق ٧/ ١١/ ١٤٣٢هـ في القسم النسائي بمكتبه طالبات لجنة أنوار القرآن الكريم بسيهات، وقد بدأت اللقاء الأستاذة أم علي الخباز بتعريف عن لجنة أنوار القرآن بسيهات.

ثم توج الشيخ كلمته بآية من القرآن الكريم ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التي أكد فيها أن مسؤولية التقدم والتأخر واقعة على الإنسان نفسه، وليس من الصحيح أن يضع أسباب تخلفه على الظروف، أو على الحظ أو على الحسد.

ثم بين سماحته أن القرآن الكريم يؤكد أن إرادة الإنسان فوق التحديات، بالرغم أن هناك عوامل تسبب التخلف الذي يقع فيه الإنسان، مثل الحكومات والوضع الاقتصادي والوضع الجسمي، لكن هناك من استطاعوا التغلب على تلك الإعاقات.

فالاستعمار مثلًا سبب كثيرًا من المشاكل، لكن بعض الشعوب تغلبت على هذا الاستعمار، يقول مالك بن نبي: (هناك استعمار وهناك قابلية للاستعمار).

ثم انتقل سماحة الشيخ إلى أنواع التقدم، ومنها:

١. التقدم القسري الذي يأتي بسبب تطور الحياة الاقتصادية، فهذا التطور له سلبياته؛ لأن الإنسان لم يقرر ولم يخطط له، لكن يستطيع التخفيف من هذه السلبيات.

٢. تقدم يقرره المجتمع، وهذا هو التطور المطلوب، نحن ندرك أن المرأة

تواجه عقبات تجاه كفاءتها وأخذ دورها في المجتمع، لكن هناك تطورات جديدة خاصة بالمرأة في مجتمعنا، منها:

قرار الملك تعيين نساء في مجلس الشورى، وحق المرأة في الانتخاب والترشح في المجلس البلدي، وهذه تحتاج من المرأة:

أولًا: أن تبلور كفاءتها الشخصية سواء كانت كاتبة، أو ناشطة حقوقية، بالإضافة إلى النشاط الإعلامي والاجتماعي، والسياسي المنفتح.

ثانيًا: الانضمام إلى العمل المؤسساتي الجمعي فقد أصبحت لدينا مؤسسات خيرية وثقافية.

ثالثًا: الانفتاح على الشأن العام وعلى الصعيد الوطني.



7

تقرير حول زيارة سماحة الشيخ حسن الصفار لمسجد القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف [1]

مستقبلًا بالورود ومائها، وبالقلوب وشغافها، حلّ سماحة الشيخ حسن الصفار ضيفًا على مسجد القائم بالطرف ليلة الاثنين ١٠ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، حيث كان في استقباله واستقبال الوفد المرافق لسماحته فضيلة المشايخ الكرام والأعيان والأهالي، ومباشرة توجه سماحته لإمامة المؤمنين والمؤمنات لصلاتي المغرب والعشاء.

وفور انتهاء الصلاة ابتدأ الحفل بمناسبة ميلاد الإمام الرضا عليه السلام حيث قدم له رئيس اللجنة الثقافية بالمسجد: أ. أحمد الربيح، و أشعل مصباح الحفل بتلاوة عطرة من القرآن الكريم صدح بها صوت القارئ أ.عيسى الحبيب، عقب ذلك كانت المشاركة الشعرية المتألقة من قبل الأستاذ إبراهيم الحسين.

ثم أتت اللحظة المنتظرة لكلمة سماحة الشيخ حسن الصفار، فاستقبلته الجموع بالصلوات على محمد وآله الطاهرين.

استهل سماحة الشيخ كلمته الضافية بالمباركة بالميلاد الشريف للإمام الرضا عليه السلام، وبمباركة افتتاح المسجد التي تبعث أجواؤه على الطمأنينة والخشوع، وشكر القائمين على تنسيق هذا اللقاء مع هذه الجموع المؤمنة مجددًا. ثم أبحر سماحة الشيخ في كلمة تمحورت حول ثلاثة أمور:

---

(١) تقرير صادر عن اللجنة الثقافية لمسجد القائم.

النقطة الأولى:

حول مناسبة إحياء ذكرى ميلاد الإمام الرضا ﵇، ركز على أهمية استعادة مثل هذه الذكريات الإسلامية العظيمة، حيث يتجلى فيها دورنا في التمسك بتعاليم أهل البيت والتخلق بها، ومسؤوليتنا تجاههم تتجلى في ثلاثة واجبات:

١ـ نشر معارفهم وعلومهم سيما في ظل الظروف المنفتحة على الوسائل الحديثة.

٢ـ التشيع رسالة يجب أن تصل إلى أبناء الأمة جمعاء سواء كانت بالتحدث عنها أو بتخلقنا وانعكاسها على سلوكنا، أي الدعوة إلى التشيع من خلال سلوكنا وأخلاقنا.

٣ ـ حسن التعامل مع الآخرين وأسلوب الخطاب المنفتح على الآخر.

النقطة الثانية:

قبول الإمام الرضا لولاية العهد وتوفيقه مع دور الإمامة، ومن الواضح في هذا الإطار أن الإمام الرضا امتنع في بداية الأمر، إلا أنه ومع إصرار المأمون على ذلك قبل الإمام الشكل الصوري لولاية العهد، دون التدخل في الشؤون التنفيذية والسلطوية، واستعرض سماحته أسباب إصرار المأمون على تولية الإمام ولاية العهد، وذكر أن هناك رأيًا يشير إلى أن هذا ناتج عن قناعة المأمون بأحقية أهل البيت لهذا الأمر، متمثلًا في شخص الإمام الرضا تمهيدًا لتسليم الخلافة إليه، إلا أن ذلك غير مقنع من خلال المعطيات السياسية للأحداث، سيما بالنظر إلى خصومات المأمون الدامية حتى مع أقرب الناس إليه، ورجح سماحة الشيخ أن هذا مجرد تكتيك سياسي لاستغلال مكانة الإمام الرضا للتأثير على الجماهير لتثبيت أركان حكمه المضطرب، نتيجة الثورات المتعددة هنا وهناك.

ولذا بعد ذلك الإصرار من قبل المأمون رجح الإمام بحكمته القبول تحت الضغط، وهذا يعود إلى أن اختلاف الظروف قد يملي اختلاف نمط التعاطي، من منطلق أن هناك مبدأين يحكمان الحركة السياسية للأئمة هما: رعاية مصلحة الإسلام، ورعاية

مصلحة الدور الرسالي الذي يقوم به الإمام، وعلى ضوئهما قرر الإمام القبول بولاية العهد مكرها، واستفاد الإمام من هذه الفرصة حيث كانت تسود حالة من الاستقرار والتراخي الأمني لأهل البيت وأمام العلويين وشيعتهم، بحيث أتيحت الفرصة لنشر علوم أهل البيت على مستوى أعلى من خلال الحوارات في مجالس المأمون المتعددة مع مختلف الطوائف والفرق.

وهذا الأسلوب من التعاطي يفتح لنا مدرسة واسعة على هذا الصعيد، أي إن المؤمنين في كل عصر عليهم دراسة واقعهم السياسي لتشخيص ما أهو أفضل لهم، وتكون الحلول المطروحة مناسبة لهم، وتصب في مصلحة الأمة، فالمواجهة مع السلطات ليست أمرًا حتميًا في كل الظروف، ولا يجدر المقاطعة والانشغال بالعبادات والشعائر بحجة عدم جدوى المواجهة، فبعض الأحيان يمكن الاستفادة من التعاطي، وهذا ما نلمسه من اختلاف تعاطي أهل البيت على حسب عصرهم واختلاف ظروفه.

النقطة الثالثة:

في نهاية المطاف توجه سماحته بكلمة للأخوات المؤمنات، حيث بارك الحضور النسائي في المسجد، وهو تطور جميل في المجتمع مقارنة بالأعوام السابقة، يبشر بالخير، وهذا يعني أن الحضور لصلاة الجماعة ينبغي أن يشكل منطلقًا لنشاط وحراك ديني واجتماعي للمرأة في أوساطنا، فهي بحاجة لأن تقوم بأدوارها جنبًا إلى جنب أدوار الرجال.

وأشار سماحته إلى أنه ونحن نحتفي بذكرى ميلاد الإمام الرضا عليه السلام نرى إلى جانبه في قم أخته فاطمة المعصومة، وهذا يجب أن يعطينا درسًا في أن تكون المرأة مع الرجل في تحمل المسؤولية تجاه المجتمع.

وفي معرض حديثه إلى النساء أشار إلى أن هناك فرصًا على المرأة أن تستثمرها في مختلف المجالات، وهذا أمر ممكن، ولذا على بناتنا ونسائنا الاهتمام بأنفسهن،

وتفجير الطاقات الكامنة، وعلينا كرجال فسح المجال لهن وتهيئة الأجواء المناسبة. وعلى هذا يجب أن تتابع الخطوات والمبادرات لتعطي الصورة الصافية عن المذهب بمعارفها وسلوكها.

ختامًا، توجه سماحة الشيخ حسن الصفار بالدعاء للصرح المبارك لمسجد القائم، وللقائمين عليه على الاستقبال والحفاوة، وشكر الأخوة الحضور والأخوات على المشاركة، وأكد على الجميع أن نمثل المذهب الشيعي خير تمثيل.

أسئلة ومداخلات

بعدها بدأ استقبال أسئلة الحضور والحاضرات، وأجاب عنها سماحته بكل شفافية وأريحية، وحول مواقفه حول الأحداث الأخيرة ونصيحته للشباب أجاب: في هذا الإطار هناك ثلاث نصائح يمكن تقديهما:

١ـ رفع المستوى العلمي والمعرفي من خلال الدراسة الأكاديمية والثقافة العامة.

٢ـ النجاح في تنظيم أمور الحياة، والاستفادة من الثروات والخيرات، وعدم التفكير في الخيار الأسهل وهو الوظيفة، والبحث عن العمل الحرّ فهو الخيار الأفضل، والتفكير بعيون مفتوحة وتطلعات كبيرة، والمشاركة في حلّ البطالة بالاستثمارات لتلك الخيرات التي يستفيد منها الوافدون للمنطقة أكثر منا.

٣ـ ممارسة النشاط في الشأن العام السياسي والحقوقي.

وحول سؤاله عن القيادة الموحدة والصالحة أجاب سماحته بتساؤل: هل القيادة قبل النهوض أو أن النهوض يفرز القيادة، ومما لا شك فيها أن نهضة المجتمع هي التي تفرز القيادة، فالحراك هو الذي ينمي الطاقات، وفي الوقت ذاته فلا يجب أن نكون مثاليين في مسألة القائد المخلص، فقد انتهى عصر البطولات الفردية، فقد تجاوزنا هذا الانتظار الوهمي للبطل، وينبغي أن يكون النشاط متنوعًا ومتعددًا، وليست هناك مشكلة في تعدد الآراء والقيادات.

وعن سؤال حول القنوات الفضائية الطائفية، أبدى في هذا الجانب أسفه لحرفية التحريض الطائفي التي تمارسه تلك الفضائيات سنية وشيعية، بغض النظر عن الفعل وردة الفعل، مما يصب في التعبئة الطائفية إما لجهل وقصور في الوعي، أو المسألة ناتجة عن تغذية من أطراف أخرى جريًا وراء مصالح معينة.

وبالنسبة للقنوات الشيعية المتزمتة في خطابها الديني تجاه الآخر، فنحن ندرك مدى الظلامات والاضطهاد الذي كانت تعيشه الطائفة على مدى طويل، إلا أن المسألة ليست مسألة انفعالات، فنستغل فرصة الانتشار الفضائي وإتاحة المجال إلى طرح كل شيء بأي لغة كانت، فهذا توجه سلبي، نحن مقيدون بتوجيهات أهل البيت ، والأئمة يوصون بعدم التعرض للآخر إلا بالتي هي أحسن، وذلك حسب المنهج القرآني الذي ينادي بالحسنى في القول والفعل، وعلى هذا يجب أن تكون الوسيلة من جنس الغاية، وليست الغاية تبرر الوسيلة، وعدم المراعاة قد يسبب ردود فعل عكسية تجاه مذهب أهل البيت.

وفي سؤال أثير حول الحوار الوطني، أجاب سماحته: إن الحوار الوطني فكرة حضارية ووطنية رائدة، وفي الجولتين الأولى والثانية كان الحوار جيدًا، حيث استطاع أن يكسر الحواجز بين الأطياف وفئات المواطنين، وكنا نتمنى أن يواصل الحوار مسيرته إلا أنه أفرغ من محتواه بكل أسف، هذا المحتوى القائم على تجسير العلاقة بين شرائح المجتمع السعودي، ومنع الحواجز التي تحصل بين مختلف الأطراف، ففي الجلسات التالية للحوار أخذ يطرح القضايا العامة مثل التعليم وغيره، مما يمكن طرحه في محافل أخرى، وتخلى عن العلاقة بين مكونات الوطن والسلطة والشعب، ولذا لم نجد أي تحرك من قبل مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني حيال أي تعبئة طائفية تتحرك هنا أو هناك، فهو لم يحرك ساكنًا، وقد تحدثت بهذه الرؤية للمسؤولين في المركز الوطني للحوار، فالوطن في حاجة إلى الحوار الفاعل والجاد، ونأمل أن يعود إلى مساره المفترض الذي يرفض الأحادية في الرأي والتوجه، ويقبل الانفتاح

على كل الأطياف.

وكان آخر سؤال يدور حول برنامج سماحته الذي أعدّه للأمة خاصة في مثل هذه الأوضاع، فأجاب بكل تواضع: أنه ليس في مقام وضع برنامج للأمة، إلا أنه شكر الله أن جعله واحدًا من المهتمين بواقع الأمة، وممن يقدم الأفكار في هذا الشأن، وأشار إلى أن واقعنا العربي قد بدأ يدخل مرحلة التغيير في ظل الربيع العربي، الذي نأمل أن يكون مقدمة للأمن والأمان، آن الأوان لأن تعيش أمتنا كما الآخرون في الاستقرار وتبذل الطاقات في بناء الأوطان وتقدمها، فالأمة تملك رصيدًا ضخمًا من تراثها الإسلامي ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ يؤهلها لذلك المستوى.

ثم قدمت اللجنة الثقافية عرضًا مصورًا عن افتتاح المسجد، وعن أبرز الأنشطة العامة والثقافية الموجهة لكافة شرائح المجتمع من فتيان وفتيات ورجال ونساء منذ افتتاحه وعلى مدى ثلاثة شهور، بعدها أبدى سماحته إعجابه بما رآه، وسجل سماحته كلمته في السجل الذهبي بهذه المناسبة جاء فيها:

«أشكر الله أن وفقني لزيارة هذا المسجد المبارك، حيث رأيته صرحًا شامخًا، ورأيت فيه فتية من الشباب الواعين الغُيّرُ على مصلحة دينهم ومجتمعهم، والمدركين للدور الحقيقي الذي يجب أن يقوم به المسجد في حياة المجتمع».





٧

الشيخ الصفار يدعو شباب الأحساء لممارسة النشاط السياسي والحقوقي[1]

دعا سماحة الشيخ حسن الصّفار في معرض إجابته عن أسئلة دارت على هامش محاضرة ألقاها في الأحساء إلى أن يمارس الشباب نشاطهم في الشأن العام، السياسي والحقوقي، وألّا يكون هذا الشأن محتكرًا على أشخاص أو جماعات بعينها دون غيرها.

وتناول الشيخ الصفار في كلمته ليلة الاثنين ١٠ ذو الحجة١٤٣٢هـ في احتفال في ذكرى مولد الإمام الرضا ﵇ في قرية الطرف بالأحساء مسألة قبول الإمام بولاية عهد المأمون العباسي، وأسباب طرح ولاية العهد من قبل المأمون على الإمام الرضا، حيث أشار إلى تعدد آراء المؤرخين حول هذا الموضوع.

فمنهم من ذكر أن المأمون تصرف بحكمة وبُعدِ نظر، إذ رأى أن الحق لدى أهل البيت، وقد نذر على نفسه إبان صراعه مع أخيه على الخلافة، إن انتصر أن يعيّن وليًا للعهد أجدر شخص من أهل البيت، وقد ذهب لهذا الرأي بعض المؤرخين.

إلا أنه ذكر أن أغلب المؤرخين يرون هذا التصرف من المأمون ما هو إلا تكتيك سياسي محض، أراد به لملمة حكمه شبه المنهار، بعد نزاعه الدامي مع أخيه الأمين، فأراد ان يسكت العلويين ويرضيهم بشكل مؤقت، حتى يتسنى له تقوية حكمه، فألح

---

(١) شبكة والفجر الثقافية.

على الإمام الرضا بقبول هذا المنصب، بعد أن رفضه الإمام لعلمه بنية المأمون.

واشار الشيخ الصفار بأن الإمام اضطر لقبول هذا المنصب؛ لأنه كان أمام خيارين، إما التصادم مع المأمون أو القبول بولاية العهد وفتح سنوات من الاستقرار على أتباع أهل البيت، وهو ما حدث حيث كان للإمام نهضة علمية واسعة، وكان يناظر في مجلس المأمون شتى العلماء من مختلف الطوائف والأديان، ما أدى لانتشار علوم أهل البيت .

وهنا لفت سماحة الشيخ الصفار إلى أنّ الشأن السياسي ليس فيه نظرية ثابتة، أو حل معلّب للتعاطي في الشأن السياسي، فليس هناك مقاطعه دائمة ولا تحالف دائم، وما يصلح لمجتمع قد لا يصلح لآخر.

وأضاف «حينما لا نرضى عن حكومة ما، فلا يمنعنا ذلك في المشاركة فيها خدمة للصالح العام، مدللًا على ذلك بمشاركة الإمام علي في إدارة شؤون الدولة في عهود الخلفاء الثلاثة الأوائل» مستشهدًا بالمقولة الشهيرة للخليفة الثاني «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو الحسن».

وأضاف أنّ الصحابة أيضًا، كسلمان الفارسي، قد شارك في الدولة وتولى مهامَّ فيها، كل هذا في مقابل موقف الإمام الحسين عليه السلام الذي ثار وانتفض وحصلت واقعة كربلاء.

واستنتج سماحته من ذلك أن اختلاف الظروف قد يملي اختلاف نمط التعاطي، فهناك مبدآن كانا يحكمان حركة الأئمة السياسية المبدأ الأول: رعاية مصلحة الإسلام والأمة بشكل عام، والمبدأ الثاني: مصلحة الدور الرسالي الذي كان يقوم به كل إمام من الأئمة.

وأوضح أنه على ضوء هذين المبدأين كان الإمام يقرر أسلوب وطريقة تعاطيه مع الحكم والظرف السياسي. و«هذا يفتح للمسلمين مدرسة لتناول مثل هذه الأمور،

فعلى المسلمين في كل عصر دراسة واقعهم بدقة، وأن يروا ما هو الأفضل والأصلح لمصلحة الأمة والإسلام».

وفي جانب من الحوار الدائر بعد المحاضرة سئل سماحته عن افتقار الساحة في المنطقة للقيادة الموحدة، فأجاب متسائلًا: «هل القيادة قبل النهوض، أم أنّ النهضة تفرز القيادة، حينما نقرأ تاريخ نهضة المجتمعات نجد أن النهضة هي من تفرز القيادات، حيث إن الحراك الاجتماعي هو الذي ينمي الطاقات ويفرز القيادات».

وأضاف «من جانب آخر يجب ألا ننظر للأمر بمثالية مطلقة، وأن عهد الزعامة الموحدة قد ولّى وذهب، فاليوم نحن في عصر الجهد الجمعي، والعمل الاجتماعي متعدد، وفيه آراء متعددة، ممثلًا بالوضع في العراق، فهناك مرجعيات متعددة وأحزاب سياسية شيعية كثيرة، لها أفكار مختلفة وكذلك في لبنان».

وأجاب سماحته عن سؤال آخر حول موقفه من الحوار الوطني بعد مشاركته فيه، ومضي سنوات على تأسيسه، وقال بأن الحوار حين بدأ أريد له ردم الهوه بين أطياف المجتمع المختلفة، وبناء جسور التواصل والحوار وهكذا حصل في دورته الأولى والثانية.

وأضاف «أما الدورة الثالثة، للأسف، غابت هذه الرغبة، وأفرغ الحوار من محتواه، ووجدنا نقاشًا عن أمور ثانوية كالتعليم والعمل وغير ذلك، وللأسف، لا نرى دورًا للحوار في إدانة موجات التكفير ضد الشيعة».

ودعا الشيخ الصفار في معرض إجابته عن الأسئلة إلى أن يمارس الشباب نشاطهم في الشأن العام، السياسي والحقوقي وألّا يكون هذا الشأن محتكرًا على أشخاص أو جماعات بعينها دون غيرها.

وأدان خلال إجابته عن سؤال عن القنوات الطائفية، تلك القنوات، شيعية كانت أو سنية؛ لأنها تحترف التحريض الطائفي، وهذا لا يفيد كلتا الطائفتين.



في احتفال بذكرى الغدير:

7

الشيخ الصفار: إذا كنا نحب عليًا فلنلتزم قيمه

طالب سماحة الشيخ حسن الصفار أن يكون الاحتفاء بعيد الغدير احتفاءً بقيم الإمام علي ﷺ، وأن يكون الورع هو رابطنا به، فعلي لا يحتاج إلى مدحنا بعد أن مدحه ربه ونبيه.

وقال الشيخ الصفار في الحفل الذي أقيم بهذه المناسبة في مصلى حي الجسر بالخبر مساء الأحد ١٧/ ١٢/ ١٤٣٢هـ: إن عليًا لم يكن طالب سلطة، ولو أرادها لحصل عليها، لكنه قدم أنموذجًا قيميًا ظلّ ساطعًا مدى العصور.

وأضاف: يشترط علينا الإمام علي ﷺ كي نكون من أوليائه أن نأتم به، فلا بُدّ أن ننفذ شرطه، ومن يحيد عن هذا الشرط فلا تربطه بعلي رابطة وعلي ليس إمامه، يقول ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُوم إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ، وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ؛ أَلاَ وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ عَلَى ذلِكَ، وَلكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَع وَاجْتِهَاد، وَعِفَّة وَسَدَاد».

وأكد سماحته على أن يكون ارتباطنا بعلي قيميًا، لا عاطفيًا فقط، وأن يكون التزامنا بالقيم عندما تلوح الشهوات الزائلة والمكاسب الدنيوية.

وأضاف الشيخ الصفار: إننا مطالبون بتذكر عليٍّ عند ثورة الشهوة وعند اشتداد سورة الغضب، وعند خلافنا على مكسب ومصلحة، علينا أن نتذكر عليًا في علاقاتنا مع زوجاتنا وأبنائنا، وفي علاقاتنا مع منافسينا.

وأوضح إن القيمي قد يخسر بعض المكاسب المادية، لكنه يربح دينه ورضا ربه، فماذا يربح من خسر ربه، (ماذا وجد من فقدك وما الذي فقد من وجدك؟!) كما رود عن الإمام الحسين في دعاء عرفة.

وأشار إلى أن الامتحان ليس في إقامة الصلاة، أو صيام رمضان، أو حج البيت الحرام، فذلك سهل يسير، بل الامتحان الحقيقي أمام الشهوات، التي تكشف التدين الحقيقي، والالتزام القيمي.

وقال الشيخ الصفار لو كان عليٌّ طالب سلطة لحصل عليها في أكثر من موقف، ولوجد لها ألف طريق وطريق، إذ لا تنقصه الشجاعة وهو القائل: «لو تظاهرت العرب على قتالي ما وليت مدبرًا»، وليسوا بأدهى منه، قال ﷺ: «والله ما معاوية بأدهى منِّي».

ولو كان غير علي لانتهز الفرصة يوم قيل له «نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين» لكنه رفض؛ لأنه لم يكن طالب منصب، ولا متعطشًا لسلطة، إنه رفض ليبقى عليا الذي خط لأتباعه طريق القيم، ولو فعل لحصل على السلطة ولكنه لن يكون عليا الذي أراده الله، علي القيم والمبادئ، علي الذي مع الحق والحق معه يدور حيثما دار.

وفي سياق متصل قال سماحته: إن الأمم الحية هي التي تقدم كفاءاتها، فالكفاءات القيادية مكسب لمجتمعها، وعلي إذ أُخر لم يخسر فهو يثق في قدراته وكفاءاته، ومقامه عند ربه، ولكن كما خاطبه الشاعر:

ولكنهم أخّروا حظّهم ولو قدموا حظّهم قدّموكا

٧

أبرز العلماء الشيعة في القطيف يرفضون استخدام العنف[1]

رفض أبرز رجال الدين الشيعة في القطيف ظاهرة العنف والعنف المضاد في المنطقة، داعين لانتهاج الأساليب السلمية في المطالبة بالحقوق ورفع التمييز الطائفي.

وشدد البيان العلمائي الصادر الخميس على أن العنف «منهج مرفوض وخطر عظيم فإن للدم حرمة شرعية مغلظة». وقالوا بأن المطالبة بالحقوق ورفع التمييز الطائفي «حق مشروع للمجتمع بالأساليب السلمية».

ودعا الموقعون أبناء المنطقة إلى نبذ العنف واستخدام القوة والتقيد في مقابل ذلك «بالأساليب الحضارية المثمرة».

وطالب البيان الذي وقع عليه خمسة من أبرز رجال الدين بتفعيل لجنة التحقيق الرسمية لكشف (جريمة) قتل أربعة من الشهداء برصاص عناصر الأمن خلال الأيام القليلة الماضية.

ورفع العلماء في الوقت نفسه تعازيهم لعائلات الشهداء الأربعة. كما دعوا السلطات السعودية إلى «التأكيد على انضباط الأجهزة الأمنية لكي لا تتكرر الحوادث المدانة».

وفي سياق متصل وعلى أعتاب بدء موسم عاشوراء الأسبوع المقبل طالب بيان رجال الدين بتجنيب المجالس والمواكب الحسينية ما وصفوها بالأحداث السياسية الجارية،

---

(١) شبكة راصد الإخبارية.

وعللوا دعوتهم «لأجل أن يمارس الجميع حريتهم في إقامة الشعائر دون قلق وحرج».

ووقع على البيان القاضي الأسبق لمحكمة الأوقاف الجعفرية الشيخ عبدالله الخنيزي والسيد منير الخباز والشيخ عبدالكريم الحبيل والشيخ حسن الصفار والشيخ منصور الجشي وأيده عدد كبير من العلماء وطلبة العلوم الدينية في المنطقة.

وفيما يلي نص البيان:

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين

إن هذه الأحداث الأليمة تستدعي أن نخاطب أبناءنا وإخواننا الأعزاء بأمرين مهمين:

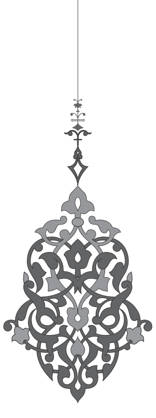
الأول: إن المطالبة بالحقوق ورفع التمييز الطائفي حق مشروع للمجتمع بالأساليب السلمية، ونحن واثقون بأن أبناءنا وإخواننا الأعزاء يرفضون ظاهرة العنف واستخدام القوة، ويتمسكون بالأساليب الحضارية المثمرة، فإن استخدام العنف منهج مرفوض، وخطر عظيم، فإن للدم حرمة شرعية مغلظة، ولا يخفى أن دماء الشهداء التي أهدرت عزيزة علينا، ونحن في الوقت الذي نعزي أهلهم بهم، ونطالب بتفعيل لجنة التحقيق فيها للكشف عن الجريمة، كما نطالب الدولة بالتأكيد على انضباط الأجهزة الأمنية لكي لا تتكرر الحوادث المدانة.

الثاني: إن ذكرى عاشوراء الحزينة تمرّ علينا وتجمعنا تحت ظلال الحسين ﵇ وتفرض علينا أن نبعد الشعائر الحسينية من المجالس ومواكب عن الإحداث السياسية الجارية، من أجل أن يمارس الجميع حريتهم في إقامة الشعائر دون قلق وحرج.

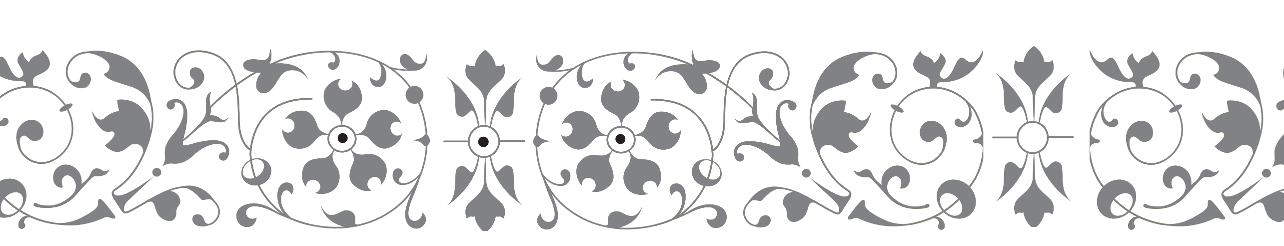
وفي الختام نسأل الله تبارك وتعالى أن يجنب بلادنا الفتن والمكاره وأن يحميها من كل شر وسوء.

الخميس ٢٨ ذو الحجة ١٤٣٢هـ

الموافق ٢٤ نوفمبر ٢٠١١م



ندوات ومحاضرات



كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في حفل تكريم الشيخ سعيد أبو المكارم[1]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

للمنبر الديني دور كبير فعال في مجتمعاتنا، فهو وسيلة للتوجيه والتثقيف والإعلام. ويمتاز المنبر الديني في مجتمعاتنا باستمراريته، فهو لا يرتبط بموسم معين، أو مناسبة محددة، بل هو مدرسة مفتوحة معطاءة طوال أيام السنة.

كما يمتاز المنبر الديني في مجتمعاتنا باستقلاليته، فالخطيب شخصية مستقلة لا يرتبط بجهة تلزمه بما يطرح، والمجالس أيضًا هي نشاط أهلي مستقل، ولهذه الاستقلالية قيمتها وأثرها الكبير في إثراء الفكر وتوجيه المجتمع.

كما يمتاز المنبر في مجتمعاتنا أيضًا بنفوذه وتأثيره في نفوس الناس وثقافتهم. الناس يتعاملون مع المنبر كمصدر لأخذ الأحكام الشرعية، والتوجيهات الدينية. ويتعاملون معه تعاملًا عباديًا، فهم يحضرون ويلتفون حول المنبر، ويستمعون للخطيب، للحصول على ثواب الله سبحانه وتعالى ونيل رضاه.

وهذا ما يجعل للمنبر دورًا مميزًا وتأثيرًا فريدًا.

(١) حفل تكريم الشيخ سعيد الشيخ علي أبو المكارم بتاريخ٢٦/ ٨/ ١٤٢٢هـ بعنوان (مهرجان العطاء والوفاء) في مسجد حي الريف بالعوامية ـ القطيف.

ويتفاوت مستوى تأثير المنبر بمستوى الخطيب الذي يتسنمه، فكلما كان الخطيب أكفأ وأرقى مستوى، كان تأثير المنبر أهمّ وأفضل، وتزخر منطقتنا بمجموعة من الخطباء الأكفاء والرواد المصلحين الواعين من أرباب المنبر الحسيني، ويأتي في طليعتهم الأستاذ الخطيب الشيخ أبو جعفر (حفظه الله وأبقاه).

وقد تميز الشيخ بجوانب عديدة، ومن أهم الجوانب التي تميز بها جانب الفكر والطرح الوحدوي في خطاباته. ومن الواضح أن أهمية الوحدة لا تحتاج إلى إثبات أو تدليل، سواء على مستوى الأمة الإسلامية التي يؤكد القرآن الكريم وحدتها، ويدعوها إلى الاعتصام بحبل الله المتين، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية:١٠٣].

وكذلك على مستوى الوطن، فالأوطان إنما تتجسد قوتها بوحدة شعوبها ومجتمعاتها، فكلما تحققت الوحدة والتعاون والتضامن بين أبناء الشعب، كان الوطن أقوى وأقدر على مواجهة المخاطر والصعاب، أما إذا عاشت الفرقة والخلافات في أوساط أي شعب من الشعوب، وأي مجتمع من المجتمعات، فلن يكون أمامه سوى مستقبل مظلم سيئ وصدق الله العظيم إذا يقول: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال، الآية:٤٦].

فأهمية الوحدة ظاهرة شرعًا وعقلًا، إلا أن هناك عوامل قد تؤكد وترسخ الوحدة في المجتمع، كما يوجد في المقابل معاول للتفرقة والخلاف، تهدم وحدة المجتمع وتفرق صفوفه، ويتحمل المنبر الديني مسؤولية كبيرة في دعوة أبناء المجتمع وأبناء الأمة إلى الوحدة والتعاون، وخطيبنا كان يهتم بالدعوة إلى الوحدة ونبذ الخلافات، وقد تجلى ذلك في خطابته.

كيف يقوم المنبر بدور ترسيخ وحدة المجتمع؟

أولًا: الدعوة إلى الوحدة وجعلها في موقعها الصحيح من الفكر الإسلامي،

والتعاليم الدينية. فالخطيب باعتباره مبلغًا دينيًا، وباعتباره واعظًا ومرشدًا، ينبغي ألا تغيب هذه الدعوة عن خطاباته، وعليه أن يدعو الناس إلى الوحدة والى التآلف والتعاون.

ثانيًا: يجب أن نعرّف الناس على آلية تحقق الوحدة في المجتمع، فالوحدة لا تكون في تطابق الآراء والأفكار والتوجهات، كما يتصور كثير من الناس. وليست وحدة المجتمع أو وحدة المواطنين مرهونة باتفاقهم على مذهب واحد، أو رأي واحد، أو موقف واحد، في القضايا الفقهية أو العقدية أو الفكرية، أو في أي مجال من المجالات، هذا تصور ساذج خاطئ؛ لأن طبيعة المجتمع تنبثق منها حالات الاختلاف، بل طبيعة الكون قائمة على أساس التنوع، وقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون على هذا الاساس، وطبيعة المجتمعات البشرية قائمة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[سورة هود، الآيتان ١١٨-١١٩].

وقال في آية أخرى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[سورة يونس، الآية ٩٩]. إذا الوحدة لا تعني أن يتفق الناس على مذهب واحد أو رأي واحد وإنما الوحدة تعني قبول حالة التنوع واحترام الرأي الآخر.

ومن واجب الخطيب حينما يطرح المسائل، أن يطرح الآراء المتعددة، فإن ذلك يقرب الناس إلى الوحدة والتعاون، ولا يصح أن يطرح آراءه وكأن الخيار الوحيد والرأي الوحيد ينحصر فيما يطرحه. له الحق أن يرجح رأيًا على آخر، إذا كان يملك دليلًا علميًا، وكان يعتمد الموضوعية في بحثه، ولكن لا يصح له أبدًا أن يتجاهل الآراء الأخرى أو يتنكر لها.

من ناحية أخرى، ينبغي للخطباء وأرباب المنابر، تجنب دور التعبئة والتعبئة المضادة، والطروحات الحدّية، فحينما يكون هناك اختلاف في المذهب أو في المدرسة أو في الفكرة أو في أي جانب من الجوانب، فإن علينا أن نوجه الناس ليقبلوا

بعضهم بعضًا، لكي يتعايشوا ويتحاوروا، لا أن نعبئ الناس بعضهم على بعض.

ومما يؤسف عليه أن البعض إذا اعتقد أنه يجب أن ينصر الرأي الذي يراه حقًا، يعتمد أسلوب التعبئة السلبية والتحريض، فحينما يخطب لجمهوره وهو ضمن مذهب معين، يحرضهم على اتباع المذهب الآخر، ويعبئهم ضد من يختلف معهم من اتباع المذاهب الأخرى وهذا خطأ.

حينما يكون جمهور الخطيب أوالحاضرون ضمن انتماء واحد، أو مدرسة معينة، فليس من الصحيح أن يعبئ جمهوره ضد التوجهات الأخرى، ذلك أن الإثارات والتحريض السلبي مما يسعى الشيطان إليه، ويشجع عليه فهو يريد أن يوقع العداوة بين الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾[سورة المائدة، الآية:٩١].

الأعداء والذين يمثلون القوى الشيطانية في العالم في هذا العصر، لا يريدون لأمتنا أن تجتمع وأن تتوحد، ولا يريدون لأوطاننا أن تحافظ على وحدتها الوطنية والشعبية، لذلك يشجعون الخلاف، ويدفعون الناس نحو الافتراق والتمزق.

وهذا مما يضاعف مسؤولية الخطباء، إذ يجب على الخطيب المخلص الواعي ألّا ينساق وراء هذه التوجهات، بقصد أو بغير قصد، بل عليه أن يكون موضوعيًا في طرحه، وفي توجيه للناس، وهكذا كانت خطابات الأستاذ الشيخ أبي المكارم تدعو إلى الوحدة وتتجاوز حالات التشنج والخلاف والتنازع.

لقد مرّت على مجتمعنا ومنطقتنا سنوات عجاف، اشتدت فيها حالات التشنج لوجود اختلافات في الآراء أو التوجهات، لكن الشيخ (حفظه الله) لم يكن يقبل أن يستغل منبره لتكريس مثل هذه الخلافات، بل كان في طرحه وتوجيهه يدعو الناس إلى التعايش والى الاحترام المتبادل، ويتحدث عن الآراء المختلفة للعلماء باعتبارها آراء منطلقة من أدلة شرعية، والاختلاف فيها قائم على أساس علمي، بسبب الاختلاف في مباني الأدلة، وفي مناهج الاستدلال والاستنباط.

يجدر بنا أن نجعل الشيخ ـ أبو المكارم ـ قدوة لنا في هذا المجال، وعلينا أن نتقي الله في وحدة أمتنا ووحدة مجتمعاتنا، وألّا ننساق خلف التوجهات الطائفية والفئوية الضيقة، التي لا تعود على مجتمعنا وعلى ديننا إلا بالخسارة والدمار والتخلف.

ولو قرأنا سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام لوجدناهم يوجهون أتباعهم ويشجعون أبناء الأمة الإسلامية على التعاون والتآلف، وهذا المبدأ الذي يركز عليه الأئمة عليهم السلام يطلق عليه التقية، وقد يتصور البعض أنه نقطة ضعف في مذهب أهل البيت عليهم السلام، لكنه في الواقع نقطة قوة؛ لأن التقية التي لا تعني الخوف على الشخص فقط، وإنما الخوف على وحدة الأمة، وعلى تماسك أبناء هذا الدين الواحد، ولذلك ربى الأئمة عليهم السلام أبناءهم وتلامذتهم وأتباعهم على هذا المنهج الوحدوي.

فكان أبان بن تغلب، تلميذ الإمام الصادق عليه السلام يجلس في المسجد، ويفتي الناس على مختلف مذاهبهم، وحينما استعلم الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك أقرّه وقال له: أحسنت، هكذا أنا أفعل. والروايات تنقل أن الإمام الصادق عليه السلام حينما كان يطرح مسألة علمية يذكر فيها مختلف الآراء، بالرغم من أنه يعلم يقينًا ويعتقد أن رأيه هو الحق قطعًا، وأن الآراء الأخرى لا ترقى إلى مستوى الحق والصواب الذي يمثله قوله عليه السلام، لكنه ما كان يتأبى أن يذكر آراء الآخرين، وما كان يمنع تلامذته وأتباعه أن يذكروا الآراء الأخرى، مع قطعه بخطئها، ويقينه بأحقية الرأي الذي يذهب إليه، فإذا كان أئمتنا عليهم السلام يتعاملون بهذا المنهج، فهل يحق لأحد بعدهم أن يحتكر الحق والحقيقة في قول مرجع واحد، أو في قول مدرسة واحدة ثم يرفض ما عداها من آراء، ويتجاهلها ويتنكر لطرحها، هذا لعمري بعيد عن منهج الإسلام ومنهج الأئمة عليهم السلام ولا يساعد على تحقيق أجواء الوحدة والتعاون بين ابناء الأمة.

ولقد كان المحتفى به الشيخ أبو المكارم (حفظه الله) طوال الفترة الماضية نموذجًا للوحدة والتعاون ونبذ الفرقة والخلاف، ولم يكن يومًا ما طرفًا في أي نزاع أو خلاف، أو حالة من حالات التشنج التي مر بها مجتمعنا، وتجاوزها والحمد لله

بفضل الواعين والمصلحين.

أسأل الله تعالى أن يحفظ الأستاذ الشيخ أبا المكارم، وأن يحفظ أمثاله من الخطباء والعلماء والموجهين الصالحين المصلحين وأن يمنّ عليه بالصحة والعافية، وأن يوفق الجميع للخير والصلاح، إنه ولي التوفيق والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

٧

كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في تأبين الشيخ العمري[1]

إنه لموقف أليم أن نقف في هذا المكان المبارك لكي نؤبن هذا العالم الجليل، الذي كان شمعة هذا المكان، ونور هذا المكان، بل نور البلاد بكاملها، تعودت في السنوات الماضية حينما أقوم بزيارة المدينة المنورة، لزيارة رسول الله ﷺ وبضعته الطاهرة الصديقة الزهراء، وأئمة البقيع، صلوات الله وسلامه عليهم، أن أكون هنا بخدمة الشيخ العمري ولزيارته، وطالما كان يشرفني بأن يكلفني بالحديث من على هذا المنبر، وتعودت أن أخطب هنا والشيخ موجود يصغي للخطاب.

وينير المجلس بحضوره ووجوده، ولكننا اليوم نلتفت ونرى مجلسه شاغرًا، ونرى محرابه فارغًا، هذا شي يؤلم قلوبنا جميعًا، ففراقه يحزننا، لكننا تربينا في مدرسة القرآن الكريم الذي أمرنا بأمر الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

نحن تربينا في مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) المدرسة التي تربي على الصمود والثبات، وعلى تحمل الشدائد والآلام مهما جلت وعظمت، لذلك نفوّض أمرنا إلى الله تعالى، ونطلب منه الأجر والثواب، وأن يلهمنا الصبر والسلوان، وأن يتغمد الفقيد الراحل بواسع الرحمة والمغفرة، وأن يحسن لنا جميعًا الخلف في نجله

(١) مزرعة الشيخ محمد علي العمري ـ المدينة المنورة بتاريخ ٢٢ صفر ١٤٣٢هـ.

الكريم، وفي العلماء الأفاضل في هذه البلاد المباركة المقدسة، بل إن سلوتنا هو هذا الجيل الذي ربّاه الفقيد الراحل، هذا الجيل الذي أراه أمامي الآن من المؤمنين، من الشباب الصالحين، هم ثمرة من أهم الثمار التي غرسها وزرعها ونماها الفقيد الراحل بسيرته وسلوكه، فهنيئًا له ما أقدم عليه من أجر ومكانة عظيمه عند الله.

إنه الآن في مقعد صدق عند مليك مقتدر، مع الأنبياء والأئمة الصالحين، كأني به يخاطبنا بروحه في مثل هذا المحفل، يا أبنائي لا تبكوا عليّ بل أحفظوا الأمانة.

الشيخ الراحل عاش طوال حياته من أجل الله ومن أجل الدين. هذه الأمانة الآن في أعناقنا جميعًا أسأل الله أن يوفقكم ويوفقنا لتحمل هذه الأمانة والمسؤولية.

وقد أراد الله تعالى أن تكون وفاة هذا العبد الصالح عزًا للدين والمجتمع، كما كانت حياته عزًا، وكلكم رأيتم كيف كان تشييعه المهيب، وكيف أن الناس تقاطروا من كل مكان، ومن لم يحضروا تشييع جسده فقد شيعوه بقلوبهم وعواطفهم وأحاسيسهم.

لقد زرع الله محبته في النفوس والقلوب، والودّ في النفوس مطمع ومكسب للإنسان المؤمن، يتمنى أن تكون له المحبة في قلوب الناس، الرسول الأعظم ﷺ يقول: خير الناس من أحب الناس وأحبوه، وشرّ الناس من أبغض الناس وأبغضوه، الإنسان المؤمن قلبه يكون عامرًا بالمحبة، لذلك تكون محبته في قلوب الآخرين.

هناك أسباب من أجل أن يحصل الإنسان على هذه المكانة في القلوب:

السبب الأول:

الاتصال بالله تعالى، فإن الإنسان إذا أخلص لله تعالى، فإن الله يزرع محبته في قلوب الناس، واحترامه في نفوسهم، فالأنبياء والأئمة والأولياء حتى الذين يظهرون لهم العداء نراهم يكنون لهم الإعجاب في أعماق نفوسهم وينبهرون بهم.

الأمر الثاني:

التعامل الحسن مع الناس، فقد جبلت النفوس على حبّ من أحسن إليها، وبغض

من أساء إليها، والفقيد الراحل كان يجسّد الإحسان للناس بأخلاقه وسلوكه وعطفه.

الأمر الثالث:

التعامل بالحبّ مع الناس، وكان الفقيد يعامل الجميع بحب، حتى من اختلف معه في الرأي، أو أساء إليه، كان يقابل الإساءة بالإحسان، ما كان يحقد على أحد، وهذا خلق المؤمن. والفقيد كسب محبة الناس لأنه أحبهم، ولهذا كان هذا التشييع المهيب. أذكركم بما قلته في بداية حديثي علينا أن نحفظ الأمانة وهي تتحقق بما يلي:

الأول: الثبات والاستقامة على مبادئكم وولائكم حتى تورثوا ذلك لأبنائكم.

الثاني: وحدتكم وتعاونكم بمحبة. لتحمّل المسؤولية الكبيرة، وملء الفراغ الذي تركه.

أسال الله تعالى أن يوفقكم لأداء الأمانة، والمحبة فيما بينكم، والوفاء لهذا الفقيد الراحل الكبير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



٧

دور المثقف الديني في المجتمع[1]

بسم الله الرحمن الرحيم.. أيها الأخوة الكرام السلام عليكم جميعًا ورحمة الله وبركاته،

أهلًا وسهلًا بكم جميعًا في هذه الأمسية السعيدة المباركة، التي نجتمع فيها لكي نكرّم أخًا لنا، نفخر بكفاءته وعطائه لدينه ومجتمعه، إنه الأخ العزيز الفاضل الأستاذ حسين منصور الشيخ «حفظه الله»، ومناسبة الاجتماع أنه سيغادرنا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، من أجل أن يواصل دراسته الأكاديمية هناك، ويعود إلينا إن شاء الله في مستوى أرقى في علمه الأكاديمي، وفي نشاطه وعطائه الفكري والثقافي.

بالطبع فإن سفره عنا سيوحشنا، وسيترك فراغًا في نفوسنا وأنشطتنا، لأنه قد فرض وجوده بكفاءته وعطائه، ولكننا نأمل أن يكون دوره هناك ـ إن شاء الله ـ بين أبنائنا الطلاب، وفي أوساط المراكز والجاليات العربية والإسلامية، امتدادًا لدوره هنا.

أيها الأخوة: حينما نكرم أخانا الكريم الأستاذ حسين الشيخ فإنما نكرم دورًا نحن بأمسّ الحاجة إليه، وهو دور المثقف الديني في المجتمع.

نحن تعارفنا أن الثقافة الدينية، والنشاط الديني، موكول لعلماء الدين، فالعالم الديني هو مصدر العطاء المعرفي في المجتمع الديني، والنشاط الديني عادة ما يكون

---

(١) نص كلمة سماحة الشيخ حسن الصفار في تكريم الأستاذ حسين الشيخ بتاريخ الخميس ٢٧/ ٨/ ١٤٣٢هـ الموافق ٢٨/ ٧/ ٢٠١١م.

على عاتقه، وهو يتحمل أعباءه، لكننا نشعر أننا اليوم بحاجة ماسة إلى وجود شريحة المثقفين الدينيين.

عالم الدين والمثقف الديني

وقد يسأل الإنسان: وهل هناك فرق بين عالم الدين، وبين المثقف الديني؟

هناك كتابات وأبحاث تدور حول جدلية العلاقة بين العلم والثقافة، بالطبع هذا لم يكن في وسط الفكر الإسلامي، ففي الفكر الإسلامي هناك إشادة بالعلم والمعرفة في كل مستوياتها، وبجميع المنتمين إليها، ولا يوجد في نصوصنا الدينية مصطلح المثقف، هذه الجدلية حصلت في الثقافة الأوروبية، حصل هناك نوع من التصنيف والفرز بين العالم والمثقف، حيث أطلق العالم على من يهتم بعلوم الطبيعة، وأطلق المثقف على من يهتم بالشؤون الإنسانية، كالآداب والتاريخ والفكر وما أشبه.

أما في ثقافتنا الإسلامية فلم يكن هذا الفرز قائمًا، لكننا ومع تطور الزمن ندرك أن الثقافة أصبحت ـ بغض النظر عن تعريفها العلمي والمصطلحي ـ تعني المعلومات العامة عن الحياة، وعن المجتمع في مختلف الجوانب والمجالات، بينما يطلق العلم والعالم على جانب التخصص، على من تخصص في جانب معين من الجوانب، وعلى هذا الأساس فإن عالم الدين قد يكون مثقفًا.

نعم لدينا علماء دين وجهوا جهدهم وأتعابهم نحو المعرفة الدينية التخصصية، أي في أبحاث علم الفقه والأصول أو العقيدة أو الفلسفة، أو أي جانب من الجوانب، ولم يشملوا بجهدهم وبتوجههم ما يرتبط بالحياة العامة، وبالتطورات الفكرية في العالم والمجتمع، لكن هناك أيضًا علماء دين جمعوا بين تبحرهم وتعمقهم في العلوم الدينية بمعناها التخصصي، وبين اطلاعهم على الثقافة العامة، أي على كل ما يرتبط بأوضاع الإنسان في مختلف الجوانب والمجتمعات.

نحن نجد عالمًا كالشهيد المرجع السيد محمد باقر الصدر (رحمه الله)، وهو

نموذج لعالم الدين الذي تفوق في تخصصه الديني، حيث إنه من المجتهدين في عصره، وفي الوقت ذاته فإن اطلاعه على شؤون الفكر والثقافة على المستوى الإنساني العام لا يشق له غبار، حتى في مجال الاطلاع على التيارات الفكرية الأخرى.

حينما قرأ السيد الصدر الماركسية، وقرأ الرأسمالية، اعترف بعض أقطاب الماركسية والرأسمالية بأنه أكثر فهمًا منهم في نظريتهم التي يتبنونها.

وهناك نموذج آخر هو الشهيد الشيخ مرتضى المطهري (رحمه الله)، وعدد من العلماء، ليس على سبيل الحصر وإنما على سبيل التمثيل.

إذًا عندنا عالم دين مثقف، لكن هناك شريحة، وهي الأكثر من علماء الدين فضلوا الاهتمام بتخصصهم في علومهم الدينية الخاصة، ولم يوسعوا اهتماماتهم إلى المجالات المختلفة.

المثقف هو ذلك الإنسان الذي يمتلك المعرفة، أو جانبًا من المعرفة في شؤون الحياة، وشؤون المجتمع، وشؤون الفكر.

هناك فارق آخر هو أن عالم الدين عادة ما يكون منشغلًا بدوره الديني في المجتمع، متفرغًا للتصدي للأمور الدينية، وهذه تفرض عليه بعض العادات والأعراف والتقاليد، وبالتالي يكون متقيدًا بهذه المعادلة التي أصبح ينتمي إليها، بينما المثقف يكون طليقًا ليس مرتبطًا، وليس أسيرًا بعرف، أو عادة، أو دور معين يقوم به في المجتمع، وفي المجال الديني.

المثقف الديني والدور المطلوب

لقد عرفنا في تاريخنا الحديث عددًا من المثقفين الإسلاميين الذين كان لهم دور يضاهي أدوار العلماء، بل إن بعضهم تفوق في دوره المعرفي، وفي تأثيره في ساحة الأمة على أدوار كثير من العلماء، هؤلاء هم المثقفون الذين جمعوا بين المعرفة الدينية التخصصية في مستوى من مستوياتها، فهم مطلعون على العلوم الشرعية الدينية،

وأضافوا إلى ذلك اطلاعهم على العلوم الحديثة، ومواكبتهم لتطورات الفكر الإنساني الاجتماعي.

يمكننا أن نذكر هنا كمثال المفكر الأديب محمد إقبال اللاهوري، الذي لم يكن عالم دين بالمعنى المتعارف، لم يقضِ وقتًا طويلًا في التخصص في العلوم الدينية، ولم يكن يمارس في مجتمعه دور عالم الدين التقليدي المعروف في المجتمع، لكنه كان مفكرًا، كان مثقفًا، وعطاؤه المعرفي والثقافي أصبح مؤثرًا حتى في الوسط العلمي.

العلماء يتحدثون بإكبار عن فكره وثقافته، وعن تأثيره في تجديد الفكر الإسلامي، والثقافة الدينية، ويمكننا أن نقرأ ما كتبه الشهيد مطهري عنه، فبالرغم من كون الشهيد مطهري فقيهًا وعالمًا، لكنه حينما يكتب عن إقبال، تراه يشيد به، ويستشهد بآرائه وأفكاره.

وهناك مثال آخر هو مالك بن نبي، هذا المفكر الجزائري الكبير، كتاباته وعطاؤه الفكري والمعرفي تركت أثرًا كبيرًا في ساحة المعرفة الدينية، وهو محل تقدير واحترام عند العلماء، وعند المفكرين، رغم أنه لا يصنف عالم دين بالمعنى الاصطلاحي، ولا يمارس دور عالم الدين على المستوى التقليدي المألوف.

ونجد في العراق أيضًا الدكتور أحمد أمين، وهو أستاذ الرياضيات، وصاحب كتاب التكامل في الإسلام، هذا أيضًا جمع بين معرفته العلمية الدينية التخصصية في مستوى من مستوياتها الجيدة، وبين اطلاعه الثقافي العام.

وهكذا نجد مثل هذه الشخصيات والعناصر التي أثرت الثقافة، ولعبت دورًا كبيرًا في التخاطب مع أبناء هذا الجيل؛ لأن الشباب والأكاديميين قد لا يستقطبهم كثيرًا الخطاب التخصصي الوعظي لعالم الدين، لكن هذا الخطاب المعرفي المنفتح، المتصل بالجذور الإسلامية الدينية، كان له دور كبير في إعادة الثقة بالدين في نفوس كثيرين، وفي تجلية الفكر الإسلامي المعاصر أمام الآخرين.

نحن نطمح في مجتمعنا المحلي، في القطيف والأحساء، والوجود الشيعي في كل

هذا البلد، أن تكون عندنا شريحة من المثقفين من أبنائنا الذين يصرفون جهدًا في معرفة العلوم الدينية، لكن دون أن تنحصر جهودهم العلمية في هذا الإطار، وإنما يأخذون من الثقافة الإنسانية العامة، ويواكبون تطوراتها، وأن يكون لهم دور في المجتمع.

بالتأكيد فإن المثقف سيكون أكثر حرية في دوره من عالم الدين، قد تكون لعالم الدين بعض الآراء، وبعض الأفكار، ويريد أن يقوم ببعض الأدوار، لكن في الغالب تقيده الأعراف والتقاليد التي تلزمه حسب المتعارف في المجتمع، أما المثقف فإنه يتجاوز هذا الأمر.

بحمد الله أصبح لدينا في بلادنا بعض من نفخر بهم على هذا الصعيد، ممن يمارسون دور العطاء الفكري والمعرفي، كالأستاذ زكي الميلاد، والأستاذ محمد محفوظ.

هذان الرجلان انطلقا من معرفتهما الدينية، درسا في الحوزات الدينية العلوم التخصصية إلى مستوى معين، وانفتحا على الثقافة العامة، وتواصلا مع الفكر الإنساني، وأصبحا مهمومين بالإنتاج الفكري والثقافي والمعرفي.

نحن نتطلع إلى وجود مثقفين في مجتمعنا يقومون بهذا الدور، يسيرون على خط الشاعر إقبال، وعلى خط مالك ابن نبي، الخط بمعنى التوجه العام، أن يكون مرتبطًا بالجذور الدينية، وبالعمق الإسلامي، ذلك أننا نواجه عددًا من المثقفين من أبناء الأمة ممن انبهروا بالثقافة الغربية، وسيطرت الهزيمة على نفوسهم، فتنكروا لثقافتهم الدينية الأصيلة.

نحن بحاجة إلى مثقفين يفهمون معارف دينهم بشكل سليم، ويصرفون جزءًا من جهدهم في معرفة العلوم والمعارف الدينية، ومن ثم ينطلقون على قاعدة من المعرفة والثقة، من أجل نشر فكر الإسلام، وثقافة الإسلام.

إنني آمل بأن يكون الأخ الأستاذ حسين الشيخ، الذي نجتمع هذه الليلة لتوديعه، ولتكريم دوره، آمل أن يكون قدوة لكثير من شبابنا، بأن يسيروا بهذا الاتجاه.

والأستاذ حسين هو من السائرين في هذا الطريق، فقد درس العلوم الحوزوية في الفقه والأصول والمنطق والفلسفة، كما أنه استفاد كثيرًا من مجالسة العلماء، وخاصة من مجلس الدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي (حفظه الله ومنَّ عليه بالصحة والعافية)، وتواصل مع بقية العلماء في المنطقة، والمهم هو الدور الذي أصبح يقوم به الأستاذ حسين في كتاباته، ومؤلفاته، ونشاطه التربوي، ضمن جماعة الهدى، مما ستسمعون عن بعض هذه الجوانب من أصدقائه وإخوته الذين جاؤوا جميعًا ليشاركونا توديعه وتكريمه.

أشكر لكم جميعًا تلبيتكم الدعوة، وحضوركم، ومشاركتكم لنا، وإن شاء الله نحتفي به حينما يعود إلينا، وقد قطع شوطًا في العلوم الأكاديمية، ونال أعلى الدرجات فيها.

نسأل الله له التوفيق والخير، وأن يكون نافعًا مباركًا أينما كان ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾.

نأمل أن نسمع عن أنشطته، وعطائه في الساحة الجديدة التي يهاجر إليها، أشكركم مرة أخرى، والحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين.

وكان الحفل التكريمي قد بدأ بآيات عطرة من القرآن الكريم تلاها الأستاذ عبدالجبار الشافعي، وأدار الحفل الأستاذ فريد النمر.

كما تحدث الأستاذ محمد المحفوظ عن المُحتفَى به عبر ثلاث دوائر رئيسة أثرت في صقل شخصيته وفكرة، تمثلت الدائرة الأولى في حضوره الثقافي والأدبي الشخصي، وتمثلت الثانية في الاهتمام بالتراث العلمي والفكري لسماحة العلامة الدكتور عبد الهادي الفضلي، فيما تمثلت الثالثة في مساهماته وأنشطته الثقافية المختلفة في هذه المنطقة، معتبرًا أن ما يميز الأستاذ حسين الشيخ هو «امتلاكه نزعة الخدمة» للآخرين.

ثم ألقى الدكتور محمد الحيان بالنيابة عن المشرف العام على لجنة الهدى الأستاذ

علي مرار، ذكر فيها «كانت للأستاذ إسهامات كبيرة ودور بارز في مجلس إدارة المركز لسنوات عديدة وكانت آراؤه ومقترحاته محل اهتمام وتقدير كبيرين من الأعضاء. كما كان له أنشطة اجتماعية كثيرة ومتنوعة فلقد رافقته عاملًا في لجنة الاحتفالات بالقديح وكذلك في برنامج الإمام المجتبى الرمضاني بالقديح، إضافة لإسهاماته الكثيرة في اللجان العاملة بالقديح خاصة والقطيف عامة».

وتابع بالقول: «كان للأستاذ أبي علي فضل كبير في تطوير المناهج في المنطقة بشكل خاص والتعليم الديني بشكل عام».

وقال عنه الأستاذ فؤاد الفضلي في كلمتة الموجزة: كان الأستاذ حسين الشيخ المحور الرئيس في لجنة المؤلفات لسماحة الدكتور الفضلي، مضيفًا كانت لملازمته لمجلس الدكتور الدور في الحفاظ على تراث الدكتور الفضلي، موصيًا الأستاذ بمواصلة دراسته إلى أن يصل إلى مرحلة تحتاجها البلد.

بعدها تحدث المُحتفَى به الأستاذ حسين الشيخ عن سيرته وعلاقته باللجان والمؤسسات المتنوعة في المجتمع التي تشرف بالانضمام والعمل فيها بدءًا من ارتباطه بجماعة الهدى، مرورًا بملازمته لسماحة العلامة الشيخ الدكتور الفضلي والتأثر بفكره وعلمه وانضمامه بعدها إلى لجنة المؤلفات، وانتهاءً بارتباطه بمكتب سماحة الشيخ الصفار، ومشيدًا ببقية المؤسسات والفعاليات الأخرى، وعلى رأسها: بيت الحكمة بقيادة الشيخ علي الفرج، أستاذه الذي يكن له كل محبة واحترام بحسب وصفه، ولجنة دعم وتطوير المراكز الصيفية، ومجلس القديح، ومركز آفاق للدراسات والبحوث، ومجلة الكلمة.

وفي سياق كلمته قال: «من المناسب الإشارة إلى أن جميع الفعاليات الاجتماعية والثقافية التي تشرفت بالانضمام والعمل فيها كانت بيئات احتضنتني بجانب العديد من إخوتي».

وختم الحفل بتقديم الهدايا والدروع التقديرية للأستاذ حسين الشيخ.









٧

الشيخ الصفار يؤبن الشيخ حسن آل نتيف

شارك سماحة الشيخ حسن الصفار في مجلس التأبين الذي أقامته اسرة آل نتيف في حسينية الخويلدية ليلة الخميس ٢/ ٦/ ١٤٣٢هـ الموافق ٥/ ٥/ ٢٠١١م بمناسبة رحيل الخطيب الأديب الشيخ حسن بن الملا محمد علي آل نتيف رحمه الله (١٩٤٠م-٢٠١١م)، الذي توفي في البحرين عن عمر ناهز السبعين عامًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين

ورد في حديث عن رسول الله : «زينة العلم الإحسان»[١]، وورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: «العلماء أطهر الناس أخلاقًا»[٢].

ونحن نحتفي برحيل شخصية علمية أدبية، كان لها دور كبير في مختلف مجالات العطاء العلمي والاجتماعي، تلك هي شخصية فقيدنا الغالي الخطيب الأديب الشيخ حسن آل نتيف رحمة الله عليه، ذلك الرجل الذي عرفناه بسعة الأفق وعمق الثقافة والمعرفة، وحسن الأخلاق، والاهتمام بخدمة الآخرين، وكنا نتمنى أننا نجتمع هذه الليلة لنحتفي بحضوره بيننا، كما كان في كل عام يطل علينا في هذه المنطقة، فتكون

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص ٤٠٢، حديث ٥٨٦٨.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم. حكمة ٢١٠٨.

بحضوره مجالس نرتاح إليها، ونستفيد منها، كانت جلساته جلسات انس وسرور وإفادة أدبية ومعرفية، ولكننا فقدناه، والأمر لله، وكما ورد في الشعر المنسوب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب انه قال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الـذي دون الفـراق قليـل

لكن الإنسان مذكور بعمله، علينا أن نتذكر تلك الصفات الطيبة الجميلة في سيرة فقيدنا الراحل، حتى نستفيد منها ونقتدي بها، وبودي أن أشير إلى بعض الجوانب في سيرته وحياته.

تعرفت عليه عن قرب في السنوات الأخيرة، قبل حوالي ١٥ عامًا، وكنت أسمع عنه، وأعرف عن سلفه الصالح، حيث تتلمذت على الشعر الولائي لأبيه الراحل الملا محمد علي آل نتيف رحمه الله، كنت أحفظ بعض المقاطع من شعره في ديوانه الجميل الرائع (عبرة المؤمنين)، ثم بدأت أسمع عن نجله فقيدنا الغالي، ولكن لم تتح لي فرصة لقائه إلا في السنوات الأخيرة، وفي الواقع كان من الأشخاص الذين احتلوا في نفسي مكانة واحترامًا، لما رأيت من أخلاقه وشيمه وحسن أسلوبه.

التقيته في هذه القرية الطيبة (الخويلدية) أكثر من مرة، ثم صرت ألتقيه في صيف بعض الأعوام في سوريا بجوار السيدة زينب، حيث أخذ له مكانًا هناك، وصار يأتي كل عام للاصطياف، فكانت الفرصة متاحة لكي نتلاقى ونتحادث أكثر، ونحضر بعض المجالس الأدبية والدينية، ثم دعاني مرة إلى البحرين، وكنت في ضيافته، وحرص على تعريفي ببعض الشخصيات الرسمية والدينية من إخواننا أهل السنة، لدعم جهود التقارب والوحدة.

أستذكر هنا بعض صفاته الطيبة:

أولًا: تكوينه المعرفي كان تكوينًا متنوع المدارس

حينما نقرأ عن دراسته نرى أنها كانت دراسة أكاديمية، درس الثانوية العامة التجارية

في البحرين، ثم انتقل للنجف الأشرف للدراسة الدينية، وكما يعلم المطلعون على نمط الدراسة العلمية، كان هناك نمطان في الحوزة العلمية، نمط الدراسة الحوزوية المفتوحة، ونمط الدراسة الأكاديمية المقننة.

الفقيد الراحل حينما ذهب إلى النجف ورغم أن الأجواء كانت تدفع الكثيرين نحو الدراسة الحوزوية الحرة، لكن الفقيد الراحل هو من بين أفراد قلائل من المنطقة الخليجية اختاروا الدراسة الدينية الأكاديمية، انضم إلى كلية الفقه، ونال منها درجة البكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة ١٩٦٧م، وفي كلية الفقه تدرس المناهج التي تدرس في الحوزة من لغة عربية، وفقه، وأصول، ومنطق، وعقائد، لكن فيها مواد إضافية حديثة لا تدرس في الحوزة العلمية، والدراسة فيها منهجية ضمن إطار الدراسة الأكاديمية، من كانوا يختارون الدراسة الأكاديمية عادة ما كانوا من ذوي الاهتمامات المعاصرة، وممن يطمحون إلى التطوير في الحالة الدينية والاجتماعية، كانوا يتجاوزون الحالة التقليدية، رغم أنها حالة ضاغطة، من ينتمي ويدرس في كلية الفقه يواجه بعض اللوم والعتاب في الجو الحوزوي.

اختار الفقيد الراحل هذا الطريق؛ لأنه كان يرى أن الدراسة الأكاديمية هي التي تؤهل طالب العلم من أجل أداء دور أفضل في المجتمع المعاصر، طبعًا هذا لا يعني التقليل من قيمة المنهج الحوزوي العام، ولا يعني الغض من شأن العلماء الذين يسيرون ضمن البرامج الحوزوية العامة، لكن هناك اتجاهًا يتطلع إلى شيءٍ من التطوير والتغيير في مناهج الدراسة، وفي كسب المعرفة الإسلامية والإنسانية الحديثة، اختياره لهذا المنهج يدل على توجه فكري.

كما أتيحت للراحل الفرصة فيما بعد ليدرس في جامعة عين شمس بالقاهرة، حيث حصل منها على دبلوم عالٍ في التربية سنة ١٩٧٩م، وهذا يعني أنه احتك بأجواء دينية أخرى غير الجو المذهبي الديني الخاص الذي عاش فيه في النجف الأشرف، ومن الطبيعي أن احتكاك الإنسان بأجواء أخرى يثريه ويفيده، ونحن نقرأ في سير علمائنا

السابقين أن البعض منهم درس عند علماء من أهل السنة، الشيخ المفيد رحمة الله عليه كان من مدرسيه علماء من أهل السنة، وكذلك الشهيد الأول، والشهيد الثاني، وكثير من علمائنا السابقين ما كانوا يعيشون حالة الانطواء والعزلة عن الآخر، بل كانوا ينفتحون على الآخر.

المرجع الأعلى السيد السيستاني حفظه الله قال في خطاب أمام علماء من أهل السنة: أنا درست عند عالم من علماء أهل السنة وهو الشيخ عبد الغني الراوي، هذا يدلك على أن مدرسة أهل البيت هي مدرسة الانفتاح، وليست مدرسة الانغلاق، ونحن نفخر بأن أي زائر يزور مكتبة أي عالم من علمائنا يجد كتب التفسير والفقه لكل المذاهب الإسلامية، وكما ورد «أعلم الناس من جمع علوم الناس إلى علمه».

الفقيد الراحل حينما درس في جامعة عين شمس لا بُدّ وأن هذه الدراسة قد أفادته وفتحت أمامه أفقًا، وأثرت معرفته الدينية، وشاء الله تعالى له أن تتاح له فرصة أخرى على المستوى العالمي حيث انضم إلى جامعة أكسفورد في بريطانيا سنة ١٩٨١م، ودرس فيها دراسة مقارنة بين القانون الغربي والنظام الإسلامي، وحينما يذهب عالم دين إلى هناك، ويحتك بهذه الثقافة الغربية ومجتمعها، لا شك أنها تثري معارفه، وتجعله قادرًا على أن يوصل رسالة الإسلام بلسان العصر، ولغة العلم والمعرفة.

هكذا نرى في تكوينه المعرفي العلمي أنه لم يقتصر على بيئة معينة، إضافة إلى جانب اهتمامه بالتثقيف الذاتي، حينما استضافني في منزله رأيت أن مكتبته فيها تنوع معرفي، كتب لمختلف المفكرين الغربيين، لمختلف الفلاسفة، في مختلف المجالات، كان يتابع الجرايد والصحف، وهذا انعكس على فكره وثقافته، حين تجلس إليه تجلس إلى عالم معاصر، يعرف الثقافة الدينية الإسلامية، ويستطيع المقارنة بينها وبين الثقافات الأخرى، وهذه ميزة مهمة.

ثانيًا: خبراته وتجاربه العملية

نرى أنه قد استفاد من تجارب مختلفة في مجال العمل والوظيفة، بدأ عمله في

دائرة الهجرة والجوازات عام ١٩٦٣م، قبل أن يذهب للدراسة الدينية، وبعد أن ذهب للدراسة الدينية وعاد إلى البحرين، صار مدرسًا للغة العربية والثقافة الإسلامية في المدارس الرسمية، ويتحدثون عنه في البحرين بأنه كان أول مدرس يدخل إلى المدارس الرسمية بالزي الديني بعمامته، طبعًا كان وجوده في المدرسة مع الطلاب يؤثر في نفوسهم ويقربهم إلى الدين، يعطيهم صورة أخرى لعالم الدين، وعملية التعليم والتدريس تجربة تربوية واجتماعية أعطته الفرصة للتخاطب مع أبناء الجيل الناشئ.

بعد ذلك أصبح قاضيًا في المحكمة الشرعية سنة ١٩٧٩م لمدة عشر سنوات، وتصديه للقضاء جعله منفتحًا أكثر على مشاكل المجتمع وقضاياه، وأعطاه معرفة أعمق وأكثر بمجتمعه، وبعد ذلك أصبح مديرًا لدائرة الأوقاف الجعفرية سنة ١٩٨٩م.

هذا التقلب في الوظائف العملية، إلى أن أصبح مستشارًا في وزارة العدل، جعله أكثر خبرة وأكثر تجربة، ولا شك أن عالم الدين حينما يحتك بقضايا المجتمع يصقل تجربته، ويزيد نضجه الاجتماعي، ويكون أقدر على خدمة دينه ومجتمعه، من خلال معرفة دقيقة وواسعة بأوضاع المجتمع الذي يعيش فيه، وقد ورد عن إمامنا الباقر عليه السلام: «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1]، المعرفة من وسائلها الاحتكاك ومباشرة التعاطي والتعامل مع شرائح مختلفة من المجتمع، وهذا ما رأيناه في سيرة الفقيد الراحل.

ثالثًا: دوره الديني والاجتماعي

كان خطيبا حسينيًا، والخطيب يخاطب الجمهور، وهذا يعني أن يمتلك لغة الجمهور، وأن يستطيع الولوج إلى مشاعر الناس، وأن يتخاطب مع عقولهم، كان خطيبًا وكان مصلحًا، غالبًا ما يكون له دور في الإصلاح بين الناس، ومن خلال لقاءاتي معه والحديث عن أوضاع المجتمع في البحرين، رأيته رزينًا حينما يتحدث عن التوجهات المتعددة والمختلفة، ولا شك أن له رأيه واتجاهه، لكني رأيته يتقي

---

(١) الكافي. ج١، ص٢٧.

الله في الحديث عن الآخرين، لم أسمع منه إساءة لمن يختلف معهم أو يخالفهم في التوجه والرأي.

كان يتحدث عن الآخرين مع ملاحظة ضوابط الورع والتقوى وهذا هو الأمر المهم، والمحك والامتحان. كان من الناجحين في هذا الامتحان، لم يتورط في نزاعات وخلافات، ما كان يأخذ منحى التعبئة ضد هذا وذاك، بل كان يأخذ منحى الدعوة إلى الوئام والانسجام، وإلى عذر الطرف الآخر، وتفهم مبررات الآخر في رأيه وموقفه.

نسأل الله تعالى للفقيد الغالي الرحمة والمغفرة وأن يحشره الله في زمرة محمد وآله الطاهرين، وأن يلهم أسرته وذويه ومحبيه الصبر والسلوان.

والحمد لله ربّ العالمين.





7

العلامة مرتضى المطهري والحركات الإسلامية[1]

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آل الطيبين الطاهرين.

قال الله العظيم في كتابه الحكيم: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[سورة هود، الآية: ٨٨] صدق الله العلي العظيم.

إن الاحتفاء بذكرى العلامة الشهيد المطهري رحمة الله عليه، ودراسة آثاره أمر مهم يستوجب العناية، من هنا فإننا نوجه شكرنا للجمهورية الإسلامية التي تعمل على احياء ذكرى هذا الرجل، ونشر آثاره عبر الأجهزة الإعلامية والوزارات والمؤسسات المختصة، ونشكر المستشارية الثقافية في دمشق على هذه المبادرة، ونرجو أن يكون لها أمثالها في كل عام وفي كل مكان.

ذلك أن إحياء ذكرى هذه القدوات مهم جدًّا للأمة وللشعوب الإسلامية فهي تشد الأمة إلى الرسالة التي حملها هؤلاء الرجال.

وفي نفس الوقت فنحن نعاتب وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية والعربية لتجاهلها مثل هؤلاء الرجال وهذه الذكريات، إنهم يقيمون الدنيا ولا يقعدونها حينما

(١) المؤتمر الدولي لدراسة أفكار العلامة مرتضى مطهري دمشق (٢١-٢٣) شوال ١٤١١هـ (٥-٧) مايو١٩٩١م).

يموت موسيقار أو مغنٍّ أو رياضي أو ما أشبه، لكنهم يتجاهلون تمامًا هؤلاء الرجال الذين كان لهم دورهم وتأثيرهم.

الريادي في حركة الأمة

ولكن إذا كان الأمل ضعيفًا أو منعدمًا في الحكومات، فإن الأمل بالله قوي في نشاط الشعوب والجماهير المسلمة، التي عليها أن تأخذ زمام المبادرة بتخليد ذكرى علماء الأمة ومفكريها.

فالاهتمام بالشهيد المطهري ليس شأنًا إيرانيًا يخص إيران، إنما هو شأن إسلامي، بل أكثر من ذلك إنه شأن إنساني، فالمجتمعات الإنسانية التي تقدر الكفاءات العلمية، والأدوار التاريخية، لا بُدّ لها أن تحتفي بمثل هذه الشخصية العظيمة.

أبعاد كثيرة واسعة في فكر وحياة الشهيد مطهري رحمة الله عليه تستحق الدراسة والبحث،. ولا غرو، فهو عصارة لنهضه ومسيرة عظيمة، عصارة لتاريخ حوزوي علمي أصيل، ولحركة ثورية ظافرة، وقد شملت مجالات عطائه الفكري واهتمامه العلمي مختلف جوانب المعرفة، كما سمعتم من المتحدثين في هذا المؤتمر المبارك، وكما قرأتم عنه. ومن يريد التحدث عن الشهيد المطهري فما عليه إلا أن يختار جانبًا من الجوانب أو نقطة من النقاط المعرفة، ويبحث حولها في كتبه وآثاره وسيرى حينئذ ثروة واسعة وأفقًا رحبًا، وسأختار في حديثي هذا أمامكم موضوع الحركات الإسلامية الإصلاحية عند الشهيد المطهري.

الشيخ المطهري والحركات الإسلامية:

في البدء ينبغي أن نتساءل عن مدى علاقة الشيخ المطهري وارتباطه بالحركات الإسلامية الإصلاحية.

والجواب يأتينا: **أولًا**: إنه كان على صلة وثيقه بالحركات الإسلامية الثورية في

إيران، وحتى تلك الحركات التي تنتهج العمل العسكري المسلح كحركة فدائيان الإسلام، والتي كانت حتى شبهة الاتصال بها في العهد البهلوي البائد تهدد حياة الإنسان بالهلاك والخطر، لكن الشهيد المطهري كان يتواصل مع أغلب الحركات الثورية في بلاده بالتوجيه الفكري، والدعم المعنوي والمادي في بعض الأحيان، وبتهيئة الأجواء الفكرية والنفسية للجماهير لصالح عمل تلك الحركات.

ثانيًا: إن الشهيد المطهري جزء وقطب رئيس من أهم وأعظم حركة إسلامية في هذا العصر، ألا وهي الثورة الإسلامية المباركة في إيران، وما تبوؤه لموقع رئاسة مجلس قيادة الثورة الذي شكله الإمام الخميني قدس سره، إلا دليل على مستوى كفاءته ودوره في صنع وتوجيه أحداث هذه الحركة الإسلامية المباركة.

فآراء الشيخ المطهري عن الحركات ليست آراء متفرج بعيد عن الساحة، بل هي من وحي التجربة والخبرة والمشاركة والمعاناة.

ثالثًا: اهتمامه بدراسة تاريخ وتجارب الحركات الإصلاحية الإسلامية، مما تجدر الإشارة إليه أن الاهتمامات العلمية والفلسفية للعلامة المطهري، التي تظهر من خلال عراقته في الحوزة العلمية، وكتاباته الأصولية والفلسفية، لم تمنعه ولم تحجبه عن دراسة قضايا الثورة والعمل السياسي، فهو كما يدرس أعمال المفكرين والفلاسفة، ويناقش آراءهم وأفكارهم، في ذات الوقت يدرس حياة المناضلين والثائرين، ليأخذ التجارب والعبر، ويقوم النتائج والمواقف.

وكان من نتائج ذلك الاهتمام إلقاؤه لعدة محاضرات عن تاريخ وتجارب الحركات الإسلامية في القرن الأخير، التي كتبت فيما بعد وترجمت باللغة العربية وطبعت تحت عنوان (الحركات الإسلامية الإصلاحية في القرن الأخير).

ورغم أن بحوث هذا الكتاب جاءت مختصرة، وقد أغفل فيها جانب التوثيق المصدري، وهي ليست في المستوي العمق الذي عودنا به المطهري في أبحاثه التي تناولها، لكنه يكشف لنا عن اطلاع واسع على تاريخ الحركات، واهتمام جاد من قبله

لدراستها. حيث تناول البحث حياة طليعة الحركات الإسلامية في هذا القرن وهو السيد جمال الدين الأفغاني، واستعراض أهم آرائه وأفكاره ونشاطاته، كما يتناول حياة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، والشيخ محمد عبده، وإقبال اللاهوري، ويتحدث عن ثورة الدستور والتنباك في إيران، وثورة العشرين في العراق، وبدايات انتصار الثورة في إيران.

دراسة عن تاريخ الحركات:

إن مبادرة الشهيد المطهري بإلقاء وتسليط الأضواء على تاريخ الحركات الإسلامية الحديثة، وطرح هذا الموضوع في الأوساط الجماهيرية الشعبية، يؤكد أهمية دراسة تاريخ الحركات، الذي يعاني من الإهمال والإغفال وخاصة في مجاميع الحوزات العلمية الدينية، وتكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية :

أولًا: إن الحركات الإسلامية هي أهم ظاهرة إيجابية في تاريخ الأمة الحديث، فأمتنا الإسلامية تعيش تحت وطأة الاستعمار والتخلف والانحطاط، والأكثرية مستسلمة خانعة لهذا الواقع. وهناك تجمعات نخبوية نشأت في أحضان الأجانب، وتشبعت بأفكارهم، تحاول تضليل الأمة، وتكريس الهيمنة الثقافية والتبعية السياسية، في بلاد المسلمين... وفي هذا الواقع المظلم القاتم انبثقت أنوار الحركات الإسلامية المناضلة، لتعطي الأمل لجماهير الأمة، ولترفع معنويات شعوبها، ولتعيد لها الثقة بدينها ومبادئها، ولتوجه مسيرة الأمة إلى الطريق الصحيح.

ثانيًا: لأخذ الدروس والعبر، خاصة في هذه الفترة وحيث تنبثق وتتفجر الحركات الإسلامية في مختلف بقاع العالم الإسلامي، وتواجه التحديات الكبيرة، فلا بُدّ من دراسة تاريخ الحركات لتحصيل التجارب، ولمعرفة نقاط الضعف ومكامن القوة في كل حركة وموقف، حتى لا تتكرر الأخطاء، ولنستفيد من نقاط القوة ونطورها.

ثالثًا: لأن هذه الحركات تشكل الوجه الآخر لتاريخ وواقع الأمة. فالكثيرون يتصورون ويعرضون تاريخ الأمة وواقعها وكأنه صورة قاتمة، من الآلام والمآسي

والهزائم والنكسات، وهناك من يبث فكرة سلبية مفادها أن الله قد كتب على المؤمنين أن يعيشوا مقهورين أذلاء، وأملهم الوحيد في النصر والتغيير إنما يحصل على يد الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف.. هذه الفكرة تثبط الهمم عن التحرك، وتشيع في النفوس لاجدوائية العمل والنشاط.

وهي فكرة خاطئة ومعاكسة لمسيرة وتاريخ الأمة وواقعها، فتاريخنا الماضي والحاضر ليس آلامًا ومآسي فقط، بل هناك وجه آخر يتمثل في التحديات والبطولات، في تاريخنا مكاسب وانتصارات وإنجازات، وما انتصار الثورة المباركة في إيران إلا نموذجًا وتتويجًا لتاريخ حافل بالنضال والإنجازات، ونأمل أن تمتد هذه الانتصارات وتتسع رقعتها إن شاء الله حتى يأتي الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف ليتحقق على يديه النصر الكاسح الشامل.

فدراسة تاريخ الحركات الإسلامية يشكل تعزيزًا لروح الأمل، وإثبات أن الأمة ليست بكاملها مستسلمة خانعة، بل هناك إرادة وتحدٍّ ومقاومة.

رابعًا: لمواجهة التعتيم والتشويه الذي يمارس ضد الحركات الإسلامية من قبل المؤرخين المغرضين والإعلام المعادي، إن الإعلام الغربي والصهيوني اليوم يتكتم على التحرك الفعال والإيجابي للحركات الإسلامية، ويسلط الأضواء بشكل مضخم على بعض الإشكالات والثغرات، ويختلق التهم والافتراءات ضد المجاهدين، ليؤلب الراي العام، وليفصل عنهم جماهير الأمة.

وحريٌّ بالكتّاب والباحثين والموجهين أن يقتدوا بالعلامة المطهري في بادرته الكريمة، بالاحتفاء بتاريخ الحركات، ودراسة آثارها ومواقفها، والإشادة بانتصاراتها وتضحياتها.

رسالة إلى العلماء والمفكرين:

إن إعلاء كلمة الله في الأرض، وإنقاذ المسلمين من حضيض الواقع المتخلف الذي يعيشونه، واجب كل مسلم واعٍ غيور، والعلماء والمفكرون في الأمة يجب

أن يكونوا طليعة من يتصدى للقيام بهذا الواجب المقدس، لكن إذا كانت الظروف تمنع البعض من المشاركة الفعلية، والتصدي المباشر، فالمطلوب منه كعالم ومفكر أن يلتمس السبل والطرق لدعم العاملين ومساعدتهم، والتكامل معهم بأداء الأدوار الخلفية التي تصب في قناة الجهاد والثورة.

والعلامة المطهري بحياته وكتاباته يوجه رسالة واضحة إلى جميع علماء الأمة ومفكريها، بأن يقوموا بواجبهم، ويتحملوا مسؤوليتهم تجاه مستقبل الإسلام والأمة، وألّا تكون الظروف السياسية مانعًا من أداء هذا الواجب، حيث يمكن للعالم والمفكر أن يخدم التحرك الإسلامي متخطيًا العقبات والعراقيل، بذكائه ولباقته، دون أن يعطي للسلطات الحاكمة مستمسكًا يدينه أمامها، والشيخ المطهري نموذج وقدوة فذة في هذا المجال.

أما الانطواء والانكفاء على الذات، والتغافل عن معركة الأمة المصيرية ضد أعدائها الخارجيين وتخلفها الداخلي، فهو موقف غير سليم في هذه الظروف الحساسة، والاهتمام العلمي والحذر السياسي لا يشكل مبررًا مقبولًا عند الله وأمام جماهير الأمة.

والأسوأ من ذلك ما يحاوله البعض من افتعال صراع وتناقض موهوم مزيف بين الحركات الإسلامية الثورية وبين المرجعية الدينية وأوساط الحوزات العلمية، إن حياة الشهيد المطهري وأمثاله أفضل رد وجواب على هذه المحاولة المغرضة.

منهج تقويم الحركات:

اعتمد الشيخ المطهري منهجًا موضوعيًا سليمًا في تقويم الحركات الإسلامية المعاصرة، فهو **أولًا**: يدعو إلى دراسة محتوى وجوهر كل دعوة وحركة، وألّا ننخدع بالشعارات والمظاهر، فيجب الفرز بين الحركات الإسلامية ذات المحتوى الإسلامي الحقيقي، التي يكون مسارها وخطها العام سليمًا صحيحًا، وبين الحركات التي ترفع شعار الإسلام وترتدي عباءته بينما هي في حقيقتها وواقعها تفتقد المضمون

والمحتوى الإسلامي، بل تتناقض معه، ويقدم العلامة المطهري كنماذج للحركات المنحرفة عن الإسلام مع تظاهرها به، بعض الحركات السلفية المتشددة، وحركة أحمد خان في الهند.

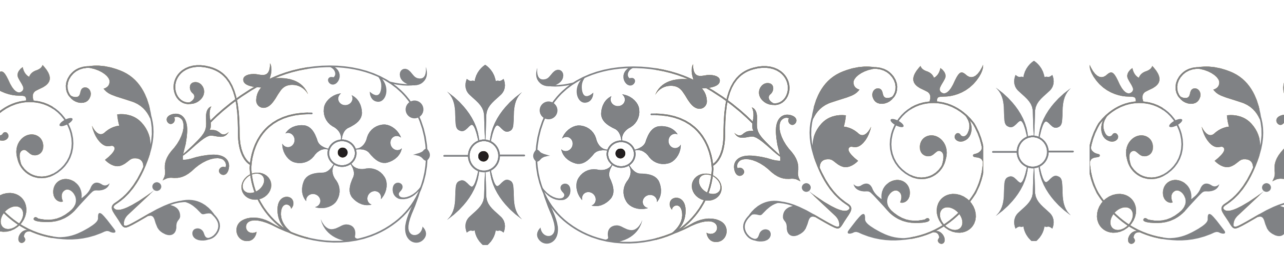
ثانيًا: بالنسبة للحركات الإسلامية ذات المحتوى والمسار الإسلامي الصحيح، لا يحق لنا أن نتعامل معها بتقديس مطلق، يستر عنا أخطاءها ونقاط ضعفها، كما لا يصح لنا أن نناقش الأخطاء والثغرات فقط و نتناسى الإيجابيات والإنجازات والتضحيات، كما هو ديدن البعض الذين يتشبثون بأي خطأ أو ثغرة لدى الحركة لإسقاطها من حسابهم، ولأخذ موقف حادّ مناوئ ضدها..وهذا ما التزمه الشيخ المطهري في كتابه المختصر عن الحركات الإسلامية، فهو في الوقت الذي يكبر فيه شخصية السيد جمال الدين الأفغاني، ويشيد بحركته وجهاده، يضع إصبعه على نقطة الضعف في الفكر السياسي، وحين يبدي إعجابه بشخصية الأديب المجاهد إقبال اللاهوري، ويثمّن دوره في تأجيج المشاعر الإسلامية، ونصرة قضايا الأمة، ينتقد فيه ضعف المستوى العرفاني والعمق الثقافي.

في ختام حديثي أكرر الشكر للمستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية في دمشق، على مبادرتها لعقد هذا المهرجان والمؤتمر لدراسة أفكار الشهيد المطهري، وأغتنم الفرصة بمناسبة الحديث عن الحركات الإسلامية في فكر الشيخ المطهري، لأدعو المهتمين الباحثين للتوجه لدراسة الحركات الإسلامية المعاصرة، وتشكيل مراكز الدراسات والمؤتمرات المختصة بهذا الموضوع، فكم عقد الأمريكيون واليهود وسائر الجهات من مؤتمرات، وأقاموا من مراكز خلال العقد الماضي، ولا يزالون لدراسة وضع الحركات وتطورها في بلادنا بشكل يخدم خططهم لوأد النهضة الإسلامية وإجهاض التحرك الثوري..

ورحم الله الشهيد المطهري وأستاذه إمامنا الراحل الخميني وجميع الشهداء الأبرار.



حوارات



٧

قراءة في مستقبل الإصلاح والتغيير في الأمة



تحت عنوان: الحراك الجماهيري.. قراءة في مستقبل الإصلاح والتغيير في الأمة، أجرت مجلة البصائر[1] في عددها رقم (٤٨) السنة الثانية والعشرون ١٤٣٢هـ -٢٠١١م، مقابلة مع سماحة الشيخ حسن الصفار، هذا نصها:

تواكب الأمة الإسلامية اليوم هبوب رياح التغيير والإصلاح السياسي والاجتماعي، تلك الرياح التي بدأت دوامتها من (سيدي بوعزيزي) في تونس، فما لبثت أن اجتاحت مصر، ووصلت إلى ليبيا والبحرين واليمن وسوريا والأردن، وقد آتت بعض ثمارها في مناطق مثل تونس ومصر، ولا زالت تصارع من أجل النجاح في مناطق أخرى.

والمثقف ـ الديني وغير الديني ـ يرى نفسه إزاء هذه التغيرات أمام مسؤولية عظيمة تتطلب منه البوح لا الصمت، والفعل لا السكون، والموقف لا التفرّج، وأن يُغني هذه المسيرة بفكره: قراءةً واستلهامًا وتوجيهًا ومشاركةً فاعلةً ديناميةً، ويرى نفسه أمام

---

(١) مجلة إسلامية فكرية يصدرها مركز الدراسات والبحوث الإسلامية في حوزة الإمام القائم عجل الله فرجه العلمية.

لحظة تاريخية هامة، وحدثًا مصيريًا رائدًا، ربما لم تشهده الأمة منذ قرون في حياتها السياسية والاجتماعية أو في اجتماعها السياسي، فهو يشهد قيام حركة شعبية تغييرية استفاقت لتطيح بالكثير من العروش التي عُبّر عنها (بالراسخة)، و(المستقرة)، وتسعى لرسم خارطة جديدة في القيم والفكر والفعل معًا، والإسهام في عملية التنظير والتطبيق على حدّ سواء، في مشهد يحكي سأمها من تلك الدساتير الباردة التي قضت على الأمة بالسكون والخدر والتخلف، ويحكي سأمها من تلك التطبيقات الديكتاتورية التي كممت حرية الفكر وحرية التعبير وحرية الفعل.

وهكذا استفاقت في الأمة حركة إصلاحية تغييرية يُجمع المحللون على أنها تميّزت بسمات منها:

- التحرك الشعبي الجماهيري بدلًا من النخبوي والفئوي.
- سيادة الطابع الشبابي، والتحلي بمواصفات التغيير الناجح بدءًا من الإصرار على الوصول إلى الهدف، ومرورًا بامتلاك الرؤية والحكمة والشجاعة والسلم، وانتهاءً بالمشاركة في تشكيل المنظومة القيمية والمعرفة للدستور الجديد، والمساهمة الفعلية في قيادة دفة السياسة والحكم.

ومن ثم آثرنا ـ في مجلة البصائر ـ، ونحن نعيش هذه الأحداث العظيمة المفصلية التي تمرّ بها الأمة ألا نفوّت هذه الأحداث دون القيام بقراءة واعية مركزة لها، تسعى لتلمس مكامن القوة، ومعرفة مناطق الضعف، لتكريس أولاها في جسد الأمة، وتلافي ثانيها.

وسعينا من أجل الوصول إلى هذه القراءة المعقمة للواقع، واستشراف المستقبل، أن نقدم مجموعة من الأسئلة لنخبة من الأعلام والمطلعين، ليسهموا في عملية العطاء المعرفي والترشيد العملي لهذه النهضة الفريدة الواعدة، علّ الله يكحل عين أمتنا برؤية ثمارها يانعة.

قراءة في واقع الأمة:

□ **بدءًا.. تشهد الساحة العربية والإسلامية حراكًا جماهيريًا يطالب بالتغيير على المستوى السياسي، وهذا الحراك ربما يعبر عنه بالاحتقان الداخلي، والنتائج التي حققها هذا الحراك الإطاحة بنظامي ـ تونس ومصر ـ اللذين جثما على صدر الأمة عقودًا من الزمن، لم تشهد الساحة العربية والإسلامية خلالها إلا الظلم والاستبداد والتقهقر.**

□ **السؤال هو: كيف تقرؤون هذا الحراك المطالب بالتغيير من حيث دلالات شموليته للعالم العربي والإسلامي، ومن حيث تأثير العامل الدولي، وما هي نتائجه المستقبلية؟**

◀ الحراك الجماهيري التي تشهده الساحة العربية والإسلامية، للمطالبة بالتغيير السياسي، هو استكمال لحركة التاريخ الإنساني في مواجهة الاستبداد والطغيان، ذلك أن تاريخ البشرية يسير باتجاه تحقيق إنسانية الإنسان، وتعزيز حريته وكرامته.

وقد تجاوزت البشرية عبر مسيرتها الصاعدة كثيرًا من محطات الظلم والجور، كظلم الأنظمة الإقطاعية التي كانت سائدة في أوربا خلال العصور الوسطى، حيث كان النبلاء يفرضون سيطرتهم على الأراضي والفلاحين العاملين فيها، وكان على الفلاحين أن يؤدوا مراسيم البيعة للسيد الإقطاعي، ليقروا بولائهم له ويتعهدوا بالقتال من أجله، ويزرعوا الأرض بجهدهم وعرقهم ليتنعم السيد الإقطاعي بثمارها ونتاجها، وقد نشأ النظام الإقطاعي على يد العصابات الجرمانية المقاتلة التي كانت تجوب مساحات شاسعة في أوائل القرون الوسطى، وكانت حيازة الأرض تعني الهيمنة على الفلاحين العاملين فيها، واستمر هذا النظام الإقطاعي عدة قرون، حتى تجاوزته البشرية بعد النضال والتطور الاجتماعي، وتلاشت آخر آثاره من بعض أجزاء وسط وشرقي أوربا خلال القرن التاسع عشر.

كما واجهت البشرية ظاهرة الرق والاستعباد، وما تعنيه من سحق لإنسانية الإنسان وامتهان لكرامته، وكان الرق منتشرًا في مختلف أنحاء العالم، بسبب الحروب والصراعات، ثم جاءت أعمال القرصنة الأوروبية منذ أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، على شكل غارات وحملات خطف منظمة لأبناء القارة الأفريقية، ونقلهم إلى أمريكا الشمالية ومناطق أوروبا لبيعهم كعبيد أرقّاء، واستمرت معركة البشرية ضد هذا الظلم الفادح منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أصدر مجلس الثورة الفرنسي قرارًا بإلغاء الرق في جميع المستعمرات الفرنسية، ثم جاء إعلان أبراهام لنكولن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٦٣م بتحرير الرق، وكان ذلك من أسباب اغتياله سنة ١٨٦٥م، مرورًا بالاتفاقية التي وقعت عليها الدول المشتركة في عصبة الأمم لملاحقة تجارة الرق والمعاقبة عليها سنة ١٩٢٦م، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وانتهاءً بالإعلان العالمي لحظر الرق وتجارة الرقيق الذي أصدرته عصبة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، وتخلصت البشرية من مآسي الرق والاستعباد.

وفي محطة ثالثة واجهت البشرية ظلم الاستعمار، حيث زحفت موجات بشرية من الأوروبيين لتستوطن بلدانًا كثيرة، أو تستولي عليها عسكريًا، وتحكم سيطرتها على مواطني تلك البلدان، وكانت بدايات الاستعمار الأوروبي مع القرن الخامس عشر الميلادي من قبل البرتغال وأسبانيا، حيث نجحت البرتغال في السيطرة على البرازيل، ونجحت أسبانيا في السيطرة على أجزاء من أمريكا الشمالية ومعظم أمريكا اللاتينية، وفي القرن السابع عشر دخل الهولنديون والبريطانيون على خط الهيمنة الاستعمارية ونجحوا في احتلال أندونيسيا والهند، كما انضمت فرنسا إلى نادي المستعمرين.

وساعدت الثورة الصناعية وظهور القومية الأوروبية على توسع الاستعمار في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ليستوعب معظم أفريقيا وآسيا، حيث تقاسمت مناطقها مختلف الدول الأوربية: بلجيكا وفرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا والبرتغال وأسبانيا، كما احتلت الولايات المتحدة الأمريكية الفلبين، وضمت اليابان

إلى إمبراطوريتها كوريا وتايوان..

وهكذا عاشت معظم الشعوب في ظلّ الهيمنة الاستعمارية الغازية، وتحركت الإرادة في أوصال الشعوب المستعمرة، وتوالت الثورات التحررية، كما تحرك الضمير الإنساني على المستوى العالمي، لينحسر مدّ الاستعمار وتنال الشعوب استقلالها بعد معارك ضاربة، وكفاح مرير، وتوّج ذلك قرار هيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٦٠م بمنح شعوب العالم غير المستقلة حق تقرير المصير، وفي نوفمبر ١٩٦١م أنشأت الأمم المتحدة لجنة خاصة لتصفية الاستعمار، وهكذا تجاوز قطار البشرية محطة الاستعمار، ليقف في مواجهة ظلم الاستبداد، حيث كانت معظم الشعوب تخضع لسلطة القوة دون أن يكون لها رأي في اختيار الحاكمين، أو شكل نظام الحكم، ولا مشاركة في اتخاذ القرار وإدارة الشأن العام.

وخاضت الشعوب معركة انتزاع سيادتها من أيدي المستبدين، وأنتجت تجارب البشرية، وتطور فكرها السياسي، وتبلور إرادتها في الحرية والكرامة أنموذج الحكم الديمقراطي، الذي ينبثق من إرادة الشعب، ويعبر عن رغباته، وذلك باتفاق الشعب على دستور للحكم، وانتخاب السلطة شعبيًا، وتمثيل الشعب في اتخاذ القرارات، والفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية، واستقلالها عن بعضها، والتداول السلمي للسلطة.

وقد أصبحت معظم شعوب العالم تتمتع بميزات هذا النظام الديمقراطي، وتخلصت من مآسي الاستبداد واحتكار السلطة، إلا من بعض الشعوب ومنها معظم مجتمعاتنا العربية والإسلامية لا زالت في مرحلة النضال والسعي لانتزاع حريتها وحقوقها السياسية.

وفي هذا الإطار نقرأ ما تشهده الساحة العربية والإسلامية من حراك شعبي سياسي، أنه تعبير عن إرادة هذه الشعوب وتطلعها للالتحاق بركب المجتمعات البشرية، التي تجاوزت عهود الاستبداد، وأصبحت تعيش حالة الاستقرار السياسي والاجتماعي في

ظل أنظمة ديمقراطية، هي أقرب لتطبيق مفهوم المواطنة، والالتزام بحقوق الإنسان، وتحقيق العدالة والحرية، ومن ثم إنجاز التنمية والتقدم.

عن الإصلاح:

□ **الأيقونة المستجدة (الشعب يريد تغيير النظام) تفتح الباب على جملة أسئلة؛ ما يتصل بسياق الحوار هو مقاربة مفهوم (الإصلاح) الذي بات يقترب من (الثورة)، أو ما يُتداول في أدبيات النهضة من الإصلاح الشمولي والجذري.**

□ **كيف تنظرون لعملية الإصلاح من حيث المفهوم، ومن حيث إمكانه؟**

◄ لا شك أن الاستبداد السياسي هو أصل تنشأ منه وتتفرع عنه مختلف المفاسد والمشكلات، فحين تختطف إرادة الأمة بيد شخص أو فئة، تهيمن على جميع المقدرات، فإن كل شيء سيكون تحت رحمتها، والنتيجة ستكون قمع الكفاءات، ووأد الطاقات، ويصبح كل شيء في خدمة بقاء السلطة واستمرارية هيمنتها، فلا يتحقق تقدم علمي، ولا تطور اقتصادي، ولا تنمية اجتماعية، ولا حرية فكرية.

والاستبداد ينتج التخلف وينشر الفساد، ويضعف وحدة المجتمع وتماسكه، ويخلق الأرضية للتبعية الخارجية.

من هنا، فإن مدخل الإصلاح هو مقاومة الاستبداد السياسي، لذلك رفع الإمام الحسين عنوان الإصلاح في مواجهته للاستبداد السياسي حيث قال : (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي).

وإذا كانت الحركات والأحزاب في العقود الماضية تتبنى فكرة إعداد المجتمع فكريًّا وثقافيًا لكي تتحرك نحو التغيير السياسي، وتضع خططًا تستغرق زمنًا طويلًا، فإن انتشار التعليم، وتطور وسائل الإعلام، وتكنولوجيا التواصل المعلوماتي، وانفتاح

البشرية على بعضها بعضًا، كل ذلك إضافة إلى تراكم التجارب رفع مستوى الوعي عند الشعوب، وأسهم في إنضاج إرادتها، وأكسبها خبرات تمكنها من التحرك السياسي المباشر.

من هنا، فإن شعار تغيير النظام أو إصلاح النظام الذي يرفعه الشعب الآن في أكثر من بلد عربي، يجسّد الإيمان والقناعة بأن ذلك هو طريق الإصلاح والتغيير.

وحين يتحرك الشعب بغالبيته كما حصل في إيران سنة ١٩٧٩م وحدث في تونس ومصر مطلع هذا العام ٢٠١١م وكما هو حاصل الآن في اليمن ومناطق أخرى، فإن هذا الحراك الجماهيري الواسع يخلق روحًا جديدة، وفاعلية خلّاقة، تتجاوز بالشعب الكثير من نقاط الضعف في الفكر والسلوك، وتدفع به نحو الرقي والتقدم في أفق التفكير والوعي، وعلى مستوى العلاقة بين مختلف أطياف الشعب ومكوناته، وقد رأينا ذلك جليًّا في مسيرة هذه الثورات الشعبية.

بقي أن نشير إلى أن ما راهنت عليه بعض الأحزاب والحركات السياسية، من إمكانية العمل ضمن الأنظمة السياسية القائمة لإنجاز عملية الإصلاح من داخلها بشكل تدريجي، هذا الرهان قد أخفق في إثبات نجاحه في معظم البلدان، بسبب الخلل في بنية تلك الأنظمة، وسعيها لاستيعاب محاولات الإصلاح بالمماطلة والتسويف، وتقديم بعض التنازلات الضئيلة لامتصاص النقمة وذرّ الرماد في العيون.

أمام هذا الواقع كان لا بدّ للشعوب بعد أن يئست من إمكانية إصلاح هذه الأنظمة، أن تأخذ زمام المبادرة باتجاه التغيير الشامل، الذي يمثل ثورة حقيقية ينجزها تحرك شعبي سلمي.

إن الواعين المخلصن في كل المجتمعات يتمنون لو أن الأنظمة الحاكمة تستجيب لتطلعات شعوبها في الإصلاح، وتبادر للتغيير، وحينها تتجنب الأوطان تداعيات المواجهة والثورة، وما ينتج عنها من خسائر وتضحيات.

□ **عندما نتحدث عن ضرورة الإصلاح في الأمة، فذاك يستدعي وجود مبرّرات تستدعي ذلك الإصلاح، وأيضًا يستدعي وجود قدرة عند مجتمع ما.. على ممارسة الإصلاح، وأيقونة (الشعب يريد تغيير النظام) تتجه رأسًا نحو الإصلاح السياسي من خارج قوانين اللعبة السياسية المعتمدة.**

□ **فهل يعني ذاك أن مجتمعاتنا تجاوزت الإصلاح الثقافي؟**

◀ حين تختمر إرادة الثورة والتغيير في نفوس نخبة من أبناء الأمة، نتيجة إدراكها لعمق فساد الواقع، ولامتلاكها مستوى متقدمًا من الوعي والفكر تستشرف به المستقبل وتخطط له، ولأنها تحمل رسالة وتؤمن بقيم ومبادئ تسعى لتطبيقها وتنفيذها في الحياة.

فإن هذه النخبة الرسالية الثورية ستسعى لكسب جمهور الأمة إلى جانبها، حتى تستطيع إنجاز عملية التحول الثوري الرسالي، وهنا تحتاج إلى زمن لترعى تربية جيل أو أجيال تؤمن بتلك المبادئ والقيم، وتحتاج إلى بذل جهود كبيرة لنشر ثقافة تدفع الناس إلى تبني خيار التغيير والثورة.

وهذه هي معادلة التغيير والإصلاح ضمن منهجية العمل الحزبي والتنظيمي، لكن هناك منهجية أخرى للتغيير وهي انبعاث الحركة الجماهيرية والثورة الشعبية، حين تصل درجة الغليان عند شعب من الشعوب إلى حدّ الانفجار، بسبب شدة القمع السياسي، وامتهان كرامة الناس، وانتشار الفقر والحرمان في أوساطهم.

هذا الواقع المأساوي قد يدفع الناس نحو الانفجار والثورة في لحظة ما، قد يُحسن التقاطها قائد ملهم كالإمام الخميني في إيران، أو حركة رائدة كشباب ٢٥ يناير في مصر، أو شرارة تمثل صاعق تفجير كحادثة (بوعزيزي) في تونس.

كما تستلهم الشعوب من تجارب بعضها، فتكون انطلاقة ثورة شعبية في مكان ما دافعًا لشعب آخر، يعيش ظروفًا مشابهة.

وكشاهد على ما سبق فإن بعض المحللين والمتابعين لأوضاع الساحة المصرية في أواخر عهد حسني مبارك كانوا يتوقعون الانفجار في أي لحظة؛ لأن الضغوط على عامة الشعب قد تجاوزت حدّ الاحتمال.

وهذا لا يعني إلغاء دور النخب الثورية، ولا تجاهل أهمية الإصلاح الثقافي، فالثورات والانتفاضات لا تولد من فراغ وبدون مقدمات، بل هي نتاج لتراكم حراك ثقافي واجتماعي وغالبًا ما تكون خلفها تجارب ومحاولات سابقة.

لكن على النخبة ألّا تكون أسيرة قوالب نظرية جامدة تمنعها من التفاعل مع التطورات السياسية والاجتماعية، وألّا تعيش عالمها الحزبي والنخبوي الخاص بعيدًا عن نبض الشارع، وتفاعلات الساحة الشعبية.

□ **الآمال أصبحت كبيرة منذ شرارة (بو عزيزي)، لكن التعقيدات التي تشهدها المجتمعات العربية من الحالة القبلية والطائفية وضعف مؤسسات الدولة والمجتمع المدني، ومن كونها موضع تأثير وتجاذبات الدول الكبرى فإن عوامل القلق أيضًا كبيرة. عن التحديات الأساسية التي تواجه الحراك التغييري وسبل تخطيها؟**

◄ عملية التغيير الاجتماعي والتحول السياسي نحو الديمقراطية ليس عملية سهلة، والطريق أمامها ليس مفروشًا بالورود والرياحين، وحتى لو سقط حكم الاستبداد كما حصل في تونس ومصر، فإن ذلك لا يعني نهاية الشوط، ولا تجاوز الأخطار والتحديات، فإن صعوبات وتحدّيات مرحلة البناء أكثر وأخطر من مرحلة الهدم والثورة.

فهناك تحدّيات داخلية من أبرزها تعقيدات الواقع الاجتماعي، والخلل القائم في العلاقة بين مكونات هذه المجتمعات حين تتنوع في انتماءاتها القبلية والطائفية والقومية والسياسية.

وكذلك ما تعانيه هذه المجتمعات من آثار سياسة الاستبداد، التي أضعفت روح العمل الجمعي، وعوّقت بناء مؤسسات المجتمع المدني، واختزلت مؤسسات الدولة وأجهزتها في شخص الحاكم أو الفئة الحاكمة.

إضافة إلى انعكاسات حالة الاستبداد على مختلف جوانب حياة المجتمع، مما يضعف بنيته، ويعوّق حركته ونهضته.

وهناك التحديات الخارجية المتمثلة في مطامع الدول الكبرى، للاحتفاظ بأكبر قدر وأوسع نطاق من النفوذ والتأثير في واقع الدول العربية والإسلامية.

ومن الطبيعي أن تفكر هذه الدول في خدمة مصالحها وتعزيز نفوذها، كما أن بين هذه الدول تنافسًا وتجاذبات تنعكس على ساحات أوطاننا ومجتمعاتنا.

كل ذلك قد يدفع هذه الدول الكبرى لتعويق عملية التغيير في المجتمعات الإسلامية، أو محاولة التأثير على اتجاهات التغيير بما يكون أنسب لخدمة مصالحها، وأقلّ إضرارًا بمستوى نفوذها.

ومع خطورة هذه التحديات الداخلية والخارجية وضرورة عدم تجاهلها أو التقليل من شأنها، إلا أن هناك معطيات إيجابية ترفع درجة الثقة والأمل في إمكانية نجاح حركة التغيير التي تقوم بها جماهير الأمة اليوم في أكثر من ساحة عربية وإسلامية في مواجهة هذه التحديات.

ومن أبرز تلك المعطيات ما ظهر من تقدم مستوى النضج السياسي في شارع جمهور الأمة في أكثر من ساحة، حيث توحدت الشعارات، وتقاربت المشاعر، وغابت الرايات الحزبية والفئوية والطائفية، لترتفع راية الوطن، إنه حراك جماهيري حقيقي لا يسيطر عليه حزب، أو اتجاه معيّن، وتشارك فيه مختلف الأطياف والمكونات، والأهداف والشعارات فيه موحدة محددة، حتى لا تلعب أي جهة داخلية أو خارجية على التناقضات.

ولعل من أهم مظاهر هذا النضج الجماهيري هو الإصرار على سلمية التحرك، وعدم الوقوع في فخ الاستفزاز التي نصبته الأنظمة الحاكمة، باستخدام العنف ضد المتظاهرين والمعتصمين، لتدفعهم للرد بالمثل، حتى يأخذ التحرك مسارًا آخر.

إن ضبط الأعصاب الذي تحلّى به جمهور الثورة في تونس ومصر واليمن مثير للإعجاب والتقدير، ومحفز لرفع مستوى الثقة والتفاؤل. وخاصة في مثل حال الشارع اليمني، الذي سعى النظام ولا يزال لاستفزاز مشاعر الجمهور الثائر، بالعدوان المتكرر على ساحات المعتصمين، مما أدى إلى سقوط عشرات الشهداء ومئات الجرحى، ومع أن السلاح متوفر بكثافة في أيدي اليمنيين، وكان من المتعارف استخدامه في الساحة اليمنية على الصعيد السياسي والاجتماعي، إلا أن الجمهور لا يزال يحبط محاولات النظام لجرّ الحركة إلى نفق العنف واستخدام السلاح.

هذا المستوى من النضج في وعي الجماهير وممارستها الثورية يكشف عن استيعاب الجمهور للتجارب السابقة في تاريخه، وعن مدى استفادته من تجارب الشعوب الأخرى، وأخذه بالنافع من الثقافات والمعارف المتداولة عالميًا.

وبهذا فاجأ الجمهور القيادات التاريخية والأحزاب العريقة، وكان سابقًا لهم ومتقدمًا عليهم في المشهد السياسي الحاضر.

وعلينا أن نتفاءل بهذا النضج ونعقد الآمال عليه في مواجهة مختلف التحديات، كما أن على النخب الواعية في المجتمعات الإسلامية من علماء ومفكرين وشخصيات قيادية وحركات وأحزاب أن تلتحم مع هذا الجمهور، وتعزز حالة النضج في مواقفه.

□ **الروح الجديدة (الشبابية) طرحت تساؤلات عن الريادة وصناعة المبادرة بين النخبة والشباب، وأعادت الاعتبار للعمل الجماهيري الشعبي.. بيد أن ظاهر بعض المجتمعات خصوصًا في الشريحة الشبابية أنه يعيش حالة من اللا اهتمام بالشأن العام والروح التغييرية.**

□ **ما رأيكم بذلك، وما السبيل لخلق تحولات في اهتمام الشباب في العالم العربي والإسلامي نحو مسؤولية الإصلاح؟**

◀ لقد راهنت المجتمعات الإسلامية كثيرًا على مختلف الطروحات والوسائل في السعي لتغيير واقع التخلف والفساد، لكنها لم تحقق لها ما كانت تطمح إليه من حرية وكرامة وتقدم.

ففي خمسينيات القرن الماضي راجت صرعة الانقلابات العسكرية، تحت شعارات تحقيق العدالة والحرية، ووضع حدٍّ للحكم الملكي الوراثي، وظن الناس في البداية بهذه الانقلابات خيرًا أملًا في تحسين أوضاعهم، وتنمية أوطانهم. لكن الانقلابيين بيضوا وجوه من سبقهم، حيث أذاقوا الناس الأمرين، وأمعنوا في إذلال الناس والبطش بهم.

وحين بزغ نجم الحركات الإسلامية التف حولها قطاع واسع من جماهير الأمة أملًا في الخلاص والإنقاذ، لكن طبيعة العمل الحزبي قادت معظم تلك الحركات لمنهجية العمل النخبوي والفئوي، وأوقعتها في بعض النزاعات البينية، كما أن الأنظمة واجهتها بقسوة فرضت عليها المواجهة، ولجأت بعض أجنحتها إلى العنف، فأصبحت محدودة القدرة والتأثير، ولم تتمكن من إنجاز التغيير المأمول، والحركات التي أتيحت لها فرصة المشاركة السياسية، جرى تعويمها ولم تستطع التأثير من داخل المعادلة إلا بشكل محدود.

وكاد اليأس أن يسيطر على النفوس من إمكانية التغيير من داخل الأمة، وهنا توجهت أنظار البعض إلى التماس المساعدة من الخارج، والاستعانة بتدخل الدول الكبرى لإزالة كابوس التخلف والاستبداد، خاصة وأن هذه الدول ترفع شعارات حقوق الإنسان، وتدعي السعي لتعميم نموذج الديمقراطية، وقد تنامت في مجتمعات الدول الكبرى توجهات تهتم بأوضاع حقوق الإنسان بمفهومها الشامل على المستوى العالمي، وتأسست منظمات للمجتمع المدني الأهلي، بدأت تنتزع لها دورًا ومكانة

للتأثير في القرارات الدولية.

من هذا المنطلق جاء الاهتمام من أوساط بعض المهتمين بالشأن العام وقضايا التغيير في الأمة بالتواصل مع المنظمات الحقوقية الدولية، وبالتواجد في المؤتمرات واللقاءات التي تعنى بالأوضاع الإنسانية والعالمية، وبعضهم طرق باب الحوار ومدّ جسور التواصل مع بعض المواقع السياسية في أمريكا وأووربا.

ووصل الأمر إلى قبول تدخل تلك الدول عسكريًا حين أصبح الوضع لا يطاق في بعض البلدان كأفغانستان والعراق وليبيا مؤخرًا.

لكن خيار المراهنة على الدور الخارجي والتدخل الأجنبي محفوف بالكثير من المخاطر والمشاكل، فتلك الدول لها أطماعها ومصالحها، وتدخلها يؤدي إلى تعقيدات ويخلق ردات فعل، ويجعل البلاد ساحة تجاذبات إقليمية ودولية.

وقد دفع الشعب الأفغاني وكذلك الشعب العراقي ولا يزالان ثمنًا باهظًا من سيادتهما وأمنهما وثرواتهما جراء ذلك التدخل.

إزاء هذه الخيارات الصعبة في التغيير، وبعد فشل تلك التجارب المريرة، لاح في أفق الأمة أمل جديد للنجاة والخلاص يتمثل في الحراك الشعبي والانتفاضة الجماهيرية السلمية، وقد عاشت الأمة نجاح تجربة هذا الخيار قبل ثلاثة عقود من الزمن في ساحة إيران بانتصار الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩م، حيث استطاعت الجماهير الإيرانية المسلمة بقيادة الإمام الخميني أن تسقط سلطة من أعتى السلطات في المنطقة، بفضل تلاحم جميع الفئات والشرائح والاتجاهات، عبر حراك جماهيري سلمي أذهل العالم.

وها هي شعوب الأمة اليوم في أكثر من ساحة وموقع تعود إلى ذات الخيار الجماهيري، لتتأكد من صوابيته ونجاحه مرة أخرى، ويبدو أن ما تحقق من نجاح وتقدم في الساحة التونسية والمصرية سيعزز هذا الخيار، ويدفع جماهير الأمة في

مختلف بقاعها إلى الأخذ به، مما يبشر بعصر جديد للأمة إن شاء الله.

ومن الطبيعي أن يكون للشباب دور الريادة وصناعة المبادرة في حركة الجماهير؛ لأنهم الشريحة الأكثر حيوية، واستعدادًا للتضحية والعطاء، كما أن ضغوط واقع الاستبداد والفساد تجعلهم أكثر معاناة وقلقًا على المستقبل، إنهم يعانون في معظم البلدان الإسلامية من صعوبات في فرص التعليم العالي، وفي الحصول على فرص العمل، حيث ترتفع نسبة البطالة في أوساطهم، وتواجههم أزمة السكن وتعقيدات الزواج، وتقييد حرياتهم في الإبداع والانطلاق، وهم ينفتحون على العالم، ويرون مستوى التقدم لدى سائر الشعوب، مما يزيد في نقمتهم وغضبهم، ويدفعهم باتجاه السعي للتغيير.

وإذا كنا نجد بعض ظواهر اللامبالاة والنزوع للانفلات من الضوابط والالتزامات في بعض قطاعات الشباب، فذلك من تأثير البيئة التي يعيشون فيها، وحين تنطلق أي مبادرة إيجابية في أوساطهم، ويرون أنموذجًا مشرقًا من شريحتهم، فإنهم سرعان ما يستجيبون لتوجهات الفعل الإيجابي، ويأخذون موقع النضال من أجل الإصلاح والتقدم، وكما وصف الإمام جعفر الصادق الشباب: (أنهم أسرع إلى كل خير).

٧

الصفار لـ«الحياة»:

زوجتي وحيدة لكنها صابرة... وأحفادي يغرقونني بالسعادة[1]

اشتهر الشيخ حسن الصفار بحواراته ودوره في التقريب بين «السنة والشيعة»، بوصفه أحد الوجوه التي قيل إنها أدت دورًا إيجابيًا في وأد «الفتنة» مرات عدة بين أبناء الوطن الواحد. لكن بعيدًا عن تلك السجالات، تقترب «الحياة» من حياته «الإنسانية»، وذكرياته وطفولته وأبنائه وأحفاده. فكان معه هذا الحوار.

□ **لرمضان في ذاكرتنا ذكرى خاصة.. ما الذي تتذكره من أيام لا تنسى؟**

◄ أيام الطفولة والصبا كنا نشعر برونق خاص لشهر رمضان المبارك، فيدخل قدومه البهجة على قلوبنا، إذ نعيش فيه مع عوائلنا أجواء جديدة تختلف عن الأجواء الرتيبة الدائمة.

---

(١) جريدة الحياة الصادرة بتاريخ الثلاثاء ٢ أغسطس ٢٠١١م، الموافق ٢ رمضان ١٤٣٢هـ، العدد: ١٧٦٥١، أجرت الحوار ياسمين الفردان.

ومن ضمن الصور الراسخة في ذاكرتي وخيالي عن رمضان الطفولة والصبا، مشهد التعبد والتهجد والدعاء في المنزل من جدتي ووالدي ووالدتي يرحمهم الله، حيث المواظبة على قراءة القرآن الكريم بصوت مسموع في الصباح والظهر، وكذلك صلاة النوافل والسنن وخاصة في ليالي القدر، ولا يغيب عن ذاكرتي أبدًا الدعاء الطويل الذي يتلوه والدي كل مساء بعد الإفطار مباشرة (دعاء الافتتاح) حيث نصغي له جميعًا ونتابع معه فقرات الدعاء، حتى حفظناه تقريبًا وتستغرق قراءته للدعاء ما يقارب النصف ساعة.

□ **وماذا أيضًا من صور حية في الوجدان؟**

◄ من تلك الصور الرمضانية التي تحتفظ بها الذاكرة اصطحاب الوالد لي لمجالس الوعظ والإرشاد الديني بعد العشاء من ليالي رمضان، ولا أزال أتذكر كثيرًا من المواضيع الدينية في أصول الدين وفروعه وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته التي كنت استمعها في طفولتي في تلك البرامج الرمضانية الرائعة.

ومن أهم البرامج الاجتماعية الجميلة التي كنا نسعد بها كأطفال في شهر رمضان المبارك، دورنا في تبادل أطباق الطعام قبل الإفطار بين بيوت الأقرباء والجيران، فكانت مائدة الإفطار في البيوت غالبًا ثريّة بتعدد أطباق الطعام، نتيجة الإهداء المتبادل، ما يعزز التواصل والتحابب بين البيوت والأسر.

□ **ما طقوسك الرمضانية الخاصة خلال شهر رمضان.. فلنبدأ بعاداتك الغذائية؟**

◄ لست من النوع الذي يتناول وجبة رئيسة عند الإفطار، بل اقتصر على فردات من التمر وقليل من الشوربة والسلطة غالبًا، وأتناول الأطعمة الأخرى بعد ساعات، لذلك أعتذر عن تلبية الدعوات للإفطار في شهر رمضان، وأشارك في بعض دعوات السحور، التي تمثل جزءًا من برنامج التواصل الاجتماعي.

أسعى لاستثمار أوقات الشهر الفضيل في جانب البناء الذاتي، بالتقرب إلى الله تعالى أكثر ببعض النوافل والبرامج العبادية، وأخص وقتًا أكثر من بقية أيام السنة لتلاوة القرآن والتدبر في آياته الكريمة، ومراجعة أفكاري ومواقفي وسلوكي على ضوئها. وكذلك الحال بالنسبة للأدعية المأثورة في مختلف أوقات هذا الشهر الكريم. كما تتكثف لدي البرامج الاجتماعية والثقافية بين استقبال الزائرين كل مساء بعد العشاء، ثم الانطلاق للقاءات الاجتماعية والزيارات وإلقاء المحاضرات والندوات.

□ **وأفراد أسرتك أين نصيبهم من وقتك وعاطفتك في شهر رمضان؟**

◀ مائدة الإفطار بعد أداء صلاة المغرب تمثل ملتقى أسريًا عائليًا أحرص على الالتزام به، والاعتذار عن عدم الاستجابة لأي برنامج آخر يكون على حساب هذا اللقاء العائلي. أما بقية المساء فتشغلني عن أسرتي مختلف البرامج الاجتماعية إلى وقت السحر، وقد تشارك عائلتي بالحضور معي في بعض برامج محاضراتي وندواتي.

□ **هل لنا أن نطلع على عدد زوجاتك وبناتك وأحفادك إن وجدوا؟**

◀ لديَّ زوجة صالحة طيبة رافقتني في مسيرة حياتي وتحملت الكثير من الأعباء في مؤازرتي ومساعدتي، وقد رزقنا الله خمس بنات وولدًا واحدًا، تزوجوا جميعًا والحمد لله، ولديّ عدد من الأسباط من بناتي ذكورًا وإناثًا، أشعر بالسعادة والهناء حينما يجتمعون في المنزل، وأحمد الله تعالى على هذه النعمة الكبيرة، وأسأله لهم الاستقامة والصلاح والنجاح، وأن يكونوا قرة عين لنا في الدنيا والآخرة.

□ **باعتقادك ما الذي لا يدركه الناس عن أهمية شهر رمضان الفضيل؟**

◀ كثير من الناس يغفلون عن مقصد أساس من مقاصد فريضة الصوم في هذا

الشهر الكريم، وهو أن يستعيد الإنسان المبادرة لقيادة ذاته وترشيد سلوكه، خارج ضغوط الأهواء والشهوات والعادات التي ألفها.

إن الصوم يكشف للإنسان عن قوة إرادته، وأنه يستطيع أن يتخذ القرارات التغييرية في حياته وسلوكه، ولعل هذا هو من أهم مكاسب شهر رمضان، ذلك أن كثيرين يجبنون ويضعفون عن اتخاذ القرارات المخالفة لما ألفوه واعتادوا عليه، على رغم اقتناعهم النظري بفائدة الإقلاع عن تلك العادات والسلوكيات الخطأ.

□ **هل هناك ما استطعت تجاوزه من خلال رمضان الفائت؟ وهل هناك تدريب نفسي جديد تتحضر له؟**

◀ إنني أسعى وأحاول الاستفادة من أجواء الشهر الكريم في التغلب على بعض نقاط الضعف في شخصيتي وسلوكي، فأركز كل عام على نقاط معينة لمعالجتها، وأدعو الله تعالى أن يوفقني لذلك، وأعتقد أن علينا كأفراد ومجتمعات أن نلمس التغيير في حياتنا وسلوكنا من خلال تفاعلنا الصحيح مع شهر رمضان المبارك، فلا يصح أن يأتي شهر رمضان ويرحل عنا دون أن ينعكس منه أي تغيير في واقعنا وسلوكنا.

وقد ورد في أحد النصوص الدينية أن من تطوع بخصلة من خصال الخير في شهر رمضان كان كمن أدى سبعين فريضة من فرائض الله.

□ **هل ينقص مجتمعنا صناعة الإنسان المتفهم لطبيعة العبادة في شهر رمضان؟**

◀ ما ينقصنا هو الفهم الصحيح والشمولي لمعنى عبادة الله سبحانه وتعالى، فالفهم السائد للعبادة أنها تلك الشعائر الدينية الخاصة، كالصلاة والصيام والحج وقراءة القرآن، فإذا تحدثنا عن التعبّد أو الاشتغال بالعبادة، فإن أذهاننا تنصرف إلى ذلك، لكننا حين نتأمل مفاهيم الدين ونصوصه، يتضح لنا أن العبادة

هي امتثال لأوامر الله تعالى في مختلف مجالات الحياة، من هذا المنطلق فإن تحصيل العلم والمعرفة عبادة، وثواب طلب العلم أعظم من ثواب التنفل بالصلاة والصيام، كما يظهر من كثير من النصوص الدينية، كما أن إعمار الأرض عبادة، والعمل على الإنتاج عبادة، وحسن الخلق وسلامة التعامل مع الناس عبادة، والتربية الصالحة للأولاد من أعظم العبادات، ورعاية الأسرة والعائلة من أهم موجبات ثواب الله تعالى ورضاه.

والشعائر الدينية العبادية الخاصة كالصلاة والصيام والحج، هي وسائل لتجذير القيم الإلهية في نفس الإنسان، ولترجمتها في سلوكه، فإذا ما فرّغتْ من هذا المضمون، وأصبحت مجرد طقوس وحركات شكلية، لا قيمة لها عند الله تعالى.

وما تتحدث عنه تقارير مؤسساتنا الحقوقية من تصاعد حالات العنف الأسري، وسوء التعامل مع الأزواج والأولاد مظهر من مظاهر هذا التناقض الصارخ بين أداء العبادات وانتهاك القيم أو التعدي على حقوق الآخرين، والتفريط في المسؤولية الاجتماعية.

□ **هل ما زالت هناك عادات رمضانية باقية من الزمن الجميل؟**

◀ بحمد الله تعالى لا تزال أجواء مجتمعاتنا الرمضانية ثريّة بمظاهر الخير والصلاح، ومنها زيادة الإقبال على المساجد لأداء صلاة الجماعة، والاهتمام الأكثر بالتواصل الاجتماعي، وارتفاع مستوى العطاء والبذل لمساعدة الفقراء والمحتاجين والمشاريع الخيرية، هذه وأمثالها تشكل مظاهر جميلة تثلج الصدر، وتؤكد الانتماء القيمي للمجتمع.

لكن هناك عادات ومظاهر مؤسفة، تكدّر صفو أجواء رمضان البهيجة، ومنها خلود الكثيرين إلى الكسل والترهل وزيادة ساعات النوم وخاصة في نهار شهر رمضان، والمبالغة في الإقبال على ألوان الأطعمة والشربة، حيث يصل استهلاك المواد الغذائية

في أسواقنا إلى درجته القياسية بمناسبة الشهر الكريم، خلافًا لحكمة الصوم، التي تعني الانضباط في تناول الطعام والشراب.

ومن المظاهر السلبية الطارئة، إضاعة الوقت على متابعة المسلسلات والأفلام غير المفيدة، في ليالي الشهر الكريم، وأحيانًا تكون ضارة، لمضامينها السيئة.

□ **نصيحة ما لمن توجهها؟**

- أنصح نفسي وأخواني القراء الأعزاء بأن نعزم على اتخاذ قرارات التغيير والإصلاح في حياتنا في هذا الشهر الكريم، وأن نترجم صيامنا في المجال السلوكي بطي صفحة أي نزاع مع أي أحد من محيطنا الاجتماعي، فذلك أدعى لنيل مغفرة الله تعالى ورضوانه. وأن نتقرب إلى الله تعالى بحسن الأخلاق والتعامل مع الناس كما ورد في حديث شريف (من حسَّن في هذا الشهر الكريم خلقه كان له جواز على الصراط يوم القيامة).

٧

«فقه المواطنة» حوارٌ في المنطلقات مع المفكر الإسلامي سماحة الشيخ حسن الصفار[1]

سماحة الشيخ حسن الصفار علمٌ من أعلام الفكر المعاصر، وهو ـ على تواضعه ودماثة أخلاقه ـ اسمٌ له حضورٌ بيّنٌ في التجاذب الثقافي الديني الذي يدور في هذه الأيّام.

أمام تلك الابتسامة التي تكاد لا تفارق مُحيّاهُ تشعرُ أنّك تجالس صديقًا مُقرّبًا، وبين يدي ذلك الفكر الرحب الذي يغمرك به عند تلمّسه لمفردات الواقع تستشعرُ فيه مُفكرًا حذقًا، وبعيدًا ـ كُلّ البعد ـ عن حالة الانبهار بالفكرة أو صاحبها، تتراءى لك ـ وأنت تُحادثهُ ـ ضرورة أن يحوز المفّكر المجدّد موقعهُ الفاعل في الحراك المعرفيّ الدائر اليوم؛ بعد أن ألفت الساحةُ ـ طويلًا ـ ألّا تحترم مبدعيها إلا بعد فقدهم.

«المرتقى» التقت سماحة الشيخ الصفار.. وكان لها معهُ حوارٌ في موقع مفردةٍ المواطنة ـ الحديثة ـ في منظومة الفقه الإسلامي (ضمن مدرسة أهل البيت على وجه

---

(١) مجلة (المرتقى المعرفي) الصادرة عن حوزة الإمام الخميني في دمشق التابعة لجامعة المصطفى العالمية العدد الأول / ٢٠١١م ـ ١٤٣٢هـ.

الخصوص)، ودار مع سماحته الحديث التالي..:

عندما يتحوّل الفكرُ إلى قيادةٍ للواقعِ بَدلَ مُحَاكاته، ينطلقُ الـمُفكّر ليُصبح قائدًا عمليًّا في الساحة الاجتماعيّة الملتزمة، وفي الإطار ذاته تُطرحُ كُلُّ تحديات الساعة بنَفَسٍ من الوعي الـمُعاصر الذي طالما افتقدته مساحاتٌ البيئة الدينيّة.

وإن كانت ضريبةُ هذا الخطاب ليست بالقليلة ضمن ساحةٍ مُفعمةٍ بالعُقد، كان على المفكر الذي يحملُ لواء منهجيّة الوعي والـمُعاصرةِ أن يبتسم أمام كُل الألغام التي تعترض خطواته في هذه الساح.

□ **بدءًا.. هل هناك وجود لما يسمى بـ(فقه المواطنة) في الفكر والتشريع الإسلامي أم أن الانتماء يتعلق بالمعتقد الديني وحسب؟**

◀ المواطنة بمعنى الانتماءِ إلى دولةٍ ذات حدود جغرافية وكَيانٍ سياسيٍّ تترتبُ عليه حقوقٌ وواجبات، هي تطور في الاجتماع السياسي الإنساني، ظهر في العصر الحديث، ولم يكن قائمًا بهذا الشكل في العصور الماضية.

ورغم أن في فكرنا الإسلامي وتراثنا الديني ما يُمَكّنُنا من صياغة رؤية، وإنتاج فقه للتعامل مع هذا الواقع الذي فرض نفسه، إلا أننا نشكو من بطء وضعف مواكبة الفقه لتطورات الحياة، ومعالجة القضايا المستجدة في ساحة المجتمع الإسلامي.

ولعل من أسباب ذلك العوامل التالية:

١. الارتياب من الحال الجديد، والنظر إليه بسوء، وأنه قد يكون نتاج خطة معادية، وسبيلًا للانحراف والفساد.

٢. الرهبة من تجاوز الفقه الموروث، واستحداث أبواب جديدة، ومصطلحات حديثة، واستنباط قواعد ومنهجيات لم تكن متداولة.

لذلك تلتزم الكتب الفقهية غالبا حتى على مستوى الرسائل العملية

الموجهة لعموم الناس، بنفس التبويب الفقهي السابق، وبنفس المصطلحات والتعابير، حتى في القضايا التي اندثرت وانحسرت مصاديقها، وما عاد المكلفون المعاصرون يعرفون معاني مفرداتها.

٣. عدم الاهتمام بدراسة الواقع الخارجي السياسي والاقتصادي والاجتماعي في الوسط العلمي الشرعي، حيث ينصب الاهتمام على دراسة العلوم الشرعية النظرية، واللافت للنظر أن الفقهاء القدامى كانوا يدرسون بعض العلوم الطبيعية المرتبطة بالأحكام الشرعية، كعلم الحساب والفلك، بينما في عصرنا الحاضر تبدو تجربة الشهيد محمد باقر الصدر في دراسة الاقتصاد المعاصر وكأنها حالة نادرة اعتمد فيها على جهده الشخصي وتثقيفه الذاتي حيث لم يكن في الحوزة العلمية منهج معتمد لدراسة الاقتصاد.

٤. الخلل في تشخيص وظيفة الفقه الإسلامي، حيث أصبحت تعنى بتكاليف الفرد المسلم، أكثر مما تعنى بترشيد واقع الأمة والمجتمع، وهي تعالج المشكل بعد وقوعه، دون أن تضع أمام الأمة بدائل وخيارات وتصورات مستقبلية.

إن فقهاء هذا العصر الذين واكبوا قيام الدولة القومية أو القطرية على الأصح، كان متوقعًا منهم رصد حدوث هذا الواقع، والمبادرة لتوجيهه وترشيده، وإنتاج فقه للتعامل معه.

□ لماذا نواجه نقصًا ـ أو فراغًا كما يرى البعض ـ في بحث موضوع المواطنة وفقهها على المستوى الفكري والفقهي؟

◂ إضافة لما سبق ذكره من العوامل يجب أن نقول إن فقهاء الشريعة لم يكونوا راضين عن تجزئة الدولة الإسلامية وتقسيم الأمة الواحدة، ولم تكن نظرتهم لقيام الدولة القطرية نظرة إيجابية، وخاصة وأن التجزئة والتقسيم كان بتأثير أجنبي استعماري، مثل اتفاقية (سايكس بيكو).

كما أن نوعية الحكومات والأنظمة التي قامت في البلاد الإسلامية لم تكن كلها موقع رضا من الفقهاء، لذلك صمت الفقهاء عن الحديث السياسي ومنه فقه المواطنة.

ولعلهم لم يكونوا قادرين على التعبير عن آرائهم في هذا الموضوع بحريةٍ ووضوح.

□ **هل هناك منطلقات نظرية لفكرة المواطنة في التراث الإسلامي وخاصة في مدرسة أهل البيت ؟**

◄ في المواطنة لا بُدّ من النظر إلى أبعاد ثلاثة:

الأول: أرض الوطن والإمكانات والموارد الطبيعية.

الثاني: المجتمع البشري وهم المواطنون.

الثالث: النظام السياسي الحاكم.

ونجد في تراثنا الإسلامي آفاقًا رحبة للحديث عن هذه الأبعاد الثلاثة.

من حق الإنسان في الحياة على أرضه، وتمتعه بخيراتها، وذلك أن إمكانات الطبيعة والحياة مسخرة من قبل الله تعالى للإنسان، والناس شركاء في الموارد العامة، وفي ذلك آيات قرآنية وأحاديث وروايات كثيرة.

كما تتحدث بعض النصوص عن علاقة الناس بديارهم، أي أوطانهم، وعن حب الوطن والحنين إليه، والدفاع عنه. وعن علاقة الإنسان بمواطنيه وأهل بلده، نجد الحديث في الإسلام عن حسن الجوار، وحسن المعاشرة، والاحترام المتبادل، ورعاية حقوق الآخرين، والتعاون على الخير، والعمل من أجل المصالح المشتركة.

أما عن النظام السياسي، فهناك تشريعات إسلامية في الحقوق والواجبات المتبادلة، بين الحاكم والشعب، وقد كتب أمير المؤمنين رسالة مفصلة لمالك الأشتر حينما ولّاه مصر، تعتبر من أفضل الوثائق وأروعها في تنظيم العلاقة بين السلطة والمواطنين.

□ **وهل ترتبط حقوق وواجبات المواطنة بنوعية الانتماء الديني أو المذهبي**

للمواطن، في الرؤية الإسلامية؟

◂ حين أسس رسول الله الكيان الإسلامي الأول في المدينة المنورة فور هجرته إليها، وكان في المدينة مجموعات من اليهود، فإنه وضع دستورًا لتنظيم العلاقة بين مواطني المدينة المنورة بمختلف قبائلهم ودياناتهم، فيما عرف بصحيفة المدينة، التي نصت على الحقوق والواجبات المشتركة بين اليهود والمسلمين كمواطنين في ظل كيان واحد.

كما أن في التعاليم الإسلامية تأكيدًا على رعاية حقوق أتباع الديانات الأخرى في ظل الإسلام فيما يعرف بأحكام أهل الذمة.

ونقرأ في تاريخنا الإسلامي اهتمام رسول الله وأهل بيته والصحابة برعاية أهل الذمة، وإتاحة الفرصة لهم ليتمتعوا بكل الحقوق المشروعة، من حرية العقيدة وممارسة شعائرهم وعباداتهم، والعمل بأحكام دينهم في محيطهم الاجتماعي.

إنّ القرآن يؤكد على إقامة العدل بين الناس ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴾[سورة النساء، الآية: ٥٨].

ويحذّر القرآن الكريم من مُجانبة العدل مع الآخرين: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة المائدة، الآية: ٨].

□ **من هذا المنطلق.. ما هي معالم الدولة التي يتحقق في ظلها مبدأ المواطنة؟**

◂ إنها الدولة التي تقوم على أساس المشاركة الشعبية، وتخضع لسيادة القانون، الذي يتساوى أمامه الجميع، وتتكافأ فيها الفرص بين المواطنين دون تمييز، وهي الدولة التي تحترم حقوق الإنسان.

□ **إذًا ما هي أهم حقوق المواطن وواجباته؟**

◀ **أهم حقوق المواطن:**

هي حق العيش بكرامة، والمشاركة في إدارة شؤون البلاد، وتمتعه بخيرات وثروات وطنه.

وعليه واجب الدفاع عن الوطن، وخدمة مصالحه، والمشاركة الفعالة في بنائه وتنميته.

□ **ما هي نظرتكم للضجيج الذي يثار بين الآونة والأخرى بأن الشيعة لا يعيشون الانتماء إلى أوطانهم بل إلى مرجعياتهم الموجودة خارج هذه الأوطان في كثير من الأحيان؟**

◀ هناك من يعمل على زعزعة الثقة بين شرائح الأمة في أوطانها، وإثارة القلق والمخاوف عند كل جهة تجاه الأخرى؛ مما يضعف حالة التماسك والتلاحم الوطني، ويؤسس للنزاعات والخلافات.

وما يثار حول انتماء الشيعة لأوطانهم يدخل ضمن هذا السياق، مع أن شيعة أهل البيت كانوا في طليعة المدافعين عن أوطانهم تجاه أي عدوان خارجي، والمقاومة الإسلامية في لبنان خير شاهد على ذلك، وكذلك دور الشيعة في مواجهة الاستعمار البريطاني في العراق مطلع القرن العشرين، فيما عرف بثورة العشرين، كما صوت الشيعة في البحرين لصالح استقلال البحرين وعروبتها، وفي الكويت كان للشيعة دور ريادي في مقاومة الاحتلال والعدوان الصدامي، وفي المملكة العربية السعودية وقف الشيعة إلى جانب وطنهم في مواجهة التهديدات الصدامية.

أما ارتباط الشيعة بمرجعياتهم الدينية فذلك يتم في الإطار الديني وأخذ الفتاوى والأحكام الشرعية، والمرجعية عند الشيعة تمتاز بالعمق العلمي والالتزام المبدئي، والاتزان والنضج في اتخاذ المواقف، ولذلك فهي لا تتدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، وهي توجّه أتباعها لخدمة أوطانهم وحسن العلاقة مع مواطنيهم.

إن بعض الساحات الإسلامية غير الشيعية تعاني من فوضى المرجعيات وإصدار الفتاوى، وهناك من لا يمتلك مستوى علمي لكنه يتصدى للقيادة كبعض أمراء الجماعات الإسلامية، ويتخذون المواقف التي يعتبرونها جهادية، والتي شرّعت للعنف والإرهاب في بلاد المسلمين وفي العالم باسم الإسلام.

□ **انطلاقًا من هذه الرؤية، ما هي آليات نشر وعي المواطنة في الخطاب الديني المعاصر؟**

◀ يجب أن تقوم المؤسسات العلمية الدينية ببلورة الرؤية الإسلامية الواضحة نحو المواطنة في مجالي الحقوق والواجبات، ثم نشر الوعي بحقوق المواطنة وواجباتها في أوساط أبناء المجتمع.

إن معظم الناس يعيشون اهتماماتهم الذاتية المصلحية، والخطاب الديني يجب أن يذكر الناس بمسؤولياتهم العامة، وضرورة الاهتمام بالشأن العام، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

ويقول أمير المؤمنين ؑ: «واعلم أنك مسؤول حتى عن البقاع والبهائم».

إننا نواجه في الوقت الحاضر خطابًا طائفيًا، يثير عند كل طائفة الاهتمام بشأنها الخاص كطائفة، مما يكرس حالة الانعزال والانطواء، ويضعف الاهتمام بالمصالح العامة المشتركة، ويؤسس لواقع المحاصصة الطائفية.

إن سيرة أئمة أهل البيت تؤكد محورية الإسلام والأمة في اهتماماتهم، فرغم ما تعرضوا له من مظالم، إلا أنهم كانوا يتجاوزون ظلاماتهم ومعاناتهم، ويقفون إلى جانب مصالح الأمة، وخدمة وحدتها وتماسكها أمام الأخطار والتحديات.

كما قال أمير المؤمنين ؑ: «والله لأسالمنّ ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة».

٧

حوار حول الطقوس والشعائر التي تمارس في عاشوراء[1]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أرجو منكم قبول المشاركة في هذا البحث الذي يهدف إلى تسليط الدور على عاشوراء في منطقة القطيف.

الأسئلة التالية هي عبارة عن محاولة لفهم آراء علماء الشيعة في المملكة حول الطقوس والشعائر التي تمارس في عاشوراء من ناحية اجتماعية. بالتالي فإنه ليس ثمة إجابة صحيحة أو خاطئة.

أتمنى من سماحتكم أن تركزوا الإجابة في السؤال بعيدًا عن الاستطرادات وسرد الروايات المطولة، فهذا ـ كما ذكرنا أعلاه ـ بحث اجتماعي وليس عقائديًا أو سياسيًا.

أشكر لكم تعاونكم وقبولكم المشاركة في هذا البحث.

عبدالله فيصل آل ربح

---

(١) أجرى الحوار واستفاد من الإجابات الدكتور عبدالله فيصل الربح ضمن بحث بعنوان: عاشوراء في القطيف: شعائر شيعية في دولة سلفية "Ashura in Qatif, Saudi Arabia: Shi'i Ritual in a Conservative Sunni State" وقدمه في مؤتمر الأنثروبلوجيا الدينية عام ٢١٠٣ في لوس أنجلوس.

بسم الله الرحمن الرحيم

□ **هل يصدق مصطلح الشعيرة ـ الشعائر على ممارسات الطائفة الشيعية في عاشوراء؟ يرجى التوضيح.**

◀ الشعيرة هي المعلم والرمز، والأنشطة التي يقوم بها الشيعة لإحياء مناسبة عاشوراء باعتبارها معالم ورموزًا لانتمائهم الديني المذهبي يصدق عليها مصطلح الشعائر، شرط ألا يدخل فيها ما يخالف الدين ويسيء إلى سمعة المذهب والطائفة.

□ **هل تدخل هذه الممارسات ضمن نطاق الآية الكريمة «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ»؟**

◀ أي ممارسة لنشاط إيجابي يذكر الناس بالقيم، ويعزز انتماءهم الديني، تشمله الآية الكريمة ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، ولأن إحياء عاشوراء يتوفر على ذلك فهو داخل ضمن ما تنطبق عليه الآية الكريمة.

□ **هل تأثرت الممارسات العاشورائية بطقوس دينية أخرى كالهندوسية والبوذية وغيرها؟**

◀ من الطبيعي أن يكون هناك تفاعل بين الشعوب والمجتمعات، فيستفيد مجتمع من آخر في بعض تجاربه وممارساته، وقد تنتقل بعض الأساليب في العادات والتقاليد من مجتمع إلى آخر.

وهذا ليس خطأً شرط ألا يكون فيما أستورد من الآخرين ما يخالف الأحكام الشرعية.

إن العمل المسرحي وصناعة الأفلام قد نشأ في المجتمعات الغربية، ولكن المسلمين استفادوا منه في عرض سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه الكرام.

□ **هل تؤيد بعض الممارسات التي يؤديها الشيعة في دول أخرى كالمشي على الجمر في الهند؟ هل انت مع ممارستها هنا بالمملكة؟**

◀ لا أؤيد مثل هذه الممارسات، لا في المملكة ولا في غيرها؛ لما تشتمل عليه من إيذاءٍ وإضرارٍ بالنفس، ولما ينتج عنها من تشويه للصورة.

□ **إلى أي مدى تؤثر هذه الممارسات (سلبًا وإيجابًا) على:**

أ) صورة الطائفة الشيعية عند بقية طوائف المسلمين.

ب) صورة المسلمين عند بقية الأديان.

◀ أرى أن مثل هذه الممارسات ترسم صورة سلبية للطائفة الشيعية عند بقية طوائف المسلمين، وتشوّه سمعة الإسلام والمسلمين لدى سائر الأمم والمجتمعات.

□ **في رأيكم الشخصي، ما الدور المناط بكل من الممارسات العاشورائية التالية:**

أ) القراءة الحسينية

ب) مواكب اللطم

ت) المسرح التمثيلي

ث) مواكب الزنجيل والتطبير

◀ أ) القراءة الحسينية لنشر الوعي والثقافة، وتعزيز الولاء لأئمة الدين، والتأسي بسيرتهم وأخلاقهم.

ب) مواكب اللطم لاستقطاب الشباب وحشدهم ومنحهم مشاركة فعلية في إحياء المناسبة.

ج) المسرح التمثيلي استحضار أبلغ وأكثر تأثيرًا لواقعة عاشوراء بالصوت

والصورة.

□ **إلى أي مدى أنت راضٍ عن حرية ممارسة أعمال عاشوراء في المملكة؟ ما الدور المطلوب من الدولة ـ بالتفصيل إن أمكن ـ حتى يشعر المواطن الشيعي أنه يمارس حريته الدينية في عاشوراء؟**

◀ ممارسة إحياء عاشوراء في القطيف بالمملكة تتم بمستوى جيّد من الحرية، لكنها في المناطق الأخرى كالأحساء والمدينة المنورة تكون بمستوى أخفض من الحرية.

وليس مطلوبًا من الدولة أكثر من إتاحة المجال لإقامة مجالس إحياء الذكرى ومواكب العزاء، وما يرافق ذلك من أنشطة ثقافية واجتماعية مألوفة في إطار النظام والقانون.

□ **هل أنت راضٍ عن سلوكيات أبناء الطائفة الشيعية في المملكة أثناء عاشوراء؟ ما الدور المطلوب ـ بالتفصيل إن أمكن ـ من المواطن الشيعي أثناء عاشوراء؟**

◀ أبناء الطائفة الشيعية في المملكة من حيث المجمل منضبطون في ممارساتهم لشعائر عاشوراء. وهناك شريحة من الشباب يذهب بهم الحماس إلى ممارسات لا اوافقهم عليها، ولا أراها مناسبة مع المحيط الذي نعيش في وسطه. إنني أرى أهمية كسب ثقة وتعاطف سائر المواطنين السعوديين، وعدم القيام بممارسات صارخة تستفزهم، وتجعلهم يقبلون التعبئة والتحريض ضد الشيعة.

□ **هل للصراع (التنافس) المرجعي دور في النزاعات الشيعية الداخلية حول موضوع الممارسات العاشورائية؟**

◀ لا أستبعد ذلك.

□ **أي الـدول توجـد بها حريـة أكثر للمارسـات العاشـورائية: إيران، العـراق، دولة أخرى؟ ولماذا؟**

◀ في كل دول العالم تقريبًا هناك حرية لممارسة الشعائر الحسينية؛ لأن ذلك ضمن الحريات الدينية التي نصت عليها كل مواثيق حقوق الإنسان، لكن دولًا قليلة لا تزال تتأثر بالخلاف المذهبي فتتحفظ تجاه الحريات الدينية للأقليات المذهبية.

□ **في البحرين تعترف الدولة نسبيًا بعاشوراء، فهل ساعد هذا على تخفيف الاحتقان الطائفي والابتعاد عن الممارسات المتعصبة؟**

◀ في البحرين تسامح مذهبي عريق، ولا يعاني الشعب في البحرين من احتقان طائفي، ولا ممارسات تعصبية، وما حصل أخيرًا هو احتقان سياسي يجري فيه توظيف طائفي.

□ **هل تعتقد أن هناك من يريد ـ وبإعانة من الداخل الشيعي ـ أن يميّع العقائد الشيعية عن طريق ضرب الممارسات العاشورائية؟ أرجو التوضيح.**

◀ تهمة تمييع العقائد الشيعية هي مظهر لصراع داخل المجتمعات الشيعية بين الخط التقليدي المحافظ والخط الإصلاحي التجديدي، حيث يرى العلماء والمفكرون الإصلاحيون ضرورة إبراز القيم الجوهرية في مدرسة أهل البيت، وتنقية الثقافة الشيعية مما لحق بها من إضافات أنتجتها بيئة العصور السابقة، وما كان يدور فيها من نزاعات مذهبية.

المحتويات